



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الحاج لخضر باتنة-1-



نيابة العمادة لما بعد التدرج  
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

كلية العلوم الإسلامية  
قسم أصول الدين

## تعقبات الثعالبي علي ابن عطية من خلال الجواهر الحسان \_ جمع ودراسة \_

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية  
تخصص: علوم القرآن والحديث

إشراف الأستاذ الدكتور:  
حسين شرفه

إعداد الطالب:  
بلال أودني

### لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
صالح عسكر	أستاذ	جامعة باتنة -1-	رئيساً
حسين شرفه	أستاذ	جامعة باتنة -1-	مشرفاً ومقرراً
عيسى بوعكاز	أستاذ	جامعة باتنة -1-	عضواً ومناقشاً
نورة بن حسن	أستاذ	جامعة باتنة -1-	عضواً ومناقشاً
هشام شوقي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير _ قسنطينة _	عضواً ومناقشاً
رضوان لخشين	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير _ قسنطينة _	عضواً ومناقشاً

السنة الجامعية: 1441-1442 هـ / 2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## شكر و عرفان

أحمد الله ﷻ حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على تيسيره إتمام هذا البحث، ثم أتقدم  
بجزيل شكري إلى الأستاذ الدكتور: **حسين شرفه** الذي أشرف عليه، فكان ذلك  
شرفا لي.. وقد أعانني فيه، ولم يبخل بوقته وجهده، ورحابة صدره في نصحي  
وإرشادي، فغمرني بأبوته العلمية جزاه الله ﷻ عني خير الجزاء وأوفاه.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث،  
وصرفهم جزءا من وقتهم لأجل قراءته وإبداء ملاحظاتهم فيه.

وأخيرا أشكر كل من مدّ يد العون لي، لأخط حرفا أو أكتب سطرا فيه، ولو كانت  
الإعانة بالكلمة الطيبة أو الدعوة الصادقة على ظهر الغيب.



## إهداء

إلى والدي الكريم الذي علمني حب القرآن وأهله...

إلى أمي التي طالما رافقتني نظراتها ودعواتها أمام الباب حتى أغيب في  
طريقي إلى طلب العلم...

إلى إخوتي الكرام وأخواتي: العربي، عبد النور، حمزة، فاطمة، وحياء.

إلى زوجتي التي شاركتني حياتي العلمية، وكانت دافعا لي فتقاسمتُ  
معها أوراقِي وكتبي، كما شاركتني الحياة الزوجية.

إلى بناتي حبيباتي: بلقيس ميسون نور سين أهدي هذه  
الأطروحة.



مُقَلَّمَاتُ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. وبعد:

فإنّ التفسير من أشرف العلوم لتعلقه بفهم كتاب الله ﷻ وتدبره، وذلك من غايات نزوله، كما قال ﷻ:

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (29) [ص]؛ لذا تعالت همم العلماء من قديم، فاشتغلوا بتفسيره والتأليف فيه، ومن بين التفاسير المشهورة؛ "المحرر الوجيز" لابن عطية الأندلسي، إذ هو محلّ إجماع وإشادة قديما وحديثا، ونظيرا لقيمته العلمية أضحى قبلة ينهل منه الصادي، ويتزوّد من معينه الرائح والغادي، وممن ورد هذا المعين الفياض؛ الشيخ: "عبد الرحمن الثعالبي الجزائري"؛ حيث جعل تفسير ابن عطية عمدة لتفسيره المسمى بـ: "الجواهر الحسان" كما صرّح بذلك، غير أنّه لم يكتف بمجرّد النقل عنه وتلخيص مهماته، بل تعقّبه في مواطن كثيرة، ويأتي هذا البحث للكشف عن ذلك في دراسة تحت عنوان:

"تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان - جمع ودراسة -".

#### أولاً: إشكالية البحث

يُشاع عن تفسير "الجواهر الحسان" للثعالبي أنّه مجرد اختصار وتهذيب "للمحرّر الوجيز"، ليس له بعد الجمع والترتيب إلا عمل قليل، وأثر فكري ضئيل، والحقيقة أن الدّارس لهذا التفسير يقف على جهد كبير وإضافات بارزة لا تحطّئها العين، ومن ذلك تلك التعقبات الكثيرة التي حلّى بها الثعالبي تفسيره وهو يلخص تفسيراً شهيراً لعالم ومفسر كبير، وتأتي هذه الدراسة لتطرح إشكالية رئيسية هي: ما أهمية تعقبات الثعالبي على ابن عطية، وإلى أي مدى وُفق في تلك التعقبات؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات منها:

- ما أهم الصيغ التي استخدمها الثعالبي في تعقباته؟
- هل اعتمد على الاستدلال في تعقباته؟
- ما مدى عنايته بقواعد الترجيح؟
- ما أهم الموضوعات المتعقبة؟
- ما الأسلوب الذي اتبعه الثعالبي في تعقباته على ابن عطية؟

#### ثانياً: أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث فيما يلي:

- أنّه يتعلّق بتفسير كتاب الله ﷻ، وشرف العلم بشرف المعلوم.

- هذه الدراسة مغاربية أصيلة؛ فالثعالبي جزائري وابن عطية أندلسي، وهذا ما يُبرز جانبا مشرقا من إسهامات المغاربة في تفسير القرآن الكريم، وتتبع مسأله بالبحث والتدقيق.
- يُعدّ ابن عطية من فرسان التفسير، وكتابه: "المحرر الوجيز" بلغ الآفاق وسارت به الركبان، فتَعَقَّبَهُ من الثعالبي دليل على رسوخه ومكانته العلمية، إذ كتابه: "الجواهر الحسان" ليس مجرد تلخيص وتهذيب، بل هو تفسير قائم بذاته.
- جمع التعقبات ودراستها تعود بالفائدة على الباحث والقارئ على حدٍّ سواء.

### ثالثا: أهداف البحث

- يصبو هذا البحث إلى تحقيق عدّة أهداف أجملها في النقاط الآتية:
- جمع تعقبات الثعالبي على ابن عطية ودراستها على ضوء أقوال المفسرين، مع بيان الرّاجح في حدود الاستطاعة.
- بيان منهج الثعالبي في تعقباته على ابن عطية.
- بيان القيمة العلمية لتفسير الثعالبي.
- تنوع المسائل المُتَعَقَّبَة، ممّا يُسهم في الاستفادة من مباحث متعددة، تكون مفتاحا لبحوث مستقبلية بإذن الله ﷻ.
- تنمية الملكة العلمية للباحث من خلال مناقشة الأقوال والموازنة بينها، والترجيح المبني على الدليل.

### رابعا: أسباب اختيار البحث

- تعود أهم الأسباب لاختيار هذا الموضوع إلى ما يلي:
- المكانة التي تبوأها تفسير الثعالبي بين التفاسير المغاربية عموما والجزائرية خصوصا.
- الرّغبة في إبراز جهود الثعالبي في التفسير، والوقوف على منهجه فيه.
- المساهمة في خدمة التراث المغاربي عامة، والجزائري خاصة، فالاشتغال بمآثر علمائنا وإظهار جهودهم ودراستها أقلُّ ما يمكن بذله، لتأكيد خلق الوفاء الذي ينبغي أن يحمله الخلف للسلف.
- الرّغبة في الاشتغال بكتاب الله ﷻ وتدبره، فهو خير ما أفنيت فيه الأعمار.

### خامسا: مصادر ومراجع البحث

المُتَّبِع لتعقبات الثعالبي على ابن عطية يلحظ كثرة وتنوع موضوعاتها، وهذا ما استدعى الرجوع إلى مصادر كثيرة حسب ما تقتضيه المسائل المدروسة، وقد استفرغت جهدي للاستفادة من أكبر عدد من المصادر والمراجع، وبذلت وسعي أن تكون من صميم البحث، وفي مقدّمها كتب التفسير؛ فاعتمدت أشهرها قديما وحديثا، ومنها ما هو خادم للموضوع، ككتب الأعلام والتراجم في التعريف بابن عطية والثعالبي وبعض الأعلام، وفي دراستي للتعقبات تتبعت أقوال أهل العلم في شتى الفنون بالرجوع إلى مصنفاتهم، سواء ما تعلق بالعميقة أو

علوم القرآن أو اللغة أو الفقه أو الحديث... وراعى فيها الترتيب الزمني، فجاء البحث ثريا في مصادره، وقد توخيت الأمانة في نسبة كل قول أو فهم لصاحبه، وبسبب كثرة المصادر وتنوعها فقد حرصت أن أختصر وألخص الأقوال، تفاديا للحشو وكثرة النقول التي لا طائل منها.

### سادسا: الدراسات السابقة

حين توجهت همتي لدراسة هذا الموضوع لم أقف على دراسة أكاديمية حوله، أو قريبة من عنوانه، وغاية ما وقفت عليه؛ بحوث في مجال تعقب مفسر على آخر، ومن ذلك:

— استدراقات ابن عطية على الطبري للباحث شايح الأسمرى.

— تعقبات ابن كثير على من سبقه من المفسرين للباحث أحمد السيد.

والملاحظ أنّ هذه البحوث لم تتناول تعقبات الثعالبي على ابن عطية، وقد بذلت جهدي من خلال مسح المواقع التي تعنى بنشر عناوين الأطروحات المسجلة أو التي نوقشت، فلم أطلع على دراسة متخصصة في الموضوع أثناء تقديمي لمشروع البحث قبل سنوات.

وبينما أنا في اللّمسات الأخيرة من بحثي وقفت على أطروحة موسومة بـ: " استدراقات الثعالبي على ابن عطية من خلال تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن \_ عرضا ودراسة \_" لآيات محمود، وهي رسالة دكتوراه نوقشت بالجامعة الأردنية سنة: 2017، وواضح من عنوانها أنّها تتقاطع مع بحثي، مما اقتضى الاطلاع عليها، وقد لاحظت بعد تصفّحها ما يلي:

- تتقاطع هذه الرسالة مع موضوع بحثي في ثلاثين (30) مسألة، توافق حكما في عشرين (20) منها.
- تختلف دراستي عن الدراسة الأخرى في العديد من المسائل؛ حيث أغفلت الباحثة الكثير من القضايا المهمة التي تناولتها في بحثي، والتي تصل إلى قرابة خمسين (50) مسألة.
- تناولت الباحثة الكثير من القضايا التي حكى فيها ابن عطية الخلاف ولم يرحح، فرجح الثعالبي، ومستندها في ذلك لفظ الاستدراك الذي يتناول كل زيادة على كلام السابق، ويظهر لي أنّ هذا الجانب من الدراسة مجاله "ترجيحات المفسر أو اختياراته"، وهو فنّ مستقل بذاته في الدراسات الحديثة. مع التنبيه أنّ الباحثة أغفلت الكثير من ترجيحات الثعالبي المتعلقة بهذا السياق خلافا لما التزمت به.
- أغفلت الباحثة دراسة منهج الثعالبي وأسلوبه في استدراقاته على ابن عطية، وأهم الصيغ التي استخدمها، واكتفت بذكر بعض النتائج المتعلقة بذلك في خاتمة بحثها استنادا إلى الدراسة التطبيقية، وهو ما أبرزته في بحثي.
- خلطت الباحثة في الكثير من المسائل المدروسة، خاصة ما تعلق ببعض المسائل التي لها صلة بالتفسير أو علوم القرآن، حيث أدرجت بعضها في مبحث الاستدراقات اللغوية، كما أنّها أوردت بعض المسائل في الاستدراقات العامة، وهي تندرج ضمن أحد الموضوعات السابقة...

والحقيقة أنني لم أستفد من هذا البحث، إذ اطلعت عليه بعد أن استوى بحثي وقطعت فيه شوطا كبيرا، ولكن الأمانة اقتضت أن أشير إليه.

### سادسا: منهج البحث

اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على جملة من المناهج يُكتمل بعضها بعضا؛ فاعتمدت المنهج التاريخي عند التعريف بالشخصيتين محل الدراسة، وعند التطرق لدراسة منهجهما اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، وفي جمع المسائل المتعقبة ودراستها استندت على آلية الاستقراء، كما اعتمدت المنهج المقارن في الترجيح بين الآراء والأقوال.

هذا بالنسبة للمنهج العام المتبع أثناء الدراسة، وأما ما تعلق بطريقي في كتابة البحث فألخصها فيما يلي:

- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها معتمدا رواية ورش عن نافع، مع إدراج اسم السورة ورقمها بعد الآية مباشرة، تحاشيا كثرة الهوامش التي تزيد في حجم البحث.
- عزوت الأحاديث النبوية إلى مصادرها، فإن كان مخرجا في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما ذكرت من خرجه باختصار، مع إيراد الحكم عليه من أقوال المحدثين القدامى، فإن لم أقف على ذلك أوردت حكم المعاصرين.
- بذلت وسعي في تخريج الآثار التي وقفت على أسانيدها، فما كان منها دون ذلك اكتفيت بعزوه إلى مصادره.
- اعتمدت فيما أنقله من تفسير الثعالبي على طبعة عالم المعرفة بالجزائر، بتحقيق الدكتور: عمار الطالبي، أما ما نقلته من تفسير ابن عطية فاعتمدت طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق: عبد السلام عبد الشافي.
- عند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة أشير في الهامش إلى جميع بياناته وفق الترتيب الآتي: (عنوان الكتاب، اسم المؤلف، اسم المحقق إن وُجد، ثم أذكر بيانات النشر (دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة، تاريخ الطبعة، الجزء والصفحة، وأكتب عبارة: (د. ط) و (د.ت) إن كان الكتاب بدون رقم أو تاريخ طبعة).
- في حال تكرّر المصدر أو المرجع أكتفي بذكر عنوان الكتاب والمؤلف ثم الجزء والصفحة.
- صنّفتُ تعقبات الثعالبي حسب موضوعاتها، وجعلت كل موضوع عنوانا للفصل، وأدمجتُ بعض المباحث في فصل واحد إذ كانت مادتها العلمية قليلة، توخيا لتوازن الفصول.
- في ترتيب الأقوال أورد أقوال ابن عطية أولا باعتباره مُتَعَبِّاً عليه، ثم أتبعها بتعقبات الثعالبي.
- رجعت إلى المواطن التي تعقب الثعالبي فيها ابن عطية، ونقلت كلام صاحب المحرّر حرفيا، فإن وجدت إضافات لم يوردها الثعالبي جعلتها بين معكوفتين [ ]، وإن كان كلام ابن عطية طويلا، اكتفيت بنقله مختصرا، مع الإشارة في الهامش بلفظ: "ينظر"، أو "بتصرف".
- اكتفيت بتزاجم الأعلام غير المشهورين.

- اعتنيت بشرح الألفاظ الغريبة في الهامش.  
 - ذيلت البحث بفهارس فنية للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والتراجم، والأشعار، والألفاظ الغريبة، والبلدان، وختمت ذلك بفهرس للمصادر والمراجع.

### سابعاً: خطة البحث

قسّمت بحثي إلى مقدمة وبابين، الأول منها نظري، والثاني تطبيقي، وقد جاءا متفاوتين من حيث الحجم؛ إذ كان الباب الثاني أوفر مادة وأكبر حجماً، والسبب أنه متعلق بالجانب التطبيقي. ثم أتبع ذلك بخاتمة، وتفصيل ذلك فيما يلي:

**المقدمة:** وتشمل أهمية البحث وأهدافه وأسباب اختياره، والإشكالية التي يعالجها، مع ذكر أهم المصادر المعتمدة، بالإضافة إلى الدراسات السابقة، والمنهج المتبع في هذه الرسالة، لتختتم بخطة البحث.

**الباب الأول:** عنوانه -: مدخل لدراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان، جاء في تمهيد: خصّصته لبيان معنى التعقب لغة واصطلاحاً. ثم أتبعته بفصلين:

**الفصل الأول:** تناولت فيه التعريف بابن عطية والثعالبي وتفسيريهما، تفرع عنه أربعة مباحث، جعلت المبحث الأول: للتعريف بابن عطية، تطرقت من خلاله لحياته الشخصية والعلمية.  
 أما المبحث الثاني: فخصّصته للتعريف بتفسير المحرر الوجيز، تناولت فيه أهم مصادره، ثم عزّجت على منهجه، وختمته ببيان مكانته العلمية.

أما المبحث الثالث والرابع: فخصصتهما للتعريف بالثعالبي وتفسيره: "الجواهر الحسان"، وفيهما تتبعت القضايا نفسها التي ذكرتها في المبحثين الأول والثاني.

**الفصل الثاني:** عنوانه -: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها، ومنهج الثعالبي فيها، قسمته إلى مبحثين: المبحث الأول: نشأة التعقبات في التفسير وتطورها، اشتمل على مطلبين، الأول: تناولت من خلاله النشأة، والثاني: بيّنت فيه تطور التعقبات من ظهورها إلى يومنا هذا.

أما المبحث الثاني: فتطرقت فيه لمنهج الثعالبي في تعقباته على ابن عطية، وتمحورت عناصره في ثلاثة مطالب، أوردت في الأول: صيغ تعقباته، وفي الثاني: دراسة أسلوبه في التعقب، وفي الثالث: أنواع تعقبات الثعالبي على ابن عطية.

**الباب الثاني:** خصّصته لدراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية، وجاء في خمسة فصول:

**الفصل الأول:** وضمّنته تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية، اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: خصصته لدراسة تعقباته على ابن عطية في النبوات، تضمن جملة من المسائل، ضمّنتها ستة مطالب تناولت في غالبيتها مسألة عصمة الأنبياء.

المبحث الثاني: وتناولت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في الغيبيات، وفيه تطرقت إلى خمس مسائل، استقلّت كل مسألة بمطلب.

المبحث الثالث: ودرست فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مبحث الأسماء والأحكام، تضمن قضيتين في مطلبين هما: طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً، أكان ذلك كفراً منهم، أم جهلاً، بالإضافة إلى قضية الكفر والجحود مع العلم.

الفصل الثاني: تناولت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل من علوم القرآن، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: ذكرت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في أسباب النزول، تضمن أربعة نماذج جاء كل واحد منها في مطلب.

المبحث الثاني: خصصته لتعقبات الثعالبي على ابن عطية في القراءات، اشتمل على مطلبين؛ الأول: في قراءة حمزة **﴿وَالْأَرْحَامَ﴾** [النساء: 1] بالخفض، والثاني: في تسمية الإمالة بالكسر.

المبحث الثالث: تتبعت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في الوجوه والنظائر وعادات القرآن، وفيه أربعة مطالب، تناولت في كل مطلب نماذج من الألفاظ التي تعقب فيها الثعالبي ابن عطية كما هو مفصل في الفهرس.

المبحث الرابع: تناولت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التأسخ والمنسوخ وإعجاز القرآن، اشتمل على مطلبين؛ الأول: خصصته للنسخ بين آيتي التوبة والمنافقون، والثاني: لدراسة الوجه الذي وقع به التحدي في القرآن.

الفصل الثالث: أدرجت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير، واشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: وتتبعته فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من السبع الطوال.

المبحث الثاني: وذكرت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المثين.

المبحث الثالث: وتطرقت فيه لتعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المثاني.

المبحث الرابع: وأوردت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المفصل.

الفصل الرابع: تناولت فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في قضايا لغوية، تضمن ثلاثة مباحث، الأول:

تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل إعرابية، جاء في ثلاثة مطالب.

وعنونت المبحث الثاني بـ: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في معاني الألفاظ والحروف، وذلك في مطلبين.

وجاء المبحث الثالث بعنوان: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في العهد الذكري وعود الضمير، تضمن ثلاثة مطالب.

الفصل الخامس والأخير: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة، وجاء في أربعة مباحث: المبحث الأول: درست فيه تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل حديثة، جاء في ثلاثة مطالب. وجاء المبحث الثاني بعنوان: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل فقهية، تناولت فيه بالدراسة ستة مسائل، خصصت لكل مسألة مطلب.

المبحث الثالث: وخصصته لتعقبات الثعالبي على ابن عطية في قصص الأنبياء والسيرة النبوية، تطرقت فيه إلى عدة أحداث تاريخية تعقب فيها الثعالبي ابن عطية.

المبحث الرابع والأخير: عنوانه: تعقبات أخرى، تناولت من خلاله المسائل التي لا تندرج في المواضيع السابقة، وغالبيتها عبارة عن تعقبات بين الثعالبي فيها تناقض ابن عطية مع ما قرره في بعض المواطن. وأتمت البحث بخاتمة ضممتها أهم النتائج التي توصلت إليها، أتبعها بملحق لمقاربة إحصائية لتعقبات الثعالبي على ابن عطية.

هذا.. وما كان من صواب وسداد في هذا البحث فبتوفيق من الله جل وعلا وحده، فله الحمد والمنّة، وما كان فيه من خلل ونقص، فمن نفسي ومن الشيطان، وحسبي أني بذلت قصارى جهدي واستفرغت وسعي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنام.



# الباب الأول

## مدخل لتعقبات الثعالبي على ابن عطية

ويتكون من تمهيد، خصّصته لبيان معنى التعقب لغة واصطلاحاً.

يليه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بابن عطية والثعالبي وتفسيريهما.

الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها.

تمهيد

تعريف التعقب لغة

واصطلاحا

من الشروط الواجب توفّرها في البحث العلمي؛ بيان المصطلحات المفتاحية الواردة في العنوان، ويعتبر مصطلح "التعقب" محور هذه الدراسة؛ لذا وجب التطرق إلى بيان ماهيته من حيث اللّغة والاصطلاح، وإليك تفصيل ذلك:

### أولاً- تعريف التعقب لغة

إذا جرّدنا كلمة التعقب من الزوائد فإننا نجد أصلها مكوناً من العين والقاف والباء (عقب)، وقد ذكر ابن فارس أنّها ترجع إلى أصلين، أحدهما: يدل على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره. والأصل الآخر: يدل على ارتفاع وشدّة وصعوبة<sup>(1)</sup>. وتتبع المعاجم اللّغوية اتضح أنّ لهذه المادة \_عقب\_ معان عديدة ومن ذلك يلي:

#### 1\_ آخر الشيء:

مما بيّن هذا المعنى ما أورده الفراهيدي حيث قال: «وَعَقِبُ الأمر: آخره... ويجمع أَعْقَابُ الأمور. وعاقبة كل شيء: آخره... ومنه يقال لمؤخر القدم العقب»<sup>(2)</sup>.

#### 2\_ بدل كل شيء وما يأتي بعده:

يُقال أَعَقَبَهُ اللهُ خيراً منه، والاسم العُقْبَى شبه العوض والبدل، وأعقب هذا ذاك: أي صار مكانه، وأعقب عزّه ذلاً: أي أبدل منه، والعاقب: الذي يجيء في أثر صاحبه، ومنه قوله ﷺ: «وأنا العاقب»<sup>(3)</sup>؛ لأنّه خاتم الأنبياء<sup>(4)</sup>.

(1) \_ معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس (395هـ)، ت: محمد عوض مرعب \_ فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي - بيروت 1439 هـ - 2008م، (ص: 650).

(2) \_ العين، الخليل الفراهيدي (ت: 170)، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ت ط، (1/ 180)

(3) \_ أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم: (3532)، (4/ 185). وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم: (2354)، (4/ 1828).

(4) \_ جمهرة اللّغة، أبو بكر بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 1، 1987م، (1/ 364) (بتصرف).

قال أبو عبيد: «وكذلك كل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب له»<sup>(1)</sup>. والمعقاب: المرأة التي من عادتها أن تلد ذكراً بعد أنثى<sup>(2)</sup>، والتَّعْقِيبُ أن يصلي عقب التراويح، وكل من أتى بفعل في إثر آخر فقد عقب به<sup>(3)</sup>، والمعقب: نجم يتعاقب به الزميلان في السَّفر، إذا غاب نجم وطلع نجم آخر ركب الذي كان يمشي<sup>(4)</sup>. وفي الصحاح: «ذهب فلان فأعقبه ابنه؛ إذا خلفه»<sup>(5)</sup>، قال الله ﷻ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11]، قال الفراء: «المعقبات: الملائكة؛ ملائكة الليل تُعَقِّبُ ملائكة النهار»<sup>(6)</sup> وفي الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...»<sup>(7)</sup>، قال ابن عبد البر: «ومعنى يتعاقبون؛ تأتي طائفة بإثر طائفة، وإنما يكون التعاقب بين طائفتين أو بين رجلين، مرّة هذا ومرّة هذا، ومنه قولهم الأمير يَعَقِبُ الجيوش والبعوث؛ أن يرسل هؤلاء وقتنا شهراً أو شهوراً، وهؤلاء مثل ذلك بعدهم؛ ليجهز أولئك، فهذا هو التعاقب»<sup>(8)</sup>.

المُلاحِظُ عن المعينين السابقين أنّ بينهما نوع تداخل، "فخلف الشيء وبدله" يأتي في الأخير، ومنه "العاقب" سُمي به النبي ﷺ؛ لأنّه ناب الأنبياء عليهم السلام في الدّعوة إلى الخير، وهو آخرهم ولا نبي بعده، وبذلك فالمعنيان يعودان إلى الأصل الأول الذي أورده ابن فارس، وهو تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، إلاّ أنّ المعنى الثاني \_ أي بدل الشيء وما يأتي بعده \_ قد يحمل مفهوم التأخير، وقد يحمل مفهوم التناوب والتكرار؛ فيأتي هذا بعد هذا، كحال تعاقب الملائكة، وتعاقب الرجلين في ركوب الفرس.

- (1) \_ غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي (ت: 224 هـ)، ت: حسين شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط: 1، 1404 هـ - 1984 م، (302 / 1).
- (2) \_ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت: 393 هـ)، ت: أحمد عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 4، 1407 هـ - 1987 م، (185 / 1).
- (3) \_ غريب الحديث، أبو سليمان الخطابي (ت: 388 هـ)، ت: عبد الكريم الغرباوي، عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر - دمشق، 1402 هـ - 1982 م، (512 / 2).
- (4) \_ تمهيد اللغة، أبو المنصور محمد الهروي (ت: 370 هـ)، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 2001 م، (184 / 1).
- (5) \_ الصحاح، الجوهري، (187 / 1).
- (6) \_ المصدر السابق، (180 / 1).
- (7) \_ أخرجه البخاري، باب فضل صلاة العصر، رقم: (555)، (115 / 1).
- (8) \_ الاستذكار، ابن عبد البر القرطبي (ت: 463 هـ)، ت: سالم عطا - محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1421 هـ - 2000 م، (351 / 2).

### 3\_ المجازة على الفعل:

ومنه العقوبة، قال صاحب العين: «والعقوبة اسم المُعاقبة، وهو أن يجزيه بعاقبة ما فعل من السوء...»<sup>(1)</sup>. من خلال ما سبق يتّضح أنّ العقوبة؛ مجازة على الفعل السيئ، ويُقال العاقبة وغالباً ما يراد بها المجازة على الحسنی، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128]، وقد تطلق على المجازة على الذنب، قال صاحب الفروق: «والعاقبة للمتقين وعلى المجرمين»<sup>(2)</sup>.

يتضح أنّ العقوبة أو العاقبة تكون بعد الفعل؛ أيّ في آخره وهي تنوب عنه وتعقبه، ممّا يجعل لهذا المعنى نوع صلة بالمعنى الأول والثاني، وهذا ما فهمه صاحب الفروق؛ حيث أوضح معنى المناوبة ببعض الأمثلة ثمّ قال: «والعاقبة للمتقين وعلى المجرمين؛ لأنّها تَعَقِبُ المتقين خيراً والمجرمين شراً، كما تقول الدائرة لفلان على فلان». وقال أيضاً: « وأصل العقاب التلّو وهو تأدية الأول إلى الثاني، يقال عقب الثاني الأول إذا تلاه»<sup>(3)</sup>. وبذلك فإنّ هذا المعنى لا يخرج عن الأصل الأول الذي أورده ابن فارس، كما أنّه يحمل معنى الأصل الثاني المتمثل في الشدّة والصعوبة، لأنّ العقوبة يصحبها ذلك.

### 4\_ النّدم:

قال الخليل: « واستعقب من أمره النّدامة، وتَعَقَّبَ بمعناه»<sup>(4)</sup>. وفي المخصّص: « تعقّب من أمره: ندم»<sup>(5)</sup>. وقد بيدوا هذا المعنى بعيداً، غير أنّه بالتأمل يتضح أنّ له صلة بالمعاني السابقة؛ إذ أنّ النّدم غالباً ما يكون في آخر الفعل وهذا ما يربطه بالمعنى الأول الذي تقرّر. كما أنّ النّدم يحمل معنى الشدّة والصعوبة؛ لما يجرّه من ألم داخلي، لذا له صلة بمعنى العقوبة.

(1) \_ العين، الفراهيدي، (1/ 180).

(2) \_ الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن العسكري (ت: نحو 395هـ)، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د ت ط، (ص: 364).

(3) \_ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) \_ العين، الفراهيدي، (1/ 180).

(5) \_ المخصّص، علي بن سيده (ت: 458هـ)، ت: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 1417هـ.

1996م، (4/ 89).

5\_ الانصراف عن الشيء والعدول عنه:

يقال ولّى فلان على عقبه وعقبه؛ أي أخذ في وجه ثم انثنى راجعاً. والتعقيب: انصرافك راجعاً من أمر أردته... ومنه قوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهَيَّأُ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدِيرٌ وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ [النمل: 10]؛ أي لم ينتظر<sup>(1)</sup>، ولم يرجع بعد ذهابه<sup>(2)</sup>.

يظهر من خلال هذا المعنى والذي قبله أنّ بينهما نوع صلة؛ فالندم على فعل شيء قد يصحبه الانصراف والعدول عنه.

6\_ التدبّر:

أورد الهروي في تهذيب اللغة أنّ التعقب يحمل معنى التدبّر، يقال عَقَبْتُ الأمر، إذا تدبّرتَه، والتعقب: التدبّر والتّظر ثانية<sup>(3)</sup>.

يُلاحظ أنّ بين هذا المعنى والذي قبله نوع صلة؛ فالانصراف عن الشيء والعدول عنه يحتاج إلى تدبّر وإمعان التّظر، حتى يكون التّصرف صحيحاً موقفاً. كما أنّ له صلة بمعنى التّدم؛ إذ إدراك سوء التّصرف الذي يلحق بصاحبه التّدم يحتاج إلى تمعّن وتدبّر في الفعل.

7\_ التتبع وبيان الغلط:

يقال: تَعَقَّبْتُ ما صنع فلان تتبعته، ولم أجد عن قولك مُتَعَقِّباً؛ أي متفحّصاً، يعني أنّه من السداد والصحّة بحيث لا يحتاج إلى تعقب<sup>(4)</sup>، وفي المعجم الوسيط: «عَقَّبَ على فلان: ندّد عليه وبين عيوبه وأغلاطه... وتَعَقَّبَ فلاناً: تتبعه، يقال: تعقب عورة فلان أو عثرته<sup>(5)</sup>».

(1) ينظر: العين، الفراهيدي، (1/ 178).

(2) ينظر: معجم الفروق اللغوية، العسكري، (ص: 364).

(3) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد الهروي (ت: 370هـ)، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 2001م، (1/ 185).

(4) أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، دار النفائس - بيروت، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م، (ص: 401).

(5) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مكتبة الشروق الدولية - مصر، ط 5، 1432 هـ - 2011 م، (ص: 635).

8 \_ الحكم بعد حكم الغير:

ومنه قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 14]؛ أي لا يحكم بعد حكمه حاكم<sup>(1)</sup>. وأجرى ابن سيده المعنى على ردّ الحكم ونقضه<sup>(2)</sup>، وقد يظهر بين المعنيين ترابط، غير أنّ هناك فرقا دقيقا بينهما؛ إذ المعنى الأول قد يتضمّن ردّ الحكم، وقد يتضمّن الزيادة عليه أو التخفيف منه دون ردّه، أمّا المعنى الثاني فيتضمن التّقصّ والردّ فقط.

من خلال إيراد المعاني السابقة يتضح وجود نوع ترابط بينها، ويمكن إرجاعها لأصلين كما ذكر ابن فارس؛ أحدهما: يدل على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره. والأصل الآخر: يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة<sup>(3)</sup>؛ فبدل الشيء والانصراف عنه، والمجازاة على الفعل، والتّدم، وتتبع الأمر وبيان الغلط فيه، والحكم بعد حكم الغير كلّها معان تحمل معنى " تأخير الشيء وإتيانه بعد غيره" كما أنّ في بعض المعاني السابقة ما يحمل معنى " الشدّة والصعوبة" كالعقوبة والتّدم، ومنه سميّ المصعد في الجبل بالعقبة؛ لشدّته وصعوبته<sup>(4)</sup>، وفي القرآن: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعُقَبَةَ ۝۱۱ وَمَا أَدْرِيكَ مَا الْعُقَبَةُ ۝۱۲﴾ [البلد]، قيل أنّها جبل في جنّهم، وقيل أنّها جنّهم<sup>(5)</sup>، وفي ذلك معنى الشدّة والصعوبة.

فالمعاني السابقة متقاربة، والذي يهّمنا بالدرجة الأولى: التتبع وبيان الغلط، ثم: الحكم بعد حكم الغير، فالدراسة تروم بيان ما تتبع فيه الثعالبي ابن عطية وما استدركه عليه من أخطاء، أو ما أضافه عليه، ومن خلال التعريف الاصطلاحي يتضح ذلك أكثر.

- (1) \_ الغريبين في القرآن والحديث، أحمد بن محمد الهروي (ت: 401 هـ)، ت: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، ط: 1، 1419 هـ - 1999 م، (4 / 1303).
- (2) \_ المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458 هـ)، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1421 هـ - 2000 م، (1 / 243).
- (3) \_ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (ص: 650).
- (4) \_ ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، (1 / 364).
- (5) \_ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: 310 هـ)، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م، (24 / 440).

## ثانياً - تعريف التعقب اصطلاحاً:

تتبع المصادر التي تُعنى بالتعاريف الاصطلاحية، غير أنني لم أظفر بتعريف للتعقب، لذا رجعت للمفاهيم التي أوردها بعض المعاصرين في معناه، فلاحظت أنّ غالبها \_ في حدود ما وقفت عليه \_ لم يكن بالضوابط التي يُحتاج إليها في تحديد المصطلحات وبيان مراميها؛ فأحياناً يكون التعريف غير جامع ولا مانع، كما أنّ بعضها حصر مدلوله في جانب معيّن وأغفل جوانب أخرى تندرج ضمن التعقب، ومن هذه التعريفات ما يلي:

**التعريف الأول:** التعقبات هي أن يتعقب مفسر متأخر مفسراً متقدماً في بعض آرائه المتعلقة بالتفسير، ويُتبع ذلك التعقيب غالباً بالتصحيح والترجيح بما يراه المتأخر، وقد يردّ المتعقب على المتعقب عليه، وقد لا يردّ<sup>(1)</sup>.

ويمكن تسجيل عدّة ملاحظات على التعريف منها:

أ\_ استخدام مشتقات المصطلح المراد تعريفه؛ (يتعقب)، (التعقيب)، (المتعقب)، (المتعقب عليه)، وفي هذا إخلال بضوابط التعريف؛ ومنها اجتناب التدوير.

ب\_ تكراره لألفاظ تجتمع في المعنى الذي يدلّ عليه السياق، ويظهر ذلك في قوله: «بالتصحيح والترجيح»، وهذا ما يجعل من التعريف يتسم بالاستطراد الذي يخرج به إلى دائرة الشرح والتوضيح.

ج \_ إدراجه لبعض المصطلحات التي تجعل من التعريف مقيداً بما يخالف الواقع التطبيقي له، ويظهر ذلك في قوله: «أن يتعقب مفسر متأخر مفسراً متقدماً». وهذا غير لازم فقد يتعقب العالم على المعاصر له، كما هو الشأن في تعقبات النبي ﷺ على بعض الصحابة رضوان الله عليهم فيما تعلق بفهمهم لبعض الآيات القرآنية.

**التعريف الثاني:** التعقب هو تتبع عالم متأخر لعالم متقدم بالتعليق على ما كتبه تصويهاً أو تخطئةً أو تذييلاً أو تذنباً أو تهدياً...

يُلاحظ على التعريف السابق أنّه غير جامع ولا مانع؛ إذ تركه مفتوحاً، كما أنّه وقع في نفس الملاحظة التي ذكرتها سابقاً؛ حيث قيّد التعقب بالتأخر على المتقدم.

(1) \_ تعقبات ابن كثير على من سبقه من المفسرين من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم، أحمد السيد، إ: أمين محمد عطية، جامعة أم القرى، السعودية، 1431هـ\_2010م، (ص:96).



التعريف الثالث: إتباع المفسر قولاً يذكره في بيان معنى في القرآن بقول آخر يُصلح خطأه، أو يُكمل نقصه، أو يبيّن لبسه<sup>(1)</sup>.

ومن الملاحظات المسجلة على التعريف ما يلي:

أ\_ أنه قيّد مادة التعقب في معاني القرآن وأغفل أنّ التعقب في التفسير لا يتناول المعاني فحسب، بل يتطرق أيضاً إلى القراءات، ومباحث علوم القرآن الأخرى، والمسائل الفقهية، واللغوية، والبلاغية...

ب\_ حصر التعقب في إصلاح الخطأ أو إكمال النقص أو بيان اللبس، وأغفل ما كان انتقاداً محضاً دون تصحيح أو بيان، كأن يكتفي المُتَعَبِّ بقوله: «فيه نظر». ومما يؤكد هذه الملاحظة أنّ صاحب التعريف نفسه عرّج في بحثه على ما كان انتقاداً دون ما ذكره من ضوابط، وعدّد ذلك من التعقبات<sup>(2)</sup>.

بعد الذي سقته من تعريفات يظهر لي أنّ تحديد المعنى الاصطلاحي للتعقب في التفسير يتطلب الاستفادة من المعنى اللغوي وقد مرّ سابقاً، مع ضرورة التركيز على استخدام أهل الاختصاص للفظ التعقب، وهذا ما يستدعي تتبع ذلك، وفيما يلي بيان ما وقفت عليه:

أولاً\_ استعمل ابن عطية التعقب بمعنى الانتقاد ورّد القول المُتَعَبِّ، حيث نقل عن الطبري حمله للذرية في قول زكرياء عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: 38] على الواحد، ودليله أنه طلب وليّاً ولم يطلب أولياء. فانتقده ابن عطية: «وفيما قال الطبري تَعَبُّبٌ وإمّا الذرية والولي اسماً جنس يقعان للواحد فما زاد، وهكذا كان طلب زكرياء عليه السلام»<sup>(3)</sup>. وبنفس المعنى استخدمه أبو حيان والسمين الحلبي، وصاحب اللباب وابن عرفة<sup>(4)</sup>.

- (1) \_ تعقبات ابن كثير على من سبقه من المفسرين من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم، أحمد السيد، (ص: 96).
- (2) \_ حيث ذكر أنّ ابن كثير يتعقب باستعمال صيغة " وفيه نظر " وبيّن أنّ الغالب عليه أن يتبع ذلك بالتعليل، وقد لا يتبع، ومع ذلك اعتبره تعقبا. ينظر: المصدر نفسه، (ص: 112).
- (3) \_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1422 هـ، (1 / 427).
- (4) \_ ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف (ت: 745هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: 1، 1420 هـ، (1 / 189). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (ت: 756هـ)، ت: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، د ت ط، (4 / 404). اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني (ت: 775هـ)، ت: عادل =

ثانياً\_ استخدم بعض الباحثين التعقب بالمعنى السابق، كما استعملوه بمعنى الزيادة على القول المُتَعَقَّب، وهو ما يندرج ضمن إكمال النَّقْص<sup>(1)</sup>، بينما تردّد البعض في إدراج ما كان من هذا القبيل في مجال التعقب، ومالوا في الأخير إلى قصره على معنى المخالفة، واستبعدوا الاستشهادات التي يُتَّبَعُهَا المفسّر على قول مفسّر آخر<sup>(2)</sup>.

ثالثاً\_ أكثر الباحثين يطلق على التعقب (الاستدراك)، بينما فترق البعض بينهما مستنديين في ذلك إلى المدلول اللغوي؛ فاعتبروا التعقب يحمل معنى المخالفة والانتقاد، أمّا الاستدراك فينتج أكثر إلى الزيادات والإضافات التي يُدْرِكُ بِهَا اللَّاحِقُ ما فات السابق<sup>(3)</sup>.

والمختار عندي أنّ مفهوم الانتقاد والمخالفة يتضمّنهُ التعقب سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية، وهذا ما لم يخالف فيه أحد. كما أميل إلى تضمين مفهوم الزيادات التي يُدْرِكُ بِهَا اللَّاحِقُ ما فات السابق، وهو ما يدل عليه معنى الاستدراك؛ لأنّ إكمال النَّقْصِ في حدّ ذاته قد يتضمّن الانتقاد، ومّا يُؤكّد هذا الاختيار ما قرّره الواحدي في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَكْرِيحُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 14]، حيث قال: « قال ابن عباس: لا ناقض لحكمه. وقال الفراء: لا راد لحكمه، والمُعَقَّبُ الذي يُتَّبَعُ الشَّيْءُ فَيَسْتَدْرِكُهُ، ولا يستدرك أحد على حكم الله »<sup>(4)</sup>.

من خلال هذا التّقل يتّضح أنّ لفظ التعقب استُخدم في القرآن، ويراد منه نقض الحكم وانتقاده، أو الاستدراك عليه بزيادة لم تذكر في الكلام أو الحكم السابق.

أمّا ما تعلّق بالاستشهادات التي يُتَّبَعُهَا المفسّر على كلام غيره تأييداً له، فإنّها لا تعتبر تعقبا من الناحية الاصطلاحية، كما لا يندرج في ذلك ما تعلّق بسرد الأقوال أثناء حكاية الخلاف دون انتقاد بعضها؛ لأنّ ذلك

---

عبد الموجود \_ علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط:1، 1419 هـ -1998م، (7/ 494). تفسير ابن عرفة محمد بن عرفة (ت: 803هـ)، ت: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، ط:1، 1986م، (2/ 646).

(1) \_ ينظر على سبيل المثال: التعقبات المفيدة على كتاب كلمات القرآن تفسير وبيان لمخلوف، محمد الخميس، دار الصميعي، الرياض، ط:1، 1414 هـ، (ص:11).

(2) \_ ينظر: تعقبات الزركشي في البرهان للزخشري في الكشف وأثرها في التفسير وعلوم القرآن، بلال طلفاح، عبد الله بدر ياسين، جامعة اليرموك، كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية، 1434هـ-2013م، (ص:15).

(3) \_ ينظر: تعقبات ابن كثير على من سبقه من المفسرين من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم، أحمد السيد، (ص:96).

(4) \_ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي الواحدي (ت: 468هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1415 هـ - 1994 م، (3/ 21).

يجعل مجال التعقب واسعاً. ولا يدخل في التعقب نقل المفسر لأقوال غيره، ثم اختياره واحد منها دون أن يوجه انتقاداً لغيرها؛ فمجاله في الدراسات القرآنية يتعلّق بالاختيارات التفسيرية.

استناداً إلى ما سبق فالتعريف اللائق بالتعقب هو: إتباع المفسر قول غيره بما يظهر خطأه، أو يكمل نقصه، مع ذكر المفسر اختياره أو عدم ذكره.

— بمعنى: إظهار الخطأ؛ أي انتقاده سواء علّل ذلك أو لم يعلّل.

— ومعنى: إكمال النقص؛ أي الاستدراك عليه بما فاتته، إما بذكر ما لم يذكره، أو تفصيل ما أجمله، أو تعيين ما أجمهه.

— ومعنى: ذكر المفسر اختياره أو عدم ذكره؛ أي قد يورد المتعقب ما يراه راجحاً، وقد يكتفي بمجرد الانتقاد.

# الفصل الأول

التعريف بالثعالبي وابن عطية

وتفسيريهما

تتناول الدراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان؛ لذا كان لزاما التطرق لتعريف المتمعّب والمتمعّب عليه وتفسيريهما، ويُستحسن البدء بابن عطية باعتباره أقدم تاريخاً، كما يستحسن التعريف بتفسيره المحرّر الوجيز وإن لم يجري له ذكر في صياغة العنوان؛ لأنّه عمدة الثعالبي في جواهره وهذا ما صرح به، كما أنّ القيمة العلمية لتفسير الثعالبي تظهر أكثر بالتطرق للتفسير الأصل الذي بنى عليه جواهره، وقد جعلت هذا الفصل في أربعة مباحث.

### المبحث الأول: التعريف بابن عطية

التعريف بشخصية ابن عطية تجعلنا نقف على أهم العوامل التي ساهمت في نبوغه، ويأتي هذا المبحث لبيان ذلك بنوع من الإيجاز، ضمن مطلبين، خصّصت الأول للحياة الشخصية لابن عطية، بينما يأتي الثاني لإيراد حياته العلمية.

#### المطلب الأول: الحياة الشخصية لابن عطية

لن أستغرق في ذكر التفاصيل الخاصة بشخصية ابن عطية، وإمّا سأكتفي بإيراد اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، لأختم بذكر وفاته، وفيما يلي بيان ذلك:  
أولاً\_ اسمه ونسبه:

وقع خلاف في نسب ابن عطية عند المترجمين له بين زيادة ونقصان، أو تقديم وتأخير لبعض أجداده<sup>(1)</sup>، غير أنّ النسب المعتمد هو الذي ذكره ابن عطية عند ترجمته لوالده وعزاه للقاضي مطرف بن عيسى<sup>(2)</sup> في كتابه تاريخ إلبيرة<sup>(3)</sup> -<sup>(4)</sup>، وهو أقدم من ترجم لعائلته؛ لذا فيقدّم على غيره، وقد جاء ذكر نسبه كالتالي:

(1) \_ ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، خلف ابن بشكوال (ت: 578هـ)، ت: عزت الحسيني، مكتبة الخانجي، ط: 2، 1374 هـ - 1955 م، (ص: 367).

(2) \_ هو: أبو القاسم مطرف بن عيسى بن لبيب الغساني، من أهل إلبيرة، كان متصرفاً في علم الإعراب والغريب، ورواية الشعر، وحفظ الأخبار، وتأليف الكتب، ألف كتاباً في فقهاء إلبيرة، وكتاباً في شعرائها، وولى أحكام القضاء، مات بقرطبة سنة ست أو سبع وخمسين وثلاث مائة. ينظر: تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن الفرضي (ت: 403هـ)، ت: عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 2، 1408 هـ - 1988 م، (2/ 136).

(3) \_ إلبيرة: مدينة من مدن الأندلس، وبعضهم يقول بلبيرة، وربما قالوا لبيرة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلاً، وأرضها كثيرة الأثمار والأشجار، وفيها عدّة مدن، منها: قسطلية وقرطبة، وينسب إليها كثير من أهل العلم في كل فن، منهم: أسد بن عبد الرحمن الإلبيري. ينظر: معجم البلدان، يقوت الحموي (ت: 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط: 2، 1995، (1/ 244).

(4) \_ ينظر: فهرس ابن عطية، ابن عطية، (ص: 60).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

هو عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية ابن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم، من ولد زيد بن محارب بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر<sup>(1)</sup>.

ثانياً\_ مولده ونشأته:

ولد ابن عطية عام (481هـ) بمدينة غرناطة<sup>(2)</sup>، ونشأ في بيت علم وفضل وكرم وتُبل؛ فوالده أبو بكر غالب بن عبد الرحمن الأندلسي فقيه زاهد، محدث عالم، كما وصفه صاحب بغية الملتمس، ولا شك أنّ في ذلك أثراً بالغاً على نشأة ابنه، وهذا ما أوردته بعض المصادر، حيث اعتنى به أيما عناية فأفاده بعلمه وتجاربه، وأخذ بيده وقدمه للأجلاء في عصره طالبا منهم إجازته رغم صغر سنه، ولم يزل به حتى عند تأليفه للمحرّر الوجيز؛ حيث كان يوقظه أحيانا في الليلة الواحدة مرتين يقول له: قم يا بني أكتب كذا وكذا في موضع كذا من تفسيرك<sup>(3)</sup>.

المُلاحظ أنّ عوامل كثيرة ساعدت على نبوغ ابن عطية ونشأته نشأة علمية، ومن ذلك: أسرته العريقة في العلم والفضل، ولم يكن ذلك خاص بوالده، فقد اشتهر أجداده من العلماء في زمانهم في مختلف العلوم والمعارف وبرز طائفة منهم: "غالب بن تمام بن عطية"<sup>(4)</sup>، والفقيه الزاهد "عبد الرحمان بن غالب بن تمام بن عطية"<sup>(5)</sup>.

(1) \_ ينظر: فهرس ابن عطية، عبد الحق ابن عطية، ت: محمد أبو الأجناف\_ محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي - لبنان، ط: 2، 1983، (ص: 59).

(2) \_ غرناطة من أشهر مدن الأندلس، وتعني رقانة بلسان عجم الأندلس، سميت بذلك لحسنها وبهائها، كانت آخر معاقل المسلمين في إسبانيا، وقد خسروها في عهد ملوك بني الأحمر سنة: 1492م. ينظر: معجم البلدان، الحموي، (4/ 195).

(3) \_ ينظر: الصلة، ابن بشكوال، (ص: 367)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد الضبي (ت: 599هـ)، دار الكاتب العربي - القاهرة، ط: 1، 1967 م، (ص: 389). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، ت: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 2003م، (787/11). الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، (ت: 776هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1، 1424 هـ، (3/ 414). تاريخ قضاة الأندلس، علي بن عبد الله النباهي (ت: نحو 792هـ)، ت: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط: 5، 1403 هـ - 1983م، (109/1).

(4) \_ يعتبر من علماء الأندلس وهو من أهل البيرة، سمع بقرطبة: من أحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم. وسمع بالبيرة: من محمد بن فطيس. توفي سنة: (400هـ). ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، (1/ 388).

(5) \_ يوصف بالفقيه الزاهد، روى عن أبيه وروى عنه ابنه غالب والد عبد الحق، وله إجازات عديدة، توفي سنة: (459هـ). ينظر: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، محمد بن الآبار (ت: 658)، مكتبة الثقافة الدينية - مصر، ط: 1، 1420 هـ - 2000م، (ص: 263).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

إضافة إلى تأثير الأسرة فقد ساعدت البيئة على صقل معارفه؛ إذ تعتبر الأندلس عموماً وغرناطة خصوصاً مركز إشعاع علمي بسبب اهتمام الأمراء بالعلم ونشره، وتشجيعهم لأهله من طلبة وعلماء، خاصة في ظل المرابطين<sup>(1)</sup>.

كما كان لاستعداده الفطري وذكائه الوقاد وشخصيته الطموحة أثر في إقباله على العلم ومجالسته للعلماء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

### ثالثاً\_ وفاته:

اختلف في تعيين تاريخ وفاة ابن عطية، فقيلاً سنة: (541هـ)، وقيل في: (542هـ)، وقيل: (546هـ)<sup>(2)</sup>، وكانت وفاته في مدينة ألمرية عن عمر ناهز السبعين عاماً، قضى غالبها في التعلم والتعليم، وهذا ما سيوضح في المطلب الموالي.

### المطلب الثاني: حياة ابن عطية العلمية

سبق وبيّنت أهم العوامل التي ساعدت على نبوغ ابن عطية، ومن ذلك نشأته في أسرة وبيئة علمية، مما سمح له بالاحتكاك بأهل العلم والفضل، كما سافر للاستفادة من غيرهم، فكان لذلك عظيم الأثر في تحصيله العلمي، ما جعله قبلة الطلاب من كل مكان، وأكسبه ثناءً لم ينضب عبر الزمان، وهذا ما سأبيّنه فيما يلي.

### أولاً\_ رحلاته وشيوخه:

استفاد ابن عطية من مشايخ بلده، ولم يكتف بذلك، بل سار على عادة العلماء في طلب الرّحلة لنيل المزيد من العلم؛ إذ الرّحلة في طلبه وسيلة للوصول إلى منابعه، وثني الرّكب عند أهله، وقد عقد ابن خلدون فصلاً يبين أهمية ذلك حيث قال: «الرّحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم...»<sup>(3)</sup>.

هذا ما أدركه العلماء من قديم، وسار ابن عطية على طريقهم فجاب الكثير من مدن الأندلس منها:

(1) \_ ينظر: نفخ الطيب من غضن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقري (ت: 1041هـ)، ت: إحسان عباس، دار صادر- لبنان، ط: 1، 1997، (221/1).

(2) \_ ينظر: بغية الملتبس، الضبي، (ص: 376).

(3) \_ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن ابن خلدون (ت: 808هـ)، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408 هـ - 1988 م، (1/ 745).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالي وابن عطية وتفسيريهما

قرطبة<sup>(1)</sup> وإشبيلية<sup>(2)</sup> ومرسية<sup>(3)</sup> وبلنسية<sup>(4)</sup>، وقد لقي أجلة علماء المدن التي رحل إليها، وقرأ عليهم<sup>(5)</sup>.  
ويذكر غالب المترجمين لابن عطية أنه لم يرحل خارج الأندلس، ويعلّلون ذلك بأن عصره كان عصر جهاد  
و حرب، فالأندلس في ذلك الوقت كانت مهددة بالسقوط في أيدي الإسبان؛ لذا آثر المرابطة في سبيل الله  
ومواجهة الأعداء<sup>(6)</sup>. بينما ذهب صاحب معجم المؤلفين أن ابن عطية كانت له رحلة إلى المشرق<sup>(7)</sup>.

والظاهر أن هذا القول لا مستند له؛ حيث لم يسبق أحد إلى ذكره في حدود ما وقفت عليه، غير أنه يجدر  
التنبية أن لابن عطية رحلة إلى المغرب، وبالضبط منطقة السوس الأقصى<sup>(8)</sup>، حيث قال عند تفسير قوله ﷺ:  
**﴿الَّذِينَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصَبَحُوا الْأَرْضَ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾** [الحج]:  
«وقد شاهدت هذا في السوس الأقصى؛ نزل المطر بعد قحط وأصبحت تلك الأرض التي تسقيها الرياح قد  
اخضرت نبات ضعيف دقيق»<sup>(9)</sup>. ومع ذلك فلا يمكن الجزم بطبيعة هذه الرحلة أكانت لطلب العلم أم لأغراض  
أخرى؟

- (1) \_ قرطبة: بضم أوله وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة أيضا، والباء الموحدة؛ مدينة عظيمة بالأندلس، وسط بلادها، وكانت  
سريراً للملكها، وبها كانت ملوك بني أمية، ومعدن الفضلاء، ومنع النبلاء. ينظر: معجم البلدان، يقوت الحموي، (324/4).
- (2) \_ إشبيلية: بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة، مدينة كبيرة عظيمة، تسمى حمص أيضاً،  
تقع غرب قرطبة بينهما ثلاثون فرسخاً، معروفة بكثرة خيراتها خاصة أشجار الزيتون. ينظر: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة  
في كل مكان، إسحاق المنجم (ت: ق 4)، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1408 هـ، (ص: 107). المصدر نفسه، (195/1).
- (3) \_ مرسية: بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء، مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، اختطها عبد  
الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وسماها تدمير الشام، فاستمر الناس على  
اسم موضعها الأول. ينظر: المصدر نفسه، (107/5).
- (4) \_ بلنسية: السين مهملة مكسورة وياء خفيفة، مدينة مشهورة بالأندلس، تقع شرقي تدمير وقرطبة، وهي برية بحرية ذات  
أشجار وأثمار، وتعرف بمدينة التراب، وتتصل بها مدن تعد في جملتها. ينظر: المصدر نفسه، (490/1).
- (5) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، ت: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1،  
1424 هـ - 2003 م، (129/1).
- (6) \_ ينظر: استدراقات ابن عطية في المحرر على الطبري في جامع البيان، شايح الأسمرى، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة،  
السعودية، ط 1، 1427 هـ، (ص: 55).
- (7) \_ ينظر: معجم المؤلفين، عمر كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت ط، (93 /5).
- (8) \_ السُّوسُ الأقصى منطقة تابعة السُّوسُ: بالمغرب، مدينتها طرقله. ينظر: معجم البلدان، الحموي، (281 /3).
- (9) \_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت،  
ط: 1 - 1422 هـ، (4 /131).



## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

- وقد استفاد ابن عطية من رحلاته السابقة من مشايخ كثر، كما استفاد أيضا من علماء بلده، والمتتبع لما خطته المصادر التي ترجمت له يلحظ كثرة شيوخه حتى إنّه ليصعب حصرهم، فمن شيوخه أذكر:
- 1\_ والده الفقيه: "أبو بكر غالب بن عبد الرحمن"، وقد جعله على رأس من أخذ عليهم في فهرسه، وذكر من جملة ما قرأ عليه غير مرّة: "موطأ مالك" برواية يحيى بن يحيى بن كثير، وقرأ عليه "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" و"سنن أبي داود" و"سنن النسائي"، وقرأ عليه مرات كثيرة "سيرة ابن إسحاق"، وأخذ عليه كتاب "التفريع في مسائل الفقه" و"المدونة" وكتاب "اللامع" لأبي عبد الله بن حاتم، و"الكافي في النحو" للنحاس.
  - 2\_ الفقيه "أبو عبد الله محمد القرطبي" ويعرف "بابن الطلاع"<sup>(1)</sup>؛ وقد أجازته في جميع مروياته وذلك سنة سبع وتسعين وأربعمائة.
  - 3\_ أبو علي الجيّاني<sup>(2)</sup>، أخذ عنه الحديث وعلومه، والسيرة والفقه واللغة، وقد أجازته جميع مروياته.
  - 4\_ أبو علي ابن سكرة<sup>(3)</sup>، قرأ عليه مصنف الترمذي والتاريخ الكبير للبخاري.
  - 5\_ ابن عتاب الأموي القرطبي<sup>(4)</sup>، أخذ عنه الموطأ برواية يحيى بن يحيى وأجازته بجميع مروياته.
  - 6\_ ابن حمد بن النعلبي<sup>(5)</sup>، قرأ عليه رسالته في الرد على الغزالي.

- 
- (1) \_ هو: محمد بن فرج، أبو عبد الله مولى محمد بن يحيى، المعروف بابن الطلاع، القرطبي الفقيه المالكي، مفتي الأندلس ومسندها في الحديث. ألف كتابا حسنا في أحكام النبي ﷺ، رحل إليه الطلاب من كل مكان؛ لينهلوا من علمه توفي سنة: (497 هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (10 / 797).
  - (2) \_ هو: أبو علي حسين بن محمد بن أحمد العسّاني الجياني، من جهاذة المحدثين و كان له بصر باللغة والإعراب، ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته، له كتاب "تقييد المهمل وتمييز المشكل" وهو كتاب حسن مفيد، روى عن ابن عبد البر وغيره، توفي سنة: (498 هـ). ينظر: الصلاة، ابن بشكوال، (1 / 240).
  - (3) \_ هو: أبو علي حسين بن محمد بن حيون بن فياره الصديقي المعروف "بابن سكرة القاضي"، إمام محدث زاهد، كثير الرواية لم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تقييد الحديث وضبطه، والعلو في روايته مع دينه وفضله وورعه وزهده. توفي رحمه الله شهيداً سنة: (514 هـ). ينظر: بغية الملتبس، الضبي، (ص: 269).
  - (4) \_ هو: عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن أبو محمد، فقيه ومحدث، استجاز له أبوه وهو صغير، يروى عن أبيه، وعن ابن عبد البر، توفي مستهل جمادى الأولى سنة عشرين وخمسائة. ينظر: بغية الملتبس، الضبي، (ص: 357).
  - (5) \_ أبو جعفر حمد بن محمد بن علي بن محمد بن حمد بن النعلبي، قاضي الجماعة بقرطبة، ثم رئيسها، لقب بأمير المسلمين، ثم اعتزل وتحوّل إلى مالقة وتوفي بها سنة: (539 هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (11 / 926).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

7\_ ابن القليعي وحديثه بجميع مروياته وأجازه<sup>(1)</sup>.

هؤلاء بعض مشايخ ابن عطية وهم من العلماء الأجلة كما قال ابن فرحون بعد أن ذكر بعضهم: «وغيرهم من الجلة كثير تركتهم اختصاراً»<sup>(2)</sup>.

يظهر من جملة من ذكرنا من شيوخه تعدد الفنون التي تلقاها منهم، وقد كان لذلك أثر في رسوخ ابن عطية وقوة علمه؛ فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها كما قال ابن خلدون<sup>(3)</sup>.

### ثانياً\_ تلاميذه ومؤلفاته:

دأب العلماء على تدريس العلم وتأليف الكتب، ولكل منهج خاص به، فمنهم من أولى العناية لتأليف الرجال على تأليف الكتب، ومنهم من اشتغل بالكتب، ومنهم من جمع بين الحسنيين، ويمكن اعتبار ابن عطية من الصنف الثالث، غير أن اهتمامه بالتدريس كان أكثر، لذا حرص طلاب العلم على الاستفادة منه، فرحلوا إليه من كل مكان، وانتفع به خلق كثير يصعب حصرهم، ومنهم:

1\_ أبو بكر الإشبيلي<sup>(4)</sup>.

2\_ أبو القاسم ابن حبيش<sup>(5)</sup>.

3\_ أبو جعفر اللّخمي القرطبي<sup>(6)</sup>.

(1) \_ لمعرفة شيوخ ابن عطية ينظر كتابه: الفهرس، (ص: 50 \_ 124).

(2) \_ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن فرحون (ت: 799هـ)، ت: محمد الأحمدى، دار التراث، بيروت، د ت ط، (2 / 58).

(3) \_ ينظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1 / 745).

(4) \_ هو: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي اللمتوني الإشبيلي، الحافظ النحوي المقرئ، أخذ عن علماء كثير منهم أبو بكر ابن العربي وابن عطية والقاضي عياض، توفي سنة: (575هـ). ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان، د ت ط، (1 / 102).

(5) \_ هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش، فقيه محدث، لغوي أديب، نسابه حافظ لأسماء الرجال، خطيب مصقع. أخذ عن علماء كثير منهم أبو بكر ابن العربي، توفي سنة: (584هـ). ينظر: بغية الملتمس، الضبي، (ص: 358).

(6) \_ هو: أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد اللخمي، كان بارعا في علم العربية، ولي قضاء فاس، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش، عرض "الموطأ" على أبي عبد الله بن أصبغ، وسمع من أبي بكر ابن العربي، توفي سنة: (592هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (12 / 971).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

4\_ أبو محمد بن الفرس<sup>(1)</sup>.

5\_ أبو عبد الله الطنجالي<sup>(2)</sup>، لازم ابن عطية وانتفع به وتخلّق بخلقه<sup>(3)</sup>.

أما مؤلفات ابن عطية فهي قليلة مقارنة بالعلوم التي برع فيها، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى وجهة نظر تبنيها، تتمثل في ضرورة تفرغ الجهد بعد التمكن من العلوم على فنّ واحد يكون لأهله كالحصن المشيد والذخر العتيد، وفي هذا يقول: «... ثم رأيت أن من الواجب على من احتجى، وتخبر من العلوم واجتبي، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفذ فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتتبع أعماقه، ويضبط أصوله ويحكم فصوله، ويُلخص ما هو منه أو يؤول إليه، وبفي بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد، والذخر العتيد، يستندون إليه في أقواله، ويحتدون على مثاله»<sup>(4)</sup>.

وانطلاقاً من كلامه السابق فقد استفرغ جهده لتأليف تفسيره المحرر الوجيز، كما ألّف أيضاً الفهرس الذي ضمّنه مروياته وأسماء شيوخه، ولم أقف له على غير هذا من مؤلفاته التي وصلت إلينا.

### ثالثاً\_ ثناء العلماء عليه:

حظي ابن عطية بثناء العلماء، قال عنه ابن بشكوال: «كان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفنناً في العلوم»<sup>(5)</sup>.

وقال الذهبي: «كان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية، قوي المشاركة، ذكياً فطنا مدركاً، من أوعيه العلم»<sup>(6)</sup>.

---

(1) \_ هو: أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي، من أهل غرناطة، يعرف بابن الفرس، كان حافظاً جليلاً، فقيهاً، عارفاً بالنحو واللغة، وبيّ القضاء وجعل إليه النظر في الحسبة، والشّرطة، أخذ عن علماء كثر منهم ابن العربي وابن عطية، ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، (3/ 416).

(2) \_ هو: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد الهاشمي يعرف بالطنجالي؛ محدث فاضل، ونحوي بارع، لازم ابن عطية، وسمع وأكثر عن: أبي الحسن الغافقي، كان من أبرع أهل زمانه خطأ لا يجارى في ذلك، وكان يتكلم بجامع مالقة على " صحيح البخاري " غدوة، وكان كثير الورع، توفي سنة: (651 هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (14/ 716).

(3) \_ ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، (1/ 276).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (7/1).

(5) \_ الصلة، ابن بشكوال، (367/1).

(6) \_ سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ت: مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط:3، 1405 هـ / 1985م، (19/ 588).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

وقال السيوطي: «ألف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها»<sup>(1)</sup>.

وقال الضبي: «أبو محمد فقيه، حافظ محدث مشهور، أديب نحوي شاعر بليغ كاتب، ألف في التفسير كتاباً ضخماً أرى فيه على كل متقدم»<sup>(2)</sup>.

من خلال ما سبق بيانه تتضح لنا العوامل والأسباب التي أسهمت في تكوين ابن عطية، من ذلك: أسرته العريقة في الفضل والعلم، إضافة إلى توفر الجو المناسب في منشئه، حيث كانت الأندلس مركز إشعاع علمي، ورغم أنه لم يرحل خارجها، إلا أنّ وفرة الشيوخ فيها مكّنه من الاستفادة والتدرّج في طلب العلوم وترسيخ الملكات، وقد ساعده على ذلك أيضاً استعداده الفطري والذهني. كل هذه الجوانب ساعدت على صقل شخصيته العلمية، فصار علماً من أعلام المغرب خصوصاً، والعالم الإسلامي عموماً؛ لذا رحل الطلّاب إليه من كل حدب وصوب، ومع أنّه لم يصلنا من مؤلفاته إلاّ تفسيره وفهرسته، إلاّ أنّهما كافيان في بيان علمه الغزير، فمن خلال فهرسته اتضح تعدّد شيوخه وكثرة الفنون التي اشتغل بها، وكان من جملتها ما لا غنى للمفسّر عنه؛ من لغة ونحو ومعرفة بالتأسخ والمنسوخ ودراية بالفقه والحديث...، وقد استفاد من ذلك في تفسيره الذي اعتبر شاهداً على إمامته كما صرّح غير واحد في معرض الثناء عليه، وهذا ما سأحاول تجليله أكثر في المبحث الثاني، وذلك من خلال الإجابة على الإشكالات التالية:

ما عنوان تفسيره؟ ومتى كان تأليفه؟ وما الأسباب الداعية لذلك؟ ما أهم المصادر التي اعتمد عليها؟ وما المنهج الذي سار عليه، وفيه تبرز مكانته العلمية؟

(1) \_ بغية الوعاة، السيوطي، (73/2).

(2) \_ بغية المتلمس، الضبي، (ص: 389).

### المبحث الثاني: التعريف بتفسير ابن عطية

أعرض من خلال هذا المبحث تعريفا موجزا بتفسير ابن عطية، أُبَيِّن فيه عنوانه وتاريخ تأليفه وسبب ذلك، مع التعرّيج على أهم طبعاته والمصادر التي اعتمد عليها، بالإضافة إلى منهجه، لأختتم ببيان مكانته العلمية، وذلك في أربعة مطالب على النحو التالي:

#### المطلب الأول: دراسة ببليوغرافية<sup>(1)</sup> لتفسير ابن عطية

يعتبر تفسير ابن عطية من أشهر كتب التفسير، ومن خلال هذا المطلب سأتطرق إلى عنوانه وتاريخ تأليفه، وسبب ذلك، بالإضافة إلى طبعات الكتاب.

#### أولا\_ عنوان تفسير ابن عطية وتاريخ تأليفه:

يُعرف تفسير ابن عطية ب: "المحرّر الوجيز"، وهذا الاسم لم يذكره صاحبه في مقدمته، كما لم أقف عليه عند معاصريه أو من كانوا قريبين من عصره، فهؤلاء اكتفوا بنسبة التفسير إليه، وفي القرن الثامن أطلق عليه بعض العلماء اسم: "الوجيز في التفسير" ومن هؤلاء: ابن الخطيب، حيث قال في معرض ترجمته لابن عطية: «ألف كتابه المسمى ب: "الوجيز في التفسير"، وأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيّته كل مطار»<sup>(2)</sup>. وبما تقدّم سماه النّبّهاني وابن فرحون أيضا<sup>(3)</sup>.

وأما تسميته ب: "المحرّر الوجيز" فيرى الباحث فاضل بن عاشور أنّ أول من أطلقها عليه هو حاجي خليفة، وقد وافقه في ذلك عبد الوهاب فايد<sup>(4)</sup>، وبهذه التسمية اشتهر تفسيره كما مرّ سابقا، والمتأمل في عنوانه تظهر له بعض الدلالات، ف: "المحرّر" إشارة إلى أنّ أقواله محرّرة منسوبة إلى أصحابها. و: "الوجيز" باعتباره مختصرا مقارنة بتفسير أهل زمانه، وبسعة اطلاع صاحبه. والذي يظهر أنّ هذه التسمية جاءت اعتمادا على وصف ابن عطية لتفسيره بقوله: «وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محرّرا»<sup>(5)</sup>.

(1) \_ الببليوغرافية: مصطلح يراد منه دراسة بيانات الكتاب، كاسم مؤلفه وعنوانه والطبعات، وعدد الصفحات... ينظر: مقدمة في علم المعلومات، محمد عبد الهادي، دار غريب، مصر، ط:1، 1983م، (ص:200).

(2) \_ الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، (3/412).

(3) \_ ينظر: تاريخ قضاة الأندلس، النّبّهاني، (ص:109). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، (2/58).

(4) \_ ينظر: التفسير ورجاله، محمد الفاضل ابن عاشور، دار السلام، القاهرة، ط:1، 2008م، (ص:72).

(5) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/34).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

أما عن تاريخ تأليفه فلم يُصرِّح ابن عطية بذلك، غير أنّ ما نقله صاحب بغية الملتمس عن والد ابن عطية أنّه كان يُوجِّهه أثناء كتابته للتفسير<sup>(1)</sup>، يبين أنّه بدأ بتأليفه قبل سنّ الأربعين؛ وذلك أنّ والده توفي سنة: (518) وعمر ابن عطية حينها سبعة وثلاثون عاما.

وقد استغرق في تأليفه زمنا طويلا، ومّا يؤكّد ذلك قوله: «فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمّرت به زمني، واستفرغت فيه مني؛ إذ كتاب الله تعالى لا يُتفسَّر إلاّ بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي، فليستصوب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه وحسبنا الله ونعم الوكيل»<sup>(2)</sup>. فكلامه هذا يوضِّح بما لا يدع مجالا للشك أنّه استغرق في تأليفه زمنا طويلا.

### ثانياً\_ سبب تأليفه:

أورد ابن عطية جملة من الأسباب والدواعي التي حملته على تأليف تفسيره منها:

#### 1\_ التقرب إلى الله ﷻ بتفسير كتابه:

وقد صرِّح بهذا المقصد في مقدمته حيث قال: «فلما أردت أن أختار لنفسني، وأنظر في علم أعدّ أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنوع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا، علم كتاب الله جلت قدرته... وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبا إلى الله تعالى، وتخليصا للنبيات، ونهيا عن الباطل، وحضا على الصالحات»<sup>(3)</sup>.

#### 2\_ تقييد معاني القرآن لترسيخها في ذهنه وإفادة غيره:

وهذا المقصد يظهر من قوله: «فلما سلكت سبله بفضل الله دُلا، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملا، رأيت أنّ نُكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتفدح، وتسرح لمن يروم تقييدها في فكره وتبرح، وأنّها قد أخذت بحظها من الثقل، فهي تتفصى من الصدر تفصي الإبل من العقل، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل]؛ قال المفسرون: أي علم معانيه والعمل بها، وقد قال النبي ﷺ: «قيّدوا العلم

(1) \_ ينظر: بغية الملتمس، الضبي، (ص: 441).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 35).

(3) \_ المصدر نفسه، (1/ 34).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

بالكتاب»<sup>(1)</sup>، ففرغت إلى تعليق ما يتخيل لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني... وأنا أسأل الله جلّت قدرته، أن يجعل ذلك كله لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به»<sup>(2)</sup>.

### 3\_ تأليف تفسير مختصر محرّر بعيد عن الأقوال الباطلة:

وفي هذا يقول: «وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محرّرا، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلاّ به، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - كتاب الله من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم، فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدّين نبهت عليه»<sup>(3)</sup>.

هذه جملة الدوافع والأسباب لتأليف المحرّر الوجيز كما صرّح بها ابن عطية، وهي تشير بأن مقصده كان حسنا، إذ مرضاة الله هدفه، ولقاءه بخير زاد مراده، لذا كُتِب له القبول لدى النَّاس، والله نسأل ألا يحرمه أجره يوم القيامة.

### ثالثا\_ طبعات الكتاب:

بقي تفسير ابن عطية رهن خزائن المخطوطات زمنا طويلا فلم تتّجه الهِمَم إلى طباعته وتحقيقه إلاّ سنة: (1395هـ)، حيث قامت وزارة الأوقاف المغربيّة بطباعته بتحقيق المجلس العلمي للقرويين بنفاس، معتمدة في ذلك على عدّة نسخ منها: "نسخة خزانة القيروان"، و"الخزانة الناصريّة"، ونسخ أخرى من سوس ومراكش، وقد طُبِع الكتاب في ستة عشر (16) جزء، ثم توالى بعد ذلك خدمة الكتاب، واشتهرت بعض طباعته منها:

(1) \_ الحديث روي مرفوعا وموقوفا، فأما الرواية المرفوعة فأخرجها ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: 1، 1414 هـ - 1994م)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، باب ذكر الرخصة في كتاب العلم، رقم: 395، (1/ 306). وأما الروايات الموقوفة، فروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من طريق ابن جريج، وقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه، من رخص في كتاب العلم، رقم: 26427، (5/ 313). والدارمي في سننه، باب من رخص في كتابة العلم، رقم: 514، (1/ 437). وهو لا يصح لعننة ابن جريج. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، كما عند الطبراني في الكبير، رقم: 700، (1/ 246). وإسناده عنه صحيح، ولا يصح مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال الدراقطني: «يرويه عبد الله بن المثني، واختلف عنه؛ فرواه عبد الحميد بن سليمان، عن عبد الله بن المثني، عن ثمامة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهم في رفعه. والصواب: عن ثمامة؛ أن أنسا كان يقول ذلك لبنيه، ولا يرفعه». العلل الواردة في الأحاديث النبوية، علي بن عمر الدراقطني (ت: 385هـ)، ت: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة - الرياض، ط: 1، 1405 هـ - 1985م، (12/ 43).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 34).

(3) \_ المصدر نفسه، (1/ 34).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

- 1\_ الطبعة القطرية الأولى سنة: (1398هـ)، تحت إشراف رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ويقع في خمسة عشر (15) جزء.
- 2\_ الطبعة القطرية الثانية وكان ذلك سنة: (1428هـ)، تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ويقع في ثمانية (8) مجلدات.
- 3\_ طبعة دار الكتب العلمية الأولى ببيروت، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد؛ وذلك سنة: (1413هـ).
- 4\_ طبعة دار الكتب العلمية الثانية وذلك سنة: (1428هـ)، في ست (6) مجلدات.

### المطلب الثاني: مصادره

اعتمد ابن عطية في تفسيره على مصادر عديدة يمكن تقسيمها على النحو التالي:

#### أولاً\_ مصادره في التفسير وعلوم القرآن:

- 1\_ غريب القرآن لابن قتيبة.
- 2\_ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ لِقَتَادَةَ بْنِ دَعَامَةَ السَّدُوسِيِّ.
- 3\_ جامع البيان في تفسير القرآن لشيخ المفسرين أبي جعفر الطبري، وقد بين ابن عطية في مقدمة تفسيره أهمية هذا السِّفَرِ العظيم، حيث قال: «... ثم إنّ محمد بن جرير الطبري رحمه الله جمع على النَّاسِ أشْهَاتِ التفسير، وقرب البعيد، وشفى في الإسناد»<sup>(1)</sup>. وانطلاقاً من إدراكه لقيّمته فقد نقل عنه كثيراً، ومع ذلك فقد استدرك عليه وناقشه في كثير من القضايا التي لم يُسَلِّمَ له فيها<sup>(2)</sup>.
- 4\_ شفاء الصدور لأبي بكر النَّقَّاشِ، حيث ينقل عنه، وكثيراً ما يتعقبه ويردّ بعض أقواله<sup>(3)</sup>.

---

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (42 / 1).

(2) \_ ينظر على سبيل المثال: المصدر نفسه، (211 / 1) و: (360 / 1).

(3) \_ من أمثلة ذلك: نقل عن النَّقَّاشِ أنّ الرّباني اشتقاق ربي من ربا الشيء يربو إذا كثر، فسمي بذلك الكثير العلم. وتعقبه بقوله: «وهذا ضعيف». ونقل عنه أنّ القرن ثلاثين، وحكي عشرين، وحكي ثمانية عشر. وتعقب ذلك بقوله: «وهذا كله ضعيف». ينظر: المصدر نفسه، (521 / 1) و: (269 / 2).



## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

5\_ كتاب التفسير لأبي الحسن الرّماني<sup>(1)</sup>.

6\_ تفسير ابن فورك<sup>(2)</sup>.

7\_ الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعالبي.

8\_ التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل للمهدوي<sup>(3)</sup>.

9\_ الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، وكان تعامل ابن عطية مع ما ينقله عن مكي بن أبي طالب والمهدوي كتعامله مع ما ينقله عن النقاش؛ إذ يستدرك عليهما ويُعقّب، وقد بين في مقدمة تفسيره كثرة انتقاد أهل العلم لهم<sup>(4)</sup>.

### ثانياً\_ مصادره في الحديث وعلومه:

1\_ الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس.

2\_ صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري.

3\_ المسند الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري.

4\_ سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي.

---

(1) \_ هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني، ويعرف أيضا بالإخشيدي وبالوراق؛ كان إماما في العربية و الأدب، في طبقة الفارسي والسيرافي، وهو معتزلي كان يمزج النحو بالمنطق، من مؤلفاته: كتاب التفسير وشرح سيبويه...مات سنة: (384هـ). ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، (2/180).

(2) \_ هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، كان أدبيا نحويا متمكن من الأصول علم الكلام، مشتغل بالوعظ، كان مشرفا على مدرسة بنيسابور فنفع الله به نفعا عظيما، له مصنفات بلغت خمسة وتسعين مصنفا، توفي سنة: (406هـ). ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، أبو عمرو بن الصلاح (ت: 643هـ)، ت: محيي الدين نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط: 1، 1992م، (1/136). الدر الثمين في أسماء المصنفين، تاج الدين ابن السّاعي (ت: 674هـ)، ت: أحمد بنين - محمد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط: 1، 1430 هـ - 2009م، (ص: 96).

(3) \_ هو: أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي المقرئ، من أهل المهديّة بالقيروان، روى عن أبي الحسن القاسبي، وقرأ على أبي عبد الله محمد بن سفيان، كان مقدما في فن القراءات والعربية، وصنف كتبا مفيدة. أخذ عنه، أبو محمد غانم بن وليد المالقي، وأبو عبد الله الطرقي المقرئ، توفي سنة: (440 هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (9/598).

(4) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/42).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

- 5\_ سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي.
- 6\_ سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي.
- 7\_ غريب الحديث للخطابي.
- 8\_ المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي القرطبي.

### ثالثاً\_ مصادره في الفقه:

- 1\_ المختصر لعبد الله بن عبد الحكم (1).
- 2\_ الواضحة لعبد الملك بن حبيب (2).
- 3\_ المدونة لسحنون بن سعيد.
- 4\_ الموازية لأبي عبد الله بن المواز (3).
- 5\_ التفریع في مسائل الفقه لأبي القاسم بن الجلاب (4).

- (1) \_ هو: أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين، كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله، وأفضت إليه الرياسة بعد أشهب، توفي سنة: (224هـ). ينظر: طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: 476هـ)، ت: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط: 1، 1970م، (ص: 151).
- (2) \_ هو: أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان، كان: بالبييرة، وسكن قرطبة، روى عن صعصعة بن سلام، والغازي بن قيس، وزیاد بن عبد الرحمن. سمع من عبد الملك بن الماجشون، ومطرف بن عبد الله، وكان: حافظاً للفقه على مذهب المدنين، نبیلاً فيه، وله مؤلفات في الفقه والتاريخ، والآداب كثيرة حسان منها: الواضحة. كتاب: فضل الصحابة رضي الله عنهم، وكتاب: غريب الحديث؛ وكتاب: تفسير الموطأ... توفي سنة: (238هـ). ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، (1/312).
- (3) \_ هو: أبو عبد الله الإسكندراني الفقيه المالكي، يعرف بابن المواز مصنف على مذهب مالك، ذكره أبو العباس الوليد الأندلسي فقال: « محمد بن إبراهيم بن المواز، أبو عبد الله. كان بالإسكندرية تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم، واعتمد على أصبغ، وهو أجل من محمد بن عبد الله بن الحكم ومن محمد بن سحنون». توفي بدمشق سنة: (269هـ). ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساکر(ت:571هـ)، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، 1418 هـ - 1997 م، (51/197).
- (4) \_ واسمه عبيد الله، ويقال: أبو الحسين بن الحسن. بصري تفقه بالأبهرى. أخذ عنه القاضي أبو محمد بن نصر الطائفي، وابن أخيه المسدد بن أحمد، وله كتاب في مسائل الخلاف. وكتاب التفریع في المذهب. قال أبو القاسم الهمداني: «كان من أحفظ أصحاب الأبهرى، وأنبلهم». توفي سنة: (378هـ). ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض الیحصي (ت: 544هـ)، ت: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، د ت ط، (76/7).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

6\_ الإشراف على مذاهب أهل العلم في الاجتماع والاختلاف لأبي بكر النيسابوري.

رابعاً\_ مصادره في اللغة والنحو:

1\_ كتاب العين للخليل الفراهيدي.

2\_ الكتاب لسيبويه.

3\_ مجاز القرآن لأبي عبيدة البصري.

4\_ معاني القرآن للفراء.

5\_ المقتضب للمبرد.

6\_ معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج.

7\_ الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني لأبي علي الفارسي.

### المطلب الثالث: منهجه في التفسير

ابتدأ ابن عطية كتابه بمقدمة أوضح من خلالها أنّ شرف العلم بشرف المعلوم؛ لذا فإنّ أمتها حبّالاً، وأجملها آثاراً وأسطعها أنواراً؛ علم كتاب الله ﷻ، وهذا ما حمّله على بذل جهده لتأليف تفسيره بعد أن حصل الكثير من العلوم، وقد أوضح منهجه على وجه العموم، ثمّ قدّم بين يديه تفسيره مجموعة من المباحث منها: ما تعلق ببيان فضل القرآن وإعراجه وتفسيره، كما تطرق إلى معنى الأحرف السبعة، وساق باباً في أسماء القرآن، وباباً في الاستعاذة بين حكمها ومفهومها... ثمّ شرع في تفسيره وفق ترتيب المصحف، وقد سجّلت ما يلي:

### أولاً\_ اعتماده على القرآن والتفسير بالمأثور:

اعتمد ابن عطية على تفسير القرآن بالقرآن، كما اهتمّ بتفسير القرآن بالمأثور؛ ذلك أنّ أحسن طرق التفسير أن يُفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فُصّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنّه قد بُسّط في آخر، كما تعتبر السنة النبوية شارحة للقرآن وموضّحة له، قال ﷺ: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا

لِتَبَيَّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿64﴾ [النحل]، فإن لم يوجد في السنة يُرجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن، ولما أعطاهم الله من الفهم العجيب<sup>(1)</sup>.

فأما تفسيره للقرآن بالقرآن: فقد بذل ابن عطية جهده في تتبع الآيات وإلحاق بعضها ببعض؛ لتخصيص عام أو بيان مجمل، أو استشهاد على معنى أورده....

— فمن أمثلة تخصيص العام: ما أورده عند تفسير قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ ءَلَمَنٌ وَهُمْ مُّهِتَدُونَ﴾ ﴿82﴾ [الأنعام]، حيث نقل تفسير النبي ﷺ للظلم بآية أخرى، وهي قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]<sup>(2)</sup>.

— ومن أمثلة بيان المجمل: ما عزاه للحسن من أنّ معنى (الكلمات) في قوله ﷺ: ﴿فَتَلَقَّ ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿37﴾ [البقرة]؛ هي قوله ﷺ: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿23﴾ [الأعراف]<sup>(3)</sup>.

— ومن أمثلة الاستشهاد على معنى أورده: تفسيره ل: ﴿رَابِعَةً﴾ من قوله ﷺ: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِعَةً﴾ ﴿10﴾ [الحاقة]؛ ب: التامية التي قد عظمت جداً، واستشهد على ذلك بقوله ﷺ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج:5]<sup>(4)</sup>.

وأما اعتماده على التفسير بالمأثور: فقد كان مصنّفه حافلاً بالأحاديث وأثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

فأما جانب الاستدلال بالأحاديث النبوية: فيظهر في بيان فضائل السور، أو ترجيح قول خاصة إذا كان من قبيل التفسير النبوي، أو توضيح معنى، وفيما يلي بيان ذلك:

- (1) — ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: 1، 1376 هـ - 1957 م.
- (2) — ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/315).
- (3) — ينظر: المصدر نفسه، (1/130).
- (4) — ينظر: المصدر نفسه، (5/358).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

\_\_ من أمثلة الاعتماد على السنّة لبيان فضائل السور والآيات: ما ساقه في فضل سورة البقرة وآل عمران، حيث قال: «وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غيبتان بينهما شرف، أو غماتان سوداوان، أو كأنهما ظلة من طير صوافّ تجادلان عن صاحبهما»<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>.

ويجدر التنبيه أنّ الأحاديث التي يوردها ابن عطية في الفضائل لا يلتزم فيها الصحة، ومّا يبين ذلك ما نقله في فضل سورة البقرة وآية الكرسي؛ حيث قال: «وروي عنه عليه السلام أنّه قال: «لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة، فيها آية هي سيدة أي القرآن هي آية الكرسي»<sup>(3)</sup>»<sup>(4)</sup>. وهذا الحديث تفرد به حكيم بن جبير وهو ضعيف، قال عنه الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه»<sup>(5)</sup>. والملاحظ أنّ ابن عطية ساق هذه الرواية بصيغة التمرّيص، وهذا قد يُظهر علمه بضعفها.

\_\_ ومن أمثلة اعتماده على التفسير النبوي لترجيح قول على آخر: ما نقله من الخلاف الوارد في المسجد الذي أُسس على التقوى في قوله عليه السلام: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: 108]؛ حيث ذهب ابن عباس وفريق من الصحابة والتابعين إلى أنّ المراد به مسجد قباء، وروي عن ابن عمر وأبي سعيد وزيد بن ثابت أنّه مسجد النبي ﷺ، ثم بين أنّ القول الأول يليق بالقصة التي أوردتها المفسرون في حسد بعض المنافقين لمن بنى مسجد قباء، ومحاوله تنفير الناس عنّه ببناء مسجد الضّار، إلاّ أنّ القول الثاني مروى عن النبي ﷺ، ثم رجّح هذا الأخير بقوله: «ولا نظر مع الحديث»<sup>(6)</sup>.

(1) \_\_ أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم: (804)، (1/ 554).

(2) \_\_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 81).

(3) \_\_ أخرجه الترمذي (سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي (ت: 279هـ)، ت: أحمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: 2، 1395 هـ - 1975م)، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، رقم: (2878)، (5/ 157).

(4) \_\_ المصدر السابق، (1/ 81).

(5) \_\_ سنن الترمذي، الترمذي، (5/ 157).

(6) \_\_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 82).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

يظهر من خلال المثال السابق أنّ ابن عطية يقرّر قاعدة: "إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره"<sup>(1)</sup>، وقد طبّقها في مواطن كثيرة<sup>(2)</sup>.

— ومن أمثلة اعتماده على السنّة لتوضيح المعنى: تفسيره ل: ﴿دَائِبِينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ أَيْلَ وَالنَّهَارَ﴾<sup>(33)</sup> [إبراهيم] بمتمادين، قال: «ومنه قول النبي ﷺ لصاحب الجمل الذي بكى وأجهش<sup>(3)</sup> عليه: «إِنَّ هَذَا الْجَمَلَ شَكَى إِلَيَّ أَنْكَ تَجِيعُهُ وَتُدْتِئِبُهُ»<sup>(4)</sup>»<sup>(5)</sup>.

يتضح من هذا المثال تطبيق ابن عطية لقاعدة: "إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له عما خالفه"<sup>(6)</sup>، وقد اعتمد عليها في مواطن عديدة<sup>(7)</sup>.

والجدير بالتنبيه أنّ ابن عطية يسوق الأحاديث من غير إسناد، كما لا يذكر من خرّجها في الغالب، كما أنّه يختصر بعض الأحاديث ومن ذلك: أنّه فسّر قوله ﷺ: ﴿عَبِيٌّ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79] بأمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء حتى ينتهي إليه ﷺ، ثم قال: «والحديث بطوله في البخاري ومسلم، فلذلك اختصرناه»<sup>(8)</sup>. كما أنّه يختصر بعض الأحاديث المشهورة ويكتفي باللفظ الدال عليها كقوله: «وفي حديث الاستسقاء...»، «وفي حديث الإسراء...»<sup>(9)</sup>.

(1) — للتفصيل أكثر حول هذه القاعدة ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحري، دار القاسم، الرياض، ط: 1، 1417هـ، 1996م، (191/1).

(2) — ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (138/4) و: (381/5).

(3) — الجهش والإجهاش: أن يفرغ الإنسان إلى غيره، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء، كالصبي يفرغ إلى أمه وأبيه وقد تمياً للبكاء. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري (ت: 606هـ)، ت: طاهر الزاوي - محمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، (322/1).

(4) — أخرجه أبو داود في سننه، (ت: شعيب الأرنؤوط - محمد بللي، دار الرسالة العالمية، ط: 1، 1430هـ - 2009م) باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، رقم: (2549)، (4/200). وأحمد في مسنده، (ت: أحمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط: 1، 1416هـ - 1995م) رقم: (1745)، (363/2). وصحّحه شعيب الأرنؤوط.

(5) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (339/3).

(6) — للتفصيل أكثر حول هذه القاعدة ينظر: قواعد الترجيح، الحري، (206/1).

(7) — ينظر: المصدر السابق، (3/445) و: (4/418).

(8) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/478).

(9) — ينظر: المصدر نفسه، (4/416) و: (5/199).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

وأما ما تعلّق ببيان درجة الحديث؛ فأحيانا يُورد ذلك وغالبا ما لا يبين درجته، وقد يورد الضعيف بل وحتى الموضوع دون تنبيه لذلك، ومن الأمثلة ما يلي:

أ \_ قوله: «وفي الحديث: «لعن الله العاصية، والمستعصية»<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>. وهذا الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عباس رضي الله عنه<sup>(3)</sup>، وفي سنده زمعة بن صالح عن سلمة بن بھرام، وهما ضعيفان، قال أحمد عن سلمة: «أخشى أن يكون حديثه ضعيفا». وقال البخاري: «فيه نظر»<sup>4</sup>.

ب \_ قال: «روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: ﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7] ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أنت يا علي وشيعتك من خير البرية»<sup>(5)</sup>. وهذا الحديث أخرجه الطبري في تفسيره قال: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن محمد بن عليّ به»<sup>(6)</sup>. وهو حديث مرسل، كما أنّ في سنده أبا الجارود واسمه زياد بن المنذر، قال أحمد: متروك. وقال أبو زرعة: واهي الحديث. وقال ابن حبان: رافضي، يضع الحديث في المثالب وفي مناقب أهل البيت. وقال الدارقطني وغيره: متروك<sup>(7)</sup>.

وأما ما تعلّق بإيراد أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم: فقد حفل تفسيره بذلك، وسلك منهجا قائما على ما يلي:

\_ يورد الأقوال عن الصحابة والتابعين دون ذكر للأسانيد.

\_ قد يسوق بعضها بصيغة التمرّض.

\_ قد يردّ قول الصحابي أو التابعي إذا كان ضعيفا أو ظهر له أنّه مخالف لنص صحيح.

(1) \_ أي: السّاحرة والمستسحرة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (3/ 255).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 374).

(3) \_ ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي الجرجاني (ت: 365هـ)، ت: عادل الموجود-علي معوض، الكتب العلمية - لبنان، ط: 1، 1418هـ-1997م، (4/ 367).

(4) \_ ينظر: ذخيرة الحفاظ، محمد ابن القيسراني (ت: 507هـ)، ت: عبد الرحمن الفيرواني، دار السلف - الرياض، ط: 1، 1416 هـ - 1996م، (2/ 869).

(5) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 508).

(6) \_ جامع البيان، الطبري، (24/ 542).

(7) \_ تاريخ الإسلام، الذهبي، (3/ 868).

### ثانياً\_ عنايته بالقراءات:

اهتم ابن عطية بإيراد القراءات واعتبر ذلك مقصداً من مقاصده، حيث قال في مقدمة تفسيره: «وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعملها و شاذها»<sup>(1)</sup>. والمتتبع لتفسيره يقف على كثرة القراءات التي أوردتها، سواء ما كان منها صحيحاً أو شاذاً، غير أنه لم يستوفها جميعاً؛ ففي القراءات الصحيحة كانت عمدته إيراد السبعة منها، وأما الثلاثة المتممة للعشرة فإنه قلل من ذكر قراءة يعقوب وأبي جعفر، ومما يبين ذلك ما يلي:

أ\_ في قوله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرجعون﴾ [البقرة]، ذكر قراءة ابن عامر ﴿فِيضعفه﴾ من غير ألف وبتشديد العين وفتح الياء، ولم يذكر يعقوب رغم أنه وافق في ذلك<sup>(2)</sup>.

ب\_ وفي قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ ليطفئوا نورَ اللَّهِ بأفواههم وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كرهَ الكافرون﴾ [الصف]، لم يذكر قراءة أبي جعفر بترك الهمز في: ﴿لِيطْفئُوا﴾<sup>(3)</sup>-(4).

وقد يذكر القراءات السابقة في كثير من الأحيان مع ذكر أصحاب القراءات الشاذة.

وأما قراءة خلف المتممة للعشرة فلم يوردها إطلاقاً، ولعلّ السبب في ذلك أنّ خلف لا يخرج عن قراءة الكوفيين كما نصّ على ذلك ابن الجزري<sup>(5)</sup>.

ومما أخذ على ابن عطية؛ رده لبعض القراءات المتواترة، ومن ذلك ما يلي:

أ\_ قراءة أبي جعفر بضم الهاء في: ﴿لِلْمَلَكِئِكةِ اسْجُدُوا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبليسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف]، قال ابن

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 34).

(2) \_ ينظر: المصدر نفسه، (1/ 329). و: منهج الإمام ابن عطية في عرض القراءات وأثر ذلك في التفسير، فيصل غزاوي، جامعة أم القرى، السعودية، 1422هـ، (1/ 39).

(3) \_ للوقوف على قراءة أبي جعفر ينظر: المسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني (ت: 381هـ)، ت: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، 1981 م، (ص: 105).

(4) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 303).

(5) \_ ينظر: منهج الإمام ابن عطية في عرض القراءات وأثر ذلك في التفسير، فيصل غزاوي، (1/ 39).



## الفصل الأول: التعريف بالثعالي وابن عطية وتفسيريهما

عطية: «وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿لِلْمَلَكِ كِتَابٌ إِسْجُودًا﴾ بضم الهاء وهي قراءة ضعيفة. ووجهها أنه حذف همزة ﴿إِسْجُودًا﴾ وألقى حركتها عن الهاء، وذلك لا يتجه لأنها همزة محذوفة مع جر الهاء بحركة، أي شيء يلغى والإلغاء إنما يكون في الوصل»<sup>(1)</sup>.

ب \_ قراءة حمزة بخفض ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ من قوله ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1]، قال ابن عطية: «وقرأ حمزة وجماعة من العلماء ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالخفض عطفًا على الضمير، والمعنى عندهم: أنها يتساءل بها كما يقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم. هكذا فسّرها الحسن وإبراهيم النخعي ومجاهد، وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمّر مخفوض...»<sup>(2)</sup>، ثم نقل بعض من استسهل هذه القراءة وردّ عليهم.

### ثالثا \_ عنايته بأسباب النزول:

تعتبر أسباب النزول من أهم لوازم التفسير، فمعرفة السبب يورث العلم بالمُسبّب، والمتبع لتفسير ابن عطية يلحظ أنه أورد الكثير منها، سواء ما تعلّق بالآيات أو السور، وأحيانًا ما ينقل ذلك من غير نسبة إلى قائله، وإذا وجد أكثر من سبب ذكره، وقد يُرجّح وقد لا يرجّح. ومن الأمثلة على ما سبق ما يلي:

أ \_ قال في سبب نزول قوله ﷺ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة]: «وأما سبب الآية فقال ابن جريج: «نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ إذ حلف أن يقطع إنفاقه عن مسطح بن أثاثة حين تكلم مسطح في حديث الإفك». وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق مع ابنه عبد الرحمن في حديث الضيافة حين حلف أبو بكر أن لا يأكل الطعام. وقيل: نزلت في عبد الله بن رواحة مع بشير بن سعد حين حلف أن لا يكلمه»<sup>(3)</sup>.

من خلال هذا المثال يظهر أنه نقل أكثر من سبب، مع نسبة بعضها وإيراد البعض الآخر بصيغة التمرريض دون أن يبين الراجح.

\_ ومن أمثلة ترجيحه بين الأقوال التي ينقلها؛ ما أورده في سبب نزول قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلِغِ مَرَضَاتِ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم]؛ حيث ذكر في ذلك قولين، الأول أنها نزلت بسبب

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 378).

(2) \_ المصدر نفسه، (2/ 4).

(3) \_ المصدر نفسه، (1/ 301).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

تحريم النبي ﷺ على نفسه مارية. والقول الآخر أنّ ذلك بسبب تحريمه على نفسه العسل الذي شربه عند زينب بنت جحش.

ورجّح الأول بقوله: «والقول الأول إنّ الآية نزلت بسبب مارية أصح وأوضح، وعليه تفقه الناس في الآية» (1). وقد يعترض على سبب مبينا ضعفه دون بيانه للصحيح في ذلك ومن الأمثلة:

— ما نقله عن السدي في قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة]؛ أنّها نزلت في الأخنس بن شريق أظهر الإسلام، ثم هرب، فمّرّ بقوم من المسلمين، فأحرق لهم زرعاً، وقتل حُمراً. فتعقبه بقوله: « ما ثبت قطُّ أن الأخنس أسلم» (2).

### رابعا\_ موقفه من الإسرائيليات:

صرّح ابن عطية في مقدمة تفسيره أنّه لا يذكر من القصص إلّا ما لا تنفك الآية إلّا به (3)، فهو بذلك يوضّح منهجه القائم على التقليل من الإسرائيليات وعدم إيرادها إلّا لحاجة تدعو إلى ذلك، والمتمثلة في توضيح معاني الآية، وقدّ أكد على هذا المسلك عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءً آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة]، حيث قال: « وقد اختصرت ما سرد في قصص هذه الآية، وقصدت أصحه الذي تقتضيه ألفاظ الآية» (4).

وبتتبع تفسير ابن عطية اتضح لي ما يلي:

— لم يُكثر ابن عطية من نقل الإسرائيليات مقارنة بكثير من كتب التفسير التي عجّت بها.

— اختصر كثيرا من الروايات الإسرائيلية التي نقلها، وتعقّب بعضها مبينا عدم صحتها، ومن أمثلة ذلك؛ اختصاره لبعض ما ذُكر في قصة هاروت وماروت وقصة المرأة التي فتنتهما فمسخت كوكبا، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يلعنها. ثم عقّب على ذلك بقوله: « وهذا كله ضعيف وبعيد على ابن عمر رضي الله عنهما» (5).

— لم يلتزم ابن عطية بإيراد ما لا تنفك الآية إلّا به وتزك ما سوى ذلك، حيث أنّه اختصر بعض الرواية الإسرائيلية وبين ضعفها، إلّا أنّه وبعد التأمل يظهر أنّ الآية لا تحتاج إلى الرواية التي ساقها أصلا، ومثال ذلك ما أورده في

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 330).

(2) — المصدر نفسه، (1/ 279).

(3) — ينظر: المصدر نفسه، (1/ 34).

(4) — المصدر نفسه، (1/ 159).

(5) — المصدر نفسه (1/ 187).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

قصة قتل داود لجالوت، حيث ذكر في ذلك أنّ طالوت جعل مقتل جالوت مهرا لتزويج ابنته، وأنّ داود عليه السلام قد كلّمته حجارة قبل ذلك بأن يأخذها ويقتل بها جالوت، ففعل فصار بعدها ملكا. وذكر رواية أخرى ثم قال متعبا: «وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وذلك كله لين الأسانيد، فلذلك انتقيت منه ما تنفك به الآية، وتعلم به مناقل النازلة، واختصرت سائر ذلك»<sup>(1)</sup>.

والمأمل يتضح له أنّ قوله عليه السلام: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: 251] يفهم دون حاجة إلى مثل هذه القصص، وليس في معرفة كيفية القتل كبير فائدة.

— أورد ابن عطية بعض الروايات الاسرائيلية ولم يبين ضعفها مع ما تضمنته من كلام لا يجوز في الحق الأنبياء عليهم السلام؛ إذ أنّ فيه مساس بعصمتهم، ومن ذلك: ما ذكره من أنّ آدم عليه السلام وحواء أطاعا الشيطان وسميا ولدهما عبد الحارث، والحارث اسم إبليس...<sup>(2)</sup>.

خامسا \_ عنايته باللغة والتحو:

اهتم ابن عطية في تفسيره باللغة كثيرا لما لها من أهمية في فهم مراد الله تعالى القائل في كتابه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف]، وتظهر عنايته بذلك في وقوفه على شرح الألفاظ وبيان اشتقاقها اللغوي، إضافة إلى إعراب الكلمات والاستدلال بالشعر، ويعتبر هذا المنحى من أبرز سمات منهجه؛ إذ لا يكاد يمرّ على موطن إلا ويظهر ذلك، والأمثلة كثيرة، منها:

— عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، قال: «والرب في اللغة: المعبود، والسيد المالك، والقائم بالأمر المصلح لما يفسد منها، فمما جاء بمعنى المعبود قول الشاعر: أَرَبُّ يَبُولُ الثَّعْلَبَانُ بِرَأْسِهِ ... لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ»<sup>(3)</sup>.  
ومما جاء بمعنى السيد المالك قولهم: رب العبيد والمماليك. ومما جاء بمعنى القائم بالأمر الرئيس فيها، قول لبيد: وَأَهْلُكُنْ يَوْمًا رَبٌّ كِنْدَةَ وَابْنَهُ ... وَرَبٌّ مَعَدٍّ بَيْنَ حَبْتٍ وَعَرْعَرٍ<sup>(4)</sup>.  
ومما جاء بمعنى الملك قوله النابغة:

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 337).

(2) — المصدر نفسه، (2/ 486).

(3) — عزاه أهل التاريخ والسير لراشد بن عبد ربه السلمي رضي الله عنه. ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساکر، (9/ 325). البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1408 هـ - 1988 م، (5/ 107).

(4) — البيت للبيد بن ربيعة العامري. ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لبيد بن ربيعة (ت: 41هـ)، ت: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت \_ لبنان، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م، (ص: 46).

تَحْتَبُّ إِلَى النَّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ ... فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفِي وَتَالِدِي (1) «(2).

ويظهر عليه تأثره بمذهب البصريين، إذ كثيرا ما ينتصر له عند إيراد الخلافات النحوية، ومن ذلك قوله عند بيان معنى البسملة: « و"اسم" أصله سمو بكسر السين أو سمو بضمها، وهو عند البصريين مشتق من السمو. يقال: سما يسمو. فعلى هذا تُضم السين في قولك "سمو. ويقال: سمي يسمي. فعلى هذا تكسر، وحذفت الواو من سمو، وكُسرت السين من "سم"، كما قال الشاعر: بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سَمُّهُ... (3). وسكنت السين من "بسم" اعتلالا على غير قياس، وإنما استدل على هذا الأصل الذي ذكرناه بقولهم في التصغير سَمِّي، وفي الجمع أسماء، وفي جمع الجمع أسامي. وقال الكوفيون: أصل اسم وسم من السمة، وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له، وحذفت فاؤه اعتلالا على غير قياس، والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي. وأما المعنى فيه فجد لولا ما يلزمهم من أن يقال في التصغير وسيم، وفي الجمع أوسام؛ لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها» (4).

### سادسا\_ طريقته في عرض المسائل العقديّة والفقهية:

سار ابن عطية في عرض المسائل العقديّة على طريقة أهل السنة، غير أنّه وافق الأشاعرة في تأويل بعض الصفات، ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (164) [النساء]، حيث قال: «كلام الله للنبي موسى ﷺ دون تكييف ولا تحديد ولا تجويز حدوث، ولا حروف ولا أصوات، والذي عليه الراسخون في العلم: أن الكلام هو المعنى القائم في النفس...» (5). من خلال هذا النقل يتضح أنّه خالف أهل السنة في إثبات صفة الكلام على حقيقته؛ حيث جعله كلاما نفسيا من غير حرف ولا صوت، وهو ما ذهب إليه الأشاعرة.

(1) \_ البيت للنايعة الذبياني، عزاه إليه ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ) في كتابه الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـ، (1/ 167).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 67).

(3) \_ أنشده أبو زيد في النوادر، قال: «قال رجل زعموا أنه من كلب: أُرْسِلَ فِيهَا بَارِزًا يُقَرِّمُهُ ... وَهُوَ بِهَا يَنْحُو طَرِيفًا يَعْلَمُهُ بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سَمُّهُ... ينظر: النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، ت: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط: 1، 1401 هـ - 1981 م. (ص: 461).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 62).

(5) \_ المصدر نفسه، (2/ 137).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

ونقل ابن عطية عن الجويني والباقلاني وأبي الحسن الأشعري، كما يظهر من خلال تفسيره رده على بعض الفرق الضالة كالمعتزلة والخوارج<sup>(1)</sup>، ومع ذلك فقد تعرّض للانتقاد اللاذع جراء ما ألصق به من نصرته لمذهب الاعتزال، ويُنسب ذلك لابن تيمية حيث قال: «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل، فإنه كثيرا ما ينقل من " تفسير محمد بن جرير الطبري " وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة»<sup>(2)</sup>.

والذي يظهر من الكلام السابق؛ أنه غير واضح في اتهامه بنصرة مذهب المعتزلة والترويج له، وإن تضمن الإنكار عليه تقريره لمذهب أهل الكلام، ولعلّ ابن تيمية يقصد تقريره للعقيدة الأشعرية، وقد يُستشف ذلك من قوله: «وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة». فهو يُشبهه منهج تلك الطائفة بمنهج المعتزلة في تقرير الأصول، ثم يُعقب بقوله: «وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة». وبذلك يتضح أنه لا يرميه بتقرير مذهب الاعتزال، وإنما يقصد تقريره لعقيدة الأشعري، وشبهه بين المنهجين؛ لاشتراكهما في تأويل الأسماء والصفات، وسبب هذا الانتقاد يظهر من موقف ابن تيمية من الأشاعرة. ولعلّ الذين فهموا أنّ ابن تيمية يرمي ابن عطية بهذه التهمة استندوا في ذلك إلى المقارنة التي أجراها بين "المحرّر الوجيز" و"تفسير الزمخشري" المعروف عنه نصرته لمذهب الاعتزال. ولئن كان قول ابن تيمية ليس صريحا في إثبات هذه التهمة، إلا أنّ هناك من أثبتتها وتحامل على ابن عطية بسببها وعلى رأسهم ابن حجر الهيتمي، وقد عزا ذلك لابن عرفة، معتبرا أنّ تفسير ابن عطية أخطر من تفسير الزمخشري<sup>(3)</sup>! ويظهر لي أنّ هذه التهمة غير صحيحة وأدلة ذلك ما يلي:

- 1\_ ما ضمّته ابن عطية في تفسيره من انتقاد المعتزلة والرّد عليهم في مواطن كثيرة.
- 2\_ تقريره للمسائل التي زاغ فيها المعتزلة تقريرا يخالفهم فيها، كمسألة القول بخلق القرآن، وكذلك مسألة نفي الرؤية<sup>(4)</sup>.

(1) \_ ينظر على سبيل المثال: المصدر نفسه، (1/ 112) و: (1/ 190)، (2/ 64) و: (5/ 302).

(2) \_ مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، ت: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية، ط: 1416، 1/هـ، 1995م، (13/ 361).

(3) \_ ينظر: الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي (ت: 974)، دار الفكر، بيروت، د ت ط، (ص: 172).

(4) \_ ينظر على سبيل المثال: المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 223).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

أما عن الجانب الفقهي؛ فابن عطية يُعدُّ من أعيان المذهب المالكي، والمتتبع لتفسيره يظهر له نقله كثيرا لأراء المالكية في المسائل الفقهية، كما يكثر من نقل الخلاف في المذهب، وقد يُرجح وقد لا يُرجح.

— فمن الأمثلة على نقله للخلاف مع الترجيح؛ ما نقله في مقدار الإطعام في كفارة الصيد، حيث ساق أراء المالكية في ذلك ثم قال: «وقال يحيى بن عمر من أصحابنا؛ إنما يقال كم من رجل يشبع من هذا الصيد فيعرف العدد. ثم يقال كم من الطعام يُشبع هذا العدد. فإن شاء أخرج ذلك الطعام، وإن شاء صام عدد أمداده». ثم علّق على القول السابق بما يُوضّح أنّه اختاره بقوله: «وهذا قول حسن أحاط فيه؛ لأنه قد تكون قيمة الصيد من الطعام قليلة فبهذا النظر يكثر الطعام»<sup>(1)</sup>.

— ومن الأمثلة على نقله للخلاف في المذهب دون ترجيح؛ ما ذكره في التيمم بالتراب المنقول في طبق وغيره، وكذا التيمم بما طُبّخ، أو بالعود والنبات حيث قال: «وأما التراب المنقول في طبق وغيره، فجمهور المذهب جواز التيمم به، وفي المذهب المنع، وهو في غير المذهب أكثر، وأما ما طُبّخ كالأجر والحصّ ففيه في المذهب قولان، الإجازة والمنع. وفي التيمم على الجدار الخلاف، وأما التيمم على النبات والعود فاختلف فيه في مذهب مالك، فالجمهور على منع التيمم على العود، وفي مختصر الوقار: أنه جائز»<sup>(2)</sup>.

ومع كونه مالكيًا في مذهبه إلاّ أنّه يذكر أحيانا أراء المالكية ويتعقبها بردها وترجيح غيرها، ومن ذلك: ما

أورده في معنى التفرّق في قوله ﷺ: ﴿وَلَا يَنْفَرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا

حَكِيمًا﴾<sup>(130)</sup> [النساء]، حيث نقل أنّ بعض فقهاء المذهب اعتبروا التفرّق إنما هو بالقول لا بالبدن، واستندوا إلى أنّه مذهب مالك في قوله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا»<sup>(3)</sup>. ثمّ تعقب ذلك بقوله: «ولا حجة في هذه الآيّة، لأن إخبارها إنما هو من افتراقهما بالأبدان، وتراخي المدة بزوال العصمة، و«الإغناء» إنما يقع في ثاني حال، ولو كانت الفرقة في الآيّة الطلاق لما كان للمرأة فيها نصيب يوجب ظهور ضميرها في الفعل، وهذه نبذة من المعارضة في المسألة»<sup>(4)</sup>.

كما أنّه ينقل أراء المذاهب الأخرى ومن ذلك:

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (62 / 1) و: (239 / 2)، (330 / 2) و: (450 / 2).

(2) — المصدر نفسه، (60 / 2).

(3) — أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتبما ونصحا، رقم: 2079 (58 / 3). ومسلم، كتاب البيوع، باب ثبوت خيار المجلس للمتبايعين، رقم: 1531 (3 / 1163).

(4) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (121 / 2).

\_\_ ما نقله في شهادة العبيد عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [البقرة: 282] حيث قال: «واختلف العلماء فيهم فقال شريح وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل: شهادة العبد جائزة إذا كان عدلاً، وغلبوا لفظ الآية. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وجمهور العلماء: لا تجوز شهادة العبد، وغلبوا نقص الرق»<sup>(1)</sup>.

ويجدر التنبيه إلى إكثاره النقل عن المذاهب الأخرى، حتى إنّه في كثير من الأحيان ينتهج طريقة الفقه المقارن بعرض الأقوال ومناقشتها، ومن هنا يظهر مجانبة بعض الباحثين للصواب؛ حيث قرروا أنّ ابن عطية اقتصر على ذكر آراء المالكيّة في المسائل الفقهيّة من غير توسع ولا استطراد<sup>(2)</sup>. والمُلاحظ أنّ نَفَس ابن عطية في عرض المسائل الفقهيّة يدلّ على سعيه لمعرفة الحق ونصرته من غير تعصب لرأي أحد كائناً من كان.

### المطلب الرابع: مكانته العلمية

لقد حظي تفسير المحرّر الوجيز بمكانة علميّة مرموقة، حيث يكاد يكون محلّ إجماع بين المشتغلين بالعلم قديماً وحديثاً، ويظهر ذلك من خلال ثنائهم عليه، ومن هؤلاء: أبو حيان حيث قال عن ابن عطية: «أجل من صنّف في علم التفسير، وأفضل من تعرّض للتنقيح فيه والتحرير»<sup>(3)</sup>. وقال عنه ابن جزّي: «وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها؛ فإنّه اطّلع على تأليف من كان قبله فهذبها ولخصّها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظ على السنة»<sup>(4)</sup>. وقال محمد حسين الذهبي: «تفسير ابن عطية المسمى بـ "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" تفسير له قيمته العالية بين كتب التفسير وعند جميع المفسّرين، وذلك راجع إلى أنّ مؤلفه أضفى عليه من روحه العلمية الفياضة ما أكسبه دقة ورواجاً وقبولاً. وقد لخصه مؤلفه من كتب التفاسير كلها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حسن المنحى»<sup>(5)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 381).

(2) \_ ذكر هذا مصطفى المشيني في كتابه مدرسة التفسير في الأندلس، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: 1، 1406هـ-1989م، (ص: 494).

(3) \_ البحر الحيط، أبو حيان، (1/ 20).

(4) \_ التسهيل لعلوم التنزيل، محمد ابن جزّي (ت: 741هـ)، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: 1 - 1416 هـ، (1/ 20).

(5) \_ التفسير والمفسرون، حسين الذهبي (ت: 1398هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، د ت ط، (1/ 172).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

من خلال الأقوال والشهادات السابقة يمكن استنتاج بعض المزايا التي جعلت هذا السفر يلقي القبول والثناء الحسن، ومن ذلك ما يلي:

- \_ اعتماده على التفسير بالمأثور، وذلك من أحسن طرق التفسير كما هو معلوم.
- \_ خلو كتابه من كثير مما يوجد في غيره من الشطحات والأباطيل.
- \_ عدم إيغاله في ذكر القصص الواهية.
- \_ رده للكثير من الأباطيل.
- \_ اعتماده على تحرير الأقوال وتهذيبها وتلخيصها، مع حسن العبارة والبعد عن التعقيد.

**في خلاصة هذا المبحث يتضح أنّ تفسير ابن عطية اشتهر بـ"المحرر الوجيز" في القرن الثامن، ولم يعرف بهذا الاسم عند معاصريه، ولعلّ إطلاق هذا العنوان يعود لما أكّده ابن عطية من سلوكه سبيل الاختصار وتحرير الأقوال، ولم يُعرف زمن تأليفه بالتحديد، إلا أنّ القرائن تدلّ أنّ بدايته كانت قبل بلوغ صاحبه سنّ الأربعين، وقد استغرق فيه عدّة سنين، وكان ذلك تقرباً لرب العالمين، وتقييداً لمعاني القرآن الكريم، وتحريرها من عبارات المبطلين. وقد اعتمد على مصادر متنوّعة منها ما تعلق بالتفسير وعلوم القرآن والحديث، كما استفاد من كتب الفقه والتحو واللغة...**

وسلك منهجاً قائماً على تفسير القرآن بالقرآن، كما ركّز على السنة وأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ولم يلزم نفسه بنقل الصحيح، أو إخراج الأحاديث وبيان درجتها. واهتمّ بالقراءات وردّها بعضها ممّا ثبت تواتره فانتقد على ذلك انتقاداً لاذعاً، كما أولى أسباب النزول عناية خاصة وانتقد بعضها، ولم يُكثر من إيراد الإسرائيليات، غير أنّه لم يلتزم بذكر ما لا تنفك الآية إلاّ به. واهتمّ بالتحو واللغة حتى إنّ تفسيره يُعدّ مرجعاً في ذلك. وسلك في عرض المسائل العقديّة طريقة أهل السنّة في العموم، ووافق الأشاعرة في تأويل الصفات، واهتمّ بالردّ على الفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة، ومع ذلك فقد رُمي بالاعتزال! والتهمة في حقّه غير ثابتة. كما كانت له عناية بالجانب الفقهي، إذ لم يكن مجرد ناقل للأقوال، بل كان يناقش ويرجّح دون تعصب لمذهب.

وقد حظي تفسيره بالقبول والثناء البديع، حتى إنّ يكاد يكون محلّ إجماع، فسارت به الرّكبان، واستفاد منه رواد العلم عبر الأزمان ما بين ناقل وشارح ومُتعبق ومُلخص، ويعتبر تفسير عبد الرحمن الثعالبي من التفاسير التي اختصرته، وزادت عليه وتعقّبتة في مواطن كثيرة. فمن هو الثعالبي وما المنهج الذي سلكه في تفسيره؟ هذا ما سيأتي بيانه.



### المبحث الثالث: التعريف بالثعالبي

أتطرق في هذا المبحث إلى دراسة موجزة عن الثعالبي، وذلك من خلال مطلبين، خصّصت الأول لحياته الشخصية، بينما يأتي الثاني لإيراد حياته العلمية.

#### المطلب الأول: الحياة الشخصية للثعالبي

لن أفصّل كثيراً في بيان الجوانب الشخصية في حياة عبد الرحمن الثعالبي، وإّما سأكتفي بالتعريج على اسمه ونسبه، بالإضافة إلى مولده ونشأته، لأختتم بوفاته.

#### أولاً\_ اسمه ونسبه:

هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف بن طلحة، ابن عامر ابن نوفل، بن عامر بن مخلوف بن عمر بن نوفل بن عامر، بن منصور بن محمد، بن سباع، بن مكّي ابن ثعلبة بن موسى، بن سعيد بن مفضل، بن عبد البر، ابن قيس، ابن هلال، ابن عامر، بن حسان، بن محمد بن جعفر، بن أبي طالب الجعفري<sup>(1)</sup>. يعود نسبه إلى الصحابي الجليل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ، وقد فنّد ابن خلدون ذلك، بينما يرى بعض المؤرخين والنسابة صحته<sup>(2)</sup>.

يُكنى بأبي زيد وأبي يحيى وأبي محمد، واشتهر بالثعالبي نسبة إلى الثعالبة وهي قبيلة مشهورة<sup>(3)</sup>، ذكر ابن خلدون أنّهم ينتسبون إلى ثعلب بن علي، وقد كانت مواطنهم متصلة بالتلول الشرقية، فدخلوا من ناحية قزول<sup>(4)</sup> وتدرجوا إلى ضواحي مديّة ونزلوا جبل تيطري ثم نزلوا إلى متيجة واستقروا بها<sup>(5)</sup>، وهي منطقة تقع حالياً "بواد يسر" بالجنوب الشرقي لمدينة الجزائر<sup>(6)</sup>.

(1) \_ جاء ذكر هذا النسب منقوشاً بجانب تابوته تحت المحراب.

(2) \_ ينظر: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي (ت: 1364هـ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: 1، 1406هـ - 1986م، (2/ 194).

(3) \_ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي (ت: 902هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت ط، (152/4) و: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، عبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ)، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1982م، (2/ 732).

(4) \_ قزول: سفح جبل من مدينة من مدن الغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان تسمى: تاهرت. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد الله الحميري (ت: 900هـ)، ت: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ط: 2، 1980م، (ص: 126).

(5) \_ ينظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (6/ 84).

(6) \_ معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض، بيروت، ط: 3، 1409 هـ/ 1988 م، (1/ 276).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

### ثانياً\_ مولده ونشأته:

غالب من تناول ترجمة الثعالبي ذكر أنه ولد عام: (786هـ)<sup>(1)</sup>، بينما حكى التنبكي الشك في ذلك؛ بين (785هـ) و: (786هـ)<sup>(2)</sup>. وقد كانت ولادته بواد يسر.

أمّا عن بدايات نشأته، فلم تُورد التراجم التي وقفت عليها ما يتعلق بذلك، إلا أنّ القرائن تدلّ أنّه نشأ في بيت علم وورع، ومّا يؤكد ذلك: أنّ والده كان صاحب دين وخلق متين، مهتمّ بالعلم، حتى أنّه توفي أثناء رحلته العلمية، وقد أثنى عليه الثعالبي ثناءً بديعاً واصفاً له بالاجتهاد في العبادة، مع زهد وعفاف وعلو همة.

ومّا يبرز أثر الوالد في تكوين ولده أنّه وجّهه للرحلة في طلب العلم وهو في مقتبل شبابه عام: (802هـ)، كما ذكر ذلك عن نفسه، حيث جالس ثلّة من كبار علماء بجاية، وخصّ منهم عبد الرحمان الوغليسي<sup>(3)</sup> والمانجلاتي<sup>(4)</sup>، ووصفهم بأنهم أهل علم وفقه وورع؛ لأنهم لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم<sup>(5)</sup>.

فرحلته في مثل ذلك السنّ، وتمييزه لأفاضل العلماء، وجلوسه في مجالسهم، يدلّ أنّه ترعرع في بيت علم وورع، وأخذ مبادئ العلوم وحفظ القرآن في الصغر على عادة أغلب العلماء. ولقد استمر في التحصيل وشبّ عليه، وسافر إلى كثير من الأقطار، فكسب علماً غزيراً، فعُرف به، كما عُرف بزهد وورعه.

### ثالثاً\_ وفاته:

ذكر السخاوي أنّ وفاة الثعالبي كانت سنة: (875هـ)، بينما حكى محمد مخلوف الشك في ذلك؛ بين سنة ست أو خمس وسبعين وثمانمائة<sup>(6)</sup>.

وقد توفي رحمه الله بعد مسيرة حافلة في طلب العلم وتعليمه، وهذا ما سيتضح من خلال المطلب الموالي.

(1) \_ ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، ت: عبد الحميد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م، (382/1). الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002 م، (331/3).

(2) \_ ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد التنبكي، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط: 2، 2000 م، (ص: 260).

(3) \_ هو: أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي، عالم بجاية ومفتيها، له المقدمة المشهورة وفتاوى، أخذ عنه جماعة كأبي الحسن علي بن عثمان وبلقاسم بن محمد المشدالي، توفي سنة (786هـ) ببجاية. ينظر: نيل الابتهاج، التنبكي، (ص: 248).

(4) \_ هو: علي بن عثمان المنجلاتي الزواوي البجائي من علمائها وفقهائها، أخذ عن الشيخ عبد الرحمن الوغليسي وغيره، وهو والد العلامة أبي منصور مفتي بجاية، له فتاوى نُقل بعضها في المازونية والمعيار. ينظر: نيل الابتهاج، التنبكي، (ص: 332).

(5) \_ ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي، ت: عمار الطالبي، عالم المعرفة، الجزائر، ط: خاصة، 2011م، (159/4).

(6) \_ ينظر: الضوء اللامع، السخاوي، (152/4). شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (382/1).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

### المطلب الثاني: الحياة العلمية للثعالبي

المتتبع للكتب التي ترجمت للثعالبي يقف على جوانب مهمّة تبرز مكانته العلمية، ومما يظهر ذلك ما يلي:  
أولاً - رحلاته وشيوخه:

لقد دأب العلماء من قديم على الترحال في طلب العلم والسعي في تحقيقه، للعودة بالزاد الذي يؤهلهم للقيام بالمهام الإصلاحية امتثالاً لأمر المولى ﷺ القائل في كتابه: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (122) [التوبة]، ولم يخالف الثعالبي تلك العادة، فجاب أقطارا كثيرة، وجالس علماء في فنون عديدة، فاستفاد خيرا عظيما، ومما يُحسب له أنّه أرخ لرحلاته في طلب العلم، وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم في كل مرحلة، ممّا يعين على معرفة منهج العلماء في زمانه في التدرّج في نيل العلوم، وأهم الحواضر العلمية التي يتجه إليها من علت همته.

ومما ينبغي التنبيه عليه؛ أنّ عناية الثعالبي ببيان رحلاته وشيوخه، إنّما هو نتيجة إدراكه بأهمية معرفة طالب العلم لمؤهلات من يتلقى عليه العلم، ليستفيد منه ويبقى أثر العالم بعد موته، ومما يؤكد ذلك قوله في الجامع الكبير: « وينبغي لمن أَلّف أن يُعرف بزمانه وبمن لقيه من أشياخه، فيكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره، ويسلم من الجهل به، وقد قلّ الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزمان، فكم من فاضل انتشرت عنه فضائل جُهل حاله بعد موته، لعدم الاعتناء بهذا الشأن» (1).

وقد بدأت رحلته العلميّة نحو بجاية<sup>(2)</sup>، وكان ذلك سنة: (802هـ)، مكث بها سبعة أعوام، وبقيت هذه العلاقة العلمية بين الثعالبي وبجاية موصولة حتى بعد رجوعه إلى الجزائر العاصمة واستقراره بها، ومن دلائل هذا التواصل؛ مراسلة الثعالبي لأحد أعيان بجاية يحثّه على استنهاض الهمم لمواجهة الخطر الاسباني، إضافة إلى مراسلة يحيى العبدلي له، حيث سأله فيها أن يكتب تأليفا له ولأصحابه<sup>(3)</sup>.

(1) \_ الجامع الكبير الملحق بشرح الحاجب، عبد الرحمان الثعالبي، مخ المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: (851)، (ق: 47 أ).

(2) \_ بجاية مدينة جزائرية، تقع شمال مدينة الجزائر العاصمة بجوالي: (200 كلم)، وتطل على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة تاريخية، فقد أسسها الفينيقيون وأطلقوا عليها اسم: صلداي، وقد دخلها الإسلام عام: (61هـ). ينظر: موسوعة مدن العالم، حسام الدين عثمان، دار العلوم للنشر والتوزيع، مصر، ط: 1، 2012م، (ص: 40).

(3) \_ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله (ت: 1435هـ)، دار البصائر، الجزائر، ط: 3، 2007م، (1/ 201).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

وبعد أن أخذ الثعالبي زاده من بجاية، قصد تونس أواخر (809هـ)، ومنها اتجه إلى مصر ومكة، ويذكر الجيلالي أنّ الثعالبي زار مدينة بورصة بتركيا، وأقيمت هناك زاوية باسمه وهي موقوفة عليه إلى الآن، ثمّ رجع بعدها إلى مصر، ومنها إلى تونس، ليستقر به المقام بعد رحلة دامت أكثر من عشرين سنة بمدينة الجزائر في الفترة بين: (820 \_ 833 هـ)<sup>(1)</sup>.

ومن أهم العلماء الذين استفاد منهم في رحلته:

- 1\_ علي بن عثمان المانجلاتي<sup>(2)</sup> الذي وصفه في الجواهر بسيد علماء بجاية<sup>(3)</sup>.
- 2\_ الشريف التلمساني<sup>(4)</sup>، قال الثعالبي: «وعليه كانت عمدة تجويدي للقرآن»<sup>(5)</sup>.
- 3\_ أحمد بن أبي زيد النقاوسي<sup>(6)</sup>.
- 4\_ أبو عبد الله الأبي<sup>(7)</sup>، الذي وصفه بالجامع بين علمي المنقول والمعقول، وأوضح أنّ أكثر عمدته عليه<sup>(8)</sup>.
- 5\_ أبو القاسم البرزلي<sup>(9)</sup>، أخذ عنه صحيح البخاري<sup>(10)</sup>.

- 
- (1) \_ ينظر: تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط: 2، 1384هـ\_1965م، (281/2).
  - (2) \_ تقدمت ترجمته. ينظر: (ص: 50).
  - (3) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (485/2).
  - (4) \_ هو: أبو الربيع سليمان بن الحسن البوزيدي، الشريف التلمساني، قال عنه أبو البركات: « شيخنا الفقيه المحقق كان قائما على المدونة وابن الحاجب، يستحضر فقه ابن عبد السلام نصب عينيه». ينظر: نيل الابتهاج، التبكتي، (ص: 103).
  - (5) \_ الجامع الكبير، الثعالبي، (ق: 39\_أ).
  - (6) \_ هو: أبو العباس أحمد بن أبي زيد النقاوسي المالكي، قال عنه الثعالبي: « هو شيخنا الإمام المحقق الجامع بين علمي المعقول والمنقول، ذو الأخلاق المرضية، والأحوال الصالحة السنية» فقيه مالكي، له شرح على القصيدة الخرجية. ينظر: نيل الابتهاج، التبكتي، (ص: 111).
  - (7) \_ هو: أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بالأبي الوشتاتي، فقيه أصولي من أصحاب بن عرفة، أشهر مصنّفاته " إكمال المعلم بشرح مسلم، توفي سنة: (828 هـ). ينظر: شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (1/ 351).
  - (8) \_ ينظر: رحلة الثعالبي، عبد الرحمن الثعالبي، ت: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت \_ لبنان، ط: 1، 1426هـ، 2005م، (ص: 109).
  - (9) \_ هو: أبو القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي البلوي القيرواني، أحد علماء المالكية، كان موصوفاً بشيخ الإسلام، من مؤلفاته الفتاوى في مجلدين توفي سنة: (844 هـ). ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، التبكتي، (ص: 368).
  - (10) \_ الجامع الكبير، الثعالبي، (ق: 40\_أ).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

6\_ عيسى بن يحيى الغبريني<sup>(1)</sup>.

7\_ ولي الدين العراقي<sup>(2)</sup>، وقد أجازته عدّة إجازات، وكان له أثر كبير في اشتغاله بعلم الحديث<sup>(3)</sup>.

هؤلاء بعض شيوخه، وقد أخذ الثعالبي عنهم فنون عديدة أهلته أن ينفع الناس تدريساً وتأليفاً.

### ثانياً\_ تلاميذه ومؤلفاته:

كثرة التلاميذ دليل على الرّسوخ في العلم، كما أنّ القيمة العلمية للتأليف، وتنوع الموضوعات المطروحة تؤكد المكانة العلمية لصاحبها، والمتتبع لترجمة الثعالبي يقف على عظيم نفعه لغيره تدريساً وتأليفاً. فمن تلاميذه أذكر:

1\_ محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد<sup>(4)</sup>.

2\_ أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي<sup>(5)</sup>.

3\_ أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني<sup>(6)</sup>.

(1) \_ هو: أبو مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد الغبريني، عالم تونس وحافظ المذهب المالكي بها، قال عنه الثعالبي: واحد زمانه علماً وديناً وورعاً، وإليه كانت الرحلة في زمانه، توفي سنة (815 هـ). ينظر: الجامع الكبير، الثعالبي، (ق: 40\_أ). شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (ص: 243).

(2) \_ هو: أبو زرعة، أحمد بن عبد الرحيم العراقي، الحافظ المحدث الفقيه، تولى قضاء الديار المصرية بعد البلقيني، من مؤلفاته: تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، توفي سنة: (826 هـ). ينظر: لحظ الألاحظ بذيّل طبقات الحفاظ، محمد بن محمد الأصفواني (ت: 871 هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1419 هـ - 1998 م، (ص: 187).

(3) \_ ينظر: رحلة الثعالبي، الثعالبي، (ص: 110).

(4) \_ هو: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني، عرف بالكفيف، كان والده عالماً متبحراً وسار على نهجه، من مؤلفاته شرح المختصر، أخذ العلم عن ثلّة من الأعلام منهم: أبو عبد الله محمد المشندالي وعبد الرحمان الثعالبي. ينظر: نيل الابتهاج، التنبكتي، (ص: 574).

(5) \_ هو: أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي، صاحب العقيدة المنظومة اللامية المشهورة، قال فيه بعض العلماء: وقد ذكر أبا زيد عبد الرحمن الثعالبي هو نظيره علماً وعملاً، توفي سنة: (884 هـ). ينظر: المصدر نفسه، (ص: 127).

(6) \_ هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، عالم ومفتي وشاعر متمكّن، أخذ العلم عن ثلّة من الأعلام منهم: ابن مرزوق الحفيد، ألف كتاب في مسائل القضاء والفتيا، كما شرح عقيدة ابن الحاجب توفي سنة: (899 هـ). ينظر: شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (1/ 386).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

4\_ أبو الحسن التالوتي الأنصاري<sup>(1)</sup>.

5\_ علي بن عبّاد التستري<sup>(2)</sup>.

أمّا عن مؤلفات الثعالبي، فقد ترك ثروة هائلة مازال الكثير منها دون تحقيق وعناية، ومن مؤلفاته:

1- الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

2- تحفة الأقران في إعراب بعض آي القرآن.

3- الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز.

4- شرح منظومة ابن بري في قراءة نافع.

5- أربعون حديثاً مختارة.

6- المختار من الجوامع.

7- روضة الأنوار، جمعه من نحو من ستين من أمهات الدواوين المعتمدة.

8- جامع الأمهات في أحكام العبادات.

9- الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة.

10- العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة.

11- جامع الفوائد.

12\_ غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، وهو عبارة عن فهرس لمرويات ومؤلفات الثعالبي<sup>(3)</sup>.

---

(1) \_ هو: أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الأنصاري، كان محققاً متقناً حافظاً؛ يحفظ كتاب ابن الحاجب ويستحضره بين عينيه، توفي سنة: (895 هـ). ينظر: نيل الابتهاج، التنبكي، (ص: 341).

(2) \_ هو: علي بن عبّاد التستري البكري الفاسي المغربي، أخذ عن أبي بكر البرجي الفقه وأسئلة كثيرة عن محمد القوري، وسمع الحديث على عبد الرحمن الثعالبي، ومن تأليفه لطائف الإشارات في مراتب الأنبياء في السموات. ينظر: نيل الابتهاج، التنبكي، (ص: 342).

(3) \_ ينظر: غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، عبد الرحمن الثعالبي، ت: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت \_ لبنان، ط: 1، 1426هـ، 2005م. شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (1/ 382).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

وقد أثنى العلماء على مصنفات الثعالبي، قال السخاوي: «كان إماما علامة، مصنفًا ...»<sup>(1)</sup>. وقال التنبكي: «وأما تأليفه فكثيرة كتفسيره "الجواهر الحسان" في غاية الحسن، اختصر فيه "ابن عطية" مع فوائد وزوائد كثيرة، و "روضة الأنوار ونزهة الأخيار"، وهو قدر "المدونة"، فيه لباب من نحو ستين من أمهات الدواوين المعتمدة، وهو خزانة كتب لمن حصله قال: «وجمعه في سنين كثيرة، فيه بساين وروضات...»<sup>(2)</sup>. وفي شجرة النور: «له تأليف كثير مفيدة، منها تفسير اختصر فيه ابن عطية وشحنه بفوائد كثيرة»<sup>(3)</sup>.

### ثالثا\_ ثناء العلماء عليه:

قد حظي الثعالبي بالقبول والثناء من طرف أهل العلم، قال عنه السخاوي: «كان إماما علامة مصنفًا اختصر تفسير ابن عطية في جزأين، وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين، وعمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك»<sup>(4)</sup>.

ونقل التنبكي عن البكري أنه قال: «كان شيخنا الثعالبي رجلاً صالحاً، زاهداً عالماً، عارفاً ولياً، من أكابر العلماء، له تأليف جمّة، أعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا بشراء ولا عوض، عاوضه الله بالجنة».

وقال التنبكي: «الشيخ الإمام الحجة، العالم العامل الزاهد الورع ولي الله، النَّاصِح الصالح العارف بالله؛ أبو زيد، شهر بالثعالبي، صاحب التصانيف المفيدة، من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين». وقال أيضاً: «وهو ممن اتفق النَّاس على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالقلم والدين والصلاح، كالإمام الأبيّ والولي العراقي والإمام الحفيد ابن مرزوق»<sup>(5)</sup>.

من خلال ما سبق في هذا المبحث، يظهر أنّ الثعالبي نشأ في بيت علم وورع، فكان ذلك دافعاً له للسعي في طريق العلم وتحصيله، والرحلة في سبيل تحقيقه، فقصده مواطن العلم في الداخل والخارج، على غرار بجاية وتونس ومصر والبقاع المقدّسة، وقد استغرقت رحلته أكثر من عشرين سنة، استفاد من شيوخ كثر وفي فنون مختلفة، هذا ما جعله مقصد الطلاب، كما كان له جانب مشرق في التأليف، ومن أهم مؤلفاته التي لاقت رواجاً لافتاً؛ "تفسير الجواهر الحسان"، ويأتي المبحث الموالي ليُعرّف بهذا السفر ويبين مكانته، من خلال الإجابة على ما يلي:

(1) \_ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، (4/ 152).

(2) \_ نيل الابتهاج، التنبكي، (ص: 259).

(3) \_ شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (1/ 382).

(4) \_ الضوء اللامع، السخاوي، (4/ 152).

(5) \_ نيل الابتهاج، التنبكي، (ص: 257).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

---

ما عنوان تفسيره؟ ومتى كان تأليفه؟ وما الأسباب الداعية لذلك؟ ما أهم المصادر التي اعتمد عليها؟ وما المنهج الذي سار عليه، وفيما تظهر مكانته العلمية؟



### المبحث الرابع: التعريف بتفسير الثعالبي

يتناول هذا المبحث تعريفا موجزا بتفسير الثعالبي، بذكر عنوانه وتاريخ تأليفه وسبب ذلك، مع الإشارة إلى أهم طبعاته، والمصادر التي اعتمد عليها، بالإضافة إلى منهجه، لأختم ببيان مكانته العلمية. وتفصيل ذلك فيما يلي:

#### المطلب الأول: دراسة ببليوغرافية لتفسير الثعالبي

أتناول في هذا المطلب عنوان تفسير الثعالبي وتاريخ تأليفه، بالإضافة إلى سبب ذلك، لأختم بذكر أشهر طبعات الكتاب.

#### أولا\_ عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه:

وضع الثعالبي لتفسيره عنوانا وهو: " الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وقد صرح بذلك حيث قال: «وسميته بالجواهر الحسان في تفسير القرآن»<sup>(1)</sup>.

والمأمل في العنوان تظهر له بعض الدلالات؛ "فالجواهر" هي الدرر الثمينة، و"الحسان" وصف يزيد من جمالها ورونقها، فهو بذلك يقصد أن يودع في تفسيره العلم النافع، ليكون زينة لصاحبه في الدنيا والآخرة، وهو ما أشار إليه بقوله: «وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكيم، وجواهر السنن الصحيحة، والحسان الماثورة عن سيدنا محمد ﷺ»<sup>(2)</sup>. وقال في خاتمة تفسيره: «وقد أودعته بحمد الله جزيلاً من الدرر، وقد استوعبت بحمد الله مهمات ابن عطية، وأسقطت كثيرا من التكرار وما كان من الشواذ في غاية الوهي، وزدت من غيره جواهر ونفائس لا يُستغنى عنها، مميّزة معزّوة لمخالها، منقولة بألفاظها، وتوخيت في جميع ذلك الصّدق والصواب»<sup>(3)</sup>. فمن خلال كلامه السابق يتضح أنّ سبب وصفه "بالجواهر الحسان" يعود لأمرين:

\_\_ الأول: ما تضمنه من السنن الصحيحة والحسان الماثورة؛ وقد نقل عن ابن عبد البر أهمية الاعتناء بذلك حيث قال: «وقد قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التقصي: «وأولى الأمور بمن نصح نفسه، وأهم رشده؛ معرفة السنن التي هي البيان لمجمل القرآن، بما يوصل إلى مراد الله تعالى من عباده فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذي به الابتلاء، وعليه الجزاء، في دار الخلود والبقاء، التي لها يسعى الألباء العقلاء، والعلماء الحكماء، فمن منّ الله

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (11 / 1).

(2) \_ المصدر نفسه، (9 / 1).

(3) \_ المصدر نفسه، (692 / 4).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

عليه بحفظ السنن والقرآن، فقد جعل بيده لواء الإيمان، فإن فقهه وفهمه واستعمل ما علم دُعي في ملكوت السموات عظيمًا، ونال فضلًا جسيمًا»<sup>(1)</sup>.

ـ الثاني: ما أودع فيه من الجواهر والنفائس مما لا غنى عنه؛ سواء ما نقله عن غيره أو ما قرّره بنفسه. وقد درج أهل العلم على تسميته بهذا الاسم، قال البكري في معرض ثنائه على الثعالبي: «... له تأليف جمّة أعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا بشراء ولا عوض، عاوضه الله بالجنة»<sup>(2)</sup>.

كما اشتهر أيضا تسميته: "بتفسير الثعالبي" نسبة إلى صاحبه. وتجدد الإشارة إلى أنه غير تفسير الثعالبي، حيث وقع الخلط بينهما عند البعض، مثال ذلك: ما وقع في برنامج مكتبة الجامع الكبير الإلكترونية، الإصدار الرابع؛ ففي بطاقة كتاب "الجواهر الحسان" المعدّة للتعريف بالمؤلّف والمؤلّف نجد نسبته صحيحة إلى مؤلّفه، غير أنّ المحتوى يتضمن تفسير الثعالبي المسمى بـ "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" ويقع في عشرة أجزاء!

وأما عن تاريخ تأليفه، فقد بدأ في عام: (832هـ)، وختمه كما صرّح بذلك عام: (833هـ)، حيث قال: «وكان الفراغ من تأليفه في الخامس عشر من ربيع الأول من عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة»<sup>(3)</sup>.

وذكر في موطن آخر أنّه فرغ منه في الرابع عشر من صفر عام: (833هـ)، حيث قال: «وفي الرابع عشر من هذا الشهر تمّ لي تفسير القرآن». وقد حاول الدكتور عمار الطالبي الجمع بين ما سبق، فحمل قصده في الموطن الثاني على احتمال إتمام تدريسه في المسجد<sup>(4)</sup>.

والذي يظهر لي أنّ هذا التوجيه وجيه؛ ذلك أنّ إفادته بالتاريخ الثاني جاء في غير تفسيره<sup>(5)</sup>، فربما يقصد بذلك ما قرّره الدكتور الطالبي، خاصة حين نلمس تلك الرّغبة الملحة عند الثعالبي في إيصال ما ضمّنه في تفسيره للناس حتى يستفيدوا منه، فلا غرابة حينها أنّ يبذل وسعه لتحقيق قصده تأليفا وتدريسا، ويحفل بإتمام ختمه في الحالتين، ومّا يدل على حرصه الشديد لنفع غيره؛ نصيحته التي أودعها في آخر الكتاب حيث قال: «وهذا الكتاب لا ينبغي أن يخلو عنه متدين، ومحّب لكلام ربه، فإنّه يطلع فيه على فهم القرآن أجمع في أقرب مدة، وليس

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (9 / 1).

(2) \_ نيل الابتهاج، التنبكتي، (ص: 258).

(3) \_ المصدر السابق، (4 / 693).

(4) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (مقدمة المحقق).

(5) \_ ذكر ذلك في كتابه المراثي، كما نقله عنه عمار الطالبي. ينظر: المصدر نفسه (مقدمة المحقق).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

الخبر كالعيان»<sup>(1)</sup>. وقال أيضا: «فإن سروري في انتفاع المسلمين به أعظم عندي من السرور الحاصل لي فيما يخصني»<sup>(2)</sup>.

وقد بذل جهده ليصل إلى ربوع بلاد الإسلام شرقا وغربا حيث ذكر أنّ نسحا منه حُمِلت إلى مكة والمدينة، وبيعت نسخة منه إلى بيت المقدس ووصل إلى فاس<sup>(3)</sup>، بل جاء ما يبين أنّه كان يهديه للمشتغلين بالعلم من غير مقابل دنيوي، وهو ما يؤكد قول البكري: «أعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا بشراء ولا عوض، عاوضه الله بالجنة»<sup>(4)</sup>. فمن خلال ما سبق تتضح رغبته في انتفاع المسلمين بهذا السفر القيم، فلا غرابة حينها أن يجتهد في تدريسه وأن يحفل بحتمه، خاصة إذا علمنا اشتغاله بالتدريس كما مرّ في ترجمته.

والمُلاحظ أنّ هذا التفسير قد ألفه صاحبه وعمره ثمانية وأربعون عاما، قضى أغلبها في طلب العلم متنقلا بين البلدان ينهل من علمائها، وقد حصل خلال رحلته علوما شتى، كعلم الحديث والفقه والنحو، مما يبين تمكنه من أدوات التفسير، واضطلاعه بهذا الحمل الثقيل.

كما يُلاحظ أيضا أنّه أتم كتابة تفسيره في وقت قصير جدا لا يزيد عن عام أو عام ونيف، وهذا يعني أنّه تفرغ لتأليفه، وبذل فيه جهدا كبيرا.

### ثانياً\_ سبب تأليفه:

بتتبع كلام الثعالبي الذي أورده حول تفسيره اتضح أنّ أهم أسباب تأليفه تعود إلى ما يلي:

#### 1\_ التقرب إلى الله بالاشتغال بأفضل العلوم:

ومما يؤكد وضوح هذا المقصد؛ نقله لكلام ابن عطية في سبب تأليفه لتفسيره، حيث قال الثعالبي: «قال ع - رحمه الله - بعد كلام في أثناء خطبته: ولما أردت أن أختار لنفسني وأنظر في علم أعدّ أنواره لظلم رمسي، سبرت العلوم بالتنوع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها جبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا وأسطعها أنوارا علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 693).

(2) \_ أورد ذلك في كتابه المراثي، كما نقله عمار الطالبي. ينظر: المصدر نفسه، (مقدمة المحقق).

(3) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (مقدمة المحقق).

(4) \_ نيل الابتهاج، التنبكتي، (ص: 257).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

الأرض، وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبا إلى الله تعالى...»<sup>(1)</sup>. وقد أكد الثعالبي على هذه الغاية بقوله: «والله المسئول أن يجعل هذا السعي منا خالصا لوجهه، وعملا صالحا يقربنا إلى مرضاته»<sup>(2)</sup>.

### 2\_ تلخيص مهمات ابن عطية مع زيادة فوائد عن غيره من أعلام الأمة:

وهذا ما صرح به الثعالبي بقوله: «فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يُقرّر الله به عيني وعينك في الدارين، فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمّة من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة»<sup>(3)</sup>. وأكد على مقصده هذا بقوله: «وها أنا- إن شاء الله- أشرع في المقصود وألتقط من كلام ابن عطية- رحمه الله- ما ستقف عليه من النبد الحسنة المختارة ما تقر به العين»<sup>(4)</sup>.

### 3\_ إرادة نفع غيره؛ ليكون تذكرة للمنتهي وتبصرة للمبتدي، يُسهّل له فهم القرآن في أوجز مدّة:

وفي هذا يقول: «لا يستغني عنه المنتهي وفيه كفاية للمبتدي، يستغني به عن المطولات إذ قد حصل منها لبابها، وكشف عن الحقائق حجابها»<sup>(5)</sup>. وقال في موطن آخر: «وهذا الكتاب لا ينبغي أن يخلو عنه متدين، ومُحبّ لكلام ربه؛ فإنّه يطلع فيه على فهم القرآن أجمع في أقرب مدة، وليس الخبر كالعيان»<sup>(6)</sup>. وقال أيضا: «أسأل الله أن ينفع به كل من حصله»<sup>(7)</sup>.

### ثالثا\_ طبعات الكتاب:

طُبِعَ الكتاب أكثر من مرّة وأشهر طبعاته:

1\_ الطبعة الجزائرية القديمة بالمطبعة الثعالبية وذلك سنة: (1327هـ)، وحسب ما وقفت عليه فإنّها تُعتبر أقدم طبعة، وقد أُدرج في آخر التفسير معجم مختصر في شرح غريب ألفاظ القرآن الكريم. وعيب هذه الطبعة أنّها جاءت من غير عناية ولا تحقيق.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (11 / 1).

(2) \_ المصدر نفسه، (4 / 693).

(3) \_ المصدر نفسه، (1 / 8).

(4) \_ المصدر نفسه، (1 / 11).

(5) \_ المصدر نفسه، (4 / 158).

(6) \_ المصدر نفسه، (4 / 693).

(7) \_ المصدر نفسه، (1 / 11).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

- 2\_ للكتاب طبعة جزائرية أخرى قديمة بعناية محمد بن المصطفى ابن الخوجة سنة: (1905م)، وقد اعتمد في تحقيقها على سبع نسخ قام بمقابلة بعضها ببعض<sup>(1)</sup>.
- 3\_ طبع الكتاب مرّة أخرى بالجزائر، بالمؤسسة الوطنية للكتاب، وذلك عام: (1985م) بتحقيق الدكتور عمار الطالبي ويقع في خمس مجلدات.
- 4\_ طبعة بيروت، بدار إحياء التراث العربي وذلك عام: (1418هـ): بتحقيق: علي معوض - عادل عبد الموجود، عبد الفتاح أبو سنة، ويقع في خمس مجلدات<sup>(2)</sup>.
- 5\_ ثم أعيد طبعه طبعة خاصة سنة: (2011م)، بدار المعرفة بالجزائر في إطار تظاهرة " تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، بتحقيق عمار الطالبي، ويقع في أربع مجلدات، وهي الطبعة التي اعتمدت عليها.

### المطلب الثاني: مصادره

اعتمد الثعالبي على مصادر كثيرة بلغت زهاء المائة في فنون عديدة، وقد صرّح بذلك فقال: «فقد ضمنت بحمد الله المهمّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمّه، من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحقّقين»<sup>(3)</sup>. ومن خلال هذا المطلب سأورد بعضها منسوبة إلى أصحابها:

### أولاً- مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن:

- 1\_ تفسير المحرّر الوجيز لابن عطية، وقد ابتدأت به؛ لأنّه أصل تفسير الثعالبي كما صرّح بذلك في مقدمته حيث قال: «فقد ضمنت بحمد الله المهمّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمّة»<sup>(4)</sup>.
- 2\_ أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي، وقد اعتمد عليه الثعالبي كثيرا، خاصة فيما تعلّق بالأحكام الفقهية، كما اعتمد عليه في بيان بعض أسباب النزول وكذا في الترجيح بين الأقوال، كما استند إليه في بعض

---

(1) \_ ينظر: آثار ابن باديس (ت: 1359هـ)، ت: عمار الطالبي، دار و مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط: 1، 1388 هـ - 1968م، (1/35).

(2) \_ ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزوق بن طهروني، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: 1، 1426 هـ، (2/698).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (8/1).

(4) \_ المصدر نفسه، (8/1).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

تعقبته على ابن عطية<sup>(1)</sup>.

3\_ مختصر تفسير الطبري لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد اللخمي النحوي.

4\_ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للإمام الرازي.

5\_ مختصر البحر المحيط لأبي حيان، اختصره الصفاقسي، وسماه: "المجيد في إعراب القرآن المجيد"، استفاد الثعالبي منه كثيرا خاصة من التاحية الإعرابية، وهذا ما صرح به حيث قال: «وما نقلته من الإعراب عن غير ابن عطية، فمن الصفاقسي مختصر أبي حيان...»<sup>(2)</sup>. ويلاحظ أنّ سبب اعتماد الثعالبي على هذا المصنّف؛ تلك المكانة التي يحظى بها إذ يعدّ من أجلّ كتب الإعراب وأكثرها فائدة<sup>(3)</sup>.

6\_ الكشف والبيان للثعالبي.

7\_ جواهر القرآن، لأبي حامد الغزالي.

8\_ تفسير أحمد بن نصر الداودي.

9\_ مختصر غريب القرآن للحافظ زين الدين العراقي.

ثانياً\_ مصادره في علوم الحديث:

1\_ الموطأ، للإمام مالك.

2\_ صحيح الإمام البخاري.

3\_ صحيح الإمام مسلم.

4\_ سنن أبي داود.

---

(1) \_ على سبيل المثال ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (209/1) و (336/1) و (189 /2).

(2) \_ المصدر نفسه، (8/1).

(3) \_ وهذا ما نصّ عليه محمد مخلوف حيث قال: « وهو من أجلّ كتب الأعراب، وأكثرها فائدة». ينظر: شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (300 /1).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

5\_ سنن الترمذي.

6\_ حلية الأبرار للأمام النووي.

7\_ سلاح المؤمن، لتقي الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن همام المصري الشافعي.

8\_ مصابيح السنة، للبغوي.

9\_ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر بن عبد البر.

### ثالثا\_ مصادره في الترغيب والترهيب والرفائق:

من أهم كتب الرفائق التي اعتمد عليها الثعالبي في تفسيره ما يلي:

1\_ الرفائق، لابن المبارك.

2\_ بهجة المجالس وأنس المجالس، لأبي عمر بن عبد البر.

3\_ إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وقد أكثر عنه التقل، واعتمد أيضا على مختصره لمحمد بن علي بن جعفر البلائي.

4\_ العاقبة، للإمام عبد الحق الأشبيلي.

5\_ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام القرطبي.

### رابعا\_ مصادره في الأحكام الفقهية والأصولية:

1\_ المدونة، لسحنون بن سعيد.

2\_ مختصر ابن الحاجب الفرعي.

3\_ الإمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد.

4\_ البيان والتحصيل لابن رشد.

5\_ مختصر ابن الحاجب المسمى ب "المنتهى".

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

خامسا\_ كتب الخصائص والشمائل:

اعتمد الثعالبي في الجواهر الحسان في هذا الفن على:

1\_ كتاب القاضي عياض، والمسمى ب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى".

2\_ الآيات والمعجزات لابن القطان.

وغير ذلك مما هو مذكور في تفسيره لكتاب الله ﷻ.

من خلال هذا العرض لأهم مصادر الثعالبي في تفسيره يتضح أنه لم يكن مجرد اختصار أو تهذيب لتفسير ابن عطية، بل كان تفسيراً قائماً بذاته، وإن كان عمدته المحرر الوجيز.

### المطلب الثالث: منهجه في التفسير

بيّن المؤلف في مقدمته بعد حمد الله والثناء عليه مقصده من تفسيره؛ حيث عمد إلى تلخيص مهمات ابن عطية، مع الزيادة عليه بنقل فوائد من كتب الأئمة وثقات أعلام الأمة، سعياً منه لنيل الأجر والثواب. ثم أوضح رموز الكتاب وطريقته في النقل، فما كان في آخره (انتهى) فهو مما أخذه عن غير ابن عطية، وأما علامة: (ت) فيقصد بها نفسه، وهي بدلا من (قلت)، وأما (ع) فلابن عطية، و(ص) للصفاقسي، وما زاده على أبي حيان جعل له علامة (م)، وأما ما ظهر له من اختيار فصّده ب (قلت). وبعدها ذكر أهم المصادر الحديثية التي نقل عنها، فجاء كتابه محشواً بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة، والحسان المأثورة لذا سمّاه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن". ثم نقل مقدمة ابن عطية معتمداً في ذلك الاختصار متطرقاً لفضل القرآن وإعراجه وتفسيره، وساق باباً في أسماء القرآن، وباباً في الاستعاذة بين حكمها ومفهومها، وبعدها شرع في تفسير القرآن وفقاً لترتيب المصحف، ومن خلال تتبع تفسير الثعالبي اتضح أنّ منهجه يقوم على ما يلي:

### أولاً\_ اعتماده على القرآن والتفسير بالمأثور:

المعلوم أنّ أفضل طرق التفسير؛ تفسير القرآن بالقرآن، وقد اعتنى الثعالبي في جواهره بذلك أيّما عناية، إذ يورد الآيات ويحمل بعضها على بعض، وهو في ذلك يختصر ما أورده ابن عطية.

كما يستقل ببيان معاني الآيات بإيراد آيات أخرى؛ ومن ذلك ما نقله عند تفسير قوله ﷻ: ﴿إِنَّهَا كُفْرٌ﴾

إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ فَالذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿22﴾ [النحل] قال: «أي منكرة اتحاد



الإله<sup>(1)</sup>. ت: وهذا كما حكى عنهم سبحانه في قولهم: ﴿أَجْعَلْ آلِهَةً إِلَهًا وَنَحْنًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص]»<sup>(2)</sup>.

وبالتتبع لتفسيره اتضح أنه قد يردّ على ابن عطية في بعض المواطن معتمداً على القرآن، ومن ذلك: تعقبه عليه بعد ردّه لقول الزجاج بأن موسى وهارون لم يموتا في التيه لأنه عذاب. فاعتمد الثعالبي في الانتصار لما حكاه الزجاج على ظاهر قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة]»<sup>(3)</sup>.

كما أنه يعتمد على القرآن للترجيح بين الأقوال التي أوردها ابن عطية ومن ذلك: ما نقله من الخلاف في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف:16]، حيث قال: «أي: جعلت كفار قريش والعرب لله جزءاً، أي: نصيباً وحظاً، وهو قول العرب: «الملائكة بنات الله» هذا قول كثير من المتأولين، وقال قتادة: المراد بالجزء: الأصنام وغيرها ف ﴿جُزْءًا﴾ معناه: نداء. قال الثعالبي: وباقي الآية يرجح تأويل الأكثر»<sup>(4)</sup>، والآية التي يشير إليها هي قوله تعالى: ﴿أَمْ إِنَّمَا يُخَلِّقُ بَنَاتٍ وَأَصْفِنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف].

أما ما تعلق باعتماده على السنة والآثار: فقد اتضح من خلال ترجمته عنايته بها من الجانب التنظيري، وذلك من خلال دراسته للحديث رواية ودراية، ونيله للإجازات الكثيرة فيه، ويأتي تفسيره ليؤكد عنايته بها من الجانب التطبيقي، حيث اعتمد على السنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم.

ومن الأمور التي لفتت انتباهي أنّ الثعالبي اهتم بترجيح بعض المسائل التي حكى فيها ابن عطية الخلاف دون بيانه للقول المختار، كما اهتم أيضاً بالتعقب على غيره وترجيح خلاف ما ذهبوا إليه، وهذا ملحوظ تفتن له بعض من تكلم عن منهجه، بيد أنهم لم يسيروا إلى عنايته بقواعد الترجيح، فغاية ما ركزوا عليه \_ حسبما وقفت عليه \_ إيراد بعض الأمثلة للدلالة على أنه يرجح مثلاً ما ذهب إليه الطبري أو غيره<sup>(5)</sup>، حتى إنّ القارئ يظن أنّ ذلك منهج سار عليه وهو من المسلمّات، والحق أنّ الثعالبي وافق ابن جرير أو غيره فيما يراه صواباً، كما خالفهم

(1) \_ يقصد: منكرة وحدانية الله ﷻ.

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 420).

(3) \_ المصدر نفسه، (1/ 89).

(4) \_ المصدر نفسه، (4/ 165).

(5) \_ ذكر هذا عمار الطالبي في مقدمة تحقيقه لتفسير الجواهر الحسان.

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

في العديد من القضايا، وقد أفردت رسالة جمع فيها صاحبها استدراقات الثعالبي على الطبري فاقت \_ حسبه \_ المائة<sup>(1)</sup>، وهذا ما يبين أن ترجيحات الثعالبي لم تكن مجرد ميول لمن اشتهر اسمه، أو ذاع صيته، وإنما كان يعتمد على قواعد معروفة ومنها ما تعلق بالسنة والآثار، ومما يؤكد ذلك ما يلي:

أ \_ عند تطرقه لتفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:14]، نقل كلام ابن عطية: «يحتمل أن يريد: لِتَذَكُرَنِي فيها، أو يريد: أَذْكَرُكَ فِي عِلِّيِّينَ بها، فالمصدر محتمل الإضافة إلى الفاعل، أو المفعول. وقالت فرقة: معنى قوله: ﴿لِذِكْرِي﴾ أي: عند ذِكْرِي، أي: إذا ذكرتني، وأمرني لك بها». وعقَّب الثعالبي بقوله: «وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من نسي صلاة، فليصلها إذا ذكرها فإنَّ ذلك وقتها، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾»<sup>(2)</sup>، فقد بين لك ﷺ ما تحتمله الآية، والله الموفق بفضله...»<sup>(3)</sup>. وهذا تأكيد منه على أهمية التفسير النبوي، وإقرار لقاعدة "أنَّ تفسير النبي ﷺ مقدم على تفسير غيره". وقد أكد على هذه القاعدة في موطن آخر، بعد أن اعتمد على حديث نبوي في بيان معنى، قال: «ولا نظر مع الحديث»<sup>(4)</sup>.

ب \_ أورد الخلاف في المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق:19]، حيث ذكر قول ابن وهب عن جماعة من أهل العلم أنَّ قوله ﷺ: ﴿وَأَسْجُدْ﴾ خطاب للنبي ﷺ، وأنَّ قوله: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ خطاب لأبي جهل؛ أي: إن تجترئ حتى ترى كيف تهلك، ورجَّح الأول بقوله: «والتأويل الأول أظهر يدل عليه قوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»<sup>(5)</sup>. فهو بهذا يعتمد على قاعدة "إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجَّح له عمَّا خالفه".

ج \_ نقل الثعالبي قول ابن إسحاق في المراد ب "الفريق" في قوله تعالى: ﴿أَفَنْظَمُونَ أَنَّهُ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:75]؛ أنَّهم طائفة من السبعين الذين سمعوا كلام الله مع موسى وتعقب ذلك بقوله: «وهذا يحتاج إلى سند صحيح».

(1) \_ عنوان الرسالة استدراقات الإمام الثعالبي على الإمام الطبري في تفسيره وهي رسالة دكتوراه، إعداد الباحث: عبد النَّاصر محمد، إشراف: وجيه محمود، جامعة ألبينا، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، تاريخ المناقشة: (2019/1/1).

(2) \_ أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر، ولا يعيد إلا تلك الصلاة، رقم: (597)، (1/123)، ومسلم، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، رقم: 314 - (684)، (1/477).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (3/40).

(4) \_ المصدر نفسه، (2/205).

(5) \_ المصدر نفسه، (4/644).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

ومن خلال ردّه لما ذهب إليه ابن إسحاق؛ فهو يقرّر قاعدة "لا يصح حمل الآية على تفسيرات لأموور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة".

وأما ما تعلق بالاعتماد على آثار الصحابة، فقد أبان الثعالبي احترامه الشديد لها<sup>(1)</sup>، فعند إيراده للخلاف في المقسم به في قوله ﷺ: ﴿لَعَنَ كُفْرًا لِيَسْكُرُوا فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر]؛ حيث ذهب ابن عباس ﷺ أنّه نبينا محمد ﷺ، وهو قول الجمهور، وذكر الثعالبي أنّ السفاقي قال أنه لوط عليه السلام، وهو ما ذكره ابن العربي قبله مدللاً على ذلك بسياق الآية التي فيها ذكر لوط عليه السلام منكرًا على قول الجمهور؛ بحجة أنّه لا ينبغي أن يُخرج من كلام إلى كلام آخر غيره لم يجز له ذكر لغير ضرورة، فتعقب الثعالبي ذلك بقوله: «وما ذكره الجمهور أحسن؛ لأنّ الخطاب خطاب مواجهة؛ ولأنّه تفسير صحابيٍّ، وهو مقدّم على غيره»<sup>(2)</sup>.

والملاحظ أن الثعالبي نصّ على قاعدة "قول الصحابي مقدم على غيره"، وقدمها على قاعدة "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك"، كما يلاحظ أنّه استدرك على الصفاقسي وابن العربي رغم أنّه يعتمد عليهما كثيرا، وهذا ما يبين الروح النقديّة التي يمتاز بها<sup>(3)</sup>.

ومّا امتاز الثعالبي به على ابن عطية؛ اعتناؤه بتخريج الأحاديث بعزوها إلى مصادرها، كما اهتم بنقل الرواية التي فيها زيادات، إضافة إلى عنايته بشرح الغريب، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

(1) \_ وذلك مبنيّ على احترامه للصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومّا يؤكّد ذلك تعقبه لابن العربي حين نقل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾ [الحجر] ما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس أنه قال: «كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ، قال ابن عباس: ولا، والله، ما رأيت مثلها قط، قال: فكان بعض المسلمين، إذا صلوا تقدموا، وبعضهم يستأخر، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم، فأنزل الله الآية»، فظهر للثعالبي أنّ في ذلك إقلال من مكانة الصحابة الكرام فتعقب بقوله: ت: والحديث المتقدم، إن صح، فلا بد من تأويله، فإن الصحابة ينزهون عن فعل ما ذكر فيه، فيؤول بأن ذلك صدر من بعض المنافقين، أو بعض الأعراب الذين قرب عهدهم بالإسلام، ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم، وأما ابن عباس، فإنه كان يومئذ صغيرا بلا شك، هذا إن كانت الآية مدنيّة، فإن كانت مكّيّة، فهو يومئذ في سن الطفوليّة، وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه. ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/401).

(2) \_ المصدر نفسه، (2/408).

(3) \_ للوقوف على التفصيل في اعتماد الثعالبي على قواعد الترجيح ينظر: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار عند الثعالبي من خلال تفسيره الجواهر الحسان، بلال أودني، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلاميّة باتنة 1، مجلد: 20، العدد: 24، ماي 2020، (ص: 187\_208).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

\_\_ نقل الحديث الذي أورده ابن عطية في فضل سورة البقرة وآل عمران، ثم خرّجه وساق الترواية الواردة في الصحيح بما فيها من زيادات، ثم شرح بعض الألفاظ حيث قال: «ت: أصل الحديث في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيبتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»<sup>(1)</sup>، قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة، فقوله صلى الله عليه وسلم: «غمامتان»، يعني: سحابتين بيضاوين، والغيبتان بالغين المعجمة. أبو عبيد: الغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، وهو مثل السحابة، وفرقان بكسر الفاء، أي: جماعتان. انتهى من السلاح»<sup>(2)</sup>. غير أن الثعالبي لا يهتم بإيراد الأسانيد إلا نادراً.

ومما امتاز به أيضاً؛ أنه يذكر درجة الحديث أحياناً، فإن نقل ذلك من الصحيحين سكت عن حكمه، وإذا خرّج الحديث من سنن الترمذي أو مستدرک الحاكم ذكر حكمهما، ويورد أحياناً موقف بعض العلماء من الحديث كابن عبد البرّ.

وقد وافق صنيع ابن عطية في الفضائل فنقل الضعيف، وبين موقفه من الاحتجاج به في هذا المجال موافقاً في ذلك الجمهور، حيث قال: «... قال ابن العربي في أحكامه: روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قرأ أحدكم: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾<sup>(3)</sup> [التين] فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»<sup>(3)</sup>. ومن رواية عبد الله رضي الله عنه: «إذا قرأ أحدكم أو سمع: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُجِئَ الْوَعْدَ﴾<sup>(4)</sup> [القيامة] فليقل: بلى»<sup>4</sup> انتهى، ت: وهذان الحديثان، وإن كان قد ضعّفهما ابن العربي فهما مما ينبغي ذكرهما في فضائل الأعمال، والله الموفق بفضلته وكرمه»<sup>(5)</sup>.

(1) \_\_ أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم: 252، (1/ 553).

(2) \_\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 44).

(3) \_\_ أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود، رقم: 887، (1/ 234).

(4) \_\_ أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 7385، (7/ 199)، وضعّفه أحمد شاكر.

(5) \_\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 639).

### ثانياً\_ عنايته بالقراءات

اهتمّ الثعالبي بإيراد القراءات، وهو في ذلك ينقل عن ابن عطية، غير أنّه لم يسهب في ذلك كما فعل صاحب المحرّر الوجيز، وتجدد الإشارة أنّ الثعالبي لم ينقل ردّ ابن عطية لبعض القراءات المتواترة، وهذا ما يحسب له، ومن أمثلة ذلك:

أ\_ قراءة أبي جعفر: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة:34] رفع تاء ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ حيث نقل ابن عطية ردّ أبي علي و الزجاج لها ولم يعقب<sup>(1)</sup>، وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الأعراف:11]، ضعّف ابن عطية قراءة أبي جعفر بضم التاء ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ فقال: «وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ بضم الهاء<sup>(2)</sup> وهي قراءة ضعيفة»<sup>(3)</sup>. ولم ينقل الثعالبي عنه ذلك في كلا الموضعين.

ب \_ قراءة ابن عامر ﴿فَيَكُونُ﴾ بالنصب، في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:47]، قال ابن عطية: «وأما قراءة ابن عامر فغير متجهة»<sup>(4)</sup>. وردّها أيضا عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]، حيث قال: «وقرأ ابن عامر ﴿فَيَكُونُ﴾ بالنصب، وهي قراءة ضعيفة الوجه»<sup>(5)</sup>، ولم ينقل الثعالبي ذلك عنه في كلا الموضعين.

\_ كما أنّه تعقّب ابن عطية في ردّه لقراءة حمزة بخفض ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء:1]، وبيّن أنّ القراءة المتواترة لا ترد لأحدها تخالف الأقيسة اللغوية<sup>(6)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 124).

(2) \_ يقصد ضم التاء.

(3) \_ المصدر السابق، (2/ 378).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 437).

(5) \_ المصدر نفسه، (1/ 446).

(6) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 412).

ثالثا\_ إيراده لأسباب النزول:

مما لا شك فيه عند كل دارس أنّ لمعرفة أسباب النزول دور مهم في فهم القرآن؛ لذا فقد اهتم الثعالبي بإيراد ذلك، فأما ما تعلّق بأسباب النزول فساق جملة منها مما تعلّق ببعض الآيات ومن ذلك ما يلي:

أ\_ ساق سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]، حيث قال: عن ابن عباس وغيره: «سبب نزولها حاجة نصارى نجران في أمر عيسى، وقولهم: يا محمد، هل رأيت بشرا قط من غير فحل، أو سمعت به»<sup>(1)</sup> فأنزل الله هذه الآية.

ب\_ عند قوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء] قال: «سبب نزولها قول بعض أحبار يهود: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 91] فأنزل الله سبحانه الآية تكديبا لهم»<sup>(2)</sup>.

والجدير بالتنبيه أنّه يختصر في ذلك ما أورده ابن عطية، كما أنّه ينقل أحيانا عن غيره كابن العربي<sup>(3)</sup> ويؤكد في كثير من المرات أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(4)</sup>.

رابعا\_ موقفه من الإسرائيليات:

إذا كان تفسير ابن عطية مقارنة بكثير من التفاسير قد امتاز بالإقلال من الإسرائيليات، فإنّ الثعالبي كان أشدّ إقلالا منه؛ ويظهر ذلك في إعراضه عن كثير مما أورده ابن عطية، ومن أمثلة ذلك: إعراضه عمّا نقله من الأخبار في قصة آدم وأكله من الشجرة وإخراجه من الجنة. وأحيانا ينقل عنه اختصار ويسوق ذلك بصيغة التمريض، ومن ذلك قصة إهباط آدم ومكان نزوله.

فإن كان فيما نقله ابن عطية تعدّد على مقام العصمة، فإنّه يردّ ذلك، ومن أمثلته: ما أورده من خلاف المفسرين في قوله جلّ ثناؤه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَفَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنْ

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 327).

(2) \_ المصدر نفسه، (1/ 515).

(3) \_ ينظر: المصدر نفسه، (1/ 209) و: (1/ 336).

(4) \_ ينظر: المصدر نفسه، (4/ 530).

الشَّكْرَيْنِ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا ءَاتِيَهُمَا صَاحِبًا جَمَلًا لَهُ شِرْكًا فِيمَا ءَاتِيَهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ [الأعراف]؛ فذهب بعضهم إلى أن المقصود جنس الآدميين، وذهب بعضهم إلى أن المقصود آدم وحواء التي حملت فجاءها الشيطان فأشار عليها أن تسمى ولدها عبد الحارث، وهو اسم إبليس، وقال لها: إن لم تفعلني قتلته، فرعموا أن آدم وحواء أطاعا الشيطان. ثم تعقب الثعالبي هذه الرواية بقوله: « وينزه آدم وحواء عن طاعتها لإبليس، ولم أقف بعد على صحة ما روي في هذه القصص، ولو صح، لوجب تأويله، ثم نقل حديثا يستند إليه أصحاب هذا القول؛ فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال لها: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»<sup>(1)</sup>. ثم نقل عن الترمذي أن الحديث حسن غريب وبين بعض علله، كتفرد عمر بن إبراهيم به عن قتادة، وعمر شيخ بصري. وأوضح بعدها أن الحديث ليس فيه أهما أطاعاه، والواجب التوقف، والتنزيه لمن اجتباه الله، وحسن التأويل ما أمكن، ونقل بعدها كلام ابن العربي في توهين هذا القول وتزييفه، وأنه وراي في ضعيف الحديث وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات، ولا يعول عليها من له قلب، والقول الأشبه بالحق: أن المراد بهذا جنس الآدميين<sup>(2)</sup>.

#### خامسا\_ عنايته باللغة والنحو

اعتمد الثعالبي على اللغة في بيان المعاني، ونقل عن ابن عطية اختصارا، كما نقل عن غيره خاصة الصفاقسي والثعالبي. أمّا ما تعلق بذكر الأوجه الإعرابية فإنه لا يسهب في إيرادها كما هو شأن ابن عطية والصفاقسي، وإنما سلك سبيل الانتقاء والاختصار.

ومع ميّله للاختصار فيما ينقله من معان أو يورده من أوجه إعرابية، إلا أنه لم يكن مجرد ناقل فحسب، بل كان يناقش أحيانا ويتعقب ويرجّح، ومن ذلك ما يلي:

أ \_ تعقب ابن عطية في تحطّته للهدلي إطلاق السلوى على العسل، بعد أن نقل إجماع المفسرين على أنّ المقصود بها في قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ [البقرة: 56] نوع من الطير،

(1) \_ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، رقم: 3077، (276/5)، وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه».

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (96/2).



## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

قال الثعالبي: « قد نقل صاحب المختصر أنه يطلق على العسل لغة فلا وجه لتغليظه لأنَّ إجماع المفسرين لا يمنع من إطلاقه لغة بمعنى آخر في غير الآية»<sup>(1)</sup>.

ب \_ تعقب أبا حيان في انتقاده لما نقله ابن عطية عن شيخه ابن البادش من تقديره ل: (هؤلاء) مبتدأ، و: (أنتم) خبر مقدم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ ﴾ [البقرة: 85]، فقال منتصرا لابن عطية معللا ما ذهب إليه بقوله: «ت: قيل: العلة في ذلك دخول هاء التنبيه عليه لاختصاصها بأول الكلام ويدل على ذلك قولهم: «هأنذا قائما»، ولم يقولوا: «أنا هذا قائما»، قال معناه ابن هشام، ف «قائما»، في المثال المتقدم نصب على الحال»<sup>(2)</sup>.

### سادسا \_ طريقته في عرض المسائل العقدية والفقهيّة:

سار الثعالبي على مذهب الأشاعرة في غالب أبواب الاعتقاد وخالفهم في بعضهما، وحاله في ذلك حال ابن عطية، بل إنه ينقل عليه غالبا.

ومع اختصاره لأقوال ابن عطية في القضايا العقدية، إلا أنه امتاز بأمرين:

الأول: أنه لم يسلم له في كثير من المسائل التي ظهر له أنّ فيها مساس بعصمة الأنبياء، كوصف آدم بالشح، أو إيراد كلام يُفهم منه أن في إهباط آدم من الجنة؛ إنزال من مكانته<sup>(3)</sup>.

الثاني: أنه بذل جهده ليجنب نفسه الوقوع فيما انتقد عليه صاحب المحرر، سواء أتحقق ذلك الانتقاد أم لا، فإن كان الكلام حمّال أوجه فإنّ الثعالبي يجتنبه، ومن الأمثلة التي تبين ذلك؛ ما اتهم به ابن عطية من تشهيره لمذهب الاعتزال، حيث نسب ذلك لابن تيمية، و نُقل عن ابن عرفة<sup>(4)</sup>، وتتبع بعض المواطنين من كلام ابن عطية والتي بسببها ألصقت التهمة به ظهر أنّ الثعالبي يتجنب ذكر الكلام المحتمل فلا يورده، وقد يورده ويتعقبه:

فمثال الأول: يظهر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: 26] قال ابن عطية في المقصود بالزيادة: « قالت فرقة وهي الجمهور: الحُسنى الجنة و الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل، وروي في نحو ذلك حديث عن النبي ﷺ رواه صهيب، وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وحذيفة وأبي موسى الأشعري

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي (87 / 1).

(2) \_ المصدر نفسه، (107 / 1).

(3) \_ ينظر: المصدر نفسه، (67 / 1).

(4) \_ ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية الحراني، دار مكتبة الحياة، بيروت \_ لبنان، ط: 1، 1980، (ص: 38)، الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، (ص: 172).



## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن أبي ليلي... وقالت فرقة الحُسنى هي الحسنة، و الزيادة هي تضعيف الحسنات إلى سبعمائة فدونها حسبما روي في نص الحديث، وتفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]، وهذا قول يعضده النَّظر ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجَّح هذا القول، وطريق ترجيحه أن الآية تتضمن اقترانا بين ذكر عمال الحسنات وعمال السيئات، فوصف المحسنين بأنَّ لهم حسنى وزيادة من جنسها، ووصف المسيئين بأنَّ لهم بالسيسة مثلها فتعادل الكلامان»<sup>(1)</sup>.

وقد اعتبر صاحب "التفسير والمفسرون" هذا الكلام من دواعي رمي ابن عطية بالاعتزال، وعلَّل ذلك أنَّ ابن عطية بعد أن ذكر قول الجمهور المتضمن إثبات الرؤيا من خلال الآية بالاعتماد على التفسير النبوي، أخذ في ذكر طرق الترجيح للقول الثاني وقد فهم أنه يميل إلى ذلك، أو على الأقل يقدر ما ذهبت إليه المعتزلة في مسألة الرؤيا<sup>(2)</sup>. والمتأمل لما نقله الثعالبي في تفسيره للآية يقف على اكتفائه بما قرره الجمهور وإعراضه عن القول الآخر<sup>(3)</sup>. وإن اعترض المعتزض بأنَّه لا دليل يُثبت أنَّ الثعالبي وقف على هذه التهمة؛ فالجواب أنَّه تتلمذ على يد تلاميذ ابن عرفة كما صرَّح بذلك<sup>(4)</sup>، ممَّا يدل على وقوفه على تفسيره، وفيه تعقبات على ابن عطية فيما يرى أنه وافق فيه قول المعتزلة، لذا فالذي يظهر أنَّ اجتناب الثعالبي لمثل هذه المواطن كان أمرا مقصودا.

وأما مثال الثاني: فيظهر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾

أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ [الأعراف: 143] حيث تعقب ابن عطية في قوله: «ولو بقينا مع هذا النفي بمجرد، لقضينا أنه لا يراه موسى أبدا ولا في الآخرة»<sup>(5)</sup>. وإن كان ابن عطية في حقيقة الأمر أثبت الرؤيا لورود أحاديث صحيحة في ذلك، غير أنَّ الثعالبي لم يرض له أن يذهب إلى ما قرره الزمخشري في دلالة "لن" وأنها للنفي المؤبد؛ باعتبار هذا الأخير قد استخدم ذلك لنصرة مذهب الفاسد، وفي هذا يقول الثعالبي: «وقول ع: ولو بقينا مع هذا النفي بمجرد، لقضينا أنه لا يراه موسى أبدا ولا في الآخرة، قول مرجوح لم يتفطن له رحمه الله، والحق الذي لا شك فيه أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد قال بدر الدين أبو عبد الله بن مالك في شرح التسهيل: «ولن» كغيرها من حروف النفي في جواز كون استقبال المنفي بما منقطعاً عند حد وغير منقطع، وذكر الزمخشري في أمودجه أن «لن» لتأييد النفي، وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى، وهو اعتقاد باطل لصحة

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 115).

(2) \_ ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، (1/ 173).

(3) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 234).

(4) \_ ينظر: المصدر نفسه، (1/ 11).

(5) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 450).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

ثبوت الرؤية عن رسول الله ﷺ، واستدل على عدم اختصاصها بالتأييد بمجيء استقبال المنفي بها مغيا إلى غاية ينتهي بانتهائها، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوقِنِينَ ﴾ [طه]، وهو واضح. انتهى، ونحوه لابن هشام، ولفظه: ولا تفيد "لن" توكيد المنفي خلافا للزمخشري في كشافه، ولا تأييده، خلافا له في أمودجه، وكلاهما دعوى بلا دليل قيل: ولو كانت للتأييد، لم يقيد منفيها بـ "اليوم" في: ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم: 26] وكان ذكره "الأبد" في ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة: 95] تكرارا، والأصل عدمه»<sup>(1)</sup>.

وأما ما تعلق بالجانب الفقهي فقد سار الثعالبي في ذلك مسلك الإيجاز دون البسط والتطويل؛ لذلك لم يوغل في ذكر الخلاف كحال ابن عطية، وقد صرح بطريقته هذه عندما تطرق لتفسير قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل] حيث قال: «ت: وقد ذكر ع هنا نبذا من مسائل الإكراه، تركت ذلك خشية التطويل، وإذ محل بسطها كتب الفقه»<sup>(2)</sup>.

### سابعا\_ عنايته بالترغيب والترهيب:

مما لا شك فيه أنّ القرآن الكريم قد تضمن الوعد والوعيد، وغالب المفسرين يقفون على الآيات الواردة في ذلك، غير أنّي خصّصت هذا العنصر ضمن النقاط الخاصة بمنهج الثعالبي في تفسيره؛ لاعتباره سمة بارزة تكررت في مواطن كثيرة؛ حيث يستغل أدنى مناسبة للترغيب في الفضائل والتحذير من الوقوع في المنكرات والاعتذار بالدنيا:

— فمن أمثلة ترغيبه في الفضائل ما أورده في بيان منزلة الشهيد في سبيل الله؛ فبعد أن نقل عن ابن عطية سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة]، شرع في ذكر فضائل الشهادة في سبيل الله، حيث قال: «ت: وللشهيد أحوال شريفة منها ما خرجه الترمذي وابن ماجة عن النبي ﷺ قال: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا،

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 69).

(2) \_ المصدر نفسه، (2/ 447).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه»<sup>(1)</sup>. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، زاد ابن ماجه: «ويحلى حلة الإيمان»<sup>(2)</sup>، قال القرطبي في تذكرته: هكذا وقع في نسخ الترمذي وابن ماجه: «ست خصال». وهي في متن الحديث سبع، وعلى ما في ابن ماجه: «ويحلى حلة الإيمان» تكون ثمانيا، وكذا ذكره أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد بسنده عن النبي ﷺ قال: «لشهادته عند الله ثمان خصال» انتهى. وخرج الترمذي، والنسائي عنه ﷺ أنه قال: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة»<sup>(3)</sup> انتهى»<sup>(4)</sup>.

فتأمل كيف يتتبع الروايات لبيان فضائل الاستشهاد في سبيل الله، كل ذلك ترغيبا في الجهاد، خاصة إذا أدركنا أنّ عصره شهد تكالب الأعداء<sup>(5)</sup>، وقد استطرد في بيان فضائله في مواطن كثيرة<sup>(6)</sup>، وبين أهم الأسباب التي تحول دون هذه الفضيلة حيث قال: «قلت: واعلم -رحمك الله- أنّ أصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا وكرهية بذل النفوس لله، وبذل مهجها للقتل في سبيل الله، ألا ترى إلى حال الصحابة رضي الله عنهم، وقتلهم في صدر الإسلام، وكيف فتح الله بهم البلاد، ودان لدينهم العباد، لما بذلوا لله أنفسهم في الجهاد، وحالنا اليوم، كما ترى عدد أهل الإسلام كثير، ونكايتهم في الكفار نزر يسير، وقد روى أبو داود في سننه عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكرهية

- (1) \_ أخرجه ابن ماجه، (سنن ابن ماجه، محمد ابن ماجه (ت: 273)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د ت ط) كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم: 2799، (2/ 935). و الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، رقم: 1663، (4/ 188)، وقال: «هذا حديث صحيح غريب».
- (2) \_ أخرجه الترمذي، باب في ثواب الشهيد، رقم: (1663)، (4/ 187)، وابن ماجه، باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم: (2799)، (2/ 935). وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».
- (3) \_ أخرجه الترمذي، باب ما جاء في فضل المرابط، رقم: (1668)، (4/ 190)، وابن ماجه، باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم: (2802)، (2/ 937)، وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».
- (4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 150).
- (5) \_ خاصة من طرف الإسبان، وقد سبق في ترجمة الثعالبي أنه أرسل رسالة يحث فيها أعيان بجاية على ضرورة التصدي لهم.
- (6) \_ ينظر مثلا: المصدر نفسه، (1/ 409). و: (2/ 140).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

الموت»<sup>(1)</sup>. فانظر \_رحمك الله\_، فهل هذا الزمان إلا زماننا بعينه، وتأمل حال ملوكنا، إنما همتهم جمع المال من حرام وحلال، وإعراضهم عن أمر الجهاد، فإننا لله وإنا إليه راجعون على مصاب الإسلام»<sup>(2)</sup>.

فلاحظ كيف يرعّب في الفضائل ويربط ذلك بالواقع، مبينا سبب الداء؛ ليُعرف الدواء ويتحقق العلاج.

\_ و من أمثلة تحذيره من الرذائل ومساوئ الأخلاق، ما نقله في ذم ذي الوجهين، وذلك بعد تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا بِكُ شَيْطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

[البقرة]، حيث قال: « ت: ويجب على المؤمن أن يجتنب هذه الأخلاق الذميمة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه

قال: «من شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»<sup>(3)</sup>. رواه أبو داود، وفيه عنه ﷺ:

«من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان من نار»<sup>(4)</sup>»<sup>(5)</sup>.

ويظهر بوضوح توظيفه للأحاديث النبوية في مقصده هذا؛ ليكون الوقع على النفوس شديدا، وقد تتبعت

مواطن كثيرة في هذا السياق، فظهر لي عنايته الفائقة بهذا الجانب، وكثيرا ما ينقل عن أبي حامد الغزالي في الحث

على التزكية والإكثار من العبادة وقراءة القرآن وإعمال الفكر في التدبر في الآيات الشرعية والكونية<sup>(6)</sup>، وهذا ما

يبرز وازعه الديني وشخصيته المصقولة بالزهد والورع، كما وصفه غير واحد من العلماء. والحقيقة أنّ هذا الموضوع

يستحق أن يفرد في بحث خاص \_ والله الموفق \_.

(1) \_ أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على أهل الإسلام، رقم: (4297)، (6 / 355) من طريق أبي عبد السلام عن ثوبان به، وأبو عبد السلام اسمه صالح بن رستم قال عنه أبو حاتم مجهول (ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (3 / 249) ) لكنه تويع بأبي أسماء الرّحبي كما عند الإمام أحمد، رقم: (22397)، (37 / 82). وحسنه أحمد شاکر وشعيب الأرنؤوط.

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1 / 379).

(3) \_ أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من ثناء السلطان، وإذا خرج قال غير ذلك، رقم: 7179، (9 / 71). ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله، رقم: 2526، (4 / 2011).

(4) \_ أخرجه أبو داود في سننه، باب في ذي الوجهين، رقم: 4873، (7 / 235)، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن».

(5) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1 / 50).

(6) \_ ينظر: المصدر نفسه، (1 / 17). و: (1 / 101). و: (1 / 205). و: (1 / 403).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

### المطلب الرابع: مكانته العلمية

المكانة العلمية لتفسير الثعالبي تظهر من خلال أمور منها:

- 1\_ أنه اعتمد بصورة خاصة على المحرّر الوجيز لابن عطية، ولا شك أنّ ذلك يكسب تفسيره أهمية بليغة نظرا للمكانة العلمية التي يحظى بها تفسير ابن عطية، حيث يكاد يكون محلّ إجماع وإشادة من طرف أعلام الأمة، قال أبو حيان عن ابن عطية: «أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير»<sup>(1)</sup>.
- 2\_ ممّا يزيد من مكانة تفسير الثعالبي أنّه بذل جهده ليقترص على مهمات ابن عطية، وحاول أن يجتنب بعض الهانات التي وقع فيها، لذا كان يستدرك عليه ويتعقبه مصحّحا ومنبّها.
- 3\_ كما أنّه اعتمد على مصادر متنوعة لأعلام الأمة ومشاهيرها، وقد صرّح بذلك حيث قال: «فقد ضمّنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمه، من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحققين»<sup>(2)</sup>.
- 4\_ ممّا يؤكّد أيضا مكانة هذا التفسير؛ انتشاره الواسع في زمانه حيث وصل إلى حواضر العلم ومنابعه، على غرار بجاية وتلمسان وفاس، كما حُمّلت نسخ منه إلى مكة والمدينة، وأرسلت نسخة منه إلى بيت المقدس. وهذا يبيّن حرص أهل العلم على تحصيله لما فيه من فوائد ودرر، حتى أنّ أحد الفقهاء في وقته باع جبته وكان لها ثمن معتبر لشراؤه. وكان صاحبه أبو عبد الله المازوني ليس له عمل إلا نسخ تفسير الثعالبي لكثرة الطلب عليه<sup>(3)</sup>.
- 5\_ القبول الذي حظي به عند العلماء وطلبة العلم قديما وحديثا، ويظهر ذلك من خلال ثنائهم عليه، فهذا البكري يبيّن فضل الثعالبي ويستدل على ذلك بمنحه تفسيره دون عوض، ثم يدعو له أن يعوّضه الله بالجنة<sup>(4)</sup>، وعندما فرغ من تحريره قدّمه لشيخه ابن مرزوق فنظر فيه وأمعن النظر، فسّر به سرورا كثيرا ودعا له بالخير، وقد أثنى على تفسيره محمد بن الخوجة حيث قال: «وأيم الله إنه لتفسير جليل قد فصل مقاصد الذكر الحكيم أحسن تفصيل، وحوى عباب المنقول، واشتمل على لباب المعقول، وأتى من درر الفرائد بما يبهر العقول، ومن غرر الفوائد بما تدعن له الفحول...». وقال ابن زكري: أنّه تفسير جليل، عار من شبهات الضلال. وقال عنه ابن سماية: «تفسير حوى من نوابغ البيان أوضحها، ومن نقل الأقوال أمتنها وأرجحها، طوى كشحة

(1) \_ البحر الحيط، أبو حيان، (20 / 1).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (8 / 1).

(3) \_ نقلا عن مقدمة عمار الطالبي، الجواهر الحسان، الثعالبي.

(4) \_ ينظر: نيل الابتهاج، التنبكي، (ص: 258).

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

عمّا ضعف نقله، وأفرد نصحه فيما جزل نفعه وجلّ فضله، انتحل التفاسير انتحالاً، وروق منها ما صفا شربه زُلالاً حلالاً، وضرب بما يشم رائحة البدعة عرض الجدار، وشخص للقارئ أخلاق الصحابة والسلف الأخيار»<sup>(1)</sup>.

**وخلاصة هذا المبحث أنّ الثعالبي عمد في تفسيره إلى تلخيص مهمات المحرّر الوجيز مع الزيادة عليه من مصادر عديدة فاقت المائة، وكان تأليفه في سنّ الثامن والأربعين بعد تمكّنه من فنون متنوعة تعتبر أدوات ضرورية لمن يقدم على بيان مراد الله تعالى، وقد سلك صاحبه منهجاً قائماً على تفسير القرآن بالقرآن، ناقلاً ذلك عن ابن عطية على سبيل الاختصار، مستقلاً أحياناً ببيان بعض المعاني، كما اعتمد على القرآن في الترجيح بين الأقوال التي ساقها صاحب المحرّر، أو في تعقبه والرّد عليه، كما يُظهر تفسيره عنايته بالسنة والآثار مستنداً إلى قواعدها في الاختيارات التفسيرية، وامتاز على ابن عطية بعزو الأحاديث إلى مضامها وبيان درجتها أحياناً. أمّا ما تعلق بالقراءات فكان مهتماً بها، غير أنّه لم يكثر منها كحال صاحب المحرّر، ومما يُحسب له اجتنابه لرّد بعض القراءات المتواترة كما فعل ابن عطية. وانطلاقاً من إدراكه أهمية أسباب النزول فقد اعتنى بها. ولم يسهب في إيراد الإسرائيليات وتعقب بعضها، واهتم باللّغة والنحو من غير استطراد، ولم يكن مجرد ناقل، بل كان يناقش وينتقد أحياناً. ورغم توافق المذهب العقدي بينه وبين ابن عطية، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من الرّد عليه في بعض المسائل، كما يظهر واضحاً اجتنابه لبعض المواطن التي انتقد عليها \_ أي ابن عطية \_، ولم يُكثر من تتبع المسائل الفقهية، ومما امتاز به على ابن عطية سلوكه في مواطن عديدة طريقة الوعظ معتمداً في ذلك على الترغيب والترهيب، وقد حظي تفسيره بالقبول والثناء.**

### خلاصة الفصل:

يُعتبر كل من ابن عطية والثعالبي من أشهر أعلام التفسير في المغرب الإسلامي، ويشهد لذلك تفسيرهما للقرآن؛ فالمحرر الوجيز لابن عطية امتاز بالاختصار وتحريّر الأقوال، وقد سلك منهجاً قائماً على تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة وآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ولم يُلزم نفسه نقل الصحيح، أو إخراج الأحاديث. واهتمّ بالقراءات وردّ بعضها ممّا ثبت تواتره، كما أولى أسباب النزول عناية فائقة، ولم يُكثر من إيراد الإسرائيليات، غير أنّه لم يلتزم بذكر ما لا تنفك الآية إلّا به. واهتمّ بالنحو واللغة، وسلك في عرض المسائل العقدية طريقة أهل السنة في العموم، ووافق الأشاعرة في تأويل الصفات، واهتمّ بالرّد على الفرق الضالة، كما كانت له عناية بالجانب الفقهي.

وقد عمد الثعالبي إلى تلخيص مهمات المحرّر الوجيز مع الزيادة عليه من مصادر عديدة فاقت المائة، وقد

(1) \_ نقلاً عن مقدمة عمار الطالبي، الجواهر الحسان، الثعالبي.

## الفصل الأول: التعريف بالثعالبي وابن عطية وتفسيريهما

وافق ابن عطية في الاعتماد على القرآن والسنة، فنقل عنه ذلك على سبيل الاختصار، كما استقلّ ببيان بعض المعاني، وامتاز بعزو الأحاديث إلى مضامها وبيان درجتها أحيانا. كما امتاز على ابن عطية بعدم الإكثار من ذكر القراءات، بالإضافة إلى اجتنابه لردّ المتواتر منها. ولم يسهب في إيراد الإسرائيليات وتعقب بعضها، واهتم باللّغة والنحو من غير استطراد، وكان يناقش وينتقد أحيانا. ورغم توافق المذهب العقدي بينه وبين ابن عطية، إلاّ أن ذلك لم يمنعه من الردّ عليه في بعض المسائل، كما اتضح اجتنابه لبعض المواطن التي انتقد عليها صاحب المحرر، ولم يُكثر من المسائل الفقهيّة، وامتاز بعنايته بالترغيب والترهيب، وقد حظي تفسيره بالقبول والثناء.

ومن الأمور البارزة في تفسيره كثرة تعقباته على ابن عطية، ممّا يستدعي بداية التطرق إلى نشأة التعقب في التفسير وتطوره، ثم التعرّيج على منهج الثعالبي في ذلك، وهذا ما أتناوله في الفصل الموالي، من خلال الإجابة على الإشكالات التالية:

متى ظهر التعقب في التفسير؟ ما هي أهم المراحل التي مرّ عليها؟ ما أهم صيغ التعقب التي اعتمدها

الثعالبي؟ كيف كان أسلوبه في ذلك؟ وما الموضوعات التي تعقب فيها صاحب المحرر الوجيز؟

الفصل الثاني  
نشأة التعقبات  
في التفسير، تطورها ومنهج  
الثعالبي فيها



## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

يتناول هذا الفصل نشأة التعقبات في التفسير وتطورها، ثم يعرض نموذجاً لعلم من أعلام التفسير ممثلاً في صاحب الجواهر الحسان، متطرقاً إلى منهجه في التعقب، ويأتي ذلك في مبحثين على النحو التالي:

### المبحث الأول: نشأة التعقبات في التفسير وتطورها

بالتبع والاستقراء ظهر أنّ التعقبات في التفسير ظهرت مع ظهور علم التفسير؛ إذ غايتها تصحيح المفاهيم وتقويم الأخطاء، وزيادة توضيح المعاني فوق ما كان مقرراً، وبذلك فإنّ أول من تعقّب هو النبي ﷺ، وتتابع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، ثم صار منهجاً سار عليه أهل التفسير، ويأتي هذا المبحث ليكشف عن ذلك في ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول: التعقبات النبوية

المتبع للمصادر الحديثية التي اعتنت بالرواية، وكذلك كتب التفسير بالمأثور يقف على نماذج كثيرة لتعقبات النبي ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم في فهمهم لبعض الآيات القرآنية، وقد جمع صاحب كتاب "استدراكات السلف في التفسير" ثلاثة عشر استدراكاً نبويّاً<sup>(1)</sup>، سأحاول أن أورد بعض الأمثلة مع تحليلها؛ للوصول إلى ما يُستفاد منها، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً\_ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، قلنا: يا رسول الله أين لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون. ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]»<sup>(2)</sup>.

من خلال هذا المثال تتضح جملة من الأمور منها:

\_ أن الصحابة رضي الله عنهم أخذوا بظاهر معنى الظلم وحملوه على عمومته، ممّا حملهم على الخوف من فوات الأمن؛ لأنّه لا أحد لم يظلم نفسه.

(1) ينظر: استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى، نابف الزهراني، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: 1، 1430هـ، (ص: 37).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم: (3360)، (4/ 141). ومسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم: (124)، (1/ 114).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

وذهب بعض العلماء إلى أن الصحابة رضي الله عنهم لم يفهموا العموم، وإنما فهموا الظلم بأنه تعدّي على الغير، أو ظلم الإنسان نفسه بالمعاصي التي هي دون الشرك، ومن هؤلاء الخطابي حيث قال: «إنما قالت الصحابة هذا القول لأنهم اقتضوا من الظلم ظاهره الذي هو الافتيات بحقوق الناس، أو الظلم الذي ظلموا به أنفسهم من ركوب معصية أو إتيان مُحَرَّم، كقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (135) [آل عمران]، وذلك حق الظاهر فيما كان يصلح له هذا الاسم ويحتمله المعنى عندهم»<sup>(1)</sup>.

فالخطابي يرى أنّ الصحابة رضي الله عنهم لم يُدخلوا معنى الشرك في مُسمى الظلم؛ لأنهم أخذوا بظاهر معناه، وقد أكّد في تتمة كلامه سبب فهمهم لهذا دون معنى الشرك معللاً ذلك بعدم نزول آية لقمان حيث قال: «ولم تكن الآية نزلت بتسمية الشرك ظلماً، وكان الشرك عندهم أعظم من أن يلقب بهذا الاسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزل قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، فسمى الشرك ظلماً... وذلك أنّ أصل الظلم وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، ومن أشرك بالله وجعل الربوبية مستحقة لغيره، أو عدل به شيئاً واتخذ معه ندا فقد أتى بأعظم الظلم، وَوَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَمَسْتَقْرَهُ»<sup>(2)</sup>.

والظاهر أنّ قول الخطابي بأنّ آية لقمان لم تكن نزلت يردّه قوله ﷺ: «أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»، وهذا ما يُبين أنّ الآية كانت معلومة عندهم.

بينما ذهب بعض أهل الأصول إلى أنّ الصحابة رضي الله عنهم فهموا من الظلم الكفر وغيره<sup>(3)</sup>، خاصة وأن لفظ "الظلم" الوارد في قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ءَامَنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (82) [الأنعام] جاء نكرة في سياق النفي، لذا أدخلوا فيه الظلم بجميع أنواعه، وهذا ما حملهم على الخوف من فوات الأمن؛ لأنّه لا أحد لم يظلم نفسه، فَتَعَقَّبَ النَّبِيُّ ﷺ ذلك مبيناً أنّ هذا العموم الوارد في الآية مخصوص بآية "لقمان".

(1) \_ أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، أبو سليمان الخطابي(ت:388هـ)، ت: محمد بن سعد آل سعود، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، السعودية، ط: 1، 1409 هـ - 1988 م، (1/ 162).

(2) \_ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) \_ ينظر: المعلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد المازري (ت: 536هـ)، ت: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، ط: 2، 1988 م، (1/ 309).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

وقد تعقّب القاضي عياض أن يكون الصحابة رضي الله عنهم فهموا العموم بالمعنى الذي أورده الأصوليون، وإنما حملوا اللفظ على أظهر معانيه وأكثر استعمالاته، حيث قال: «بل أقول: إنّ طريقهم رضي الله عنهم فيه الطريقة المثلى والتّظر الأولى من حملهم لفظ الظلم على أظهر معانيه، وأكثر استعمالاته في احتمالاته، فإنّه وإن كان يُطلق على الكفر وغيره لغة وشرعا، فعُرف استعماله غالبا والأظهر من مفهومه؛ إطلاقه في العسف<sup>(1)</sup> والتعدي والعدول عن الحق في غير الكفر، كما أنّ لفظ الكفر يطلق على معان من جحد النعم والحقوق وسترها، لكن مجرّد إطلاقه وغالب شيوعه على ضدّ الإيمان، فعلى هذا وقع فهم الصحابة رضي الله عنهم المراد بالظلم، وتأويلهم الآية وإشفاقهم من ذلك، إذ قد ورد دون قرينة ولا بيان بصرفه عن أظهر وجوهه إلى بعض احتمالاته، حتى بيّن لهم النبي ﷺ مراد ربّه بما ذكر في الحديث»<sup>(2)</sup>.

بعد الذي سقته من كلام أهل العلم في توجيه فهم الصحابة رضي الله عنهم لمعنى الظلم يظهر أنّ ما ذهب إليه الأصوليون من أنّ الصحابة رضي الله عنهم فهموا العموم أقوى حجّة من غيره، ومما يدل على ذلك ما يلي:

أ\_ قوله ﷺ: «أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]». وفي هذا دليل أن الآية كانت معلومة عندهم، وأنهم يعلمون أن الشرك يدخل في الظلم، بل هو أعلى مراتبه.

ب\_ الآيات الكثيرة التي وصفت الكفر أو الشرك بالظلم، كقوله ﷺ: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:254]، وقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (42) [إبراهيم]، وقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (106) [يونس]<sup>(3)</sup>.

(1) العسف: الأخذ على غير الطريق، وكذلك التعسف والاعتساف، والعسوف: الظلوم. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (4/ 1403).

(2) \_ إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، ت: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: 1، 1419 هـ - 1998 م، (1/ 418).

(3) \_ ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي (ت: 795هـ)، ت: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ط: 1، 1417 هـ - 1996 م، (1/ 144).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

ج- إضافة إلى ما سبق فإن الآية جاءت نكرة في سياق النفي مما يفيد العموم، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم، فالقرآن نزل بلغتهم.

— ومما يُستفاد من المثال السابق؛ أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أشكل عليهم فهم آية سألوا النبي ﷺ، فيوضح لهم المعنى ممثلاً بذلك أمر ربه ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل:44].

— كما يظهر اعتماد النبي ﷺ على آية أخرى لتوضيح معنى الظلم، وهي قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، وفي ذلك بيان أنّ أفضل طرق التفسير؛ تفسير القرآن بالقرآن، فعلى من تصدى لذلك بعد أن يُلَمَّ بشروط المفسر أن ينظر في القرآن أولاً ويجمع ما تكرر منه، ويُقابل الآيات بعضها ببعض.

ثانياً- عن عدي بن حاتم ﷺ قال: «لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة:187] عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»<sup>(1)</sup>.

يتضح من المثال السابق أن عدي بن حاتم ﷺ فهم الخيطين على الحقيقة، ولم يحمل المعنى على الليل والنهار، رغم أنّ العرب تستخدم الخيط في ذلك، فكل ما دقّ واستطال وأشبه الخيط سمّته خيطاً<sup>(2)</sup>. وقد تعددت عبارات المفسرين في توجيه سبب حمله المعنى على الحقيقة:

فذهب بعضهم إلى أنه لم يكن إطلاق الخيط على الليل أو النهار من لغة عدي ﷺ، وبذلك فهم المعنى على الحقيقة<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ

الْفَجْرِ ثُمَّ آتُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ﴾ [البقرة:187]، رقم: 1916، (3/28). ومسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، وأن له الأكل وغيره حتى يطلع الفجر، وبيان صفة الفجر الذي تتعلق به الأحكام من الدخول في الصوم، ودخول وقت صلاة الصبح وغير ذلك، رقم: 1090، (2/766).

(2) - ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (2/216).

(3) - ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 2، 1392هـ. (7/201).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

وذهب آخرون إلى أن قوله ﷺ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187] لم يكن نزل بعد، ولم يكن ذلك الفهم خاص بعدي وحده، فقد حمل بعض الصحابة رضي الله عنهم المعنى على الحقيقة. واستدلوا على ذلك بما روي عن سهل بن سعد ﷺ قال: «أنزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار»<sup>(1)</sup>. وسبب عدم نزول: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ أن استعمال الخيطين في الليل والنهار كان شائعا غير محتاج إلى البيان، فاشتبه على بعضهم فحملوه على العقالين فنزل البيان<sup>(2)</sup>.

ووافق بعضهم بأن قوله ﷺ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ لم ينزل بعد لورود حديث صحيح في ذلك، غير أنهم تعقبوا التوجيه السابق بحجة أنّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز؛ لذا حملوا الأمر على ظاهره ثم نسخ، قال ابن حجر: «وادعى الطحاوي والداودي أنه من باب النسخ، وأنّ الحكم كان أولا على ظاهره المفهوم من الخيطين، واستدلّ على ذلك بما نُقل عن حذيفة وغيره من جواز الأكل إلى الإسفار<sup>(3)</sup>، قال ثم نسخ بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾»<sup>(4)</sup>.

وذكر أبو حيان أن الصحابة رضي الله عنهم حملوا الخيطين على الحقيقة قبل نزول: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فلما نزلت فهموا المقصود، غير أنّ عدي ﷺ بعد ذلك غفل عن هذا التشبيه وعن بيان قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فحمل الخيطين على الحقيقة<sup>(5)</sup>.

---

(1) - أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ﴾ [البقرة: 187]، رقم: 1917، (3/ 28).

(2) - ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين الكرمانى (ت: 786هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: 2: 1401هـ - 1981م، (9/ 96).

(3) - يقصد ما روي عن حذيفة ﷺ، قال: «تسحرت مع رسول الله ﷺ هو النهار، إلا أن الشمس لم تطلع». والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصيام، باب ما جاء في تأخير السحور، رقم: 1695، (1/ 541). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (مكتبة المعارف - الرياض، ط: 1، 1417هـ/1997م)، رقم: 1383، (2/ 72).

(4) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ (4/ 135).

(5) - ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (2/ 216).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

وذهب بعضهم إلى أن سبب حمل عدي رضي الله عنه للخيط على الحقيقة قلّة فقهه وفطنته، فحملوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ»<sup>(1)</sup> بأنه كناية على ذلك، وقد ردّ أبو العباس القرطبي هذا الادعاء وأوضح معنى جواب النبي صلى الله عليه وسلم لعدي رضي الله عنه فقال: «وقوله: «إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ»؛ حَمَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى الذِّمِّ لِهَ عَلَى ذَلِكَ الْفَهْمِ، وَكَأَنَّهُ فَهَمُوا مِنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَسَبَهُ إِلَى الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ وَعَدَمِ الْفَقْهِ. وَرَبَّمَا عَضَدُوا هَذَا بِمَا رَوَى: أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ لَعَرِيضٌ الْقَفَا». وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ حَمَلَ اللَّفْظَ عَلَى حَقِيقَتِهِ اللَّسَانِيَّةِ إِذْ هِيَ الْأَصْلُ، إِذْ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ دَلِيلُ التَّجَوُّزِ. وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَذَا الطَّرِيقِ لَمْ يَسْتَحِقْ ذَمًّا، وَلَا يُنْسَبُ إِلَى جَهْلِ، وَإِنَّمَا عَنِ بَدَلِكِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَاللَّهِ أَعْلَمُ: أَنَّ وِسَادَكَ إِنْ غَطَى الْخَيْطِينَ اللَّذِينَ أَرَادَ اللَّهُ، اللَّذِينَ هُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَهُوَ إِذَا وِسَادَ عَرِيضٌ وَاسِعٌ؛ إِذْ قَدْ شَمَلَهُمَا وَعَلَاهُمَا، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ: «إِنَّمَا هُوَ سَوَادٌ اللَّيْلِ وَبِيضُ النَّهَارِ»؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَكَيْفَ يَدْخُلَانِ تَحْتَ وِسَادِكَ؟! وَإِلَى هَذَا يَرْجِعُ قَوْلُهُ: «إِنَّكَ لَعَرِيضٌ الْقَفَا»؛ لِأَنَّ هَذَا الْوِسَادَ الَّذِي قَدْ غَطَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بَعْرَضِهِ لَا يَرْقُدُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَوَسَّدُهُ إِلَّا قَفَا عَرِيضٌ، حَتَّى يُنَاسِبَ عَرْضُهُ عَرْضَهُ، وَهَذَا عِنْدِي أَشْبَهُ مَا قِيلَ فِيهِ وَأَلِيقٌ، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَيْهِ: مَا زَادَهُ الْبُخَارِيُّ قَالَ: «إِنَّ وِسَادَكَ إِذَا لَعَرِيضٌ إِنْ كَانَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادِكَ»، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ»<sup>(2)</sup>.

يتضح أنّ ما أورده القرطبي هو الحق، فحاشا للنبي صلى الله عليه وسلم أن يُعْرَضَ بعدي رضي الله عنه كما فهم بعضهم، فليس ذلك من أخلاقه صلى الله عليه وسلم.

— وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ بِالظَّاهِرِ، فَإِذَا خَالَفَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ تَعَقَّبَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَبِينًا لَهُمُ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ.

ثالثا\_ عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ﴾ [مريم: 28]، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ هذه الرواية أخرجها البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ﴾ [البقرة/ 187]، رقم: 4509، (6/ 26).

(2) \_ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي (ت: 656 هـ)، محيي الدين مستو، أحمد السيد، يوسف بديوي، محمود بزال، دار ابن كثير، دمشق، ط: 1، 1417 هـ - 1996 م، (3/ 149).

(3) \_ أخرجه مسلم، كتاب الأدب، باب التهي عن التكني بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء، رقم: (2135)، (3/ 1685).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

يُبيّن الحديث جانبا ممّا تعرضت له الدعوة الإسلامية من قبل أعدائها؛ إذ لم تكن المجاهدة مقتصرة على استعمال العنف وحشد الأحزاب ضد النبي ﷺ، بل كانت وسائل العداء كثيرة، منها بثّ الشبه ليتغلغل الشك في النفوس، غير أنّ ما ينشرونه لا يقوى على مجابهة نور الحق، فقد بيّن الله ﷻ لنبيه ﷺ أنّه ناصره على كل ما يبثونه من شبه فقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (33) [الفرقان].

وهذه الشبهة التي قابلوا بها المغيرة ﷺ أبعد ما تكون عن المعارضة، ولو كان لهؤلاء تمييز لعلموا أن مثل هذا الرجل العظيم الذي جاء بالقرآن لا يخفى عليه أن المسيح ليس هو ابن أخت موسى بن عمران، ولا يتكلم بمثل ذلك، ولو كانت أختهما لكان إضافتها إلى موسى أولى من إضافتها إلى هارون، فكان يقال لها: يا أخت موسى. لكن لما اتفق أن مريم هذه بنت عمران، وموسى وهارون ابنا عمران، فكان لفظ عمران فيه اشتراك \_ والاشترك غالب على أسماء الأعلام - نشأت الشبهة، حتى سأل المغيرة النبي ﷺ عن ذلك فأجابه: «إنّهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»<sup>(1)</sup>.

ومّا يُستفاد من هذا المثال ما يلي:

\_ أنّ الأعداء كانوا يستغلون الشبه للصدّ عن سبيل الله ﷻ، وأنّ الله تكفل بنصرة نبيه ﷺ.

\_ من أغراض التعقبات النبوية في التفسير دحض الشبه، وبيان الحق حتى تطمئن النفوس.

\_ ومما يستفاد أيضا ضرورة الاطلاع على حال أهل الكتاب وأخبارهم لبيان ضعف ما يثيرونه من شبه، خاصة لمن انبرى لدعوتهم والرد عليهم.

### المطلب الثاني: تعقبات الصحابة رضي الله عنهم

وهي كثيرة جدا، وغالب هذه التعقبات رُويت عن ابن عباس ﷺ، وروي بعضها عن عمر وعلي وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

(1) \_ درة تعارض العقل والنقل، ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط: 2، 1411 هـ - 1991 م، (68 / 7).



## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

أولاً\_ عن مجاهد قال: «دخلت على ابن عباس فقلت: يا ابن عباس، كنت عند ابن عمر فقرأ هذه الآية فبكى، قال: آية آية؟، قلت: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهٖ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:283]، قال ابن عباس: إن هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله - ﷺ - غما شديداً، وغاظتهم غيظاً شديداً، يعني، وقالوا: يا رسول الله هلكننا إن كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل، فأما قلوبنا فليست بأيدينا، فقال لهم رسول الله عليه وسلم: «قولوا: سمعنا وأطعنا». قال: فنسختها هذه الآية: ﴿أَمِنَ ٱلرَّسُوْلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَٱلْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ ۗ أَمِنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ۗ لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيْرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا ۙ إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا ۙ إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِآطَافَةِ لَنَا بِهِ ۗ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۙ أَنْتَ مَوْلَانَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة]، فَتُجَوِّزُ لَهُمْ عَنِ حَدِيثِ ٱلنَّفْسِ، وَأُخِذُوا بِٱلْأَعْمَالِ»<sup>(1)</sup>.

من خلال هذا المثال يتضح أنّ ابن عمر رضي الله عنهما فهم من الآية العموم، فظنّ أنّ الله تعالى سيحاسب عباده على كل شيء حتى حديث النفس، فاعتمّ لذلك وبكى بكاء شديداً، وهو الحال الذي حدث للصحابة الكرام رضي الله عنهم حين نزلت الآية كما دلّ عليه قول ابن عباس رضي الله عنه، وقد أوضح لمجاهد أنّ الآية الموالية التي أنزلها الله تعالى نسخت الآية الأولى. وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أنّ مقصود ابن عباس رضي الله عنه بالنسخ إنّما هو بيانها، فالنسخ عندهم له دلالات عديدة منها؛ بيان المجمل أو تخصيص المطلق، قال ابن القيم: «...النسخ عند الصحابة والسلف أعم منه عند المتأخرين، فإنهم يريدون به ثلاثة معان:

أحدها: رفع الحكم الثابت بخطاب.

الثاني: رفع دلالة الظاهر إما بتخصيص، وإما بتقييد، وهو أعم مما قبله.

الثالث: بيان المراد باللفظ الذي بيانه من خارج، وهذا أعم من المعنيين الأولين»<sup>(2)</sup>.

ومن أهم ما يُستفاد من هذا التعقب:

\_ بيان منزلة ابن عباس رضي الله عنه في التفسير، حيث كان معنى الآية حاضراً عنده.

(1)\_ أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (3071)، (3/336)، وابن جرير في جامع البيان، (3/195) وأورده ابن كثير في تفسيره وصحّحه (1/729).

(2)\_ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 27، 1995م، (5/531).



## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

— كما يستفاد أيضا أخذ الصحابة رضي الله عنهم بالعموم جرياً على عادتهم في ذلك.

ثانياً\_ عن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قال: «قلت لها: إني لأظن رجلاً لو لم يطف بين الصفا والمروة ما ضره، قالت: «لم؟» قلت: لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ بَعَثَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة)، فقالت: ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة، ولو كان كما تقول لكان: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، وهل تدري فيما كان ذلك؟ إنما كان ذلك أن الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين على شط البحر، يقال لهما إساف ونائلة، ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة، ثم يلقون، فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعون في الجاهلية، قالت: فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ إلى آخرها، قالت: «فطافوا»<sup>(1)</sup>.

تأول عروة رضي الله عنه الآية، ففهم منها أن ترك السعي بين الصفا والمروة في حج أو العمرة لا شيء عليه، وذلك أن أكثر ما يُستعمل لفظ الحرج في الأفعال المباحة دون الواجبة، فتعقبته عائشة رضي الله عنها مصححة له فهمه للآية، مبينة أن لها سبباً؛ حيث كان الأنصار يهلون في الجاهلية لصنمين، ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة، ثم يلقون، فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعون في الجاهلية، فنزلت الآية. وقد وقفت رضي الله عنها مع لفظ الحرج وسياقه، وبيّنت له أن المعنى الذي فهمه لو كان كما يقول لواء: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما. وهذا من بديع فقهها ومعرفتها بأحكام الألفاظ<sup>(2)</sup>.

ومن أهم ما يُستفاد من هذا التعقب ما يلي:

— بيان منزلة عائشة رضي الله عنها، فقد كان يُرجع إليها لما آتاه الله من العلم والفهم.

— بيان أهمية معرفة دلالات الألفاظ، والتفريق بين معانيها حسبما يقتضيه السياق.

— بيان أهمية معرفة أسباب النزول في فهم القرآن الكريم.

(1) — أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله، رقم: (1643)، (2/ 158). ومسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، (1277)، (2/ 928).  
(2) — ينظر: المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي (ت: 474هـ)، دار الكتاب الإسلامي — القاهرة، ط: 2، د، ت، (2/ 301). المعلم بفوائد مسلم، المازري، (2/ 92).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

من خلال الأمثلة السابقة يظهر تفاوت الصحابة رضي الله عنهم في فهم القرآن الكريم، ومما يؤكد ذلك أيضا قول مسروق: «جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ»<sup>(1)</sup>.

كما يتضح حرص الصحابة رضي الله عنهم على تصحيح المعاني وإزالة اللبس، واعتمادهم في ذلك على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ودلالات الألفاظ، وهذا ما يؤكد على ضرورة تحصيل الأدوات اللازمة لمن يقتحم مجال التعقب والاستدراك.

### المطلب الثالث: التعقبات بعد عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا

سار التابعون على ما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، حيث كانوا يتعقبون على بعضهم البعض، وقد تعددت مجالات التعقب، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أولاً\_ عن أبي معشر نجيح قال: «سمعت سعيداً المقبري يُذَكر محمد بن كعب، فقال سعيد: إنَّ في بعض الكتب أن الله عبادةً ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أَمْرٌ من الصَّبْرِ، لبسوا للناس مسوكَ الضأن من اللين، يجترُّون الدنيا بالدين، قال الله تبارك وتعالى: أعلِّيَّ يجترءون، وي يجترُّون! وعزِّي لأبعثنَّ عليهم فتنة تترك الحليمَ منهم حيران. فقال محمد بن كعب: هذا في كتاب الله جل ثناؤه. فقال سعيد: وأين هو من كتاب الله؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾<sup>(204)</sup> وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾<sup>(205)</sup> [البقرة]، فقال سعيد: قد عرفتُ فيمن أنزلت هذه الآية! فقال محمد بن كعب: إن الآية تنزل في الرجل، ثم تكون عامة بعدُ»<sup>(2)</sup>.

من خلال هذا المثال يتضح أنَّ محمد بن كعب استشهد بالآية على المعنى الذي نقله المقبري، فاستدرك عليه المقبري معتبراً أنَّ الآية محل الاستشهاد معلوم فيمن نزلت، فتعقبه ابن كعب مبيناً أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وهذا هو الحق الذي يتوافق مع قواعد الترجيح.

(1) \_ أخرج البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ت: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، د، ت، ط)، رقم: 150، (ص: 161).

(2) \_ أخرج الطبري في جامع البيان، (4/ 232).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

ثانياً\_ عن طاوس أن رجلين اختصما إليه فأكثر، فقال طاوس: «اختلفتما وأكثرتما». قال أحد الرجلين: «لذلك

خُلقنا». فقال طاوس: «كذبت». قال: «أليس الله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:118\_119]. قال: «لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة» (1).

يظهر من خلال هذا المثال أنّ طاوساً أنكر على الرجلين كثرة اختلافهما، فاحتجّ عليه أحدهم بالآية السابقة معتدراً بذلك لنفسه، فتعقبه طاوس مصحّحاً له معنى الآية، وقد وصفه بالكذب، ويحتمل ذلك معنيين: الأول: الخطأ. كذبت؛ أي أخطأت.

الثاني: مجانبة الصدق والإخبار بخلاف الواقع.

فإن كان المعنى الثاني هو المقصود، فيستفاد أن استعمال الشدة في التعقب أمر عارض؛ إذ الأصل أن يكون بالترفق واللين، غير أنّه قد يُشدد على المتعنت، فقد وُصف من حال الرجلين أنّهما اختلفا وأكثرا في ذلك، وحين وُجِّها للصواب استند أحدهما للآية وحملها على غير معناها متحجّجاً على فعلٍ منكّرٍ وقع فيه، لذا قد يكون استعمال طاوس لمعنى الكذب على حقيقته لما رأى من تعنت الرجل وعدم قبوله للحق.

وقد تتابع المفسرون بعد عهد التابعين على تعقب بعضهم بعضاً، وظهر ذلك في مؤلفاتهم من خلال الأقوال الكثيرة التي ينتقدونها أو يُكملون نقصها، ومن أهم المؤلفات التي اشتهرت بهذا المسلك "تفسير جامع البيان" للطبري، فكثيراً ما ينتقد بعض الأقوال ويعتبرها ضعيفة أو مرجوحة، ثمّ يختار غيرها، وما رجّحه الطبري صار مرجوحاً عند من جاء بعده، فتعقبه ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز"، وكذلك ابن العربي في أحكامه، حتى صار هذا الأمر سمة بارزة؛ فكلما اشتهر تفسير إلاّ وظهرت استدراقات المفسرين عليه.

ثمّ ظهر التأليف في ذلك استقلالاً، نحو كتاب مباحث التفسير لابن المظفر الرازي<sup>(2)</sup>، وهو استدراقات على تفسير الثعالبي، وقد ربّبت تعقباته على سور القرآن، تناول (70) سورة، بلغ عدد المسائل التي تعقبها على الثعالبي (255) مسألة، اشتملت على عدّة علوم وهي:

(1) \_ أخرج ابن أبي حاتم كما هو في تفسيره، رقم: 11293، (6/ 2095).

(2) \_ هو: أبو العباس بدر الدين الرازي الحنفي، عالم بالتفسير والحديث عارف بالأدب، له نظم حسن، دخل دمشق وكان يفسر القرآن على المنبر بجامعها، سمع بها الحديث من أبي اليمن الكندي وغيره، ثم ذهب إلى بلاد الروم وتولى بها القضاء والتدريس. له كتب منها: مباحث التفسير، وهو مناقشات لتفسير الثعالبي. توفي في حدود (631هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، (1/ 217).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

\_\_ التفسير وعلوم القرآن: تضمن (149) مسألة.

\_\_ الحديث: اشتمل على (34) مسألة.

\_\_ العقيدة: اشتملت على (10) مسائل.

\_\_ الفقه: اشتمل على (15) مسألة.

\_\_ اللغة: اشتملت على (34) مسألة.

\_\_ التاريخ والتراجم والسير: اشتملت على (13) مسألة<sup>(1)</sup>.

**وفي العصر الحديث** اشتهر التعقّب والاستدراك وصار مقصد كثير من الباحثين، فألفت فيه العديد من الرسائل، عمد أصحابها إلى جمع التعقّبات الموثقة في كتب المفسرين، ومن تلك الرسائل والبحوث أذكر:

\_\_ استدراقات السلف في التفسير للباحث نايف الزهراني.

\_\_ استدراقات ابن عطية على الطبري للباحث شايح الأسمرى.

\_\_ تعقّبات ابن كثير على من سبقه من المفسرين للباحث أحمد السيد.

ومن أهم ما لاحظته في بعض الرسائل التي كُتبت في هذا المجال ما يلي:

1\_ أكثر الرسائل اهتمت بدراسة تعقبات مشاهير المفسرين.

2\_ حدّد بعض الدارسين مجال التعقّب ببعض سور القرآن وأجزائه، أو بعلم من علومه، أو بتعقبات مفسر على علم من الأعلام، بينما اهتم البعض الآخر بتتبع جميع التعقبات الواردة في التفسير محلّ الدراسة.

3\_ اعتمدت بعض الدراسات على تصنيف التعقبات وفق الموضوعات، بينما صنّفتها دراسات أخرى وفق سور القرآن الكريم.

---

(1) \_\_ ينظر: مباحث التفسير، ابن المظفر الرازي (ت: 631هـ)، ت: حاتم القرشي، كنوز إشبيليا - السعودية، ط: 1، 1430 هـ

- 2009 م.

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

كما اهتمت بعض الجامعات الإسلامية بالتفسير المقارن وصار يُدرّس كمقياس، بل وحتى كتخصص مستقل، ونظرا لوجود نوع صلة بين التفسير المقارن والتعقّب في التفسير، صار هذا الأخير يُدرج ضمن المقررات التي يتم دراستها في التفسير المقارن.

**وصفوة القول** أنّ ظهور التعقب في التفسير يعود إلى ظهور التفسير؛ حيث استدرك النبي ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم فهمهم لبعض الآيات، كما ردّ بعض الشبه التي يُلقونها أهل الكتاب حول القرآن الكريم. وسار الصحابة رضي الله عنهم على نفس المنوال، فتعقّب بعضهم بعضا، ممّا يبيّن تفاوتهم في فهم كلام الله ﷻ، وقد استعانوا في تعقباتهم بأدوات المفسّر كالتأسيخ والمنسوخ وأسباب النزول ودلالات الألفاظ... وعلى نهج سار التابعون، فتعدّدت مجالات التعقب، ثم استمرّ الأمر على ذلك حتى برز هذا اللون في التأليف، غير أنّه في البداية كان يدرج ضمن كتب التفسير، فابن جرير مثلا كان ينتقد ويختار، وما رآه راجحا اعتبره بعض من جاء بعده مرجوحا، ثم برزت بعض المؤلفات \_ على قلّتها \_ عُنيّت بهذا الشأن استقلالا.

وفي العصر الحديث صار التعقب قبلة الباحثين والطلاب، وميدانا خصبا للدراسة الجامعية، وضمن هذا الإطار يندرج هذا البحث الذي يُعنى بتعقبات الثعالبي على ابن عطية، ومن خلال المبحث الموالي سأبرز منهج الثعالبي في تعقباته، معرّجا على الصيغ التي استخدمها متطرقا إلى أسلوبه؛ سواء من جانب الاستدلال، أو سلوك الأدب مع المتعقّب عليه.

### المبحث الثاني: منهج الثعالبي في تعقباته على ابن عطية

في هذا المبحث سأعرض لبيان منهج الثعالبي في تعقباته على ابن عطية، وذلك بالتركيز على صيغ تعقباته، بالإضافة إلى أسلوبه من حيث الاستدلال، ومن جهة لزوم الأدب أثناء الرد والانتقاد، لأختم بذكر موضوعات التعقب، وذلك في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

#### المطلب الأول: صيغ التعقبات عند الثعالبي

استخدم الثعالبي صيغا عديدة في تعقبه على ابن عطية، ومن ذلك ما يلي:

#### أولا\_ أن يتعقب قول ابن عطية بأن فيه نظر:

وقد أخذت هذه الصيغة الحيز الأكبر في تعقبات الثعالبي، فأحيانا يُشهر ابن عطية قولا فيتعقبه بأن في تشهيره نظر، أو يقرر معنى فيتعقبه بأن في قوله نظر، أو يحتج على ما ذهب إليه فيتعقبه بأن في احتجاجه نظر، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ\_ ذكر ابن عطية أن "الأب" يطلق على "العم" واحتج لذلك بمجموعة من الأدلة ومنها قوله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين». ثم قال: «على القول الشهير في أن إسحاق هو الذبيح»<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وفي تشهيره نظر، بل الرّاجح أنه إسماعيل على ما هو معلوم في موضعه، وسيأتي إن شاء الله تعالى»<sup>(2)</sup>.

ب \_ قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الجاثية] «أي: أخبر بشيء من آياتنا، فعلم نفس الخبر لا المعنى الذي تضمنه الخبر، ولو علم المعاني التي تضمنها أخبار الشرع، وعرف حقائقها لكان مؤمنا»<sup>(3)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وفي هذا نظر لأنه ينحو إلى القول بأن الكفر لا يتصور عنادا محضا، وقد تقدم اختياره- رحمه الله- لذلك في غير هذا المحل، فقف عليه، وخشية الإطالة منعتني من تكراره هنا»<sup>(4)</sup>.

(1)\_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 214).

(2)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 139).

(3)\_ المصدر السابق، (5/ 81).

(4)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 194).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

ج \_ نقل ابن عطية قول الجمهور في تفسير قوله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد:12]، ويبيّن أنّه يتضمن أنّ أهل الإيمان يحملون الأنوار يوم القيامة، ثمّ عبّ على ذلك بقوله: «وكوّنهم غير حاملين أكرم، ألا ترى أن فضيلة عباد بن بشر وأسيد بن حضير إنما كانت بنور لا يحملانه، هذا في الدنيا، فكيف بالآخرة؟!»<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وفيما قاله ع عندي نظر، وأيضا فأحوال الآخرة لا تقاس على أحوال الدنيا»<sup>(2)</sup>.

د \_ ذهب ابن عطية إلى أنّ القيام للشخص إجلالا له جائز، واحتجّ لذلك بقول النبي ﷺ حين أقبل سعد بن معاذ ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»<sup>3</sup>، غير أنّ الواجب على الشخص أن لا يلزم الناس بذلك<sup>(4)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وفي الاحتجاج بقضية سعد نظر؛ لأنها احتفت بها قرائن سوغت ذلك»<sup>(5)</sup>.

ثانيا \_ أن يتعقب ابن عطية في تخصيصه مبيّنا أنّ الصحيح هو التعميم:

وطريقته في ذلك أن يورد تخصيص ابن عطية لمعنى آية تحتل العموم فيردّ عليه، ومن العبارات والألفاظ التي يستخدمها في ذلك: " أن يبدي تعجبه من ابن عطية في تخصيصه للآية" أو يقول أنّه " لو عمّم لكان أحسن"، أو: " أنّ الأصل التعميم"، أو أنّ " الآية تحتل المعنيين".  
ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ \_ عند قوله ﷺ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ﴾ [النساء: 146] جعل ابن عطية الخطاب للمنافقين<sup>(6)</sup>، فتعقبه الثعالبي بقوله: «قال أبو عبد الله اللخمي: زعم الطبري أن قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ﴾ خطاب للمنافقين، ولا يكاد يقوم له على ذلك دليل يقطعه، وليس في ذكر المنافقين قبله ما يقتضي أن يُحمل عليهم، خاصة مع احتمال الآية للعموم، فقطعه بأنّ الآية في المنافقين حكم لا يقوم به دليل.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 261).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 365).

(3) \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب قول النبي ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»، رقم: (6262)، (8/ 59).  
ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، حديث رقم: (1768)، (3/ 1388).

(4) \_ ينظر المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 279).

(5) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 383).

(6) \_ ينظر: المصدر السابق، (2/ 128).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

انتهى، وهو حسن إذ حمل الآية على العموم أحسن. والعجب من ع: كيف تبع الطبري في هذا التخصيص، ويظهر - والله أعلم - أنهما عوّلا في تخصيص الآية على قوله تعالى: ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ وهو محتمل أن يحمل في حق المنافقين على ظاهره، وفي حق المؤمنين على معنى: «دمتم على إيمانكم»، والله أعلم<sup>(1)</sup>.

ب- انتقد ابن عطية من خصص قوله ﷺ: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [يونس: 93] أي: في نبوة نبينا محمد ﷺ، وبين أنه يحتاج إلى سند، وأن التأويل الذي يحتمله اللفظ: أن بني إسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى ﷺ في أول حاله، فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا، فالآية دامة لهم<sup>(2)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: فرّ رحمه الله من التخصيص، فوقع فيه، فلو عمم اختلافهم على أنبيائهم موسى وغيره، وعلى نبينا، لكان أحسن»<sup>(3)</sup>.

ج - تعقب ابن عطية ردّ الطبري لتفسير الحسن لقوله ﷺ: ﴿لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7] أي: من طاعتي. وبين أن انتقاده ضعيف، وأن هذا التفسير قوي حسن<sup>(4)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «وتضعيف الطبري بين من حيث التخصيص، والأصل التعميم»<sup>(5)</sup>.

د - نقل ابن عطية عن الطبري في قوله ﷺ: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون] أن السؤال وقع عن مدة مكثهم في الدنيا، ثم نقل قول الجمهور بأن المقصود: كم لبثتم في جوف التراب، واعتبره الأصوب<sup>(6)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «قلت: الآيات محتملة للمعنيين، والله أعلم بما أراد سبحانه»<sup>(7)</sup>.

ثالثا - ينقل ابن عطية الإجماع فيتعقبه الثعالبي مبينا وجود الخلاف:

بالتتبع ظهر أنّ الثعالبي يتعقب ابن عطية في بعض المسائل والمعاني التي نقل فيها الإجماع، ومن العبارات التي يستخدمها أن يقول مثلا: «وفي هذا الاتفاق نظر». أو: «وليس هذا الإجماع بصحيح». أو «وفي الإجماع نظر». ومن ذلك ما يلي:

(1) - الجواهر الحسان، الثعالبي، ( 1 / 508 ).

(2) - ينظر: الحرر الوجيز، ابن عطية، ( 3 / 142 ).

(3) - المصدر السابق، ( 2 / 258 ).

(4) - ينظر: الحرر الوجيز، ابن عطية، ( 3 / 325 ).

(5) - الجواهر الحسان، الثعالبي، ( 2 / 377 ).

(6) - ينظر: المصدر السابق، ( 4 / 158 ).

(7) - الجواهر الحسان ، الثعالبي، ( 3 / 166 ).



## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

أ\_ قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى سِتْرًا مِّنَ اللَّيْلِ لِنَنْظُرَ أَيُّهَا يَتَّبِعُهُ﴾ [الإسراء: 101]: «اتفق المتأولون والرواة أن الآيات الخمس التي في سورة الأعراف هي من هذه التسعة، وهي: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، واختلفوا في الأربع»<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وفي هذا الاتفاق نظر»<sup>(2)</sup>.

ب\_ عند قوله ﷺ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم]، قال ابن عطية: «يراد به القرآن بإجماع»<sup>(3)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وليس هذا الإجماع بصحيح، ولفظ الثعالبي ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(4)</sup> أي: ما نُطقه في الدين إلا بوحي»<sup>(4)</sup>.

ج\_ ذكر ابن عطية أنّ معنى ﴿وَسَيِّحٌ﴾ في قوله ﷺ: ﴿وَسَيِّحٌ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39]؛ صلّ بإجماع من المتأولين<sup>(5)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وفي الإجماع نظر»<sup>(6)</sup>.

رابعاً\_ يردّ ابن عطية قولاً فيتعقبه الثعالبي بتصحيحه:

وطريقته في ذلك أنّ يورد كلام ابن عطية في ردّه على قول من الأقوال التي ساقها في تفسيره للآية، ثمّ يتعقبه مبيناً أنّ القول المراد هو الصحيح، ومن العبارات التي يستخدمها: «وهذا التأويل عندي أبين». أو «والظاهر ما قاله هذا المفسر». أو «وهو حسن». أو «ما تقدّم لغيره أحسن». أو «ولا وجه لرد ابن عطية» ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ\_ فسّر ابن عطية قوله ﷺ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: 94] أي ما بيناه من اختلاف بني إسرائيل في مبعث عليه الصلاة والسلام؛ حيث آمن به البعض وكفر به آخرون. ونسب ذلك لأهل التأويل جميعاً، ثم أورد احتمالاً آخر؛ أي ممّا أنزل الله على نبيه، فيشمل بذلك جميع الشّرع، وتعقبه ببيان ضعفه بحجّة أن ما كان كذلك فإنّه لا يتحقق اليقين فيه بمجرد السماع

(1)\_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (488/3).

(2)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (501/2).

(3)\_ المصدر السابق، (196/5).

(4)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (304/4).

(5)\_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (168/5).

(6)\_ المصدر السابق، (274/4).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

من مؤمني بني إسرائيل، وإنما يحتاج إلى أدلة عقلية<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «وهذا التأويل عندي أبين إذا لحص، وإن كان قد استبعده ع، ويكون المراد بـ: ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا﴾ ما ذكره سبحانه من قصصهم، وذكر صفته ﷺ، وذكر أنبيائهم وصفتهم وسيرهم وسائر أخبارهم الموافقة لما في كتبهم المنزلة على أنبيائهم كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف، وتكون هذه الآية تنظر إلى قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]، فتأمله والله أعلم»<sup>(2)</sup>.

بـ رد ابن عطية على من فسّر "قتل" بـ: "لعن" في قوله ﷺ: ﴿قِيلَ الْفَرَّاصُونَ ۙ﴾ [الذاريات]، وحثته أنه تفسير لا يعطيه اللفظ<sup>(3)</sup>، فردّ عليه الثعالبي بقوله: «ت: والظاهر ما قاله هذا المفسر، قال عياض في (الشفاء): وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى: ﴿قِيلَ الْفَرَّاصُونَ ۙ﴾ هو: ﴿فَتَلَّهُمُ اللَّهُ أُبَىٰ يُوفِّكَوْنَ﴾ [المنافقون: 4]»<sup>(4)</sup>.

جـ نقل ابن عطية الخلاف في قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ تَغْلِبُ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۙ﴾ [الجن: 3]، ومن بين الأقوال التي ساقها؛ أنه عطف على الضمير في به، ثم رده من جهة النحو لأن فيه العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض، وذلك لا يحسن<sup>(5)</sup>، فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: بل هو حسن؛ إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتاً»<sup>(6)</sup>.

دـ رد ابن عطية على بعض المفسرين عند تفسيره لقوله ﷺ: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [فصلت: 14]؛ حيث قال: «وجاء من مجموع العبارة إقامة الحجة عليهم في أن الرسالة والتذارة عمّتهم خبراً ومباشرة، ولا يتوجه أن يجعل ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ عبارة عما أتى بعدهم في الزمن؛ لأن ذلك لا يلحقهم منه تقصير، وأما الطبري فقال: الضمير في قوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ عائد على الرسل، والضمير في

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (143/3).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (258/2).

(3) \_ ينظر: المصدر السابق، (173/5).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (279/4).

(5) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (379/5).

(6) \_ المصدر السابق، (488/4).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

قوله: ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ على الأمم، وتابعه الثعالبي، وهذا غير قوي لأنه يفرق الضمائر ويشعب المعنى<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وما تقدم للثعالبي وغيره أحسن؛ لأنّ مقصد الآية اتصال النذارة بهم وبمن قبلهم وبمن بعدهم، إذ ما من أمة إلا وفيها نذير، وكما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولَهَا كَذِبُوهُمْ فَاَتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: 44]، وأيضا فإنه جمّع في اللفظ عادا وثمود وبالضرورة أنّ الرسول الذي أرسل إلى ثمود هو بعد عاد، فليس لرد ع: وجه فتأمله<sup>(2)</sup>.

خامسا\_ ينقل ابن عطية قولاً فيتعقبه الثعالبي برده:

اهتمّ الثعالبي بتعقب الأقوال التي ينقلها ابن عطية دون أن يعلّق عليها والتي يرى الثعالبي ضعفها، واستخدم في ذلك عبارات عديدة؛ من ذلك أن يبين أنّ "في النفس من هذا القول شيء" أو أنّ "فيه ما لا يخفى" أو أنّ "هذا القول بعيد"، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ\_ من الأقوال التي أوردتها ابن عطية في تفسير قوله ﷺ: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 31] ما عزاه لابن مسعود وابن عباس وبعض الصحابة رضي الله عنهم من قولهم: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في أن الخليفة يفسد ويسفك<sup>(3)</sup>. ورأى الثعالبي أنّ في هذا القول مساس بعصمة الملائكة، فتعقب بقوله: «ت: وفي النفس من هذا القول شيء، والملائكة منزّهون معصومون كما تقدّم، والصواب ما تقدّم من التفسير عند قوله ﷺ: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنْ أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30] ...»<sup>(4)</sup>.

ب\_ نقل ابن عطية عن ابن القاسم عن مالك أنّه بلغه أنّ أول معصية كانت الحسد والكبر والشح، حسد إبليس وتكبر على آدم ﷺ، وشح آدم ﷺ، فأكل من الشجرة التي نُهي عنها<sup>(5)</sup>. ورأى الثعالبي أنّ في هذا القول مساس بعصمة الأنبياء، فتعقبه بقوله: «ت: إطلاق الشح على آدم فيه ما لا يخفى عليك، والواجب اعتقاد تنزيه الأنبياء

(1)\_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (8/5).

(2)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/115).

(3)\_ المصدر السابق، (1/121).

(4)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/64).

(5)\_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/125).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

عن كل ما يحط من رتبهم، وقد قال الله تعالى في حق آدم: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَسَيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (115 طه) «(1)».

ج \_ قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (22 محمد): «ومعنى ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: إن أعرضتم عن الحق، وقيل المعنى: إن توليتم أمور الناس من الولاية وعلى هذا قيل: إنها نزلت في بني هاشم، وبني أمية ذكره الثعالبي «(2)». فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وهو عندي بعيد لقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [محمد: 23]... والله أعلم» (3).

د \_ من الأقوال التي نقلها ابن عطية في قوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (3 النجم)؛ ما عزاه لبعض العلماء: «وما ينطق القرآن المنزل عن هوى» (4). فتعقب الثعالبي ذلك بقوله: «ت: وهذا تأويل بعيد من لفظ الآية كما ترى» (5).

سادسا \_ يورد ابن عطية معنى فيتعقبه الثعالبي بالنقل على غيره معتبرا إياه أحسن:

وطريقة الثعالبي في ذلك أن يذكر قول ابن عطية أولا، ثم يتعقبه بإيراد المعنى الذي يراه الأحسن، ويستشهد له بقول غيره، أو يورد اختيار ابن عطية، ثم يتعقبه بإيراد قول غيره ويعتبره أحسن مما ذهب إليه، وأحيانا يذكر القول الذي نقله أولا، ثم يورد بعده قول ابن عطية ويعقب عليه بأن "ما تقدم أحسن"، ومن أمثلة ذلك:

أ \_ قال ابن عطية في قوله ﷺ: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 42]: «يريد أن السقوف وقعت، وهي العروش، ثم تخدمت الحيطان عليها، فهي خاوية» (6). فتعقبه الثعالبي بقوله: «فسر ع رحمه الله لفظ خاوية في سورة الحج والنمل ب: "خالية". والأحسن أن تفسر هنا وفي الحج ب "ساقطة"، وأما التي في النمل، فيتجه أن تفسر ب "خالية" وب "ساقطة" قال الزبيدي في مختصر العين: خوت الدار باد أهلها، وخوت: تخدمت انتهى،

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (67 / 1).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (173/5).

(3) \_ المصدر السابق، (228/4).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (142 / 3).

(5) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (304 / 4).

(6) \_ المصدر السابق، (519 / 3).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

وقال الجوهري في كتابه المسمى ب تاج اللغة وصحاح العربية: خوت النجوم خيا: أحلّت، وذلك إذا سقطت ولم تطر في نوثها، وأخوت مثله، وخوت الدار خواء ممدودا: أقوت وكذلك إذا سقطت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: 52]؛ أي: خالية، ويقال: ساقطة كما قال: ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الحج: 45]؛ أي ساقطة على سقوفها. انتهى وهو تفسير بارع، وبه أقول، وقد تقدم إيضاح هذا المعنى في سورة البقرة<sup>(1)</sup>.

ب \_ نقل الثعالبي أنّ معنى: ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: 53]؛ أي متتابعين، يقارن بعضهم بعضا، يمشون معه شاهدين له، ثم أتبع ذلك بقول ابن عطية: «أي: يجمونه، ويشهدون له، ويقيمون حجته»<sup>(2)</sup>. ثم تعقبه بقوله: «ت: وما تقدم لغيره أحسن، ولا يشك أن فرعون شاهد من حماية الله لموسى أمورا لم يبق معه شك في أن الله قد منعه منه»<sup>(3)</sup>.

ج \_ ساق ابن عطية الخلاف الوارد في قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: 19] ثم رجّح أنّ المقصود إلحاق الذرية بمراتب الآباء في الجنة<sup>(4)</sup>، فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وأظهر من هذا ما أشار إليه الثعلبي في بعض أنقاله: أنّ الله تعالى يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة، كما كانوا في الدنيا، انتهى. ولم يتعرض لذكر الدرجات في هذا التأويل، وهو أحسن لأنه قد تقرر أن رفع الدرجات هي بأعمال العاملين، والآيات والأحاديث مصرحة بذلك، ولما يلزم على التأويل الأول أن يكون كل من دخل الجنة مع آدم ع في درجة واحدة؛ إذ هم كلهم ذريته، وقد فتحت لك بابا للبحث في هذا المعنى منعني من إتمامه ما قصدته من الاختصار، وبالله التوفيق»<sup>(5)</sup>.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 528).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (60/5).

(3) \_ ينظر: المصدر السابق، (4/ 174).

(4) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 189).

(5) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 295).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

د\_ قال ابن عطية: «ومعنى: ﴿إِنَّمَا يَبَايَعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10]؛ أن صفقتهم إنما يمضيها ويمنح ثمنها الله تعالى»<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وهذا تفسير لا يمس الآية ولا بد، وقال الثعالبي: ﴿إِنَّمَا يَبَايَعُونَ اللَّهَ﴾ أي: أخذك البيعة عليهم عقد الله عليهم، انتهى. وهذا تفسير حسن»<sup>(2)</sup>.

سابعاً\_ يورد ابن عطية مجموعة من الأقوال في الآية دون أن يرجح، فيتعقبه الثعالبي بإيراد قول لم يذكره ويرجحه:

وهذا ما يقتضي رد جميع الأقوال السابقة واختيار القول الذي أورده، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ\_ عند تفسير قوله ﷺ: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْنَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(74)</sup> [التوبة] ذكر ابن عطية أنها نزلت في الجلّاس بن سويد، ونقل عن قتادة أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول<sup>(3)</sup>. فتعقبه الثعالبي بإيراد قول آخر لم يورده ابن عطية ورجحه حيث قال: «ت: وزاد ابن العربي في أحكامه قولاً ثالثاً أن الآية نزلت في جماعة المنافقين قاله الحسن، وهو الصحيح لعموم القول ووجود المعنى فيه وفيهم»<sup>(4)</sup>.

ثامناً\_ يورد ابن عطية قولاً أو أكثر مما تحتمله الآية، فيتعقبه الثعالبي بإيراد معنا آخر محتمل دون أن يرد المعاني الأخرى:

ومن العبارات التي يستخدمها للدلالة على احتمال الآية لمعنى آخر؛ قوله مثلاً: «ويحتمل أن يراد...». أو: «وقد يحتمل أن يكون المعنى...». وقد يتبع قول ابن عطية بإيراد أقوالاً أخرى مصدرًا لها بحرف "ت" والتي تعني "قلت" ومن أمثلة ذلك:

أ\_ ذكر ابن عطية أن قوله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشْتَلِي فِي يَوْمِكُنَّ مِنْ-إِبْتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾<sup>(34)</sup> [الأحزاب] ينصب في مقصدين؛ الأول: أن يريد تذكّره، واقدرنه قدره، وفكرن في أن

(1)\_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 129).

(2)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 238).

(3)\_ ينظر: المصدر السابق، (3/ 60).

(4)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 189).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

من هذه حاله ينبغي أن تحسن أفعاله. والثاني: أن يريد؛ اذكرن بمعنى: احفظن واقرأن وأزمنه ألسنتكن<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: ويحتمل أن يراد ب اذكرن؛ إفشاؤه ونشره للناس، والله أعلم»<sup>(2)</sup>.

ب \_ ذكر ابن عطية أن قوله ﷺ: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ** ﴾ [الطور: 35] يحتمل قولين؛ الأول: أم خلقوا خلق الجماد من غير حي فهم لا يؤمرون ولا ينهون. الثاني: أم خلقوا لغير علة ولا لغير عقاب ولا ثواب<sup>(3)</sup>. فتعقبه الثعالبي بإيراد احتمال آخر، حيث قال: « قلت: وقد يحتمل أن يكونَ المعنى: أم خلقوا من غير شيء خلقهم، أي: من غير مُوجد أوجدهم، وبدلَ عليه مقابلته بقوله: ﴿ **أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾»<sup>(4)</sup>.

ج \_ نقل ابن عطية عن ابن عباس ﷺ أن المقصود من قوله ﷺ: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة] أحبار اليهود يأمرون أتباعهم ومقلديهم بإتباع التوراة، وكانوا هم يخالفونها<sup>(5)</sup>. فتعقب الثعالبي بإيراد قوله آخر حيث قال: «ت: وخرج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في كتاب رياضة المتعلمين، قال: حدثنا أبو بكر بن خالد، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن عبد الله بن علي بن زيد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريضمن نار، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»<sup>(6)</sup>»<sup>(7)</sup>.

د \_ نقل ابن عطية عن مجاهد أن قوله ﷺ: ﴿ **وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الأنفال]؛ نزل في النضر بن الحارث فهو قائل هذه المقالة<sup>(8)</sup>. فتعقبه الثعالبي بإيراد قول آخر حيث قال: «ت: وخرَجَ البخاريّ بسنده، عن أنس بن مالك، قال: «قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم،

(1) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (385/4).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (355/3).

(3) \_ ينظر: المصدر السابق، (192/5).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (299/4).

(5) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (136/1).

(6) \_ أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 12211، (244/19). وصحَّحه شعيب الأرنؤوط بمجموع طرقه.

(7) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (76/1).

(8) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (520/2).



فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (33) وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ: إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنْفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (34) [الأنفال] «(1)» (2).

تاسعا\_ يحكم ابن عطية على قول فيتعقبه الثعالبي مبينا أنه حكم بخلاف ذلك في موضع آخر:

وطريقته في ذلك أن يورد أنّ "ما ضعفه في هذا الموطن صحّحه في سورة أخرى"، أو أنّه "رجع إليه في سورة أخرى" أو أنّ "ما صحّحه هنا عكسه في موضع آخر"، وقد يحيل القارئ للرجوع إلى الموطن الذي أشار إليه، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ \_ ساق ابن عطية الخلاف في المخاطب بقوله ﷺ: ﴿ قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (24) [الأعراف]، وضعّف قول من ذكر أنّه خطاب لآدم عليه السلام وذريته، وإبليس وذريته، بحجّة عدمهم في ذلك الوقت (3). فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وما ضعفه رحمه الله صحّحه في سورة البقرة، فتأمله هناك» (4).

ب \_ عند تفسير قوله ﷺ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (38) [يونس] نقل الثعالبي عن ابن عطية: أنّ التحدي في هذه الآية عند الجمهور وقع بجهتي الإعجاز اللتين في القرآن؛ إحداهما: النّظم والرّصف والإيجاز والجزالة، كل ذلك في التعريف. والأخرى: المعاني من الغيب لما مضى، ولما يستقبل. وحين تحداهم ب "عشر مفتريات" إنّما تحداهم بالنّظم وحده، ثم قال ابن عطية: هذا قول جماعة المتكلمين. ثم اختار أن الإعجاز في الآيتين إنّما وقع في النّظم لا في الإخبار بالغيوب. فتعقبه

(1) \_ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (33) [الأنفال]، رقم: (4649)، (6/ 62). ومسلم، باب ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾، رقم: (2796)، (4/ 2154).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 125).

(3) \_ ينظر: الحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 387).

(4) \_ المصدر السابق، (2/ 16).



## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

الثعالبي بقوله: «ت: والصواب ما تقدم للجمهور، وإليه رجع في سورة هود، وأوجه إعجاز القرآن أكثر من هذا وانظر الشفا»<sup>(1)</sup>.

ج \_ نقل الثعالبي عن ابن عطية في تفسير قوله ﷻ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85]؛ «المعنى: لا تُنزل بنا بلاء بأيديهم أو بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فَيُفْتَنُونَ لذلك، ويعتقدون صلاح دينهم، وفساد ديننا، قاله مجاهد وغيره، فهذا الدعاء على هذا التأويل يتضمَّن دفع فصلين: أحدهما: القتل والبلاء الذي توقَّعه المؤمنون. والآخر: ظهور الشُّرك باعتقاد أهله أنهم أهل الحق»<sup>(2)</sup>. ثم تعقبه بقوله: «ورجَّح ع في سورة الممتحنة قول ابن عباس: إنَّ معنى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: 5]؛ لا تُسلِّطهم علينا فيفتنونا. أنظره هناك»<sup>(3)</sup>.

د \_ عند تفسير قوله ﷻ ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِن الْقَنِينِ﴾ [التحریم] نقل الثعالبي عن ابن عطية أنَّ معنى "الفرج" عند الجمهور فَرْجُ الدَّرَجِ، وقال قوم: هو الفرجُ الجارحة، وإحصانه صُوْنُهُ<sup>(4)</sup>، ثم تعقب ذلك بقوله: «ت: وقد عكس- رحمه الله- نَقَلَ ما نَسَبَهُ للجمهور في سورة الأنبياء فقال: "المعنى واذكُرِ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا وهو الجارحة المعروفة، هذا قولُ الجمهور، انظر بقية الكلام هناك»<sup>(5)</sup>.

عاشرا \_ يورد الثعالبي كلام ابن عطية ويتعقبه بتصويب الخلل فيه:

ينقل الثعالبي كلام ابن عطية فإذا لاح له وجود خلل فيه صوّبه ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ \_ تعقب الثعالبي ابن عطية في كلامه عن سدّ سبأ العظيم، حيث قال \_ أي الثعالبي \_: «ت: وقول ع: «وكان قد بني في رأس الوادي عند أول الجبلين». صوابه: وكان قد بني في أسفل الوادي عند آخر الجبلين»<sup>(6)</sup>.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (239 / 2).

(2) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (138/3).

(3) \_ المصدر السابق، (254/2).

(4) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (5 / 335).

(5) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (437 / 4).

(6) \_ المصدر نفسه، (375 / 3).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

ب\_ قال ابن عطية: «ويقتضي ذلك أن النبي ﷺ، كان في عام الحديبية في أربع عشرة مائة، ثم سار إلى مكة بعد ذلك بعامين في عشرة آلاف فارس»<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: المعروف عشرة آلاف، وقوله فارس ما أظنه يصح فتأمله في كتب السيرة»<sup>(2)</sup>.

ج \_ قال ابن عطية: «﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31] إعلاما بأن الأمر فوق ما يتوهم، وأن الخبر إنما هو عن بعض القدرة لا عن كلها»<sup>(3)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: صوابه أن يقول عن بعض المقدورات لا عن كلها وهذا هو مراده، ألا تراه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: 255] قال: يعني بشيء من معلوماته؛ لأن علمه تعالى لا يتجزأ، فافهم راشدا»<sup>(4)</sup>.

كانت تلك صيغ التعقبات عند الثعالبي، وهي كما ترى كثيرة ومتنوعة، ما يعني أنّ صاحب الجواهر لم يكن مجرد ملخص أو مهذب للمحرر الوجيز، بل كان مفسرا يتعامل مع نصوص القرآن بفهم ودراية، وتظهر فيه شخصيته المستقلة بوضوح، وهو ما يؤكد ما ذكرته آنفا من أنّ الثعالبي استوفى شروط المفسر العلمية منها والنفسية.

### المطلب الثاني: أسلوب الثعالبي في التعقب

من أهم ما ينبغي الوقوف عليه لمعرفة منهج الثعالبي في تعقباته؛ ما يتعلّق بأسلوبه في ذلك، سواء من جانب الاعتماد على الأدلة والشواهد، أو لزوم الأدب في الرد، وفيما يلي بيان ذلك:

#### أولا\_ أسلوبه من حيث الاستدلال والاستشهاد:

يعتمد الثعالبي على الاستدلال في كثير من تعقباته، غير أنّه لا يسهب في إيراد الأدلة وتتبع المسائل؛ لأنّ المقصد من تفسيره إنّما هو الاختصار، وقد أشار في مواطن عديدة أنّ الإطالة في المناقشة والعرض يخرج الكتاب عن مقصده، ومن أمثلة ذلك:

(1)\_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 138).

(2)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 246).

(3)\_ المصدر السابق، (5/ 397).

(4)\_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 512).



## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

أ \_ فسّر ابن عطية العلم في قوله ﷺ: ﴿ هَآئِمٌ هَتُولَاءٌ حَجَبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِوَيْءِ عِلْمٍ ﴾ [آل عمران:66] على غير حقيقته، وردّ على الطبري إثباته للعلم على الحقيقة مما تلقاه أهل الكتاب من جهة كتبهم وأنبيائهم<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «قلت: وما قاله الطبري أبين، وهو ظاهر الآية، ومن المعلوم أن أكثر احتجاجاتهم إنّما كانت تعسّفا وجحدا للحق»<sup>(2)</sup>.

ب \_ نقل ابن عطية الخلاف في موت موسى وهارون عليهما السلام هل كان في التيه أم لا؟ فذكر القول الأول ثم أعقبه بقول الزجاج بأنّهما لم يكونا في التيه لأنّه عذاب، ورجّح الأول باعتباره قول الأكثر<sup>(3)</sup>، فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: لكن ظاهر قوله: ﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة:25] يقوي ما حكاه الزجاج»<sup>(4)</sup>.

ج \_ نفى ابن عطية إمكانية وطء الجن للإنس، فردّ عليه الثعالبي بأنّ ظواهر الأحاديث تثبت ذلك، ومنها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنّينا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره الشيطان أبدا»<sup>(5)</sup>، حيث اعتبر أنّ ظاهر قوله صلى الله عليه وآله: «اللهم جنّينا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا» يقتضي أن لهذا اللعين مشاركة ما في هذا الشأن<sup>(6)</sup>.

كما أنّه يعتمد على إيراد الآية القرآنية والأحاديث النبويّة في بيان معنى خالف فيه ما قرّره ابن عطية، ومن الأمثلة على ذلك:

\_ تعقب ابن عطية حين ذكر: «أنّه حيث ما ذكر الخير، فإنّ المال يدخل فيه»<sup>(7)</sup>. فبيّن الثعالبي أنّ هذا غير صحيح، بل الصواب أنّ الخير أعمّ من ذلك كلّّه، ثم استند في ذلك إلى جملة من الآيات منها قوله صلى الله عليه وآله:

(1) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (451/1).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (330/1).

(3) \_ ينظر: المصدر السابق، (149/1).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (89/1).

(5) \_ أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع، رقم: (141)، (291/1)، ومسلم، كتاب النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع، رقم: (1434)، (1058/2).

(6) \_ ينظر: المصدر السابق، (485/2).

(7) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (166/3).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴾ [الزلزلة: 7] فإنه يشمل المال وغيره، ونحوه: ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: 77]، وانظر قوله ﷺ: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة»<sup>(1)</sup>، وقوله ﷺ: ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: 33]، فهنا لا مدخل للمال إلا على تجوُّز، وقد يكون الخير المراد به المال فقط وذلك بحسب القرائن، كقوله ﷺ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنْفِقِينَ ﴾ [البقرة: 180]<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى ما سبق فإنه يعتمد على أحاديث البخاري ومسلم في بعض تعقباته، لبيان صحّة ما ذهب إليه، وهذا ما سلكه خاصة فيما تعلق بأسباب النزول، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ \_ نقل ابن عطية عن مجاهد أنّ قوله ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حِجَابًا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ يُبَدِّلْ مَا بَدَّلْنَا مِن آيَاتِكَ لِيَلْغِيَنَّ اللَّهُ وَجْهَنَا وَنَجِّنَا إِلَىٰ آلِهَاتِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ كَذَّبَ ﴾ [الأنفال: 32] نزل في النضر بن الحارث فهو قائل هذه المقالة<sup>(3)</sup>. فتعقبه الثعالبي بإيراد قول آخر حيث قال: « ت: وخرّج البخاريّ بسنده، عن أنس بن مالك، قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [33] وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُوهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: 34] »<sup>(4)</sup>»<sup>(5)</sup>.

ب \_ نقل عن ابن عطية الخلاف الواقع في سبب نزول قوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحریم: 1]، حيث أورد في ذلك قولين؛ الأول أنّ الآية نزلت بسبب تحريم

(1) \_ أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، رقم: (428)، (1/ 624)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب: غزوة الأحزاب، رقم: (1805)، (3/ 1431).

(2) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 275).

(3) \_ ينظر: الحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 520).

(4) \_ سبق تخريجه. ينظر: (ص: 104).

(5) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 125).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

النبي ﷺ على نفسه مارية، والثاني أنها نزلت بسبب تحريمه على نفسه العسل، ورجح ابن عطية الأول<sup>(1)</sup>، فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: والحديث الثاني هو الصحيح خرجه البخاري ومسلم وغيرهما»<sup>(2)</sup>.

### 2\_ الاستشهاد بأقوال غيره لتأكيد ما ذهب إليه:

نقل الثعالبي عن كثير من أهل العلم كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، وقد اعتمد على الاستشهاد بأقوالهم في تعقباته على ابن عطية، وهذا ما يؤكد أنّ الثعالبي لم يكن مجرد مختصر للمحرر الوجيز فحسب، بل كان ينتقي من أقوال غيره ويوظف ذلك أحيانا في تعقباته على ابن عطية، ومما يوضح ذلك ما يلي:

أ\_ عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(31)</sup> [البقرة] تعقب ابن عطية فيما نقله عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما من أنّ معنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنّ الخليفة يُفسد ويسفك<sup>(3)</sup> بقوله: «ت: وفي النفس من هذا القول شيء، والملائكة منزّهون معصومون كما تقدّم، والصواب ما تقدّم من التفسير عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30]، قال الأخفش: فلم يكن ذلك لأن الملائكة ادّعوا شيئا؛ إنّما أخبر عن جهلهم بعلم الغيب وعلمه بذلك وفعله فقال: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كما يقول الرجل للرجل: «أُنَبِّئْنِي بهذا إن كنت تعلم» وهو يعلم أنّه لا يعلم؛ يريد أنّه جاهل»<sup>(4)</sup>.

### ثانيا \_ أسلوبه من حيث التزام الأدب في التعقب:

امتازت سيرة الثعالبي بالزهد والورع والتزام الأدب، وقد أكد في تفسيره في مواطن كثيرة على ضرورة صون اللسان من الولوغ في الأعراض والتعرض للغير بالسبّ والشتم، كما حثّ على توقير العلماء؛ حيث ذكر عند تفسير قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ

(1) \_ ينظر: الحرر الوجيز، ابن عطية، (5/330).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/434).

(3) \_ ينظر: المصدر السابق، (1/121).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/64).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ [الحجرات] أنه يُكره رفع الصوت عند قبر النبي ﷺ، كما يُكره أيضا رفعه بحضرة العالم وفي المساجد، وبين أنّ هناك آثارا تؤكد ذلك<sup>(1)</sup>، وقد التزم الثعالبي ما قرره، فجاء واضحا من خلال تميّز أسلوبه في التعقّب بالاحترام والتأدّب مع ابن عطية، ومعرفة قدره دون التعرض له بجرح أو تسفيه، ونظرا لأهميّة هذه القضية خاصة والخلل قد وقع فيه بعض من المنتسبين إلى الدعوة في زماننا، فسأركز على هذه الخصلة التي اتصف بها الثعالبي من خلال الأمثلة التي أوردتها، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا\_ كثيرا ما يترجم الثعالبي على ابن عطية حين يراه قد جانب الصواب، فينبّه على موطن الخلل، ويتلطّف في العبارة، ومن ذلك:

أ\_ ذكر ابن عطية مناسبة تكرر: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من قوله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ [النساء]، فقال: «قوله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفتقرين، ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تنبيهها على استغنائه عن العباد، ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا، ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ مقدمة للوعيد، فهذه وجوه تكرر هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة»<sup>(2)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «وفي تمثيته هذه عندي نظر، والأحسن بقاء الكلام على نسقه فقوله رحمه الله: «تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفتقرين» حسن، وإنما الذي فيه قلق ما بعده من توجيهه»<sup>(3)</sup>.

فتنبّه إلى تحسينه لما يراه صوابا، ثم تعقبه على ابن عطية فيما يرى ضعف مأخذه، مستخدما أسلوبا لائقا مقدّما بالترحم عليه؛ فهذا يُظهر أنّه لا يتعقّب لحاجة في نفسه، وإنما قصده تصويب الخلل، إذ إنّ لا يبخس النّاس أشياءهم، فما رآه حسنا موافقا للحق الذي يعتقده حسنه، وما رآه مخالفا لما يعتقده رده بأدب واحترام.

(1)\_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (254 / 4).

(2)\_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (122 / 2).

(3)\_ المصدر السابق، (501 / 1).



## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

ب\_ ساق ابن عطية الخلاف في المخاطب بقوله ﷺ: ﴿قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (24) [الأعراف]، وضعّف قول من ذكر أنّه خطاب لآدم وذريته، وإبليس وذريته؛ بحجّة عدمهم في ذلك الوقت<sup>(1)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وما ضعفه رحمه الله صححه في سورة البقرة، فتأمله هناك»<sup>(2)</sup>.

والأمثلة على ما تقدّم كثيرة جدا، والذي يجدر التنبيه إليه أنّ ترحمه على ابن عطية مع رفقه في استخدام العبارات أثناء تعقبه عليه، يبين أصلا عظيما ينبغي أن يكون رباطا وثيقا بين المسلمين عموما، وبين حملة العلم خصوصا، فالعلم مبناه على الرّحمة والرّفق، لذا دأب كثير من المحدثين أن يكون أول حديث يحدثون به؛ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن»<sup>(3)</sup>، فكان أول حديث سمعه جلّ رواته فحدّث بذلك كل واحد عن شيخه<sup>(4)</sup>.

ثانيا\_ أحيانا يبحث الثعالبي عن مخرج لابن عطية يعتذر له به، ومن ذلك أن يشير أنّه قد نبّه على خلاف ما قرّره في الموطن الذي تعقبه فيه، ثم ينبّه أنّه ينبغي أن يُحمل ما كان ظاهره مخالف لما قرّره في الموطن الأخرى \_ التي يرى الثعالبي أنّه أصاب فيها \_ على ما قرّره فيها، كما أنّه يشير أحيانا إلى تنبيهه لما يراه الثعالبي صائبا، ويتعقّبه على عدم التنبيه في الموطن الذي خالف فيه معتبرا أنّ الأولى أن ينبّه، ومن أمثلة ذلك:

أ\_ عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (98) [التوبة]، نقل الثعالبي عن ابن عطية قوله: «ثم قال على جهة الدعاء: ﴿عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ﴾، وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء؛ لأنّ الله لا يدعو على مخلوقاته، وهي في قبضته ومن هذا: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ﴾ (1) [الهمزة]، ﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّينَ﴾ (1) [المطففين]، فهي كلها أحكام تامة تضمنها خبره تعالى»<sup>(5)</sup>. ثم علّق الثعالبي بقوله: «ت: وهذه

(1) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 387).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 16).

(3) \_ أخرجه أبو داود، باب في الرّحمة، رقم: 4941، (7/ 298). والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، رقم: 1924، (4/ 324). وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(4) \_ ينظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي (ت: 902هـ)، ت: علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر، ط: 1، 1424هـ / 2003م، (4/ 43).

(5) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 74).



## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

قاعدة جيدة، وما وقع له رحمه الله مما ظاهره مخالف لهذه القاعدة، وجب تأويله بما ذكره هنا، وقد وقع له ذلك بعد هذا في قوله تعالى: ﴿صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 127] قال: «يحتمل أن يكون دعاءً عليهم، ويحتمل أن يكون خيراً، أي: استوجبوا ذلك، وقد أوضح ذلك عند قوله تعالى: ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْدُودَ﴾ [البروج]، فانظره هناك»<sup>(1)</sup>.

بـ نقل في موطن آخر قول ابن عطية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31] إعلاما بأن الأمر فوق ما يتوهم وأن الخبر إنما هو عن بعض القدرة لا عن كلها<sup>(2)</sup>. ثم تعقبه بقوله: «ت: صوابه أن يقول عن بعض المقدورات لا عن كلها وهذا هو مراده، ألا تراه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: 255] قال: يعني بشيء من معلوماته لأن علمه تعالى لا يتجزأ، فافهم راشدا»<sup>(3)</sup>.

فتأمل كيف يصح ما يرى أنّ ابن عطية قد جانب الصواب فيه، مع التماس العذر له وحمل ما صدر منه على أحسن المحامل، فهو بذلك قد وعى ما أوصى به ابن عطية في مقدمة تفسيره حين قال: «فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مني، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي، فليستصوب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه وحسبنا الله ونعم الوكيل»<sup>(4)</sup>.

جـ ذكر ابن عطية أن قوله ﷺ: ﴿وَلَيْنِ لِّتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ قَرِينٍ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120] خطاب للنبي ﷺ وأتمته معه داخله فيه<sup>(5)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: والأدب أن يقال: حُوطب به ﷺ والمراد أتمته لوجود عصمته ﷺ وكذلك الجواب في سائر ما أشبه هذا المعنى من الآي، وقد نبّه - رحمه الله - على هذا المعنى في نظيرتها كما سيأتي، وكان الأولى أن ينبّه على ذلك هنا أيضا»<sup>(6)</sup>.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (199 / 2).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (397 / 5).

(3) \_ المصدر السابق، (512 / 4).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (35 / 1).

(5) \_ ينظر: المصدر نفسه، (204 / 1).

(6) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (129 / 1).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

فانظر كيف يترحم عليه، ويشير إلى تنبيهه للوجه الذي يراه صائباً في غير هذا الموطن، ثم يستدرك عليه بلطف وأدب مستخدماً عبارة "وكان الأولى"، فكأنه بذلك يشعر أنه قد ترك الأولى باعتبار أنه قد سبق تنبيهه على مثل هذه القضية.

وفي مواطن يتعقب ابن عطية ثم يبحث له عما عوّل عليه رغم أنه يخالفه في ذلك، وخير مثال في هذا السياق ما نقله عنه عند تفسيره لقوله ﷺ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: 146]، حيث جعل الخطاب للمنافقين<sup>(1)</sup>، ووافق بذلك الطبري، فتعقبه الثعالبي مبدياً تعجبه من تخصيصه للآية رغم أنّ حملها على العموم أحسن، ثم ذهب يبحث لهما عن مخرج، حيث قال: «ويظهر - والله أعلم - أنهما عوّلا في تخصيص الآية على قوله تعالى: ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ وهو محتمل أن يحمل في حق المنافقين على ظاهره»<sup>(2)</sup>.

ثالثاً - قد يُصحح الخطأ ولا ينسب ذلك لابن عطية، كأن يُورد احتمال صدوره عن النَّاسِخ، ومن الأمثلة المبيّنة لذلك:

— عند تفسير قوله ﷺ: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ﴾ [المدثر] ذكر نقلاً عن السفاقي أن "الكبير" جمع "كبرى"، ثم أشار إلى ما جاء في تفسير ابن عطية حيث قال: «وفي ع: جمع "كبيرة" ولعله وهم من النَّاسِخ»<sup>(3)</sup>. فهو بهذا المسلك يربي على احترام الفاضل، وعدم الاعتراض على العالم بغير موجب حق، إذ قد يكون القصور في فهم المعترض، وقد وصى في كتابه "الذهب الإبريز" بضرورة تجنب الانتقاد ما أمكن حيث قال: «اترك الاعتراض على العلماء ما أمكن، هذه وصيتي لك»<sup>(4)</sup>.

رابعاً - تعقب الثعالبي ابن عطية في مواطن شدّد بعض العلماء عليه، فاكتفى بانتقاد ما ذهب إليه، وتخيّر في نقله ما سلم من العبارات المنقصة من قدره، ومن أمثلة ذلك ردّ ابن عطية لقراءة حمزة: ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ [النساء: 2] بالخفض بحجة عدم جوازها عند نحاة البصرة؛ لأنّ فيها عطف ظاهر على مضمّر مخفوض وهو ما لا يجوز إلا عند ضرورة الشعر، لأنّه لا ينفصل فهو بمثابة الحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف، وبين تساهل بعض النحاة في قبولها<sup>(5)</sup>، فتعقبه الثعالبي بإيراد كلام السفاقي الذي ردّ مذهب البصريين في عدم جواز العطف على الضمير

(1) - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 128).

(2) - الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 508).

(3) - المصدر نفسه، (4/ 512).

(4) - الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، عبد الرحمن الثعالبي، ت: محمد شايب، دار الكتب العلمية، لبنان، 1439هـ، 2018م.

(5) - المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 4).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

المجور، وأنكر الاحتجاج بذلك لردّ قراءة متواترة، وحسن الثعالبي ذلك وعزا نحوه للرازي، دون أن يشدد في العبارة على ابن عطية أو يتنقص من قدره<sup>(1)</sup>.

خامساً - كثيراً ما يتعقب ابن عطية ثم يُرجع العلم إلى الله؛ وهذا ما يبيّن أنّه لا يرى نفسه من الخطأ ولا يدعي الحقيقة المطلقة، فهو بذلك يعلمنا الأدب في مناقشة المسائل العلمية، وعدم العجب بالنفس والاعتداد بها.

ولم يكن أسلوبه في التأدب والتماس العذر خاصاً بتعقباته على ابن عطية فحسب، بل كان مسلماً سلكه مع جميع العلماء، ومما يبيّن ذلك أنّه أورد حديثاً عن النبي ﷺ في معنى: ﴿كَلِمَاتٍ﴾ من قوله ﷺ: ﴿تَلْفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾<sup>(104)</sup> [المؤمنون]، ثمّ قال: «هو المعول عليه في فهم الآية، وأما قول البخاري: كالحون معناه: "عابسون" فغير ظاهر، ولعله لم يقف على الحديث»<sup>(2)</sup>.

بهذا الأسلوب من الأدب الرفيع والاحترام والتقدير كان الثعالبي يتعامل مع ابن عطية وهو يتعقبه ويستدرك عليه، فلا تقرأ تجريحاً ولا تشهيراً ولا تحاملاً ولا تحقيراً، وذلك - لعمري - أدب العلماء ومسلوك الأتقياء، فأين هذا مما تعجّج به الساحة من أنواع التحقير والتشهير، بل والتفسيق والتبديع والتكفير في حق العلماء بزعم مخالفة المنهج...!

### المطلب الثالث: أنواع تعقبات الثعالبي على ابن عطية

تنوّعت الموضوعات التي تناولتها تعقبات الثعالبي على ابن عطية، وفيما يلي بيان ذلك:

#### أولاً - تعقبات في العقيدة:

تعقب الثعالبي ابن عطية في بعض المسائل العقديّة؛ أكثرها له تعلق بعصمة الأنبياء، ومن أمثلته: نقل ابن عطية عن ابن القاسم عن مالك أنّه بلغه أنّ أول معصية كانت الحسد والكبر والشح، حسد إبليس وتكبر على آدم، وشح آدم فأكل من الشجرة التي نهي عنها<sup>(3)</sup>، ورأى الثعالبي أنّ في هذا القول مساس بعصمة الأنبياء، فتعقبه بقوله: «ت: إطلاق الشح على آدم فيه ما لا يخفى عليك، والواجب اعتقاد تنزيه الأنبياء عن

(1) - ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 412).

(2) - المصدر نفسه، (3/ 164).

(3) - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 125).

كل ما يحط من ربتهم، وقد قال الله تعالى في حق آدم: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (115) [طه] «(1)».

كما تناولت تعقباته بعض القضايا الغيبية كمسألة زواج الجنّ بالإنس<sup>(2)</sup>، وتطرقت أيضا إلى بعض المسائل التي لها صلة بمبحث الأسماء والأحكام، ومن ذلك تعقبه على ابن عطية في مسألة سؤال بني إسرائيل لموسى عليه السلام بقولهم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138]، هل كان ذلك كفرا منهم وجحودا، أم جهلا بالحكم<sup>(3)</sup>؟.

ثانياً\_ تعقباته في علوم القرآن:

تناولت تعقبات الثعالبي على ابن عطية بعض مباحث علوم القرآن؛ كأسباب النزول، والقراءات، وبعض المسائل في الإعجاز وعادات القرآن.

فمن أمثلة تعقباته في أسباب النزول رده على ابن عطية نفيه أن يكون قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعِجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (204) [البقرة] نزل في الأحنس بن شريق<sup>(4)</sup>.

ومن نماذج تعقباته في القراءات انتقاده لابن عطية في رده لقراءة حمزة ﴿وَالْأَزْحَامَ﴾ [النساء: 2] بالخفض<sup>(5)</sup>.

وأما ما تعلق بالإعجاز وعادات القرآن، فقد تعقب ابن عطية في قصره التحدي في القرآن على التّظم<sup>(6)</sup>، كما انتقده في قوله: «حيث ما ذكر الخير، فإنّ المال يدخل فيه»<sup>(7)</sup>، مبينا أنّ كلامه غير ملخص؛ إذ الخير أعم

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (67 / 1).

(2) \_ ينظر: المصدر نفسه، (2 / 485).

(3) \_ ينظر: المصدر نفسه، (2 / 67).

(4) \_ ينظر: المصدر نفسه، (1 / 194).

(5) \_ ينظر: المصدر نفسه، (1 / 412).

(6) \_ ينظر: المصدر نفسه، (2 / 239).

(7) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3 / 166).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

من ذلك كله، وقد تتبع بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا المصطلح للتأكيد على ما ذهب إليه<sup>(1)</sup>.

### ثالثا\_ تعقبات في التفسير:

تعتبر تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير الأكثر على الإطلاق مقارنة بغيرها، ولا عجب في ذلك؛ إذ هو المقصد الأول من مؤلفه، وقد تنوعت المسائل المتعقبة في هذا الباب:

فمنها ما كان في بيان المقصود بالخطاب في الآية التي ساقها، ومن ذلك تعقبه لابن عطية في حمل قوله تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ﴾ [النساء: 146] على المنافقين<sup>(2)</sup>.

ومنها ما كان تعقبا في معنى لفظ، كاستدراكه على ابن عطية في معنى "خاوية"<sup>(3)</sup>.

ومنها ما له تعلق بالاستدلال بآية على معنى، كاستناد ابن عطية على قول الملائكة لزوجة إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [هود: 73] لدلالة على أنّ الزوجة من أهل البيت<sup>(4)</sup>، فتعقبه الثعالبي موضّحا أنّها من أهل بيته؛ لأنّها ابنة عمه<sup>(5)</sup>.

كما تعقبه في ادعاء الإجماع في تفسير بعض الآية، كردّه ما حكاه ابن عطية من إجماع في قوله عليه السلام: ﴿ إِنْ هُوَ

إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم] <sup>(6)</sup>.

هذا وقد كانت تعقباته في التفسير ضمن سور عديدة، يندرج بعضها في السبع الطوال، وبعضها في المعين،

ومنها ما يندرج في المثاني، ومنها ما يرجع إلى جزء المفصل.

(1) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (275/2).

(2) \_ ينظر: المصدر نفسه، (508 / 1).

(3) \_ ينظر: المصدر نفسه، (528 / 2).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (191 / 3).

(5) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (287/2).

(6) \_ المصدر نفسه، (304/4).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

### رابعاً\_ تعقبات في الفقه:

تناولت تعقبات الثعالبي على ابن عطية بعض المسائل الفقهية، فبعضها له علاقة بجانب العبادات، ومنها ما له علاقة بمسائل فقهية متنوعة.

فمن أمثلة التعقبات المتعلقة بمبحث العبادات استدراكه عليه في معنى "السعي" في قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الجمعة] (1).

ومن أمثلة المسائل الفقهية الأخرى، تعقبه عليه في المقدار الذي يُشرع فيه الفرار من المعركة (2)، كما تعقبه في بعض المسائل المتعلقة بالأحكام التكليفية، كحكم الوقوف للشخص احتراماً له وإجلالاً (3).

### خامساً\_ تعقبات في اللغة والتحو:

سبق أن بينت عناية ابن عطية باللغة والتحو؛ حيث يعتبر تفسيره مصدراً مهماً في هذا الباب، ومع ذلك فقد تعقبه الثعالبي في بعض المسائل، وقد تنوعت:

فمنها بعض القضايا الإعرابية، كانتقاده لابن عطية في إعرابه لـ: "الجن" بدلاً من شركاء في قوله ﷺ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: 100] (4).

كما تعقبه في ردّه لبعض المعاني اللغوية، كإطلاق السلوى على العسل (5). كما أخذت مسألة عود الضمير حضوراً لافتاً في تعقبات الثعالبي على ابن عطية، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: 20] (6).

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 414).

(2) \_ المصدر نفسه، (2/ 117).

(3) \_ المصدر نفسه، (4/ 383).

(4) \_ ينظر: المصدر نفسه، (1/ 653).

(5) \_ ينظر: المصدر نفسه، (1/ 87).

(6) \_ ينظر: المصدر نفسه، (4/ 166).

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

سادسا\_ تعقبات أخرى في موضوعات متنوعة:

إضافة إلى ما سبق فقد تعقّب الثعالبي ابن عطية في موضوعات أخرى، لم تكن بالعدد الذي شغلته الموضوعات السابقة، منها بعض التعقبات الحديثية ومنها ما له صلة بالسيرة وقصص الأنبياء.

هذه جملة الموضوعات التي تعقّب فيها الثعالبي ابن عطية ذكرتها بإيجاز، وستكون لي معها وقفة متأنية فيما سيأتي من فصول ومباحث في الباب الثاني الذي خصّصته للجانب التطبيقي \_ وبالله التوفيق\_.

وفي خلاصة هذا المبحث يتضح أنّ الثعالبي استخدم صيغا عديدة في تعقبه على ابن عطية، فأحيانا يتعقب قوله بأنّ فيه نظر، كما ينتقده في تخصيصه أو حكايته للإجماع مع وجود المخالف، وقد يردّ ابن عطية قولا فيصححه الثعالبي، كما يتعقبه في بعض الأقوال التي ينقلها ويختار غيرها، وقد يُضيف احتمالات على ما ذكره صاحب الحرر، ويهتم بتصحيح بعض عباراته، والإشارة إلى المواطن التي قرّر فيها خلاف ما ذكره في الموطن محلّ الاستدراك. وأمّا عن أسلوبه العلمي والأدبي؛ فغالبا ما يعتمد على الاستدلال بالقرآن والسنة سالكا في ذلك سبيل الاختصار، كما يستشهد بأقوال بعض الأعلام تأكيدا على ما ذهب إليه. وهو في ذلك لا يجيد عن لزوم الأدب أثناء الانتقاد، ممّا يعكس شخصيته المعروفة بالزهد والورع؛ فكثيرا ما يترحم على ابن عطية، بل ويبحث له أحيانا عن مخرج ليعتذر له، وقد يصحح الخطأ دون أن ينسبه إليه، ويتعقبه بأحسن العبارات في مواطن شدّد العلماء عليه، ويرجع العلم لله بعد تعقبه، لبيّن الحال التي ينبغي أن يكون عليها السالك لسبيل العلم من عدم الاعتداد بالنفس والعجب بها. وقد تناولت تعقبات الثعالبي موضوعات متعدّدة منها ما له صلة بالعقيدة وعلوم القرآن والتفسير والفقه والتحوّ واللغة وبعض القضايا الحديثية إضافة إلى بعض المسائل المتعلّقة بالسيرة وقصص الأنبياء.

### خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل اتضح أنّ التعقبات ظهرت مع ظهور علم التفسير، فأول من تعقب هو النبي ﷺ، ثمّ سار الصحابة رضي الله عنهم على نفس المنوال، وتتابع على ذلك التابعون وأتباعهم، ثم برز هذا اللون في التأليف، غير أنّه كان يدرج ضمن كتب التفسير، لتظهر بعض المؤلفات عُنت بهذا الشأن استقلالاً، وقد كانت أغراض التعقب تتمثل أساسا في: بيان المشكل وتصحيح المعاني وردّ الشبه. وفي العصر الحديث صار التعقب قبلة الباحثين والطلّاب وميدانا خصبا للدراسة الجامعية، وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة، وقد أبانت في جانبها المتعلّق بمنهج الثعالبي في تعقبه على ابن عطية تعدد صيغ تعقباته عليه ممّا يوضّح مكانته العلمية، كما امتاز بعنانيته بالاستدلال بالقرآن والسنة والاستشهاد بكلام أعلام الأمة، بأسلوب جمّله بالأدب واحترام المتعقّب عليه، وقد تعدّدت موضوعات استدرآكاته، ومن خلال الباب الثاني سأتناول دراستها بالتفصيل للإجابة على الإشكالات التالية:

## الفصل الثاني: نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها

---

ما المسائل التي تعقب فيها ابن عطية على التفصيل؟ وما مدى إصابة الثعالبي في ذلك؟  
ما أهم الحجج التي يعتمد عليها، وهل وُفق في توظيفها؟ وما الميدان الذي برز فيه أكثر؟



# الباب الثاني: دراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية

من خلال تتبع المسائل التي تعقب فيها الثعالبي ابن عطية اتضح أنّ موضوعاتها متعددة، ويأتي هذا الباب لدراسة هذه التعقبات اعتماداً على أقوال أهل التفسير وقواعد الترجيح، وقد رُوعي في ترتيبها موضوع المسائل المدروسة، حيث جعل كل موضوع عنواناً للفصل، وتمّ ترتيب الفصول حسب أهميتها كما يلي:

الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

الفصل الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل لغوية

الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوّعة

الفصل الأول

تعقبات الثعالي على

ابن عطية في مسائل عقديّة

رغم التوافق العقدي بين ابن عطية والثعالبي؛ إذ إنهما يشتركان في تأويل كثير من المسائل على طريقة الأشاعرة، إلا أنّ ذلك لم يمنع الثعالبي من تعقب صاحب المحرّر في بعض المسائل العقدية التي لم يرتض قوله فيها، ويأتي هذا الفصل لدراسة التعقبات الواردة في هذا السياق، والتي تعود إلى ثلاثة أنواع، خصّصت لبيانها ثلاثة مباحث، وتفصيل ذلك كالتالي:

### المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في النبوات

تعقب الثعالبي ابن عطية في بعض المسائل التي لها علاقة بالنبوات، ويأتي هذا المبحث لدراسة تلك التعقبات، والتي تعود في مجموعها إلى ستة مسائل، ضمّنت كل مسألة في مطلب، وفيما يلي بيان ذلك:

#### المطلب الأول: قضية إطلاق الشحّ على آدم عليه السلام

##### قول ابن عطية:

«وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال: بلغني أن أول معصية كانت: الحسد والكبر والشحّ، حسد إبليس آدم وتكبره، وشحّ آدم في أكله من شجرة قد نُهي عن قربها»<sup>(1)</sup>.

##### تعقيب الثعالبي:

«ت: إطلاق الشحّ على آدم فيه ما لا يخفى عليك، والواجب اعتقاد تنزيه الأنبياء عن كل ما يحطّ من ربتهم وقد قال الله تعالى في حق آدم: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾<sup>(115)</sup> [طه]»<sup>(2)</sup>.

##### الدراسة:

نقل ابن عطية عن ابن القاسم عن مالك أنّه بلغه أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشحّ؛ حسد إبليس وتكبره على آدم عليه السلام، وشحّ آدم عليه السلام فأكل من الشجرة التي نُهي عنها. فتعقبه الثعالبي مستنكراً لإطلاق الشحّ على آدم عليه السلام، مُذكراً بوجوب اعتقاد تنزيه الأنبياء عن كل ما يحطّ من قدرهم، ثم ساق قوله تعالى:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 125).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 67).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (115) [طه]؛ يريد بذلك أن يستدل أن ما وقع فيه آدم عليه السلام لم يكن عمداً، وإنما وقع نسيانا وسهواً. والذي يظهر لي أن المسألة ينبغي تناولها من جانبين:  
الأول: ما تعلق بمعنى الشحّ. أما الثاني: فيتعلق بإطلاق الشحّ على آدم عليه السلام، وهل في ذلك إنزال من مرتبته؟  
وبيان ذلك كالتالي:

### أولاً - معنى الشحّ:

قبل التطرّق لإطلاق لفظ الشحّ على آدم عليه السلام، ينبغي الوقوف على معناه، والمتبوع لهذه المسألة يلحظ تعدّد الأقوال فيها، وغالب من تطرق إليها ركّز على بيان الفرق بين الشحّ والبخل، وخلاصة ما وقفت عليه يمكن حصره في ثلاثة أقوال:

### القول الأول: أنّ البخل والشحّ بمعنى واحد.

وهذا ما ذهب إليه ابن جرير، وذكره السمعاني أولاً ثم ساق غيره بصيغة التمريض، ونسبه الطرطوشي<sup>(1)</sup> لكلام العرب<sup>(2)</sup>.

### ومّا يُستدل به:

— ما ذكره القرطبي أنّ في السنة ما يدل على مساواتهما؛ وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال في الشحّ: «.. لا يجتمع شحّ وإيمان في قلب رجل مسلم أبداً»<sup>(3)</sup>.

(1) — هو: أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي، يُعرف بابن أبي وندقة، كان إماماً عالماً، عاملاً زاهداً، ورعا ديناً متواضعاً، صحب القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجاز له، من مؤلفاته: سراج الملوك، توفي سنة: (520هـ). ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، (ص: 545).

(2) — ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م، (23/ 285). تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني (ت: 489هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: 1، 1418هـ - 1997م، (1/ 486). سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي (ت: 520هـ)، ت: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: 1414هـ، 1994م، (386/1).

(3) — أخرجه النسائي في السنن، (السنن الصغرى، أحمد النسائي (ت: 303هـ)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: 2، 1406 - 1986م) كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، رقم: (3114)، (6/ 14)، والحاكم في المستدرک، (المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ)، ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1411 - 1990م) كتاب الجهاد، رقم: (2395)، (2/ 82). وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

وسئل: «أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟» قال: لا<sup>(1)</sup> - (2).

القول الثاني: أَنَّ الشَّحَّ أَشَدُّ مِنَ الْبَخْلِ.

وقد اختلف توجيه أصحاب هذا القول؛ حيث عزا الماوردي لابن مسعود رضي الله عنه: أَنَّ الشَّحَّ أَخَذَ الْمَالَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالْبَخْلُ أَنْ يَمْنَعَ مِنَ الْمَالِ الْمُسْتَحَقَّ<sup>(3)</sup>. ويظهر منه تفاوت الحالتين؛ فأخذ مال الغير أشد من منع المال المستحق له، وبذلك فالشح بهذا التوجيه أشد من البخل.

وذكر الطرطوشي أَنَّ الْبَخْلَ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ فِي النَّفْقَةِ وَإِمْسَاكِهَا، بِخِلَافِ الشَّحِّ فَإِنَّهُ يَنْبِي عَلَى الْكِرَازَةِ<sup>(4)</sup> والامتناع، ويكون في المال وفي جميع منافع البدن<sup>(5)</sup>. فقلوه: ينبني على الكِرَازَةِ؛ إشارة إلى الحرص الشديد، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء فقالوا: إِنَّ الشَّحَّ هُوَ الْبَخْلُ مَعَ الْحَرَصِ، فَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْبَخْلِ. وممن قرّر ذلك صاحب الفروق، واختاره القرطبي<sup>(6)</sup>.

ومَّا اسْتَدَلُّوا بِهِ:

أَنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ فِي الْبَخْلِ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَجَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 180]، وقال: ﴿هَآئِنْتَ هَنُؤَلَاءَ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد: 38]، فَوَصَّفُ الْبَخْلِ فِي الْآيَتَيْنِ لَهُ تَعَلُّقٌ بِالْمَالِ، وَأَمَّا فِي الشَّحِّ فَقَالَ: ﴿أَشِحَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ

(1) \_ لم أقف عليه، بل وقفت على خلافه وهو ما أخرجه مالك في الموطأ، باب ما جاء في الصدق والكذب، رقم: (3630)، (5/ 1441)، عن صفوان بن سليم؛ أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟» فقال: «نعم». فقيل له: أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فقال: «نعم». فقيل له: أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا؟ فقال: «لا». وهو حديث مرسل.

(2) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964م، (4/ 442).

(3) \_ ينظر: النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي (ت: 450هـ)، ت: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت، د ت ط، (5/ 507).

(4) \_ الكِرَازَةُ: اليبس والانقباض، رجل كز: قليل الخير. ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، (9/ 321).

(5) \_ سراج الملوك، الطرطوشي، (ص: 95).

(6) \_ ينظر: الفروق اللغوية، العسكري، (ص: 295). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/ 293).

أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ ﴿ [الأحزاب: 19] (1). ووجه الشاهد ممّا سبق؛ أنّ البخل يكون في المال بخلاف الشحّ فيتناول جميع المنافع بدلالة لفظ (الخير)، وقد ارتبط به وعيد شديد كما دلّت الآية. ب\_ قوله ﷺ: «اتَّقُوا الشَّحَّ؛ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» (2)\_(3).

القول الثالث: أنّ الشحّ أقل من البخل.

وهذا ما قرّره ابن عطية؛ فالشحّ عنده يكون في كل أحد بحكم خلقته وجبليته، واعتبر المذموم منه ما تجاوز الحدّ، وأما البخل فهو منع الحقوق الشرعية أو الأمور التي تقتضيها المروءة، وهو رذيلة (4).

واستدل على ذلك بما يلي:

أ\_ قوله ﷺ: ﴿ وَأَحْضَرْتَ إِيَّاهُ لِأَنَّ نَفْسَ الشُّحِّ ﴾ [النساء: 128]، فالآية أثبتت أنّ لكل نفس شحا.

ب\_ قوله ﷺ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ صَاحِحٌ» (5)، وهذا لم يُرد به واحدا بعينه، وليس يُجمل أن يقال هنا: أن تصدق وأنت صحيح بخيل (6).

وقريب منه ما ذهب إليه ابن العربي؛ أنّ الشحّ هو منع المستحب بخلاف البخل فهو منع الواجب، ونقل

اتفاق علماء المالكية على ذلك، واستدل بقوله ﷺ: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9] (7).

(1) \_ ينظر: سراج الملوك، الطرطوشي، (ص: 95).

(2) \_ أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: 2578، (4/ 1996).

(3) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/ 293).

(4) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 120).

(5) \_ أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح، رقم: 1419، (2/ 110)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، رقم: 1032، (2/ 716).

(6) \_ ينظر: المصدر السابق، (2/ 120).

(7) \_ ينظر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، أبو بكر ابن العربي (ت: 543هـ)، محمد ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط: 1992 م، (ص: 1049).

• وتعقب القرطبي هذا القول بالاعتماد على قوله ﷺ: «اتَّقُوا الشَّحَّ؛ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»<sup>(1)</sup>، وقوله ﷺ: «.. لَا يَجْتَمِعُ شَحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَبَدًا»<sup>(2)</sup>، ثم قال القرطبي: «لو كان الشحّ منع المستحب لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم»<sup>(3)</sup>. من خلال ما سبق يتضح اختلاف أهل العلم في معنى الشحّ، فمنهم من يعتقد أنّه أمر مفطور في النفوس، والمذموم منه ما جاوز الحد، ومنهم من يرى أنّه بمعنى البخل أو أشد منه، وبذلك فهو مذموم مطلقاً.

### ثانياً\_ إطلاق الشحّ على آدم ﷺ :

مما وقفت عليه في هذه القضية ما يلي:

- 1\_ من أهل العلم من نقل رواية ابن القاسم عن مالك ولم يعلّق عليها، ومن هؤلاء مكّي بن أبي طالب، وابن عطية والقرطبي<sup>(4)</sup>. وقد ظهر أنّ ابن عطية أخذ ذلك عن مكّي؛ حيث استخدم العبارات نفسها.
- 2\_ حاول بعض العلماء توجيه معنى الشحّ المروي عن الإمام مالك؛ حيث نقل ابن العربي اتفاق علماء المالكية أنّ الشحّ هو منع المستحب بخلاف البخل فهو منع الواجب، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقْ شِحْحًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]، ثم أوضح وجه تسمية الإمام مالك فعل آدم ﷺ شحاً، وأنّ ذلك من قبيل ما قرره سابقاً، ثم قال: «ووجه تعلّق قول مالك بهذا التفسير أن الإيثار هو خلحك عما بيدك للغير، والشحّ ضده فهو إذا خلع ما بيد الغير لك؛ فلما خلع آدم الشجرة من قسم المتروك إلى قسم المفعول كان شحاً»<sup>(5)</sup>.

(1) \_ سبق تحريجه. ينظر: (ص: 125).

(2) \_ أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 8492، (8/ 335)، والنسائي، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، رقم: 3114، (6/ 14)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (مكتبة المعارف - السعودية، ط: 1، 1421 هـ - 2000 م)، رقم: 2606، (2/ 702).

(3) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/ 442).

(4) \_ ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، مكّي بن أبي طالب (ت: 437 هـ)، ت: مجموعة من الباحثين بإشراف: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: 1، 1429 هـ - 2008 م، (1/ 236). المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 125). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (1/ 296).

(5) \_ ينظر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، ابن العربي، (ص: 1049).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

وَوَجَّهَ ابن رشد قول مالك بقوله: «أَنَّ آدَمَ شَخَّ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ الَّتِي أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ الْأَكْلَ مِنْهَا، فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا إِبْقَاءَ عَلَيْهَا وَشَحَا بِهَا، وَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَا عَنْهَا»<sup>(1)</sup>. وهو نفس الكلام الذي قاله ابن عرفة<sup>(2)</sup>.

ما سبق نقله يُوضح أَنَّ الشَّخَّ يعني الحرص، وهو ما قرَّره غير واحد من أهل العلم، ومن ذلك ما رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَحْضَرْتَ إِلَّا نَفْسُ الشُّخِّ﴾ [النساء: 128]، قال: «والشَّخَّ: هُوَا فِي الشَّيْءِ يَحْرِصُ عَلَيْهِ»<sup>(3)</sup>. وممن اعتبر الشَّخَّ بمعنى الحرص أيضا: مقاتل بن سليمان<sup>(4)</sup>. والمُلاحَظ أنَّ توجيه من سبق ذكرهم لإطلاق الشَّخَّ على آدم عليه السلام ينطلق من موقفهم من معنى الشَّخَّ، حيث يرون أَنَّهُ لَيْسَ بِجَلَا، وإنما منع للمستحب، أو أَنَّهُ حَرَصَ عَلَى بَقَا الشَّيْءِ دُونَ أَنْ يَصْحَبَهُ بِجَلٍ، لذلك لم ينكروا كلام الإمام مالك.

3\_ لم أقف على من اعترض على قول الإمام مالك إلا الثعالبي، ووجه اعتراضه ينطلق من اعتقاده أَنَّ هذا الوصف فيه مساس بعصمة الأنبياء عليهم السلام، والواجب اعتقاد تنزيه الأنبياء عن كل ما يحطُّ من رتبتهم، وأورد قوله صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه] مستدلا به على أَنَّ ما وقع فيه آدم عليه السلام كان نسيانا<sup>(5)</sup>.

ويلاحظ أَنَّ استعظام الثعالبي لهذا الوصف نتيجة لاعتقاده بأنَّ معناه سيئ، ولم تمنعه مكانة الإمام مالك أن يتعقب ذلك.

### الخلاصة:

بعد هذا العرض يتضح ما يلي:

1\_ كل من ساق كلام الإمام مالك لم يتعقبه \_ ومنهم ابن عطية \_ وسبب ذلك:

(1) \_ المقدمات الممهדות لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهام مسائلها المشكلات، محمد ابن رشد القرطبي، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت ط، (2/ 454).

(2) \_ ينظر: تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، (1/ 256).

(3) \_ أخرجه الطبري في جامع البيان، رقم: 10625، (9/ 282).

(4) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان (ت: 150هـ)، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط: 1، 1423 هـ، (1/ 412).

(5) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 67).



## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

أ\_ حملهم الشخّ على الحرص، وانطلاقاً من ذلك لم يظهر لهم وجه لإنكاره، فلا شك أنّ آدم عليه السلام كان حريصاً على البقاء في الجنة، وقد أغراه الشيطان ووسوس له فأوقعه في الأكل من الشجرة.  
ب\_ أنّ الشخّ مما فطرت عليه النفوس، والمذموم منه ما جاوز الحدّ، وليس بمعنى البخل.

2\_ تَعَقُّبُ الثعالبي لهذا القول ينطلق من اعتقاده بوجوب تنزيه الأنبياء عليهم السلام من كل ما يُنقص من قدرهم، سواء كان ذلك قبل النبوة أو بعدها، ومعتقده هذا سيتضح أكثر من خلال المطالب الآتية.

ومع الاعتذار لمن أطلق هذا اللفظ بما سبق بيانه، إلا أنّ الذي يظهر لي ضرورة الابتعاد عنه لما قد يتضمنه من معنى غير لائق في نفس السامع، والمؤمن مطالب أن يتخَيَّرَ من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها، كما دلّ عليه قوله عليه السلام: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَقُولُوا نُنْحَرًا﴾ [البقرة:103]، وقد ذكر القرطبي أنّ هذه الآية دليل على تحنّب الألفاظ المحتملة للتنقيص والتعريض<sup>(1)</sup> \_ والله أعلم \_.

المطلب الثاني: مسألة إخراج آدم عليه السلام من الجنة

قول ابن عطية:

«وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة:35] [يحتمل وجوها؛ ف قيل أخرجهما من الطاعة إلى المعصية]، وقيل: من نعمة الجنة إلى شقاء الدنيا، وقيل: من رفعة المنزلة إلى سُفُل مكانة الذنب. قال القاضي أبو محمد: وهذا كله يتقارب»<sup>(2)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: وفي هذا القول ما فيه، بل الصواب ما أشار إليه صاحب التّنوير بأنّ إخراج آدم لم يكن إهانة له، بل لما سبق في علمه سبحانه من إكرام آدم وجعله في الأرض خليفةً، هو وأخيار ذرّيته، قائمين فيها بما يجب لله من عبادته»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ ينظر: أحكام القرآن، القرطبي، (2/ 294).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 129).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 70).

### الدراسة:

ساق ابن عطية ثلاثة أقوال في إخراج آدم عليه السلام من الجنة وجعلها متقاربة، وقد نقل الثعالبي منها قولين وهما: الثاني والثالث، وتعقب القول الثالث مبينا أنّ الصواب ما ذهب إليه صاحب التنوير، يقصد بذلك ابن عطاء الله السكندري<sup>(1)</sup>؛ حيث اعتبر أنّ إخراج آدم عليه السلام من الجنة لم يكن إهانة له أو إنزالا من مرتبته، بل لما سبق في علمه ﷻ من جعله خليفة في الأرض هو ومن تبعه من ذريته على الطاعة. وبعد البحث والاستقصاء وقفت على ما يلي:

أولاً\_ القول الذي أورده ابن عطية وتعقبه عليه الثعالبي ذكره أبو حيان بلفظه<sup>(2)</sup>، ولم أجده عند غيرهما من المفسرين.

ثانياً\_ أورد كثير من أهل التفسير أنّ إخراج آدم عليه السلام من الجنة كان وراءه تشريف ورفع من منزلته، ومن هؤلاء القرطبي حيث قال: «والصحيح في إهباطه وسكنائه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك؛ وهي نشر نسله فيها ليكفّهم ويمتحنهم، ويُرْتَب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخرى؛ إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف... وقد قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:29]، وهذه منقبة عظيمة، وفضيلة كريمة شريفة»<sup>(3)</sup>. وممن قرّر ذلك أيضا ابن عطاء السكندري، والثعالبي، والألوسي<sup>(4)</sup>.

ومن جملة ما استندوا إليه:

أ\_ قوله ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:29] يقتضي أنه سبق في علمه ﷻ إهباطه

(1) \_ هو: أبو الفضل حمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندري، من شيوخ الصوفية في زمانه، كان يلقي دروسه بالأزهر، ويمزج كلام الصوفية بآثار السلف، أخذ عن أبي عباس المرسي، وأخذ عنه تقي الدين السبكي، من مصنفاته: كتاب التنوير في إسقاط التدبير، وكتاب الحكم، توفي بالقاهرة سنة: (709 هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (ت: 764هـ)، ت: أحمد الأرنؤوط، دار إحياء التراث - بيروت، ط:1، 1420هـ-2000م، (8/39). المفقى الكبير، تقي الدين المقرئ (ت: 845هـ)، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط:2، 1427 هـ - 2006 م، (1/365).

(2) \_ ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (1/262).

(3) \_ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (1/321).

(4) \_ ينظر: التنوير في إسقاط التدبير، أحمد بن محمد الإسكندري (ت: 709هـ)، المطبعة الميمنية، مصر، د ت ط، (ص11). الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/70). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي (ت: 1270هـ)، ت: علي عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1415 هـ، (1/239).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالي على ابن عطية في مسائل عقدية

إلى الأرض، وأن من وراء ذلك تشريفه بخلافتها هو ومن صلح من ذريته<sup>(1)</sup>.

ب\_ قوله ﷺ: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة]، استدلل به الثعالي على ما قرره حيث قال: « ت: وهذه الآية تبين أن هبوط آدم كان هبوط تكروما لما ينشأ عن ذلك من أنواع الخيرات، وفنون العبادات»<sup>(2)</sup>. والشاهد من الآية أن الله رتب على هبوط آدم ﷺ إرسال الرسل لهداية ذريته وتكليفهم بأنواع العبادات، وفي امتثالهم قرب من الرب، وحصول الأمن والسلامة من الخوف والحزن، وتلك منقبة عظيمة.

### الخلاصة:

بعد الذي سقته يتضح ما يلي:

1\_ لم يتعقب الثعالي القول الذي تضمن أن الإخراج كان من نعمة الجنة إلى شقاء الدنيا؛ لأن ذلك ثابت لا شك فيه، فالدنيا دار ابتلاء وتعب وشقاء، ومن أدلة ذلك قوله ﷺ: ﴿ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ ﴾ [طه].

2\_ تعقب الثعالي للقول الأخير في محله؛ إذ إن آدم ﷺ ارتفعت منزلته بعد أن تاب الله ﷻ عليه، وسبق في علمه أنه سيجعله خليفة في الأرض، وفي ذلك غاية التشريف، ومما يدل عليه إضافة إلى ما ذكر من أدلة، قوله ﷺ: ﴿ ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ. فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [طه]؛ أي اصطفاه ربه واختاره بالنبوة، ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾؛ أي تجاوز عنه وقبل توبته، ﴿ وَهَدَى ﴾؛ يعني: هداة الله تعالى للتوبة بكلمات تلقاها<sup>(3)</sup>. فاصطفاه بالرسالة تشريف عظيم لا يتناسب أن يقال معه أنه نزلت مرتبته، كما أن التوبة تجب ما قبلها، وإذا كان المسرف بالذنوب والعصيان، الواقع في كبائر الآثام، يُبدل الله سيئاته حسنات إذا تاب، فينقلب إلى أحسن الأحوال، فكيف بآدم ﷺ؟!

(1) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (1/ 321). التنوير، الإسكندري، (ص11).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالي، (1/ 70).

(3) \_ بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 415).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

ومما أسجله من ملاحظات:

— أنّ الثعالبي استشهد بقول غيره تأييدا لما ذهب إليه، وأجل الاستدلال بقوله ﷺ: ﴿قُلْنَا إِنهٖطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَإِمَا يَأْتِيَنَّكُم مِّنْهُ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38] إلى موضعها، لتحقيق فوائد منها:

— ترسيخ مفهوم الآية بربطها بما سبق تقريره.

— إضافة إلى تحقيق الاختصار، وهو مقصد من مقاصد تأليفه — والله أعلم.

المطلب الثالث: هل حمل الخطاب في قوله ﷺ: ﴿وَلَيْنِ إِنْتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن قُرْبَىٰ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120] على النبي ﷺ فيه مساس بعصمته؟

قول ابن عطية:

«فهذا شرط خوطب به النبي ﷺ وأتمته معه داخلة فيه»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: والأدب أن يقال: خوطب به ﷺ والمراد أتمته لوجود عصمته ﷺ، وكذلك الجواب في سائر ما أشبه هذا المعنى من الآي، وقد نبّه - رحمه الله - على هذا المعنى في نظيرتها كما سيأتي، وكان الأولى أن ينبّه على ذلك هنا أيضا، وقد أجاب عياض عن الآي الواردة في القرآن مما يوهم ظاهره إشكالا، فقال رحمه الله: «اعلم، وفقنا الله وإياك، أنه ﷺ لا يصح ولا يجوز عليه ألا يبلغ، وأن يخالف أمر ربه، ولا أن يُشرك ولا أن يتقول على الله ما لا يجب أو يفترى عليه، أو يضل، أو يحتتم على قلبه، أو يطيع الكافرين، لكن الله أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين، وإن إبلاغه إن لم يكن بهذا البيان فكأنه ما بلغ، وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، كما قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لَا تَخَافَا﴾ [طه:

4] لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله، ويذهب عنهم خوف العدو المُضعف لليقين، وأما قوله

تعالى: ﴿وَلَوْ نَفَقْنَا عَلَيْكَ بَعْضَ الْأَقْوِيلِ﴾ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) [الحاقة] وقوله:

﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (75) [الإسراء]، فمعناه:

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 204).

أن هذا جزء من فعل هذا، وجزاؤك لو كنت ممن يفعله، وهو ﷺ لا يفعل، وكذلك قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَطْعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (116) [الأنعام] فالمراد غيره، كما قال: ﴿إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 149]، وقوله: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: 24]، و: ﴿لَنْ أَشْرَكَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ هَذَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ بِأَنَّ اللَّهَ لَا تَطْعَ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (1) [الأحزاب]، فليس فيه أنه أطاعهم، والله ينهاه عما يشاء، ويأمره بما يشاء كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (52) [الأنعام]، وما كان طردهم الظالمين ولا كان من الظالمين». انتهى من (الشفاء)» (1).

#### الدراسة:

ذهب ابن عطية أنّ الآية خطاب للنبي ﷺ وأمته داخلة فيه، فتعقبه الثعالبي أنّ الأدب أن يقال: الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته؛ وعلل ذلك بعصمته ﷺ من الوقوع فيما حذرت الآية منه، كما بين أنّ ابن عطية قد نبه إلى هذا المعنى في نواظر هذه الآية، وكان الأولى عليه أن ينبّه في هذا الموطن أيضاً، ثم ساق كلام ابن العربي في توجيه الأوامر والنواهي التي تلقاها النبي ﷺ من ربه. والملاحظ أنّ ابن عطية والثعالبي يتفقان في جعل الخطاب للنبي ﷺ، لكن الفرق بينهما أنّ الثعالبي يعتبر النبي ﷺ غير معني به وإمّا المراد أمته، بينما يفهم من كلام ابن عطية أنّ النبي ﷺ معني بالخطاب وأمته معه داخلة فيه. وتتبع أقوال أهل العلم اتضح أنّهم اختلفوا على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الخطاب للنبي ﷺ.

وهو ما ذهب إليه الطبري حيث قال: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَنْ يَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يا محمد، هوى هؤلاء اليهود والنصارى - فيما يرضيهم عنك - من تهود وتنصر، فصرت من ذلك إلى إرضائهم، ووافقت

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 129).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

فيه محبتهم - من بعد الذي جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم برهم، ومن بعد الذي اقتضت عليك من نبئهم في هذه السورة، ﴿ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ قَوْلٍ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يعني بذلك: ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك، وقيم يقوم به، ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته، ويمنعك من ذلك، إن أحلّ بك ذلك ربك»<sup>(1)</sup>.

القول الثاني: أنه خطاب له ولسائر أمته.

ذكره الزجاج وابن أبي زمنين<sup>(2)</sup> وابن عطية والراغب، واختاره الرازي<sup>(3)</sup>.

واحتج الراغب على توجيه الخطاب له رغم أن أمته داخلة معه:

— بأن الله خصّه بالذكر؛ لأنّ أنبياء الله ﷺ وأوليائه بأدنى ميل إلى ما لا ينبغي يكونون في حكم تابعي هوامهم، وفي ذلك مبالغة في النهي عن الفعل<sup>(4)</sup>.

القول الثالث: الخطاب له والمراد أمته.

قال به الماتريدي والسمرقندي<sup>(5)</sup>، ومكي والواحدي والسمعاني والبغوي والثعالبي<sup>(6)</sup>.

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (2/ 564).

(2) \_ هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، الأندلسي، الإلبيري، شيخ قرطبة. كان صاحب علم وزهد وورع، قرأ على سعيد بن فحلون، روى عنه: أبو عمرو الداني، من مؤلفاته: مختصر المدونة وأصول السنة، توفي سنة: (399هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (11/ 13).

(3) \_ ينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، ت: عبد الجليل شلبي عالم الكتب - بيروت، ط: 1، 1408 هـ - 1988 م، (1/ 224). تفسير القرآن العزيز، محمد بن أبي زمنين (ت: 399هـ)، حسين بن عكاشة - محمد الكنز، الفاروق الحديثة - مصر، ط: 1، 1423 هـ - 2002 م، (1/ 186). المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 204). تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، ت: محمد بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط: 1، 1420 هـ - 1999 م، (1/ 306). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 3 - 1420 هـ، (4/ 109).

(4) \_ ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، (1/ 306).

(5) \_ هو: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المعروف بإمام الهدى. مفسر وفقه، له تصانيف مشهورة منها: تفسير القرآن العظيم في أربع مجلدات، والنوازل في الفقه، وخزانة الفقه في مجلد توفي سنة: (393هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الداودي، (2/ 346).

(6) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، أبو المنصور الماتريدي (ت: 333هـ)، ت: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1، 1426 هـ - 2005 م، (1/ 553). بحر العلوم، السمرقندي، (1/ 89)، الهداية، مكّي، (1/ 419). التفسير الوسيط، الواحدي، (1/ 200). تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني (ت: 489هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم =

واحتجوا على ذلك بما يلي:

أ\_ أن ذلك كثير في القرآن؛ يخاطبُ النبي ﷺ والمراد غيره<sup>(1)</sup>.

ب\_ أنه معصوم من اتباع الكافرين<sup>(2)</sup>.

• وتُعب هذا الأخير بأن الله ﷻ قال في حق الملائكة: ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [29] [الأنبياء] مع أنه تعالى أخبر عن عصمتهم في قوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: 50]، وقال في حق محمد ﷺ: ﴿ وَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [65] [الزمر]، وقد أجمعوا على أنه ﷺ ما أشرك وما مال إليه، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [1] [الأحزاب]... فثبت بما سبق أنه ﷺ منهي عن ذلك، وأن غيره أيضا منهي عنه، لأن النهي عن هذه الأشياء ليس من خواص الرسول ﷺ<sup>(3)</sup>.

ج\_ أن الله علم عدم وقوعه في المنهي عنه، لذلك كان الخطاب له والمراد أمته.

• وتُعب بأنه لو كان كل ما علم الله ﷻ أنه لا يفعله وجب أن لا ينهاه عنه، لكان ما علم أنه يفعله وجب أن لا يأمره به، وذلك يقتضي أن لا يكون النبي مأمورا بشيء ولا منهيًا عن شيء، وهذا باطل بالاتفاق<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

بعد استعراض أقوال أهل التفسير وأدلتهم يظهر أن الخطاب للنبي ﷺ ويدخل في ذلك أمته كما قال ابن عطية، وما احتج به الثعالبي من أن ذلك إنقاص من قدر النبوة باعتبار عصمته ﷺ غير وجيه؛ لأن العصمة

دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: 1، 1418هـ- 1997م، (1/ 152)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي (ت: 510هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 1420 هـ، (1/ 180). الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 129).

(1) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (1/ 553).

(2) \_ ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، (1/ 200).

(3) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (4/ 109).

(4) \_ ينظر: المصدر نفسه، (4/ 109).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

لا تلغي الأمر والنهي، كما أنّ النهي عن الشيء لا يعني الوقوع فيه، فقد جاءت آيات كثيرة في هذا السياق، ولا يعني ذلك أنّ النبي ﷺ تلبس بشيء من ذلك. وسيؤكد هذا أكثر من خلال المطلب الموالي \_ والله أعلم.

المطلب الرابع: هل الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35] للنبي ﷺ؟

### قول ابن عطية:

«قال مكي والمهدي<sup>(1)</sup>: والخطاب بقوله ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ للنبي ﷺ والمراد به أمته، وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ»<sup>(2)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«قلت وما قاله ع: فيه عندي نظر لأن هذا شأن التأويل إخراج اللفظ عن ظاهره لموجب، على أن أبا محمد مكيًا - رحمه الله - نقل هذا القول عن غيره نقلاً، ولفظه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾؛ أي: ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه. وقيل: معنى الخطاب لأمة النبي ﷺ، والمعنى: فلا تكونوا من الجاهلين، ومثله في القرآن كثير انتهى من (الهداية)»<sup>(3)</sup>.

### الدراسة:

نقل ابن عطية عن مكي والمهدي أن قوله ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ للنبي ﷺ والمراد به أمته، وتعقبهما مبيناً أنه ضعيف لا يقتضيه اللفظ، فتعقبه الثعالبي بأنّ في كلامه نظر، معللاً بأنّ إخراج اللفظ عن ظاهره جاء لموجب، وكأنّهم فهم أنّ في إبقاء اللفظ على ظاهره مساس بعصمة الأنبياء، ثمّ تبّه إلى أنّ مكي لم يقل هذا من عنده، وإنّما نقله عن غيره وساق كلامه من مصدره. وبعد البحث تبين أنّ المسألة محل خلاف وفيما يلي بيان ذلك:

(1) \_ هو: أبو العباس أحمد بن عمار المهدي، صاحب التفسير، كان مقدماً في القراءات والعربية، ألف كتاباً مفيدة، مات في حدود سنة: (430هـ). ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي، (ص: 30).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 288).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (618/1).



القول الأول: حمل الخطاب على ظاهره.

من حمل الخطاب للنبي ﷺ؛ الطبري والماتريدي والسمرقندي والثعلبي والماوردي والزخشي وابن الجوزي والرازي والنسفي<sup>(1)</sup> وابن جزى والحازن والشريبي وابن عجيبة والقاسمي ورشيد رضا وابن عاشور<sup>(2)</sup>.  
ومما احتجوا به ما يلي:

أ\_ أن العصمة لا ترفع الأمر والنهي والامتحان<sup>(3)</sup>.

ب\_ أن النهي لا يقتضي تلبس النبي ﷺ بما لا يليق به.

ج\_ أن الأصل حمل اللفظ على ظاهره.

د\_ أن هذا الخطاب جائز لقربه ﷺ من ربه ومكانته عنده، فكان ذلك حملاً عليه كما يحمل العاقل على قريبه فوق ما يحمله على الأجنب، فتشديد الخطاب على قدر علو المقام، كما هو معلوم<sup>(4)</sup>.

- (1) \_ هو: أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، كان إماماً في جميع العلوم، ومصنفاته في الفقه والأصول أكثر من أن تحصى، وصنف المدارك في التفسير، ت710هـ في بغداد. ينظر: طبقات المفسرين، الأذنوي، (ص:263).
- (2) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (11/339). تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (4/75). بحر العلوم، السمرقندي، (1/445). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: 427هـ)، ت: مجموعة من الباحثين بإشراف: صلاح باعثمان، دار التفسير، السعودية، ط: 1، 1436هـ - 2015م، (4/146). النكت والعيون، الماوردي، (2/109). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزخشي (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 3 - 1407هـ، (2/20). زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 1 - 1422هـ، (2/25). مفاتيح الغيب، الرازي، (12/521)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي (ت: 710هـ)، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1998م، (2/65). التسهيل لعلوم التنزيل، محمد ابن جزى (ت: 741هـ)، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: 1 - 1416هـ، (1/260). لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين بالحازن (ت: 741هـ)، ت: محمد شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1415هـ، (2/110). السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشريبي (ت: 977هـ)، مطبعة بولاق - القاهرة، 1285هـ، (1/418). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن عجيبة (ت: 1224هـ)، ت: أحمد رسلان، حسن زكي - القاهرة، ط: 1، 1419هـ، (2/113). محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، ت: محمد باسل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1418هـ، (4/349). تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1، 1990م، (7/319). التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ، (7/206).

(3) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (4/75).

(4) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (4/495). البحر المديد، ابن عجيبة، (2/113).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

القول الثاني: أنّ المقصود بالخطاب غيره.

عزاه ابن عطية للمهداوي، وساقه مكي بن أبي طالب بصيغة التمريض وعقب بعده بأن مثله في القرآن كثير، واختاره أبو حيان والثعالبي (1).

ومما احتج به بعض من ذهب لهذا القول ما يلي:

أ\_ أنّ قوله ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35] إخبار أنّه لا يقع في الوجود إلاّ ما شاء وقوعه، والرّسول ﷺ عالم بمضمون هذا الإخبار، ولذلك ناسب أن يكون المقصود غيره (2).

ب\_ أنّ إخراج اللفظ عن ظاهره جاء لموجب يقتضيه تنزيه الأنبياء عليهم السلام من كل نقص (3).

### الخلاصة:

بعد الوقوف على أقوال المفسرين في الآية، واستعراض أدلتهم تبين لي أنّ ما ذهب إليه ابن عطية هو الصحيح وذلك لما يلي:

1\_ أنّه قول أكثر المفسرين ولم يخالف في ذلك إلاّ القليل.

2\_ من قواعد الترجيح المقررة: أنّ "الأصل حمل اللفظ على ظاهره إلا إذا منع منه مانع" (4)، والثعالبي من خلال كلامه السابق لا ينكر هذه القاعدة، غير أنّه توهم أنّ نهي الله ﷻ لنبيه ﷺ عن مواجهة الجهل منقصر من قدره، فاعتبر ذلك مانعاً يُوجب صرف اللفظ عن ظاهره. والحق أنّ ذلك ليس بمانع فالأمر والنهي لا يرفع العصمة، وقد تبيّن الطاهر بن عاشور إلى هذه القضية حيث قال: «في النهي عن الجهل بذلك تحريضا على استحضار العلم به، كما يقال للمتعلم: لا تنس هذه المسألة. وليس في الكلام نهي عن شيء تلبس به الرسول ﷺ كما توهمه جمع من المفسرين، وذهبوا فيه مذاهب لا تستبين» (5).

3\_ سياق الآية يوضح أنّه خطاب للنبي ﷺ.

(1) \_ ينظر: الهداية، مكي، (3/ 2011). البحر المحيط، أبو حيان، (4/ 496)

(2) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (4/ 496).

(3) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 618).

(4) \_ ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط: 1، 1417هـ، 1996م، (2/ 137).

(5) \_ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (7/ 207).

4\_ في القرآن الكريم نواظر كثيرة فيها نهي النبي ﷺ عن مواجهة ما لا ينبغي، ولا يدل ذلك على أنّه تلبس بشيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ [الأحزاب]، قال الرازي: «فلا يدل على أنه ﷺ أطاعهم وقبل دينهم»<sup>(1)</sup>.

وفي ختام هذه المسألة يتضح أنّ الثعالبي يرى وجوب صرف اللفظ عن ظاهره إذا احتتمل ما يمسّ بعصمة الأنبياء.

المطلب الخامس: عصمة الأنبياء قبل النبوة.

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّبَّاهَا بَرَّهَنَّ رَبَّهٗ﴾ [يوسف:24]: «والذي أقول في هذه الآية؛ إنّ كون يوسف نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية، وإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أُوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون موافقته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة وإن فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلاّ الهم الذي هو الخاطر، ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك؛ لأنّ العصمة مع النبوة... وللهم بالشيء مرتبتان، فالخاطر المجرد دون استصحاب يجوز عليه، ومع استصحاب لا يجوز عليه إذ الإجماع منعقد أن الهم بالمعصية واستصحاب التلذذ بها غير جائز، ولا داخل في التجاوز»<sup>(2)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: قال عياض: والصحيح إن شاء الله تنزيههم أيضا قبل النبوة من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب، ثم قال عياض بعد هذا: وأما قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّبَّاهَا بَرَّهَنَّ رَبَّهٗ﴾ [يوسف:24]، فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين أنّ همّ النفس لا يؤاخذ به، وليس بسبيّة، لقوله

(1) \_ مفاتيح الغيب، الرازي، (12 / 521).

(2) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (3 / 234).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

الْبَلَاءُ عَنْ رَبِّهِ: «إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُ لَهُ حَسَنَةً»<sup>(1)</sup>، فلا معصية في همه إذن، وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين، فإنَّ الهَمَّ إِذَا وَطَّئَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ سَيِّئَةً، وَأَمَّا مَا لَمْ تُوَطَّنْ عَلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ هُمومِهَا وَخَوَاطِرِهَا فَهُوَ الْمَعْفُو عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ، فَيَكُونُ إِذَا شَاءَ اللَّهُ هَمُّ يُوسُفَ مِنْ هَذَا، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَكْبَرُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف]؛ أي: مِنْ هَذَا الْهَمِّ، أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضُّعِ. انْتَهَى»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

يرى ابن عطية أن ما ذكره الله مما حدث ليوسف عليه السلام كان قبل النبوة، فيجوز عليه حينها الهَمُّ الذي هو إرادة الشيء دون موافقته، كما يجوز في حقه أن يستصحب الخاطر الرديء، ثم افترض كونه نبياً في ذلك الوقت، وهو يرى جواز الهَمِّ الذي يكون خاطراً دون استصحاب، وأما مع استصحاب المعصية والتلذذ بها فلا يجوز عليه بإجماع، لذلك لا يصحُّ عنده شيء مما ذكر من حِلِّ تِكَّةٍ، ونحو ذلك؛ لأنَّ العصمة إنما تكون مع النبوة، وتعقبه الثعالبي بإيراد كلام القاضي عياض الذي يرى عدم جواز وقوعهم حتى قبل النبوة في كل عيب، وأنَّ هَمَّ يوسُفَ عليه السلام كان خاطراً دون استصحاب، وهو المعفو عنه كما ذكره المحققون من الفقهاء والمتكلمين. من خلال ما سبق يتضح أن تعقب الثعالبي ينصب في تجويز ابن عطية للهَمِّ مع الاستصحاب قبل النبوة، إذ يرى \_ أي الثعالبي \_ أنَّ الأنبياء منزهون أيضاً قبل النبوة من كل عيب، لذا سَأَحَاوَلُ أَنْ أُرَكِّزَ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ؛ وَفِي حُدُودِ بَحْثِي وَقَفْتُ عَلَى مَا يَلِي:

### أولاً \_ ما تعلق بعصمة الأنبياء من الوقوع في الكفر:

ذهب جلَّ العلماء إلى أنَّ الأنبياء معصومون من الوقوع في الكفر قبل النبوة، ومن هؤلاء؛ القاضي عياض حيث قال: «وَلَمْ يَنْقَلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ أَنَّ أَحَدًا نَبِيًّا وَاصْطَفِي مِمَّنْ عُرِفَ بِكُفْرٍ وَإِشْرَاقٍ قَبْلَ ذَلِكَ»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو سيئة، حديث رقم: (6491)، (8/ 103) ومسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة، حديث رقم: (203)، (1/ 117).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 315).

(3) \_ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (ت: 544هـ)، دار الفكر، بيروت، 1409 هـ - 1988 م، (2/ 109).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

وأكد بعض العلماء على هذا فنقلوا الإجماع، ومن هؤلاء التفتازاني<sup>(1)</sup> كما عزاه إليه السفاريني<sup>(2)</sup>-(3)، وخالف بعضهم كالسدي والكلبي حيث فسروا قوله ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَبِي﴾ [الضحى] على ظاهره؛ أي وجدك كافرا والقوم كفار فهذا، وردّ عليهم غير واحد من أهل العلم ومنهم القرطبي<sup>(4)</sup>. ونظرا لكثرة القائلين بعصمتهم من الكفر، فإنه يكاد يكون إجماعا.

ثانياً\_ اختلفوا فيما عدا الاعتقاد على أقوال منها:

القول الأول: إثبات العصمة لهم قبل النبوة مطلقا من الصغائر والكبائر.

وإلى هذا ذهب ابن حزم والقاضي عياض وابن الوزير، والسفيري<sup>(5)</sup> وابن حجر الهيتمي والزرقاني<sup>(6)</sup>.

(1) \_ هو: مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق وغيرها، كان في لسانه لكمة، وانتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق. من مؤلفاته: التلويح على التنقيح في أصول الفقه، شرح العقائد الإرشاد في النحو، حاشية الكشاف، توفي سنة (791هـ). ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، (2/285).

(2) \_ هو: أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ينسب إلى سفارين من قرى نابلس، اشتهر بالفضل والذكاء، ودرس وأفتى، وألّف تأليف عديدة منها: شرح ثلاثيات مسند الامام أحمد والدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات، توفي سنة: (1188هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، (6/14).

(3) \_ ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد السفاريني (ت: 1188هـ)، مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق، ط: 2، 1402 هـ - 1982 م، (2/305).

(4) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (20/99).

(5) \_ هو: محمد بن عمر بن أحمد السفيري، شمس الدين، شافعي المذهب عالم بالحديث، حلبي المولد والوفاة، زار دمشق والقاهرة، ولازم العلاء الموصلي، والبحر السيوفي له كتب، منها: شرح الجامع الصحيح للبخاري، توفي سنة: (956هـ). ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزي (ت: 1061هـ)، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1418 هـ - 1997 م، (2/54). الأعلام، الزركلي، (6/317).

(6) \_ ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن حزم (ت: 456هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت ط، (4/25). الشفاء، القاضي عياض، (2/809). الرّوض الباسم في الذّبّ عن سنة أبي القاسم، محمد ابن الوزير، ت: علي العمران، دار عالم الفوائد، د ت ط، (1/243). المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين السفيري (ت: 956هـ)، ت: أحمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م، (1/452). الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن حجر الهيتمي (ت: 974 هـ)، ت: أحمد جاسم المحمد - قصي الحلاق، دار المنهاج، جدة - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1428 هـ - 2008 م، (ص: 161). شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد الزرقاني (ت: 1122هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1417 هـ - 1996 م، (9/4).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

قال ابن حزم: «فبيقين ندري أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة...»<sup>(1)</sup>.

ومما استدلووا به على ذلك ما يلي:

أ \_ حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما هممت بقبیح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلتاها يعصمني الله منها...»<sup>(2)</sup>. قال ابن حزم عقب إيراده للحديث: «فصح أنه صلى الله عليه وسلم لم يعص بكبيرة ولا بصغيرة لا قبل النبوة ولا بعدها، ولا هم بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ولا بعدها إلا مرتين بالسمر حيث ربما كان بعض ما لم يكن نهي عنه بعد»<sup>(3)</sup>.

ب \_ استدلووا بحادثة شق الصدر؛ حيث أنّ في حشو قلبه صلى الله عليه وسلم حكمة وإيماناً في الصغر دليل أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الصغر<sup>(4)</sup>.

ج \_ ثبت بالدليل أنّهم أفضل من سائر الملائكة، وثبت عصمة الملائكة في أصل خلقتهم، فإذا فضلوا المعصومين لزم كونهم معصومين بالأولى<sup>(5)</sup>.

القول الثاني: أنّهم معصومون من الكبائر وصغائر الخسة.

ذهب جمهور المعتزلة إلى القول بعصمتهم من الوقوع في الكبائر قبل النبوة<sup>(6)</sup>، وقال القاضي عبد الجبار أنّهم معصومون من صغائر الخسة أيضاً، وذهب إلى هذا القول من المعاصرين سعيد حوى<sup>(7)</sup>.

ومما استدلووا به ما يلي:

\_ أن وقوع ذلك منهم يُنفّر عن إتياعهم، وتنزيههم عنه يقتضي سكون النفس إليهم.

(1) \_ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (4 / 25).

(2) \_ أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم: (6272)، (14 / 169). وأخرجه الحاكم، كتاب التوبة والإنابة، رقم: (7619)، (4 / 273)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأورده السيوطي في الخصائص، (1 / 89)، ونقل عن ابن حجر قوله: إسناده حسن متصل، ورجاله ثقات.

(3) \_ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (4 / 25).

(4) \_ ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض اليحصي (ت: 544هـ)، ت: يحي اسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: 1، 1419 هـ - 1998 م، (1 / 508).

(5) \_ ينظر: الفتح المبين بشرح الأربعين، ابن حجر الهيتمي، (ص: 161).

(6) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2 / 185).

(7) \_ ينظر: الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى، (ت: 1409 هـ)، دار السلام، ط: 2، 1412 هـ - 1992 م، (2 / 832).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

القول الثالث: نفي العصمة عنهم قبل النبوة.

عزاه السجزي<sup>(1)</sup> لأهل السنة، وقال به الباقلاني وابن عطية والآمدي والرازي والذهبي والنعماني والهروي<sup>(2)</sup>.

— ومن جملة ما وقفت عليه في تأييد هذا القول:

أ— أن لا دليل من العقل أو السمع على امتناع الذنوب عنهم<sup>(3)</sup>.

ب— أن إخوة يوسف وقع منهم ما وقع وكان ذلك قبل النبوة<sup>(4)</sup>.

• وأنكر ابن حزم قول من احتجّ بهذا، معتبراً أنّ إخوة يوسف عليهم السلام لم يكونوا أنبياء، ولم يأت في ذلك نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة، ولا من إجماع، ولا من قول أحد من الصحابة رضي الله عنهم<sup>(5)</sup>.

ج— أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح]، فقلوه: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ يشير إلى الذنب الذي كان قبل النبوة<sup>(6)</sup>.

• واعترض بعضهم على تأويل الآية بما سبق بأنه مردود، وإتّما المقصود منها تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يكون هناك ذنب، ولم يُخبر عن أحد من الأنبياء بمثل ذلك إظهاراً لشرفه عليهم. وذكر المحققون جواباً آخر

(1) — هو: أبو نصر عبید الله بن سعید بن حاتم السجزي، وصفه الذهبي بالإمام، العالم، الحافظ، المجود، شيخ السنة، طلب الحديث في حدود الأربع مائة، وسمع بالحجاز والشام والعراق، من مؤلفاته: "الإبانة الكبرى" في أن القرآن غير مخلوق، رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (17/ 655).

(2) — ينظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبید الله السجزي (ت: 444هـ)، ت: محمد باكریم با عبد الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: 2، 1423هـ/2002م، (ص: 300).  
الحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 234). مفاتيح الغيب، الرازي، (3/ 455). المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، ت: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ط: 3، 1413هـ، (ص: 85). اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (11/ 19). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين الهروي (ت: 1014هـ)، دار الفكر، بيروت — لبنان، ط: 1، 1422هـ — 2002م، (1/ 128).

(3) — مفاتيح الغيب، الرازي، (18/ 421).

(4) — اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني، (11/ 19).

(5) — ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (4/ 7).

(6) — ينظر: المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية، السفيري، (1/ 452).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

يقتضي أنّ المغفرة هنا كناية عن العصمة، فمعنى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ليعصمك الله فيما تقدم من عمرك وفيما تأخر منه<sup>(1)</sup>.

وعزا الثعالبي لعطاء الخرساني: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾؛ يعني ذنب أبويك آدم وحوّاء عليهما السلام ببركتك، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾؛ ذنوب أمتك بدعوتك<sup>(2)</sup>.

• وتُعقب هذا القول بكونه باطل من وجوه منها:

أ\_ أتهم وقعوا فيما فروا منه؛ حيث نفوا الذنب عن نبيّننا ﷺ وألصقوه بآدم عليه السلام وكلاهما نبي!  
ب\_ أن آدم ﷺ قد تاب الله ﷻ عليه قبل أن ينزل إلى الأرض، وأن الله لا يجعل الذنب ذنباً لمن لم يفعله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164].

ج\_ كيف يقول من له مسكة عقل إنّ الله غفر ذنوب أمته جميعها، وقد علم أنّ منهم من يدخل النار بذنوبه فأين المغفرة<sup>(3)</sup>؟!

### الخلاصة:

بعد استعراض أقوال أهل العلم؛ يظهر أنّ القول المختار هو ما ذهب إليه ابن عطية من نفي العصمة عن الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة، وذلك لما يلي:

1\_ قوله ﷺ عن آدم ﷺ: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121]، فهذا نص صريح في تسمية ما وقع فيه آدم ﷺ معصية وقد كان ذلك قبل النبوة، فإن اعترض المُعترض بأنّ ما وقع فيه كان نسياناً بدليل قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ عَزْماً﴾<sup>(115)</sup> [طه]، فالجواب عليه؛ أنّ العبرة بحكم الله على الفعل، فقد سماه الله معصية، وقد يكون التجاوز عن النسيان بين العبد وربّه ممّا اختصت به هذه الأمة.

2\_ أنّه قول أكثر العلماء.

(1) \_ ينظر: المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية، السفيري، (1/ 452).

(2) \_ ينظر: الكشف والبيان، الثعالبي، (24/ 232).

(3) \_ ينظر: المنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي، (ص: 85).



## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

غير أنه يجدر التنبيه \_ وكما هو معلوم \_ أنّ الأنبياء عليهم السلام اصطفاهم الله ﷻ من بين سائر الناس وفضلهم عليهم، وقد كانت سيرتهم قبل النبوة أحسن سيرة؛ بما عُرفوا به من كريم الأخلاق وجميل الصفات ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68] \_ والله أعلم \_ .

المطلب السادس: هل يفهم من قوله ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء] أنّ النبي ﷺ هم بالركون إلى المشركين؟

### قول ابن عطية:

«وذهب ابن الأنباري إلى أن معناه لقد كاد أن يخبروا عنك أنك ركنت، ونحو هذا، ذهب في ذلك إلى نفي الهمّ بذلك عن النبي ﷺ، فحمل اللفظ ما لا يحتمل، وقوله: ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ يبطل ذلك، وهذا الهمّ من النبي ﷺ إنما كانت خطرة مما لا يمكن دفعه، ولذلك قيل: ﴿كِدْتَ﴾، وهي تعطي أنه لم يقع ركون، ثم قيل: ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾؛ إذ كانت المقاربة التي تتضمنها ﴿كِدْتَ﴾ قليلة خطرة لم تتأكد في النفس، وهذا الهمّ هو كهّم يوسف ﷺ، والقول فيهما واحد، وقوله: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء]، يبطل أيضا ما ذهب إليه ابن الأنباري»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وجزى الله ابن الأنباري خيرا، وأن تنزيه سائر الأنبياء لواجب، فكيف بسيد ولد آدم صلى الله عليه وعليهم أجمعين. قال أبو الفضل عياض في الشفا: «قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء]، قال بعض المتكلمين: عاتب الله تعالى نبينا ﷺ قبل وقوع ما يوجب العتاب ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافضة لشرائط المحبة، وهذه غاية العناية، ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه، وخيف أن يركن إليه، وفي أثناء عتبه براءته، وفي طي تخوفه تأمينه...» قال ع: وهذا الهم من النبي ﷺ إنما كان خطرة مما لا يمكن دفعه، ولذلك قيل: ﴿كِدْتَ﴾ وهي تعطي أنه لم يقع ركون، ثم قيل: ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾؛ إذ كانت المقاربة التي تضمنتها ﴿كِدْتَ﴾ قليلة خطرة لم تتأكد في النفس. وقوله: ﴿إِذَا

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 475).

لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾. ت: وما ذكره ع رحمه الله تعالى من البطلان لا يصح، وما قدمناه عن عياض حسن فتأمله»<sup>(1)</sup>.

#### الدراسة:

تعقب ابن عطية ابن الأنباري في حمله للفظ على غير ظاهره، لتنزيه النبي ﷺ من الركون إلى أهل الشرك، وبين صاحب المحرر أنّ لا حاجة إلى تأويله، فالركون لم يقع وإنما كان مجرد همّ، ودعم ذلك بما تضمنته الآية، كما استند إلى ما رتبته الله من العذاب لو وقع ركون، فتعقبه الثعالبي بالدعاء لابن الأنباري معتبراً تنزيه الأنبياء من الواجبات، ثم نقل كلام القاضي عياض، والذي يفهم منه أنّ النبي ﷺ منزّه عن الهمّ عما نُهي عنه، وردّ الثعالبي بطلان قول ابن الأنباري، وحسن ما ذهب إليه صاحب الشفا. وتتبع المسألة اتضح تعدّد الأقوال فيها، ومنها:

القول الأول: أنّ هذا الركون إنّما هو همّ دون عزم.

ومعنى ذلك أنّ النبي ﷺ حدّثه نفسه بذلك، لكنه لم يعزم ولم يركن إليهم وإنما كان مجرد خطرة، وهذا القول عزاه مكّي لابن عباس ﷺ ومجاهد وقتادة، وقال به الطبري والثعلبي والواحدي والسمعاني والبغوي وابن عطية والخازن<sup>(2)</sup>.

ومما احتجوا به بعض من ذهب لهذا القول:

أ\_ قوله: ﴿ كِدَتْ ﴾ تقتضي أنّه لم يقع ركون، وإنما كان مجرد همّ منه ﷺ ثم قيل: ﴿ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾؛ إذ كانت المقاربة التي تضمنتها ﴿ كِدَتْ ﴾ قليلة خطرة لم تتأكد في النفس.

ب\_ أنّ هذا الهمّ هو كهّم يوسف ﷺ، والقول فيهما واحد.

ج\_ أنّ الهمّ خاطر قلب ليس فيه عزم، وقد عفا الله ﷻ عن حديث النفس، وكان النبي ﷺ يقول بعد ذلك:

«اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»<sup>(3)</sup>»<sup>(4)</sup>.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 489).

(2) \_ ينظر: الهداية، مكّي، (6/ 4256). جامع البيان، الطبري، (17/ 508). الكشف والبيان، الثعلبي، (16/ 410). التفسير الوسيط، الواحدي (3/ 119). تفسير القرآن، السمعي، (3/ 265). معالم التنزيل، البغوي، (3/ 147). لباب التأويل، الخازن، (3/ 139).

(3) \_ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم: 5090، (4/ 324). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم: 661، (1/ 417).

(4) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 475). لباب التأويل، الخازن، (3/ 139).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

واختلفوا فيما همّ به النبي ﷺ على أقوال منها:

- 1\_ قالوا له: إني آهتنا فامسسها. فهمّ أن يفعل ذلك رجاء إسلامهم.
- 2\_ روي عن ابن عباس ؓ أنهم سألوه أن يُنظرهم سنة حتى يُهدى إلى آهتهم الهدى. قالوا له: فإذا قبضنا الهدى الذي يُهدى لآهتنا أسلمنا وكسرنا الآهة. فهمّ النبي ﷺ أن يطيعهم على ذلك.
- 3\_ قالوا للنبي ﷺ: اطرد عنا هؤلاء السقاط والموالي الذين آمنوا بك حتى نجلس معك ونستمع منك. فهمّ بذلك طمعاً منه أن يؤمنوا<sup>(1)</sup>.

• وذهب الطبري إلى أنّ الصواب من القول أن يقال: «إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه ﷺ أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله، وجائز أن يكون ذلك كان ما دُكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمسّ آهتهم، ويلمّ بها، وجائز أن يكون كان ذلك ما دُكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألتهم إياه ما سألوه مما ذكرنا، وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أيّ ذلك كان، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عُني بذلك منه»<sup>(2)</sup>.

• وتعقب ابن الجوزي ما سبق مبينا بطلانه، وأنه لا يجوز أن يُظنّ برسول الله ﷺ، وكل ذلك مُحال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رَوَوْا عنه<sup>(3)</sup>.

### القول الثاني: أنه لم يكن ركون ولا همّ إليهم.

عزاه ابن الجوزي لابن الأنباري، والقرطبي للمهدوي والقشيري، وممن قال به القاضي عياض والبيضاوي وابن جزري والثعالبي والألوسي<sup>(4)</sup>.

(1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (507 / 17). الهداية، مكّي، (6 / 4256).

(2) \_ جامع البيان، الطبري، (507 / 17).

(3) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (3 / 42).

(4) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (3 / 43). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (10 / 135). الشفا، القاضي عياض،

(1 / 30). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي (ت: 691)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي

دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1 - 1418 هـ، (3 / 263). التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري، (1 / 452).

الجواهر الحسان، الثعالبي، (2 / 489). روح المعاني، الألوسي، (8 / 123).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

ومّا احتجوا به على ذلك ما يلي:

أ\_ (لولا) تدل على امتناع شيء لوجود غيره، فدلت هنا على امتناع مقارنة النبي ﷺ الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته.

ب\_ (كدت) تقتضي نفي الركون، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أي: أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربتة<sup>(1)</sup>.

ج\_ وذهب ابن الأنباري والمهدوي أنّ ظاهر الخطاب للنبي ﷺ والمقصود غيره، فتقديره: لقد كادوا يُركنونك إليهم، وينسبون إليك ما يشتهونه مما تكرهه. فنسب الفعل إلى غير فاعله، كقول الرجل للرجل: كدت تقتل نفسك اليوم؛ يريد: كدت تفعل فعلاً يقتلك غيرك من أجله. فهذا المجاز والاتساع، وشبيهه بهذا قوله ﷺ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132]، وقول القائل: «لا أرينك في هذا الموضع»<sup>(2)</sup>.

• وتعقب ابن عطية قول ابن الأنباري بأنّه حمل اللفظ ما لا يحتمل، وأن قوله: ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ يبطل ذلك. واعتبر الألوسي قول ابن الأنباري من الألغاز المستغنى عنه<sup>(3)</sup>.

• وردّ الثعالبي على انتقاد ابن عطية معتبراً أنّ ما ذكره ابن الأنباري يفرضه واجب تنزيه الأنبياء عليهم السلام.

### الخلاصة:

بعد استعراض الأقوال السابقة وحجّة كل فريق، ظهر لي أنّ ما ذهب إليه الثعالبي من نفي الهمّ والركون هو الصحيح وذلك لما يلي:

1\_ أنّ (لولا) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره<sup>(4)</sup>؛ وهذا ما يبين أنّ الركون القليل لم يحصل.

(1) \_ ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (3/ 263)، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (1/ 452).

(2) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (3/ 43). جامع البيان، القرطبي، (10/ 135).

(3) \_ روح المعاني، الألوسي، (8/ 123).

(4) \_ ينظر: شرح الكافية الشافية، جمال الدين ابن مالك، ت: عبد المنعم هريدي، جامعة أم القرى، السعودية، ط: 1،

1402 هـ - 1982 م، (3/ 1649).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

2\_ أن (كاد) لمقاربة الفعل، يقال: كاد يفعل؛ إذا لم يكن قد فعل، ويكون قريبا من أن لا يكون نحو قول الله جل ثناؤه: ﴿لَقَدْ كِدْتُمْ تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:74]<sup>(1)</sup>.

يبقى التأكيد على ملاحظة مهمة تُبرز منهج الثعالبي في تعقباته المتعلقة بعصمة الأنبياء، فهو يرى ضرورة اجتناب كل قول يُفهم منه المساس بهم، كما يظهر من دعائه لابن الأنباري نظير توجيهه وإن كان بعيدا من لفظ الآية؛ أنه يرى إخراج اللفظ عن ظاهره في مثل هذه المواطن جاء لموجب قرره ضرورة تنزيه الأنبياء، وهذا ما صرح به في المسألة المتعلقة بالمطلب الرابع، حيث ردّ ابن عطية قول مكّي بأنّ قوله ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35] للنبي ﷺ والمراد به أمته. وحجّة ابن عطية أنّ اللفظ لا يقتضيه<sup>(2)</sup>. فتعقبه الثعالبي بقوله: «قلت وما قاله ع: فيه عندي نظر؛ لأنّ هذا شأن التأويل إخراج اللفظ عن ظاهره لموجب...»<sup>(3)</sup>.

في خلاصة هذا المبحث يتضح أنّ المسائل التي تعقبها الثعالبي على ابن عطية لها علاقة من وجهة نظره بعصمة الأنبياء، ويظهر عليه نصرته للحقّ الذي يعتقده دون النظر إلى القائل؛ كتعقبه على القول المروي عن الإمام مالك، كما يتضح من منهجه الاستدلال والاستشهاد تأييدا لما ذهب إليه مع مراعاة الاختصار. والثعالبي يميل إلى القول بعصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها، ويرى وجوب صرف اللفظ عن ظاهره إذا احتل ما يمسّ بذلك.

(1) \_ ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، ت: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، ط: 1 - 1412 هـ، (ص: 729).

(2) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 288).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (618/1).

### المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مبحث الغيبات

من المواضيع المتعلقة بالعقيدة والتي تعقب الثعالبي فيها ابن عطية؛ ما له صلة بالمسائل الغيبية، ويأتي هذا المبحث لإبرازها مع دراستها في حدود الاستطاعة، وذلك في ستة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: معنى قول الله ﷻ للملائكة: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 31].

#### قول ابن عطية

«وقال ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ: «معنى الآية ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في أنَّ الخليفة يُفْسِدُ وَيَسْفِكُ» (1) «(2).

#### تعقيب الثعالبي:

«ت: وفي النفس من هذا القول شيء، والملائكة منزّهون معصومون كما تقدّم، والصواب ما تقدّم من التفسير عند قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30]» (3).

#### الدراسة:

من الأقوال التي أوردها ابن عطية في تفسير قوله ﷻ: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ما عزاه لابن مسعود وابن عباس وبعض الصحابة رضي الله عنهم من قولهم: «إن كنتم صادقين في أن الخليفة يفسد ويسفك»، ورأى الثعالبي أنّ في هذا القول مساس بعصمة الملائكة؛ لأنّ ذلك \_ حسب \_ يقتضي أنّ الملائكة ادّعوا شيئاً من غير علم مسبق، فكان ذلك سبقاً بالقول وهو ما لا يليق بالملائكة الكرام، وأرجع الصواب إلى ما تقدم في تفسير قوله ﷻ: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30].

(1) \_ أخرج الطبري في جامع البيان، رقم: 672، (1/ 490).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 121).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 64).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

والذي يظهر لي استنادا إلى ما سبق أن المسألة ينبغي تناولها من جانبين:  
أولهما: الوقوف على تفسير الآية التي أشار إليها الثعالبي.  
ثانيهما: التحقيق في مسألة عصمة الملائكة، وهل فيما نقله ابن عطية مساس بذلك؟

أولا: التحقيق في معنى سؤال الملائكة في قوله ﷺ: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30].

فهم معنى هذه الآية ضروري لأن الأثر الذي نقله ابن عطية عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما فيه ربط بينها وبين الآية محلّ الدراسة، وهذا ما فهمه الثعالبي؛ حيث ظهر له أن ربط قوله ﷺ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بسؤال الملائكة يُوحى أن سؤالهم كان رجما بالغيب، وهو ما لا يليق بعصمتهم، وأوضح أن الوجه الصحيح في فهم قوله ﷺ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يرجع إلى ما بينه عند تفسيره لها، حيث قرّر أن سؤال الملائكة لم يكن اعتراضا منهم على حكم الله ﷻ، أو إنكارا على فعله، أو رجما بالغيب وسبقا بالقول، فالملائكة معصومون، لا يقع منهم ما يُوجب نقصانا من رتبتهم، وشريف منزلتهم، وقد اختصر ما نقله ابن عطية من توجيهه لسؤال الملائكة ومن ذلك: أنّ الملائكة أعلمهم الله ما سيقع من إفساد من طرف بني آدم، فجاء سؤالهم على سبيل التعجب أو على سبيل الاسترشاد والاستعلام، هل هذا الخليفة هو الذي أعلمهم الله به أم غيره؟ كما نقل أن الملائكة كان لهم علم بما فعل الجنّ قبل آدم ﷺ من سفك للدماء وإفساد في الأرض، فجاء سؤالهم على جهة الاستفهام المحض، هل هذا الخليفة يا ربنا على طريقة من تقدم من الجنّ أم لا؟ وقد أكد ابن عطية \_ ونقل عنه الثعالبي ذلك \_ أنّ الملائكة لا تعلم الغيب، ولا تسبق بالقول (1).

هذا ملخص ما نقله الثعالبي عن ابن عطية، ويظهر من خلاله أنّ سؤال الملائكة لم يكن سبقا بالقول أو اعتراضا. وقد بذلت جهدي في البحث والتقصي للوقوف على أقوال أهل العلم في المسألة، فظهر أنّها متشعبة، وقد ذُكر في توجيه هذا السؤال أقوال كثيرة، من ذلك ما يلي:

(1) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (60/1).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

القول الأول: أن سؤا لهم كان عن علمهم المسبق بعد أن أخبرهم الله بذلك.

رُوي عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما<sup>(1)</sup>، وعزاه عبد الرزاق لقتادة<sup>(2)</sup>، والطبري لابن زيد<sup>(3)</sup> وابن جريج<sup>(4)</sup>، واختاره ابن قتيبة والتستري<sup>(5)</sup> والنحاس وابن أبي زيمين<sup>(6)</sup>.

وفي سؤا لهم عن ذلك بعد علمهم المسبق بما أخبرهم الله ﷻ، ذهب بعض المفسرين أنه كان استخبارا لربها،

بمعنى: أعلمنا يا ربنا أجاعل أنت في الأرض من هذه صفته، وتارك أن تجعل خلفاءك منا، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟ وهذا ما اختاره الطبري، ونقل عن بعضهم أنّ ذلك كان على سبيل التعجب، ولم يرتضه<sup>(7)</sup>.

ومما احتج به من ذهب لهذا القول عموما:

أ \_ أنّ ذلك مروى عن ابن عباس وابن مسعود ولا يُعلم لهما مخالف من الصحابة رضي الله عنهم، فكلامهم يقدّم لأنهم عايشوا التنزيل، والحاضر يعلم بمشاهدته الكلام ما لا يعلمه الغائب<sup>(8)</sup>.

ب \_ أنّ أهل التحقيق من أصحاب اللغة حملوا المعنى: إني جاعل في الأرض خليفة يفعل ولده كذا ويفعلون كذا. فقالت الملائكة: أتجعل فيها من يفعل هذه الأفاعيل؟ ولولا ذلك ما علمت الملائكة في وقت الخطاب

(1) \_ أخرجه الطبري في جامع البيان، رقم: 605، (451/1).

(2) \_ ينظر: تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني (ت: 211هـ)، دار الكتب العلمية، ت: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1419هـ، (264/1).

(3) \_ هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في التأسخ والمنسوخ، توفي سنة 182هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (8/349).

(4) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (466/1\_469).

(5) \_ هو: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن ربيع الثستري، نسبة إلى تُشْتَرُ قرب شيراز في بلاد خوزستان، كان أحد أئمة الصوفية في عصره، من تلاميذه الإمام البرهاري شيخ الحنابلة، توفي سنة: (283هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (2/430). سير أعلام النبلاء، الذهبي، (15/90).

(6) \_ ينظر: غريب القرآن، عبد الله بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ - 1978م، (ص: 45). تفسير التستري، سهل الثستري (ت: 283هـ)، ت: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1423هـ، (ص: 27). القطع والانتشاف، أبو جعفر النَّحَّاس (ت: 338هـ)، ت: عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1413هـ - 1992م، (ص: 51). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زيمين، (132/1).

(7) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (470/1).

(8) \_ ينظر: القطع والانتشاف، النَّحَّاس، (ص: 51).



## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

أن خليفة الله يفعل ذلك، فاختصر الله الكلام<sup>(1)</sup>.

القول الثاني: أنهم خبروا ما فعله الجن من سفك للدماء وإفساد في الأرض.

روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(2)</sup>، والربيع بن أنس<sup>(3)</sup>-(4)، ومن قال بذلك مقاتل<sup>(5)</sup> والكلبي<sup>(6)</sup> والسمرقندي، وعزاه الثعالبي لأكثر المفسرين<sup>(7)</sup>.

القول الثالث: أن الذين قالوا ذلك من الملائكة كانوا قبيلة إبليس خاصة.

روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(8)</sup>، وذكر الطبري أن هذه الرواية تقتضي أن الله امتحنهم وأن سؤالهم كان هفوة منهم ورجما بالغيب، وأن الله جل ثناؤه أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك، ووقفهم عليه حتى تابوا وأتابوا إليه مما قالوا<sup>(9)</sup>.

القول الرابع: أن قائل ذلك هو إبليس قبل أن ينفصل عن الملائكة.

عزاه أبو حيان لابن الوزير؛ حيث أوضح أن ظاهر السؤال يُشعر بنوع من الاعتراض، والملائكة منزهون عن ذلك؛ والبيان أن الملائكة كانوا حين ورود الخطاب عليهم مُجْمَلِينَ، وكان إبليس مندرجا في جملتهم، فورد منهم الجواب مجملا، فلما انفصل إبليس عن جملتهم بإبائه واستكباره، انفصل الجواب إلى نوعين: فنوع الاعتراض منه كان عن إبليس، وأنواع الطاعة والتسبيح والتقديس كان عن الملائكة. فانقسم الجواب إلى قسمين، كانقسام الجنس إلى جنسين، وناسب كل جواب من ظهر عنه. وقد عدّ أبو حيان هذا القول من أندر ما وقع في تأويل الآية وحسنه واحتج له بما يلي:

(1) \_ غريب القرآن، ابن قتيبة، (ص:45).

(2) \_ أخرجه الطبري في جامع البيان، رقم: 606، (455/1).

(3) \_ هو: الربيع بن أنس، من أهل البصرة ومن بني بكر بن وائل، لقي ابن عمر وأنس بن مالك وجابر، وهرب في زمن الحجاج، ودخل مرو وسكن فيها، وكانت وفاته في خلافة أبي جعفر سنة: (136هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (196/6). طبقات المفسرين، الأذني، (ص: 16).

(4) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (465 /1).

(5) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (96/1).

(6) \_ ينظر: تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، (264/1).

(7) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (40/1). الكشف والبيان، الثعالبي، (176/1).

(8) \_ أخرجه الطبري في جامع البيان، رقم: 606، (455/1).

(9) \_ ينظر: المصدر نفسه، (458 /1).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

— أن ذلك كقوله ﷺ: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ [البقرة:135]؛ فالجملة كلها مقولة، والقائل نوعان، فَرَدَّ كل قول لمن ناسبه<sup>(1)</sup>.

القول الخامس: أن لفظ الاستفهام جاء على معنى الإيجاب أنك ستفعل. ذهب إليه أبو عبيدة والأخفش، وحثتهم في ذلك:

أ \_ قول جرير: أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ<sup>(2)</sup>.

ب \_ كما أن الرجل يقول لغلامه وهو يضربه إذا أذنب: أَلَسْتُ الْفَاعِلُ كَذَا<sup>(3)</sup>.

ج \_ أن ذلك كقوله ﷺ: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَرِ بِرِقَابِهِمْ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور]؛ فهو على إيجاب ذلك، لا على الاستفهام<sup>(4)</sup>.

• وتَعَقَّبَ النحاس أبا عبيدة مُبِينًا أَنَّهُ مَخَالَفٌ فِيمَا قَالَهُ<sup>(5)</sup>.

القول السادس: أن فيه إضمار واختصار معناه: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ أم تجعل فيها من لا يفسد ولا يسفك الدماء؟

عزاه الثعالبي لبعض أهل المعاني، وذكر أنه اختيار الحسن بن الفضل.

وَحَجَّتَهُمْ فِي ذَلِكَ:

— قوله ﷺ: ﴿ أَمِنْ هُوَ قَنْتِ - إِنَاءَ الْبَيْلِ ﴾ [الزمر: 9]؛ يعني كمن هو غير قانت<sup>(6)</sup>.

بعد الذي سقته من أقوال يتضح أن سؤال الملائكة لم يكن سبقا بالقول أو اعتراضا، وهذا ما قرره ابن عطية والثعالبي، لذا تعقب ما نقله ابن عطية عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، معتبرا أن ذلك يمس

(1) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (1/ 232).

(2) \_ البيت لجرير وهو مثبت في ديوانه. ينظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، ت: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط: 3، د ت ط، (1/ 85).

(3) \_ مجاز القرآن، معمر بن المثنى (ت: 209هـ)، ت: محمد فواد سركين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: 1، 1381 هـ، (1/ 36). معاني القرآن، أبو الحسن الأخفش (ت: 215هـ)، ت: هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1411 هـ - 1990 م، (63/1).

(4) \_ ينظر: تفسير الماتريدي، الماتريدي، (1/ 415).

(5) \_ ينظر: القطع والانتشاف، الزجاج، (ص: 50).

(6) \_ ينظر: الكشف والبيان، الثعالبي، (1/ 176).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

بعصمة الملائكة، وهذا ما يستدعي وقفة أبين من خلالها مسألة عصمة الملائكة، وهل فيما نقله ابن عطية مساس بذلك.

ثانياً التحقيق في مسألة عصمة الملائكة، وهل فيما نقله ابن عطية مساس بذلك؟

عصمة الملائكة من الأمور المقررة عند العلماء ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة مستنديين إلى سؤال الملائكة في

قوله ﷺ: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:30]، وتمسكوا بوجوه منها:

أ\_ أن قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ هو استفهام إنكار واعتراض على الله عز وجل وهو ما يتنافى مع العصمة.

ب\_ أن ذكرهم أن بني آدم يفسدون ويسفكون الدماء هو غيبة لهم، وقذف لهم ورجماً بالغيب<sup>(1)</sup>.

• وأجيب على الوجهين الأول والثاني بما مرّ سابقاً من توجيهات لسؤال الملائكة، وأن ذلك لم يكن سبقاً بالقول وإنما عن علم مسبق، أو على سبيل التعجب أو الاستفهام عن الحكمة..، وبهذا تسقط دعوى الاعتراض والرجم بالغيب.

ج \_ أن قولهم: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة:30]، هو عجب بأفعالهم وهو ما ينافي العصمة.

• وتُعقب هذا التوجيه أنه ليس من قبيل العجب، بل فيه إشارة إلى جواز التمدح إلى من له الحكم في التولية ممن يقصد الولاية، إذا أمن على نفسه الجور والحيف، ورأى في ذلك مصلحة؛ ولذلك جاز ليوסף ﷺ طلبه الولاية ومدح نفسه بما فيها فقال: ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾ [يوسف: 55]<sup>(2)</sup>.

د \_ أن البشر أفضل من الملائكة عند كثير من الناس، ثم إنهم \_ أي البشر \_ غير معصومين، فالملائكة الذين هم مفضّلون أولى.

(1) \_ ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، نجم الدين الطوفي (ت: 716 هـ)، ت: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1426 هـ - 2005 م، (ص: 48).

(2) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (1/ 232).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

— واستند الجمهور إلى مجموعة من الحجج والأدلة؛ فيها ما هو ردّ على ما سبق، وفيها ما هو دليل مستقل لإثبات ما ذهبوا إليه، ومن ذلك ما يلي:

أ\_ أن الملائكة رسل الله، لقوله ﷺ: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنِي وَثُلُكَ وَرَبِّعٍ﴾ [فاطر:1]، ورسّل الله عز وجلّ معصومون.

ب\_ أن الله ﷻ قال في وصفهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، وهو معنى العصمة.

ج\_ أن المنافي للعصمة هو المعاصي، وهي تصدر عن الشهوة والغضب، وهم مجردون منهما، فكانوا معصومين منها.

د\_ قالوا أنّ هذه الوجوه السابقة قواطع في عصمتهم، وما ذكره المعتزلة في نفيها ما بين ممنوع أو ظاهر لا يعارض القاطع<sup>(1)</sup>.

وبهذا يتّضح أنّ القول بعصمة الملائكة هو الحق، وأنّ اعتراضات الفرق المخالفة لا مستند له من الصّحة. — بقي بيان ما تعلق بما نقله ابن عطية وهل فيه مساس بعصمة الملائكة كما فهم الثعالبي ذلك؟ وهذا ما يستدعي تتبع أقوال المفسرين في المسألة، وقد وقفت على ما يلي:

أولاً\_ فهم الثعالبي أنّ ما عزاه ابن عطية لابن مسعود وابن عباس وبعض الصحابة رضي الله عنهم من قولهم: «﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الخليفة يفسد ويسفك»، يُشعر باعتراض الملائكة وسبقها بالقول، وهذا ما

لا يليق، فقد قال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (27) [الأنبياء]، وذهب

المعتزلة إلى نفي عصمة الملائكة انطلاقاً من سؤالها: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ

نُسَبِحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30]، معتبرين أن ذلك خرج على وجه الاعتراض على الله ﷻ،

لذا فإنّ كثيراً من المفسرين وجّهوا معنى سؤال الملائكة بما ذكرناه في العنصر السابق، كما وجّه بعضهم معنى قوله

ﷻ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأنّ ذلك لا يعني أنّ الملائكة ادّعوا شيئاً، إنما أخبر عن جهلهم بعلم الغيب

(1) \_ ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، الطوفي، (ص: 48).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

وعلمه بذلك، كما يقول الرجل للرجل: «أنبئي بهذا إن كنت تعلم»، وهو يعلم أنه لا يعلم، ومن هؤلاء الأخفش<sup>(1)</sup>.

ثانياً\_ أورد بعض المفسرين ما روي عن ابن عباس وابن مسعود وبعض الصحابة رضي الله عنهم من قولهم: «**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**» في أن الخليفة يفسد ويسفك» دون عزوه إليهم؛ ومن هؤلاء مقاتل والقرطبي وابن جزى، بينما عزاه البعض إليهم دون أن يُعلّقوا عليه، ومن هؤلاء الثعالبي وابن عطية والشوكاني<sup>(2)</sup>.

ثالثاً\_ تعقب بعض المفسرين الأثر السابق المروي عن ابن عباس وابن مسعود وبعض الصحابة رضي الله عنهم، حيث أورده الطبري بطوله، وفيه أنّ الله أعلم الملائكة بأنّ ذرّيّة الخليفة سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء،

ثم ساق القول السابق: «**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**» في أن الخليفة يفسد ويسفك»، ثم علق على الأثر مبينا أن أوله يُفسد آخره، وأن آخره يُبطل معنى أوله؛ وذلك أن الله جل ثناؤه إن كان أخير الملائكة أن ذرّيّة الخليفة

سيكون منهم الإفساد، فقالت الملائكة لربها: «**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ**

**الدِّمَاءَ**» [البقرة:30]، فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت بما أخبرها الله به، بل ذلك حُلفٌ من التأويل، ودعوى على الله ما لا يجوز أن يكون له صفة. ثم أوضح أنه يخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي

غلط على من رواه عنه من الصحابة رضي الله عنهم، وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك: «**أَنْبِئُونِي**

**بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**» فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبري إياكم أنّ بني آدم يفسدون

في الأرض ويسفكون الدماء، حتى استجزتم أن تقولوا: «**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**»،

فيكون التوبيخ حينئذ واقعاً على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم، لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن، وذلك أن الله جل ثناؤه، وإن كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرّيّة خليفته في الأرض ما يكون منه فيها

(1) \_ ينظر: معاني القرآن، الأخفش، (1/ 63).

(2) \_ ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل، (1/ 98). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (1/ 284). التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، (1/ 79). الكشف والبيان، الثعالبي، (3/ 215). المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 121). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط: 1، 1414 هـ، (1/ 78).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

من الفساد وسفك الدماء، فقد كان طوى عنهم الخبرَ عما يكون من كثيرٍ منهم من طاعتهم ربّهم، وإصلاحهم في أرضه، وحقن الدماء، ورفعِه منزلتَهم، وكرامتِهم عليه، فلم يخبرهم بذلك<sup>(1)</sup>.

كما تعقّب ابن كثير الأثر السابق حيث قال: «فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعلّ بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة. والله أعلم»<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي سقته من أقوال يظهر أنّ تعقب الثعالبي في محله وذلك لما يلي:

1\_ لم يكن سؤال الملائكة إلاّ لعلمهم المسبق بما فعل الجن، فتساءلوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ كما فعل الجنّ، وهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من طريق مجاهد، وقد أخرج الحاكم في مستدركه وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي»<sup>(3)</sup>، وهذا ما يؤكد أنّ سؤالهم لم يكن سبقاً بالقول أو اعتراضاً.

2\_ الأثر الذي ساقه ابن عطية، أخرج الطبري، وفيه أنّ الله أعلم الملائكة بأنّ ذريّة الخليفة سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، كما ورد فيه أنّ معنى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في أنّ الخليفة يُفسدُ ويسفك، وهذا الخبر يناقض أوّله آخره كما صرح بذلك الطبري، إذ لا يمكن أن يخبرهم الله بشيء ثم يعاتبهم على قولهم بما أخبرهم به.

3\_ أوضح الطبري أنّ هذا الأثر قد يكون فيه خطأ من بعض نقلته، كما أوضح ابن كثير أنّ إسناده يقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعلّ بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة رضي الله عنهم، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة.

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (1/ 459) (بتصرف).

(2) \_ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير (ت: 774هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ - 1999م، (1/ 230).

(3) \_ المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، (2/ 287).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

4\_ إسناده هذا الأثر تكرر كثيرا في جامع البيان، وقد عرّض الطبري به حين نقل خبرا عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما بهذا الإسناد، حيث قال: «فإن كان ذلك صحيحًا، ولست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مرتابًا»<sup>(1)</sup>. ولم يُوضّح وجه ارتيابه، غير أني تتبعت هذا الإسناد الذي يرويه الطبري عن شيخه موسى بن هارون الهمداني، عن عمرو بن حماد القنّاد، عن أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السُدّي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فظهر أنّ جميع رواه ثقات، إلاّ شيخ الطبري حيث أني لم أقف له على ترجمة، إضافة إلى أسباط بن نصر حيث اختلف فيه، فوثقه ابن معين وضعفه الإمام أحمد، وقال النسائي ليس بالقوي<sup>(2)</sup>. فلعلّ وجه ارتياب الطبري من جهته - والله أعلم -.

ومّا يُلاحظ أنّ الثعالبي وجّه سؤال الملائكة بما ذكره في تفسير الآية السابقة، واعتمد عليها لردّ الأثر الوارد عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما؛ وهذا ما يُبرز توظيفه للقرآن لتأييد ما ذهب إليه.

### المطلب الثاني: المقصود بالوسيلة المطلوبة للنبي صلى الله عليه وآله

#### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(35)</sup> [المائدة]: «﴿وَابْتَغُوا﴾ معناه: اطلبوا، والوسيلة: القرية، وأما الوسيلة المطلوبة لنبينا محمد صلى الله عليه وآله، فهي أيضا من هذا؛ لأنّ الدعاء له بالوسيلة والفضيلة إنّما هو أن يؤتاها في الدنيا، ويتصف بهما، ويكون ثمرة ذلك في الآخرة التشفيح في المقام المحمود»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (1/ 354).

(2) \_ ينظر: تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن معين في ترجيح الرواة وتعديلهم، عثمان الدارمي (ت: 233هـ)، ت: أحمد سيف، دار المأمون للتراث - دمشق، د ت ط، (ص: 70). الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي (ت: 327هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 1271 هـ 1952 م (2/ 332). تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزني (ت: 742هـ)، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1400 - 1980، (2/ 359).

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 187).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

### تعقيب الثعالبي:

«قلت: وفي كلامه هذا ما لا يخفى، وقد فسر النبي ﷺ الوسيلة التي كان يرجوها من ربه، وأنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو...»<sup>(1)</sup>.

### الدراسة:

بيّن ابن عطية أنّ الوسيلة المطلوبة للنبي محمد ﷺ إنما هي قرينة تحصل له في الدنيا ويكون أثرها في الآخرة التشفيح في المقام المحمود، فتعقبه الثعالبي مبيناً أن كلامه بجانب للصواب، وأنّ الوسيلة إنما هي درجة في الجنة واستدل على ذلك بما ورد في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أني أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة»<sup>(2)</sup>.

واعتماداً على الحديث ذكر غير واحد من أهل العلم أنّها درجة في الجنة خاصة بالنبي ﷺ، قال القاضي عياض: «فسّرها في الحديث أنّها منزلة في الجنة»<sup>(3)</sup>. وذكر ابن كثير أن معنى الوسيلة في الآية هي ما يتوصل به إلى تحقيق المقصود، وأنّ الوسيلة الخاصة بالنبي ﷺ هي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وساق ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إلاّ حلت له الشفاعة يوم القيامة»<sup>(4)</sup>-(5). ولم أقف على من خالف في هذه المسألة، فقد ورد فيها حديث صحيح.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (549/1).

(2) \_ أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، رقم: (384)، (288 /1).

(3) \_ إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، (2 / 252).

(4) \_ أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، رقم: 614، (1 / 126).

(5) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (103/3).



### الخلاصة:

تَعَقَّبَ الثعالبي في محله، لورود حديث صحيح في ذلك، ولم أقف على من خالف في المسألة، واستناد الثعالبي على الحديث في ردّ معنى ما ذكره ابن عطية يوضّح بجلاء عنايته بالسنة وتعظيمه لها.

### المطلب الثالث: مسألة زواج الجنّ بالإنس

#### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسيره قوله ﷺ: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء:64]: «وما أدخل النقاش<sup>(1)</sup> من وطء الجن وأنه تحبل المرأة من الإنس فضعيف كله»<sup>(2)</sup>.

#### تعقب الثعالبي:

«ت: أما ما ذكره من الحبل، فلا شك في ضعفه، وفساد قول ناقله، ولم أر في ذلك حديثاً لا صحيحاً ولا سقيماً، ولو أمكن أن يكون الحبل من الجن، كما زعم ناقله، لكان ذلك شبهة يدرأ بها الحد عن ظهر بها حبل من النساء اللواتي لا أزواج لهن لاحتمال أن يكون حبلها من الجن كما زعم هذا القائل، وهو باطل، وأما ما ذكره من الوطاء، فقد قيل ذلك وظواهر الأحاديث تدل عليه، وقد خرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره الشيطان أبداً»<sup>(3)</sup>. فظاهر قوله ﷺ: «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» يقتضي أنّ لهذا اللعين مشاركة ما في هذا الشأن، وقد سمعت من شيخنا أبي الحسن علي بن عثمان الزواوي المانجلاتي سيد علماء بجاية

(1) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي المقرئ المفسر، من مصنفاته: شفاء الصدور في التفسير، وغريب القرآن، قال الذهبي: «مع جلالته ونبله فهو متروك الحديث»، وقال اللالكائي: «تفسيره إشقاء الصدور لا شفاء الصدور». وذلك لكثرة ما فيه من الموضوعات. توفي سنة (351هـ). ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1، 1422هـ - 2002م، (2/ 602). تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1998م، (3/ 83).

(2) - المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 471).

(3) - سبق تخريجه. ينظر: (ص: 107).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

في وقته، قال: «حدثني بعض الناس ممن يوثق به يخبر عن زوجته أنها تجد هذا الأمر، قال المخبر: وأصغيت إلى ما أخبرت به الزوجة، فسمعت حسن ذلك الشيء» والله أعلم<sup>(1)</sup>.

### الدراسة:

أنكر ابن عطية على النقاش استدلاله بالآية على إمكانية وطء الجن للإنس، وبين أن ذلك ضعيف ليس له ما يعضده، فتعقبه الثعالبي موافقا له في عدم إمكانية الحبل، وأن ذلك في غاية الفساد وليس له ما يؤيده، خاصة وأن وجوده يقضي بعدم إقامة الحدود لوجود الشبهة، ثم خالفه في إمكانية الوطاء، مستندا في ذلك على حديث يرى أن ظاهره يقتضي وجود ما أنكره ابن عطية، كما ساق رواية واقعية عن أحد شيوخه. والذي يظهر لي أن المسألة ينبغي تناولها من ناحية إمكانية ذلك من عدمه، وبعد البحث اتضح أنها محل أخذ ورد، وفيما يلي بيان ذلك:

### القول الأول: أن ذلك ممكن.

عزاه السمعاني لابن عباس رضي الله عنه وجعفر بن محمد ومجاهد<sup>(2)</sup>، وأورده البغوي والقرطبي وابن الجوزي، واعتبره الرازي المشهور، وقرره ابن تيمية والثعالبي<sup>(3)</sup>.

- وما استدل به من ذهب لهذا القول ما يلي:

أ- قوله رضي الله عنه: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء: 64].

• وتُعقب بأنه غير نصّ في المراد كما لا يخفى<sup>(4)</sup>.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 485).

(2) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (3/ 259).

(3) \_ ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (3/ 143). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (10/ 289). زاد المسير، ابن الجوزي، (8/ 122)، (29/ 130). مفاتيح الغيب، الرازي، (29/ 376). مجموع الفتاوى، ابن تيمية (19/ 39). الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 485).

(4) \_ ينظر: روح المعاني، الألويسي، (14/ 118).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

ب\_ قوله ﷺ: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿56﴾﴾ [الرحمن]، ووجه الاستدلال؛ أنّ وصف الحور العين بأنه لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان يوضح أنّ نساء الآدميات قد يطمئنهن الجان، وأن الحور العين قد برئن من هذا العيب ونزهن<sup>(1)</sup>.

● وتُعقب أنّ الآية ليست نصّاً في ذلك، وإمّا المقصود أنّ الجنّ في الجنة لهم قاصرات الطرف من نوعهم، فالمعنى لم يطمث الإنسيات أحد من الإنس، ولا الجنيات أحد من الجنّ قبل أزواجهنّ<sup>(2)</sup>.

ج\_ كما استندوا إلى ما رواه ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ أنّه قال: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره الشيطان أبداً»<sup>(3)</sup>.

د\_ ما روي عن النبي ﷺ: «إنّ فيكم مغربين. قيل: ومن المغربون؟ قال: الذين شارك فيهم الجنّ»<sup>(4)</sup>. ه\_ عن ابن عباس ؓ أنّ رجلاً أتاه، وقال: «إن امرأتي استيقظت، وكأن في فرجها شعلة نار، قال: ذاك من وطىء الجن. قال: فمن أولادهم؟ قال: هؤلاء المختنون»<sup>(5)</sup>.

و\_ كما استندوا إلى الوقائع التي ذُكرت في ذلك، ومنها: ما حكاه الثعالبي عن شيخه المنقلاقي<sup>(6)</sup>، وما أورد السيوطي في الأشباه والنظائر أنّ أبا عثمان الرازي ذكر في كتاب: "الإلهام والوسوسة"، قال: «حدثنا مقاتل، حدثني سعيد بن داود الزبيدي قال: كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن، وقالوا: إن ههنا رجلاً من الجن يخطب إلينا جارية يزعم أنه يريد الحلال...»<sup>(7)</sup>.

(1) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17/ 181).

(2) \_ ينظر: روح المعاني، الألوسي، (14/ 118).

(3) \_ سبق تخريجه. ينظر: (ص: 107).

(4) \_ أخرجه أبو داود في سننه، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه، رقم: (5107)، (7/ 432)، وضعفه شعيب الأرنؤوط.

(5) \_ عزاه السمعاني لبعض المسانيد عن ابن عباس، ولم أقف عليه. ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (3/ 259).

(6) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 485).

(7) \_ الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1990م، (ص: 257).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

القول الثاني: أنّ ذلك غير ممكن.

وهو ما عناه القرطبي للقشيري، وقال به ابن عطية، وذكر الألويسي أنّها دعوى غير مسلمة عند جميع العلماء<sup>(1)</sup>؛ يريد بذلك أنّ بعضهم خالف في إمكانية وقوعها.

ومن جملة ما اعتمدوا عليه ما يلي:

أ\_ أنّه لا دليل عليه.

ب\_ أنّ الجن من عنصر النّار، والإنسان من عنصر ترابي، وذلك يمنع من وقوع التناكح بينهما.

• وتُعقّب عليه؛ بأنّهم وإن خُلقوا من نار فليسوا بباقيين على عنصرهم النّاري، بل قد استحالوا عنه بالأكل والشرب والتوالد كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابي، وقد أخبر النبي ﷺ أنّه وجد برد لسان الشيطان الذي عُرض له في صلّاته على يده لما خنقه، وفيه دليل على أنّه انتقل عن العنصر الناري، إذ لو كان باقيا على حاله فمن أين جاء البرد؟، وهذا المصروع يدخل بدنه الجني ويجري الشيطان من ابن آدم مجرى الدم، فلو كان باقيا على حاله لأحرق المصروع ومن جرى منه مجرى الدم<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

بعد البحث والتقصي خلصت إلى ما يلي:

1\_ الأدلة الشرعية التي استند إليها المثبتون لا تخلو من أمرين، فبعضها ليس صريحا في إمكانية ذلك، وما كان صريحا فليس بثابت من الناحية الحديثة.

2\_ مستند ابن عطية في نفيه مبني على عدم ثبوت ذلك بالأدلة الشرعية.

3\_ مستند الثعالبي في تقرير المسألة مبني على ما فهمه من بعض النصوص، إضافة إلى الوقائع المزوية في ذلك.

4\_ القول الذي ذهب إليه الثعالبي هو قول جمهور العلماء، وقد استند إلى الأدلة التي اعتمدوا عليها.

ومّا يُسجّل في ختام هذه المسألة أنّ الثعالبي وافق ابن عطية في نفيه وقوع التوالد بين الجنّ والإنس، معتمدا على عدم ورود أي دليل في المسألة، كما اعتمد على مراعاة المقاصد الشرعية، وأما ما أثبتته من إمكانية

(1) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17/ 181). المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 471). روح المعاني، الألويسي، (14/ 118).

(2) \_ آكام المرجان في أحكام الجنان، محمد الشليبي (ت: 769هـ)، ت: إبراهيم الجمل، مكتبة القرآن - مصر - القاهرة، د ت ط، (ص: 106).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

وقوع التزواج فمستنده ما فهمه من ظواهر الأحاديث التي ساقها، إضافة إلى اعتماده على وقائع الأعيان التي رواها عن شيخه \_ والله أعلم \_.

المطلب الثالث: مسألة رفع القرآن في آخر الزمان؟

### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالذِّحِّ أَوْحِينَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ بِهِ

عَلَيْنَا وَكَيْلًا﴾ [الإسراء]: «وروى ابن مسعود أنه ستخرج ريح حمراء من قبل الشام فتزيل القرآن من المصاحف ومن الصدور وتذهب به، ثم يتلو هذه الآية. أراد ابن مسعود بتلاوة الآية أن يبدي أن الأمر جائز الوقوع ليظهر مصداق خبره من كتاب الله تعالى»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«قال الداودي: وما روي عن ابن مسعود من أنه سئزع القرآن من الصدور، وتُرفع المصاحف لا يصح؛

وإنما قال سبحانه: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا﴾ فلم يشأ سبحانه، وفي الحديث عنه ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون»<sup>(2)</sup>. قال البخاري: وهم أهل العلم، ولا يكون العلم مع فقد القرآن. انتهى كلام الداودي، وهو حسن جداً، وقد جاء في الصحيح ما هو أبين من هذا، وهو قوله صلى ﷺ: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً ولكن يقبض العلم بقبض العلماء...»<sup>(3)</sup>»<sup>(4)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (482/3).

(2) \_ أخرجه البخاري، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون وهم أهل العلم، رقم: (7311)، (101/9)، وأخرجه مسلم: باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، رقم: (1921)، (3/1523).

(3) \_ أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم: (100)، (1/234)، وأخرجه في كتاب الاعتصام، باب: ما يذكر من ذم الرأي، رقم: (7307)، (13/295)، ومسلم، كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، رقم: (13/2673)، (4/2058).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (497/2).

ساق ابن عطية رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه تبين أن القرآن يُرفع من المصاحف وسكت عنها ما يعني إقرارها، فتعقبه الثعالبي مورداً كلام الداودي في تضعيف هذه الرواية ودعم ذلك بجملة من الأدلة.

والذي يظهر لي أن المسألة تتطلب بداية دراسة أثر ابن مسعود دراسة حديثة، ثم بيان موقف المفسرين من القضية، يليه مناقشة الأدلة التي أوردها الثعالبي، لنخلص في الأخير إلى نتيجة تنبني على تحقيق علمي موضوعي في حدود الاستطاعة.

#### أولاً: التحقيق في أثر ابن مسعود رضي الله عنه.

الأثر الذي ساقه ابن عطية، أخرجه الطبري بسنده عن المسيّب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «تطرق الناس ربح حمراء من نحو الشام، فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية. قال رجل: يا أبا عبد الرحمن، إني قد جمعت القرآن، قال: لا يبقى في صدرك منه شيء». ثم قرأ ابن مسعود ﴿ **وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا** ﴾ [الإسراء]»<sup>(1)</sup>.

● وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" من طريق الثوري وإسرائيل كلاهما عن المسيّب بن رافع، عن شداد بن معقل بنحوه، غير أنه لم يذكر "الريح الحمراء"<sup>(2)</sup>. والملاحظ أنّ رواية الطبري جاءت عن المسيّب عن ابن مسعود، دون ذكر لشداد بن معقل، والصحيح عن المسيّب عن شداد، ومما يدل على ذلك؛ ما رواه سعيد بن منصور والحاكم من طريق سفيان بن عيينة وعبد الرزاق عن الثوري، وابن أبي شيبة من طريق أبي الأحوص، والبخاري في خلق أفعال العباد من طريق زهير والبيهقي من طريق شعبة جميعهم \_ أي ابن عيينة وأبو الأحوص، وزهير، وشعبة \_ عن عبد العزيز بن رفيع به، وبعضهم رواه بنحوه، وبعضهم روى بعض أجزائه<sup>(3)</sup>.

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (17/ 546).

(2) \_ ينظر: مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: 211هـ)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1403هـ، (362/3).

(3) \_ ينظر: التفسير من سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور (ت: 227هـ)، ت: سعد آل حميد، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط: 1، 1417 هـ - 1997 م، (2/335). المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، (4/ 549)، مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق الشيباني، (362/3). مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر ابن شيبة، (ت: 235هـ)، ت: كمال الحوت مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1، 1409هـ، (6/145). خلق أفعال العباد، محمد بن اسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، ت: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، السعودية، د ت ط، (ص: 86).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

والأثر صحّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي عن بعض طرقه: رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة<sup>(1)</sup>.

وقد تابع شداد كل من شقيق وزر بن حبيش كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه:

— فأما طريق شقيق، فأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" وسنده صحيح<sup>(2)</sup>.

— وأما طريق زرّ بن حُبَيْش، فأخرجه الدارمي في سننه<sup>(3)</sup>، وفي إسناده موسى بن عبدة وهو ضعيف<sup>(4)</sup>. وعليه

فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه — والله أعلم —.

### ثانياً \_ موقف المفسرين من رفع القرآن:

ساق الطبري بسنده أثر ابن مسعود رضي الله عنه ولم يتعقب ذلك، وعلى نفس الطريقة مشى السمرقندي، وأورد الثعلبي آثاراً أخرى تؤكد أن القرآن يُرفع آخر الزمان، ونقل ذلك مكّي بن أبي طالب والواحدي والزنجشيري والبغوي، وألف ضياء الدين المقدسي كتاباً يثبت فيه ذلك سمّاه "اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمان"، وقال به القرطبي وصحّح أثر ابن مسعود رضي الله عنه وساق آثاراً أخرى، وقال به الخازن وابن كثير والألوسي وغيرهم<sup>(5)</sup>. وقرّر هذه المسألة ثلّة من العلماء في كتب العقائد واصطلحوا على ذلك بقولهم: "القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود"، قال يحيى العمراني: «وعندنا أن القرآن يرفع من المصاحف ومن الصدور، وأنكر الأشعري ذلك»<sup>(6)</sup>.

### واستدلوا على ذلك بجملة من الآثار منها:

أ \_ أثر ابن مسعود رضي الله عنه السابق.

(1) \_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي (807هـ)، ت: حسين الدراي، دار المأمون للتراث، بيروت، د ت ط، (330 /7).

(2) \_ ينظر: مصنف ابن أبي شيبة، في رفع القرآن والإسراء به، رقم: (30192)، (6 /144).

(3) \_ ينظر: سنن الدارمي، باب في تعاهد القرآن، رقم: (3384)، (4 /2105).

(4) \_ ينظر: ميزان الاعتدال، الذهبي، (4 /213).

(5) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (546/17). بحر العلوم، السمرقندي، (328/2). الكشف والبيان، الثعلبي،

(132/6). الهداية في بلوغ النهاية، مكّي، (4283/6). التفسير الوسيط، الواحدي، (126/3). الكشف، الزنجشيري،

(691/2). معالم التنزيل، البغوي، (160/3). المحرر الوجيز، ابن عطية، (482/3). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،

(326/10). لباب التأويل، الخازن، (146/3). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (117/5). روح المعاني، الألوسي،

(157/8).

(6) \_ الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى العمراني (ت: 558هـ)، ت: سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض،

ط: 1، 1419هـ/1999م، (600/2).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

ب \_ ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي كدوي النحل، فيقول الله ما بالك. فيقول: يا رب منك خرجت وإليك أعود، أتلى فلا يعمل بي، أتلى ولا يعمل بي»<sup>(1)</sup>.

ج \_ ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة، قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُدْرُسُ الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، فيسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية...»<sup>(2)</sup>-(3).

### ثالثا \_ مناقشة الأدلة التي أوردها المعتضون:

ذهب كل من أبي سليمان الدمشقي \_ كما نقله عنه ابن الجوزي \_ والداودي والثعالبي إلى إنكار رفع القرآن، وضعفوا أثر ابن مسعود رضي الله عنه<sup>(4)</sup>، ومما اعتمدوا عليه ما يلي:

أ \_ أن قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا﴾ فيه دليل على أنه سبحانه لم يشأ ذلك، بدليل قوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَثِيرًا﴾ [الإسراء] قال الثعالبي: «﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ استثناء منقطع، أي: لكن رحمة من ربك تمسك عليك»<sup>(5)</sup>.

ب \_ حديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» قال البخاري: وهم أهل العلم<sup>(6)</sup>، قال الداودي: ولا يكون العلم مع فقد القرآن<sup>(7)</sup>.

ج \_ وأضاف الثعالبي دليلا آخر واعتبره أبين لرد هذا القول وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ...»<sup>(8)</sup>.

- (1) \_ أخرجه الدارمي في الردّ على الجهمية من طريق ابن لهيعة، رقم: 343، (ص: 189)، وإسناده ضعيف.
- (2) \_ أخرجه ابن ماجه في سننه، باب ذهاب القرآن والعلم، رقم: 4049، (5/ 173)، والحاكم في المستدرک، رقم: 8460، (4/ 520)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».
- (3) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (326/10).
- (4) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (52/3).
- (5) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (497/2).
- (6) \_ أخرجه البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون وهم أهل العلم، رقم: (7311)، (9/ 101).
- (7) \_ ينظر: المصدر السابق، (497/2).
- (8) \_ أخرجه مسلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، رقم: (2673)، (4/ 2059).



## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

• وقد ردّ ابن الجوزي القول بتضعيف أثر ابن مسعود رضي الله عنه وجمع بينه وبين حديث: «إنّ الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً»، حيث قال: «وحديث ابن مسعود مروى من طريق حسان، فيحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أراد بالعلم ما سوى القرآن، فإن العلم ما يزال ينقرض حتى يكون رفع القرآن آخر الأمر»<sup>(1)</sup>.  
وجمع ابن تيمية بين الحديثين بقوله: «فإن قيل: ففي حديث ابن مسعود وغيره أنه قال: «يسري على القرآن فلا يبقى في المصاحف منه آية ولا في الصدور منه آية» وهذا يناقض هذا. قيل: ليس كذلك. فإن قبض العلم ليس قبض القرآن بدليل الحديث الآخر: «هذا أوان يقبض العلم» فقال بعض الأنصار: وكيف يقبض وقد قرأنا القرآن وأقرأناه نساءنا وأبناءنا؟ فقال: «ثكلتك أمك إن كنت لأحسبك لمن أفقه أهل المدينة أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى؟ فماذا يغني عنهم؟». فتبين أن مجرد بقاء حفظ الكتاب لا يوجب هذا العلم لا سيما أن القرآن يقرؤه المنافق والمؤمن وقرؤه الأمي الذي لا يعلم الكتاب إلا أماني. وقد قال الحسن البصري: «العلم علمان: علم في القلب وعلم على اللسان. فعلم القلب هو العلم النافع وعلم اللسان حجة الله على عباده». فإذا قبض الله العلماء بقي من يقرأ القرآن بلا علم فيسري عليه من المصاحف والصدور»<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي سقته من أدلة الفريقين يظهر أن تعقب الثعالبي غير صحيح، وذلك لما يلي:

- 1\_ أثر ابن مسعود رضي الله عنه ثابت عنه، ولا تعارض بينه وبين الأحاديث التي ساقها لرده.
- 2\_ وردت آثار أخرى عن الصحابة، تبين أنّ القرآن يرفع آخر الزمان.
- 3\_ هو قول غالب العلماء والخلاف في ذلك شاذ.
- 4\_ ثبوت الآثار السابقة عن الصحابة يجعل الأمر في حكم الرّفْع؛ لأنّه من قبيل الغيبات التي لا يقال فيها بالرأي \_ والله أعلم \_.

ومّا يلاحظ أنّ الثعالبي اعتمد في ردّه لأثر ابن مسعود رضي الله عنه على أحاديث أخرى فهم من خلالها أنّها تعارض ذلك، وهذا ما يبين اعتماده على نقد المتن في ردّ الأحاديث.

(1) \_ زاد المسير، ابن الجوزي، (52/3).

(2) \_ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (304/18).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

المطلب الرابع: هل إلحاق الذرية بآبائهم في الجنة يقتضي أن يكونوا في درجة واحدة؟

قول ابن عطية:

«وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنَّ عَلَيْهِمْ مِن

شَرٍّ﴾ [الطور: 19] اختُلفَ في معنى الآية، فقال ابن عباس، وابن جبير، والجمهور: أخبر الله تعالى أن المؤمنين الذين اتبعتهم ذريتهم في الإيمان يلحق الأبناء في الجنة بمراتب الآباء، وإن لم يكن الأبناء في التقوى والأعمال كالآباء كرامةً للآباء، وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي ﷺ فجعلوا الحديث تفسيراً للآية، وكذلك وردت أحاديث تقتضي أن الله تعالى يرحم الآباء رعيًا للأبناء الصالحين، وقال ابن عباس أيضا والضَّحَّاك: معنى الآية؛ أن الله تعالى يلحق الأبناء الصغار بأحكام الآباء المؤمنين، يعني في الموارثة والدفن في مقابر المسلمين، وفي أحكام الآخرة في الجنة، وقال منذر بن سعيد: هي في الصغار لا في الكبار قال ع: وأرجح الأقوال في هذه الآية القول الأوّل لأنّ الآيات كلّها في صفة إحسان الله تعالى إلى أهل الجنة، فذكر من جملة إحسانه سبحانه أنّه يرضى المحسن في المسيء، ولفظة ﴿الْحَقِّنَا﴾ تقتضي أنّ للمُلْحَقِ بعض التقصير في الأعمال»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: وأظهر من هذا ما أشار إليه الثعالبي في بعض أنقاله: أنّ الله تعالى يجمع لعبده المؤمن ذرّيته في الجنة، كما كانوا في الدنيا، انتهى، ولم يتعرّض لذكر الدرجات في هذا التأويل، وهو أحسن لأنّه قد تقرّر أنّ رفع الدرجات هي بأعمال العاملين، والآيات والأحاديث مُصَرِّحَةٌ بذلك، ولما يلزم على التأويل الأوّل أن يكون كلّ من دخل الجنة مع آدم عليه السلام في درجة واحدة إذ هم كلّهم ذرّيته، وقد فتحت لك بابا للبحث في هذا المعنى من معني من إتمامه ما قصدته من الاختصار، وبالله التوفيق»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

ساق ابن عطية الخلاف في الآية، وعزا للجمهور القول بأن المقصود إلحاق الذرية بمراتب الآباء في الجنة، وأورد حديثا يؤيد ذلك، ثم ساق القول الآخر الذي يتضمن أنّ الإلحاق خاص بالصغار، ثم رجّح القول الأوّل وبين مستنده في ذلك، فتعقبه الثعالبي أنّ الأظهر ما نسبه للثعالبي من أنّ الإلحاق خاص بإدخالهم الجنة دون

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 189) (بتصرف).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 295).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

كونهم في نفس الدرجة، واستند في ذلك لجملة من الحجج ثم حث القارئ على بحث المسألة، وعلل عدم إتمامها بما قصده من الاختصار. وبعد الرجوع لكلام أهل العلم اتضح أنّ المسألة فيها عدّة أقوال أبرزها ما يلي:

**القول الأول:** أن المقصود أن يجعلهم في درجة واحدة في الجنة.

رُوي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(1)</sup>، واختاره ابن جرير واعتبره المعنى الأغلب وإن كان لغيره وجوها، وذكره الزجاج وابن أبي زمنين، واختاره ابن عطية وعزاه للجمهور، وقال به النسفي، ورجّحه أبو حيان وابن كثير<sup>(2)</sup>.

ومما استند إليه بعض من ذهب لهذا القول ما يلي:

أ\_ ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع ذرية المؤمن حتى يلحقهم به، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِذْنِ الْحَقَّانِ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: 19]»<sup>(3)</sup>.

ب\_ أنّ الآيات كلّها في صفة إحسان الله تعالى إلى أهل الجنة، فذكر من جملة إحسانه سبحانه أنّه يرعى المحسن في المسيء.

ج\_ أنّ لفظة ﴿الْحَقَّانِ﴾ تقتضي أنّ للملحق بعض التقصير في الأعمال<sup>(4)</sup>.

• وتُعقب هذا القول بأنّه يقتضي أن يكون كلّ من دخل الجنة مع آدم عليه السلام في درجة واحدة؛ إذ هم كلّهم ذرّيته<sup>(5)</sup>.

(1) \_ أخرج الطبري في جامع البيان، (467/22).

(2) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (471/22). معاني القرآن، الزجاج، (66/5). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين،

(298/4)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (189 /5)، مدارك التنزيل، النسفي، (384 /3)، ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (9/

571)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (432 /7).

(3) \_ ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، (187 /4).

(4) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (189 /5).

(5) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (295 /4).

القول الثاني: أن الإلحاق خاص بالصغار دون الكبار.

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه والضحاك ومنذر بن سعيد<sup>(1)</sup>، والظاهر أنه اختيار السمعاني، وعزاه القرطبي للمهداوي، ورجّحه ابن القيم<sup>(2)</sup>.

ومّا استدل به من ذهب لهذا القول ما يلي:

أ\_ أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، وليسوا تابعين للآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم.

ب\_ لو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، وكان أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

ج\_ أنه صلى الله عليه وسلم جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان، ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً، بل إيمان استقلال.

• وتُعْتَب هذا القول بأنّ الله أطلق لفظ الذريّة على الكبار كما قال: ﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ

وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (173) [الأعراف]، وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (84) [الأنعام]، وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ

عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (3) [الإسراء]<sup>(3)</sup>.

\_ وعزا ابن القيم للواحد أن الوجه حمل الذرية على الصغار والكبار؛ لأنّ الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب<sup>(4)</sup>.

(1) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (9 / 571).

(2) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (5 / 274). أحكام القرآن، القرطبي، (17 / 67).

(3) \_ التفسير القيم، ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط: 1- 1410 هـ، (ص: 493) (بتصرف).

(4) \_ ينظر: المصدر نفسه، (ص: 493).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

القول الثالث: أنّ الإلحاق خاص بإدخالهم الجنة لا أن يكونوا معهم في درجة واحدة. وممن قال بذلك ابن حزم والثعالبي<sup>(1)</sup>.

ومّا استدللّ به بعض من ذهب لهذا القول:

— أنّ مفهوم الآية لا يقتضي كونهم في نفس الدرجة إنما فيها إلحاقهم بهم فيما ساورهم فيه بنص الآية، ثم بين تعالى ذلك ولم يدعنا في شك بقوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور]، فصحّ أن كل واحد من الآباء والأبناء يُجازى حسب ما كسب فقط<sup>(2)</sup>.

القول الرابع: أن المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار والذرية التابعون. وهذا القول نسبه القرطبي لابن عباس رضي الله عنه<sup>(3)</sup>.

• وتُعقّب هذا القول؛ بأنّ ظاهر الآية العموم، ولا يوجد دليل لتخصيصها بالمهاجرين والأنصار، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

الذي أخلص إليه بعد استعراض الأقوال السابقة ما يلي:

- 1\_ القول بأن الإلحاق خاص بالتابعين الذين جاؤوا بعد المهاجرين والأنصار ليس له أي مستند يقوم عليه.
- 2\_ القول الأول والثاني كلاهما يقتضي أنّ الرفع إلى نفس الدرجة، غير أنّ الخلاف وقع في كون الذرية هل يراد بها الصغار أو الكبار.
- 3\_ الإلحاق يتعلّق بكونهم معهم في نفس الدرجة، وهذا الذي تعضده الحجج، أهمها ورود حديث صحيح في ذلك.
- 4\_ ما أورده الثعالبي من أنّ إدراك المراتب في الجنة إنما هو بأعمال العاملين غير مُحصّل، حيث جاءت أدلة تثبت ارتفاع العبد يوم القيامة بشفاعته من أكرمه الله بذلك.
- 5\_ ما نقله الثعالبي عن الثعلبي غير صحيح، إذ اكتفى بجزء من كلامه ولم يسقه بتمامه، وهذا نص ما ذكره الثعلبي: «فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا له،

(1) — ينظر: الفصل في الملل، ابن حزم، (104/4). الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/295).

(2) — ينظر: الفصل في الملل، ابن حزم، (104/4).

(3) — ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17/67).

(4) — ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (5/117).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

ويدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته، بعمل الأب من غير أن ينقص الآباء من أجور أعمالهم شيئاً»<sup>(1)</sup>.  
وبذلك يظهر أن الصواب ما ذهب إليه ابن عطية، وما تعقبه به الثعالبي غير مقصود في الآية \_ والله أعلم\_.

المطلب الخامس: هل قوله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: 12] يقتضي أن أهل الإيمان يحملون الأنوار يوم القيامة؟

### قول ابن عطية:

«وقال جمهور المفسرين: المعنى: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ يريد الضوء المنبسط من أصل النور.  
﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أصله، والشيء الذي هو مُتَّقَدٌ فيه، فتضمن هذا القول أنهم يحملون الأنوار، وكوْنهم غير حاملين  
أكرم ألا ترى أن فضيلة عباد بن بشر وأسيد بن حضير إنما كانت بنور لا يحملانه، هذا في الدنيا، فكيف  
بالآخرة؟!»<sup>(2)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وفيما قاله ع: عندي نظر، وأيضاً فأحوال الآخرة لا تُقاسُ على أحوال الدنيا!»<sup>(3)</sup>.

### الدراسة:

ذكر ابن عطية قول الجمهور في تفسير قوله ﷺ: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾، وَوَجَّهَ كلامهم بأن أهل الإيمان  
يحملون الأنوار يوم القيامة، وتعقب ذلك مبيناً أن عدم حملهم لها يكون أحسن وأكرم بدليل فضيلة عباد بن بشر  
وأسيد بن حضير رضي الله عنهما؛ حيث جعل لهما نور ولم يكن يحملانه، هذا في الدنيا فمن باب أولى أن  
يكون ذلك في الآخرة. فتعقبه الثعالبي برد هذا القول معتبراً أن فيه نظر، كما أن أحوال الآخرة لا تقاس بالدنيا.  
والذي يظهر لي أن المسألة ينبغي تناولها من جانبيين:

الأول: الوقوف على الحديث الوارد في فضل عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما.

الثاني: التحقيق في مسألة أحوال الآخرة وهل تقاس بأحوال الدنيا. وفيما يلي بيان ذلك:

(1) \_ الكشف والبيان، الثعالبي، (128/9).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (261 /5).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (365/4).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

أولاً: الوقوف على الحديث الوارد في فضل عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما.  
الوقوف على هذا الحديث وبيان معناه أمر في غاية الأهميّة؛ باعتبار أنّ ابن عطية قد استند إليه في بيان اختياره، والحديث أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وآله في ليلة مظلمة، وإذ نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما»<sup>(1)</sup>.  
وأخرج أحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه: «أن أسيد بن حضير، وعباد بن بشر كانا عند رسول صلى الله عليه وآله في ليلة ظلماء حنّس<sup>(2)</sup>، قال: فلما خرجا من عنده أضاءت عصا أحدهما فكانا يمشيان بضوءها، فلما تفرقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا»<sup>(3)</sup>.  
ورواية أحمد صريحة في كون النور منبثق من العصا التي كان يحملها أحدهما وهما يمشيان معاً، فلما تفرقا أضاءت عصى كل واحد منهما، وهذا ما يبين أنّ النور كان يحملانه.

### ثانياً\_ التحقيق في مسألة أحوال الآخرة وهل تقاس بأحوال الدنيا:

تناول هذه الجزئية مهم باعتبار الثعالبي اعتمد عليها في رد ما أورده ابن عطية، وتتبع أقوال العلماء وقفت على تقريرهم لما ذكره الثعالبي من كون أحوال الدنيا لا تقاس بالآخرة، وممن قرّر ذلك: الرازي والعيّني، حيث ردّ على من تساءل كيف لله أن يجمع الضدين في محل واحد، كما ورد الحديث: «أنّ النار اشتكت إلى ربها، فأذن لها في كل عام بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف»<sup>(4)</sup>، فقال أنّ الله قادر على جمع الضدين في محل واحد، وأيضا فالنار من أمور الآخرة وأمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا، وممن قرّر ذلك أيضا السيوطي والقسطلاني والخفاجي والزرقاني والسفاريّني والألوسي والمراغي وابن عثيمين<sup>(5)</sup>.

(1) \_ أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما، حديث رقم: 3805، (36/5).

(2) \_ أي شديدة الظلمة. يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، (58/6).

(3) \_ أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: 12980، (295/20)، وابن حبان في صحيحه كتاب الصلاة، ذكر اسم الأنصاري الذي كان مع أسيد بن حضير حيث أضاءت عصاهما لهما، حديث رقم: 2032، (378/5). وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(4) \_ أخرجه البخاري، باب صفة النار، وأنها مخلوقة، رقم: 3260، (120 /4). ومسلم، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة، ويناله الحر في طريقه، رقم: 185، (431 /1).

(5) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (118 /19). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (ت: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د، ت، ط، (5 /23). تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط: 1، 1389 - 1969 هـ، (30/1). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري =

### الخلاصة:

تعقّب الثعالبي في محله وذلك لما يلي:

1\_ استناد ابن عطية للحديث الوارد في فضل عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما لا يسعفه، باعتبار أنّ بعض رواياته دلّت أنّ النور الذي أنار لهما الطريق كانا يحملانه، إذ إنّه كان يشع من عصا كل واحد منهما، ولعلّ تعقّب الثعالبي بقوله: «وفيما قاله ع: عندي نظر» إشارة إلى ذلك.

2\_ أحوال الدنيا لا تقاس بالآخرة وهذا ما قرّره أهل العلم، وشواهد كثيرة منها:

أ\_ ثبت أنّ نبات الجنّة زعفران، وأرضها من فضة، فإن قال قائل: كيف تحرث؟ فالجواب أنّ أمور الآخرة لا تقاس على الدنيا، فقد يكون البذر بلا حرث لعدم التلازم بينهما.

ب\_ أنهار الدنيا تمشي في مجاري وأنهار الجنّة بلا أهدود.

ج \_ في الدنيا تقبل الشفاعات ولو من غير وجه حق وأما الآخرة فالحال مختلف، قال ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا

تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة). قال

المراغي: «وفي الآية إيماء إلى أن أمور الآخرة لا تقاس على ما هو حاصل في الدنيا، فلا يظن امرؤ أنه ينجو فيها بفداء يفتدى به أو شفاعة تناله من النبيين والبرانيين كما كانت في الدنيا تناله من الأمراء والسلاطين، وإن كان في هذه الحياة فاسقا ظالما فاسد الأخلاق متناعا للخير معتديا أثيما»<sup>(1)</sup>.

شهاب الدين القسطلاني (ت: 923هـ). المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: 7، 1323 هـ، (9/ 357). حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي (ت: 1069هـ)، دار صادر - بيروت، د، ت، ط، (8/ 304). شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد الزرقاني، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط: 1، 1424 هـ - 2003م، (1/ 112). البحور الزاخرة في علوم الآخرة، محمد السفاريني، ت: عبد العزيز المشيقح، دار الرياض، السعودية، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م، (3/ 1101). روح المعاني، الألوسي، (4/ 363). تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط: 1، 1365 هـ - 1946م، (3/ 9). تفسير القرآن الكريم «سورة الشعراء»، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ العثيمين الخيرية، السعودية، ط: 1، 1436 هـ، (ص: 167).

(1) \_ تفسير المراغي، المراغي، (3/ 9).



د\_ جعل الله الشجرة الملعونة تخرج في أصل الجحيم، قال ﷺ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [64] [الصفات]، «فإن قال قائل: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟ والجواب أن الله خلق الشجرة المذكورة من جوهر لا تأكله النار كخزنتها وحياتها وعقاربها وأحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا»<sup>(1)</sup>.

ه\_ أزمنا الدنيا والآخرة لا يقاس بعضها على بعض.

3\_ مما يؤكد صحة تعقب الثعالبي ورود أحاديث كثيرة تقضي أنّ المنعمين يوم القيامة، يكون لهم نور يحملونه، ومن ذلك:

أ\_ قوله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجا من نور ضوئه مثل ضوء الشمس، ويكسى والديه حلتان لا يقوم بهما الدنيا فيقولان: بما كسبنا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»<sup>(2)</sup>.

ب\_ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله جلساء يوم القيامة، عن يمين العرش، وكلنا يدي الله يمين على منابر من نور، وجوههم من نور ليسوا بأنبياء، ولا شهداء، ولا صديقين» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «المتحابون بجلال الله تعالى»<sup>(3)</sup>.

وخلاصة هذا المبحث أنّ الثعالبي تعقب ابن عطية في خمس مسائل متعلقة بالغيبيات، وُفق في تعقبين وجانب الصواب في مثليهما، ولم يظهر لي الرّاجح في واحد منها، وقد اعتمد الثعالبي في انتقاد أثر مروى عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنه بما يحتمله من معنى يمسّ بعصمة الملائكة، ووجه آية الآية التي قبلها، وهذا ما يُبرز اعتماده على القرآن لتأييد ما ذهب إليه، كما اعتمد على السنّة لنفس الغرض؛ حيث لم يتجاوز التفسير النبوي لمعنى الوسيلة، واستند إلى بعض الأحاديث لانتقاد ما روي عن ابن مسعود في مسألة رفع القرآن، واعتمد على ما يُفهم من ظواهر الأدلّة، وبما نُقل من وقائع الأعيان لإثبات قضية غيبية، إضافة إلى اعتماده على ما سبق؛ تظهر مراعاته للمقاصد الشرعيّة، والقواعد المقرّرة بالنصوص والأدلّة كقاعدة "أحوال الدنيا لا تقاس بأحوال الآخرة"، وغالبا ما يستشهد بأقوال غيره، وقد يخطأ في النقل.

(1) \_ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، (9/ 357).

(2) \_ أخرجه الحاكم في المستدرک، رقم: 2086، (1/ 756) وقال عنه: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

(3) \_ أخرجه الطبراني في الكبير، رقم: 12686، (12/ 134)، وصحّحه الألباني صحيح الترغيب والترهيب، رقم: 3022.

### المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في الأسماء والأحكام

قضايا الأسماء والأحكام تندرج ضمن المسائل العقديّة، وتُعنى بأسماء الفرق والملل والنحل، وبالأحكام التي تنزل عليهم، كالإيمان أو الكفر أو البدعة أو الفسق. ويأتي هذا المبحث لدراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية في هذا السياق، وقد تضمن ثلاث تعقبات ضمّنتها في مطلبين، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: هل قول بني إسرائيل لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138] كان كفرًا منهم؟

#### قول ابن عطية:

«وقولهم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ يظهر منه استحسانهم لما رأوه من تلك الآلهة بجهلهم فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى، وفي جملة ما يُتقربُ به إلى الله، وإلا فبعيدٌ أن يقولوا لموسى: اجعل لنا صنما نُفرده بالعبادة، ونكفر برّبك؛ وعلى هذا الذي قلت يقع التشابه الذي نصّه النبي ﷺ في قول أبي واقد الليثي: «اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»<sup>(1)</sup>، فأنكره النبي ﷺ وقال: «الله أكبر قلتُم والله كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة لتتبعن سنن من قبلكم...»<sup>(2)</sup>، ولم يقصد أبو واقد بمقالته فسادًا، وقال بعضُ الناس: كان ذلك من بني إسرائيل كفرًا، ولفظة «الإله» تقتضي ذلك، وهذا محتمل، وما ذكرته أولاً أصحُّ، والله أعلم»<sup>(3)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«قلتُ: وقولهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسُوا﴾ [طه: 88]، وجواب موسى هنا يقوّي الاحتمال الثاني، نعم: الذي يجب أن يعتقد أنّ مثل هذه المقالات إنما صدرت من أشرارهم وقريبي العهد بالكفر»<sup>(4)</sup>.

(1) \_ هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين يعلقون بها سلاحهم، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (5/ 128).

(2) \_ أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب: ما جاء لتكوين سنن من كان قبلكم، رقم: (2180)، (4/ 475) وقال: حديث حسن صحيح.

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 448).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 67).

ذكر ابن عطية أن قول بني إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ لم يكن رغبة في الكفر وإنما استحساناً منهم وجهلاً، فأرادوا أن يكون من جملة ما يُتقرب به إلى الله، ومن ثمّ يقع التشابه بين مقالاتهم ومقالة أبي واقد الليثي؛ إذ لم يقصد بذلك فساداً، ثم أشار إلى قول من اعتبر أن ذلك كان كفراً منهم بدليل لفظة «الإله»، وبيّن أن هذا القول محتمل والأول أصح. فتعقبه الثعالبي مبيناً أن الثاني أصح بدليل قولهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: 88]، وكذلك جواب موسى عليهم، غير أن ذلك إنما صدر من أشرارهم وقريبي العهد بالكفر. وتتبع أقوال المفسرين وجدت أن المسألة لا تخرج عن هذين القولين وإليك بيان ذلك:

### القول الأول: أن ذلك لم يكن كفراً.

وممن قال به الماتريدي والسمعاني والبغوي وابن عطية<sup>(1)</sup>.

### ومجموع ما اعتمدوا عليه من أدلة ما يلي:

أ\_ أن ذلك كان لفرط جهلهم، وقصدتهم التقرب إلى الله بتعظيمه وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة<sup>(2)</sup>.  
ب\_ حديث أبي واقد الليثي؛ فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله مقالاتهم كمقالة بني إسرائيل لموسى عليه السلام، ومعلوم أن النبي لم يحكم عليهم بالخروج من دائرة الإسلام ولا أمرهم بإعادة نطق الشهادة، فالحال إذا واحدة<sup>(3)</sup>.  
ج\_ لم يروا أنفسهم أهلاً لعبادة الله، والخدمة له؛ لما رأوا في الشاهد أنه لا يخدم الملوك إلا الخواص لهم، والمقربون إليهم، ومن بعد منهم يخدم خواصهم، فعلى ذلك هؤولاء سألوا موسى عليه السلام إلهاً يعبدونه؛ لما لم يروا أنفسهم أهلاً لعبادة الله، والخدمة له؛ لتقربهم عبادة تلك الأصنام إلى الله، ويخرج ذلك مخرج التعظيم لله والتبجيل، لا على الكفر وصرف العبادة عنه إلى غيره، وكذلك كان عادة العرب أنهم كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم عبادتها إلى الله زلفى، وكذلك ما ذكر في بعض القصة أن فرعون كان يتخذ لقومه أصناماً يعبدونها؛ لتقربهم تلك الأصنام إليه زلفى، فعلى ذلك سؤال هؤولاء لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾<sup>(4)</sup>.

- (1) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (4/ 554). تفسير القرآن، السمعاني، (2/ 210). معالم التنزيل، البغوي، (2/ 227). المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 448).
- (2) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (2/ 210). معالم التنزيل، البغوي، (2/ 227).
- (3) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 448).
- (4) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (4/ 554).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

القول الثاني: أن ذلك كان منهم كفرا وعنادا.

ومن قال به: الرازي وأبو حيان وقد أورد اختيار ابن عطية وتعقبه، ومن قال به أيضا النيسابوري والشوكاني والقاسمي<sup>(1)</sup>.

ومن الأدلة التي اعتمدوا عليها ما يلي:

أ \_ أن كل الأنبياء عليهم السلام أجمعوا على أن عبادة غير الله تعالى كفر سواء اعتقد أن ذلك إله دون الله أو اعتقد أن عبادته تقربه إلى الله تعالى؛ لأنّ العبادة نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم لا تليق إلاّ بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام<sup>(2)</sup>.

ب \_ أنهم جروا في ذلك على عادتهم في تعنتهم على أنبيائهم وطلبهم ما لا ينبغي ومن ذلك قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: 55]، وغير ذلك مما هو كفر<sup>(3)</sup>.

ج \_ قولهم ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: 88]، وكذلك وصف موسى ﷺ لهم بالجهالة يبين كفرهم<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

بعد استعراض بعض أقوال أهل التفسير وأدلتهم يظهر والله أعلم أن القول الأول الذي اختاره ابن عطية هو الراجح وذلك لما يلي:

1 \_ أن موسى ﷺ حكم عليهم بالجهل، واللفظ ينبغي أن يُحمل على ظاهره من عدم معرفتهم بكون الأمر كفرا، كما ذكر غير واحد من أهل التفسير ومنهم الطبري حيث قال: «إنّكم أيّها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض»<sup>(5)</sup>. والجهل من موانع التكفير كما هو معلوم؛ لذا فاحتجاج الثعالبي بجواب موسى ﷺ عليهم غير محصل. وقد بيّن رشيد رضا جهلهم بحقيقة التوحيد وأنهم اتبعوا موسى عليه السلام لإنقاذهم من فرعون حيث قال:

(1) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (14/ 350). البحر المحيط، أبو حيان، (5/ 157). تفسير النيسابوري، (3/ 310). فتح القدير، الشوكاني، (2/ 274).

(2) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (14/ 350).

(3) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (5/ 157).

(4) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 67).

(5) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (13/ 80).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

«ويدل طلبهم أنّهم لم يكونوا فهموا التوحيد الذي جاء به موسى كما فهمه من آمن من سحرة المصريين؛ لأنّ السحرة كانوا من العلماء فأمكنهم التمييز بين آيات الله تعالى التي لا يقدر عليها غيره، وبين السحر الذي هو من صناعات البشر وعلومهم، وأما هؤلاء الإسرائيليون فكانوا من العامة الجاهلين الذين بلّد الذلّ أفهامهم، وإنما اتبعوا موسى لإنقاذه إياهم من ظلم فرعون وتعبيده لهم، لا لفهمهم حقيقة التوحيد بالآيات الدالة عليه»<sup>(1)</sup>.

2\_ كما أن بني إسرائيل لما قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138] حكم عليهم موسى عليه السلام بالجهل: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾، وبعد ذلك عبدوا العجل فأمرهم بالتوبة كما قال عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عِبَادَتَ الْعِجَلِ وَإِنَّكُمْ لَفِي غَافِلَاتٍ﴾ [البقرة: 175]، وفي الثانية طولبوا بها، وهذا يدل على الفرق بين الصورتين؛ ففي الأولى عذرهم موسى عليه السلام لجهلهم، وفي الثانية أمرهم بالتوبة لقيام الحجّة عليهم، وهذا يدل على أنّهم لم يدركوا حقيقة الأمر وأنّه كفر بالله وذلك لكونهم حديثي عهد بالكفر، ومن هنا يتضح أن استدلال الثعالبي بقولهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: 88] على كفرهم لما طالبوا أن يجعل لهم آلهة كما لهم إله غير لازم، للفرق الذي وضّحته. وكذلك قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: 55]؛ إنّما كان بعد أن أقيمت عليهم الحجّة، وقد أخذتهم الرجفة نظير قولهم هذا.

3\_ سياق الآية بيّن أنّ قولهم هذا وقع بعد أن أنجاهم الله من كيد فرعون، فيكون تصورهم للكفر ما كان عليه فرعون.

غير أنّ الذي أورده الثعالبي من أنّ هذه المقولة لم تخرج من جميعهم هو ما أشار إليه جمع معتبر من أهل التفسير، حيث كان فيهم السبعون المختارون، ومن لا يصدر منه هذا السؤال الباطل، ونسبة الله ذلك إلى بني إسرائيل لما وقع من بعضهم على عادة العرب في ذلك<sup>(2)</sup> \_ والله أعلم \_.

(1) \_ ينظر: تفسير المنار، رشيد رضا، (94 / 9)

(2) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (157 / 5).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

المطلب الثاني: هل يكون الكفر والجحود مع العلم؟

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿ هَآئِمٌّ هَتُولَاءٌ حَبَجَبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِرِءٍ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران:66]: «﴿ فِيمَا لَكُمْ بِرِءٍ عِلْمٌ ﴾؛ أي على زعمكم، [وإنما المعنى فيما تشبه فيه دعواكم، ويكون الدليل العقلي لا يرد عليكم] وفسر الطبري هذا الموضوع بأنه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وأنبأهم مما أيقنوه وثبت عندهم صحته. قال الفقيه الإمام: وذهب عنه رحمه الله أن ما كان هكذا فلا يحتاج معهم فيه إلى محاجة، لأنهم يجدونه عند محمد صلى الله عليه وسلم، كما كان هنالك على حقيقته»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«قلت: وما قاله الطبري أبين، وهو ظاهر الآية، ومن المعلوم أن أكثر احتجاجاتهم إنما كانت تعسفا، وجحدا للحق»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

فسر الطبري قوله ﷺ: ﴿ هَآئِمٌّ هَتُولَاءٌ حَبَجَبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِرِءٍ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران:66] على ظاهره فأثبت لهم العلم من جهة كتبهم ورسلمهم، إذ أنهم يجادلون في حق ثابت عندهم<sup>(3)</sup>، وقد استدرك عليه ابن عطية موضعا أن العلم المقصود هنا ليس على حقيقته، وإنما يزعمون أشياء تتعلق بشريعة موسى وعيسى عليهما السلام، فلو كان لهم علم ثابت نقلوه من غير زيادة أو نقصان لما وقع فيه المحاجة، إذ يجدون القرآن مصدقا لذلك. فتعقبه الثعالبي مبينا أن ما ذهب إليه الطبري أوضح، واستند في ذلك إلى أنه ظاهر الآية، كما أن واقع أهل الكتاب يبين أن أكثر محاجتهم إنما كانت تعسفا وجحدا للحق. وتتبع أقوال أهل العلم وقفت \_ في حدود ما اطلعت عليه \_ على أن المسألة لا تخرج عن هذين القولين، وإليك بيان ذلك:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (451/1).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (330/1).

(3) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (492/6).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

القول الأول: إطلاق العلم على حقيقته وحمل الآية على ظاهرها.

وإلى هذا ذهب جمهور السلف والخلف حيث روي عن السدي<sup>(1)</sup> وقتادة والربيع<sup>(2)</sup>، وقال به الطبري ومقاتل والسمرقندي والثعلبي والماوردي والقشيري والواحدي والسمعاني والبغوي والزمخشري والقرطبي والبيضاوي والنسفي وابن جزري والخازن وأبو حيان، واختاره الثعالبي<sup>(3)</sup>.

وقد ذكر الثعالبي أهم ما يُعتمد عليه لإثبات هذا القول:

أ\_ ظاهر الآية إثبات العلم لهم على الحقيقة.

ب\_ كما أن واقع أهل الكتاب يصدق ذلك فقد كانوا يجادلون في أمور ثبتت عندهم ويعلمون صدقها<sup>(4)</sup>.

القول الثاني: أن العلم المقصود هنا ليس على حقيقته وإنما هو ادعاء وزعم.

وهو ما ذهب إليه ابن عطية والرازي.

ومن جملة ما احتجوا به:

\_ أنه لو كان العلم ثابتاً لهم على حقيقته لما احتجوا إلى المجادلة والمحاجات لأنهم يجدون مصداق ما يعلمون عند النبي ﷺ<sup>(5)</sup>.

(1) \_ هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش، حدث عن أنس بن مالك وابن عباس وعبد خير الهمداني، قال الذهبي: أما السدي الصغير، فهو محمد بن مروان الكوفي أحد المتروكين، كان في زمن وكيع. توفي سنة: (127هـ). ينظر: الطبقات الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت: 230هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1410 هـ - 1990 م، (323/6). وسير أعلام النبلاء، الذهبي، (264/5).

(2) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (492/6).

(3) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري (492/6)، تفسير مقاتل، مقاتل، (283/1)، بحر العلوم، السمرقندي، (221/1)، الكشف والبيان، الثعلبي، (87/3)، النكت والعيون، الماوردي، (400/1)، لطائف الإشارات، القشيري، (249/1)، تفسير القرآن، السمعاني، (330/1)، معالم التنزيل، البغوي، (51/2)، الكشف، الزمخشري، (371/1)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (108/4). أنوار التنزيل، البيضاوي، (22/2)، مدارك التنزيل، النسفي، (263/1)، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري (155/1)، لباب التأويل، الخازن، (256/1)، البحر المحيط، أبو حيان، (198/3). الجواهر الحسان، الثعالبي، (330/1).

(4) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (330/1).

(5) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (451/1). مفاتيح الغيب، الرازي، (254/8).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

- وانتقد هذا الاستدلال باعتبار أن الكفر أنواع، ومنها كفر العناد والاستكبار وهذا الذي وقع فيه هؤلاء فعلموا الحق وجحدوه.

### الخلاصة:

بعد استعراض أقوال المفسرين في المسألة يتبين أن ما ذهب إليه الطبري ووافقه الثعالبي هو الحق؛ وذلك لعدة أمور منها:

1\_ أنّ القرآن دلّ على أن كثيرا من جدال أهل الكتاب إنّما كان في أمور يعلمون حقيقتها من جهة كتبهم، وإنّما أنكروها جحودا واستكبارا ومن ذلك:

أ\_ قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 146) فقد بيّنت الآية معرفتهم التامة لصفات النبي ﷺ أو للقرآن، وأوضححت أنّهم يكتُمون الحق رغم علمهم به، وذلك على سبيل الجحود واستكبار، ومن ذلك أيضا كتمهم لآية الرّجم.

ب\_ وما يوضّح ذلك أيضا قوله ﷺ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْنَصْرِيُّ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 113]، فالآية بيّنت تناقضهم وتباغضهم وتعاديتهم رغم أنّهم يتلون الكتاب ويعرفون الحقّ.

2\_ الأصل إطلاق اللفظ على ظاهره ما لم يرد دليل يجب الرجوع إليه، وهذه من قواعد الترجيح المعتمدة، وقد استند إلى ذلك الثعالبي.

3\_ أنه قول جمهور المفسرين، ومن المعلوم أن من قرائن الترجيح في التفسير تقديم قولهم على من خالفهم ما لم يرد ما يرجحه<sup>(1)</sup>.

وقد تعقب الثعالبي ابن عطية في موضع آخر في مثل هذه المسألة وأشار إلى تعقبه هذا، وذلك عند قوله

ﷺ: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (الجمانية)، حيث قال ابن عطية:

(1) \_ ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، (288/1).



## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة

«أي أخبر بشيء من آياتنا، فعلم نفس الخبر لا المعنى الذي تضمّنه الخبر، ولو علم المعاني التي تضمّنتها أخبار الشّرع، وعرف حقائقها لكان مؤمنا»<sup>(1)</sup>.

وتعقبه الثعالبي بقوله: «ت: وفي هذا نظر؛ لأنّه ينحو إلى القول بأنّ الكفر لا يتصور عنادا محضا، وقد تقدّم اختياره - رحمه الله - لذلك في غير هذا المحل، فقف عليه، وخشية الإطالة منعتني من تكراره هنا»<sup>(2)</sup>.

وقد بدا لي صحّة هذا التعقب كسابقه، وهذا ما دلّت عليه النصوص الشرعيّة، فمن أصناف الكفرة قوم من المعاندين الذين علموا الحق بدليله فخالقوه عنادا واستكبارا وجحودا، وعلى رأسهم إبليس؛ فمع علمه بعظمة الله وعزّته، إلّا أنّه أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقد ذكر الله جل ثناؤه عن فرعون ومن معه بأنّهم علموا الحق فأنكروه، فقال ﷺ: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَطُغْيَانًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(3)</sup> [النمل]، وقد قرّر ابن عطية في موضع آخر أنّ كفر العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر وظواهر القرآن، ثمّ استدلّ له بهذه الآية غير أنّه أورد أنّ المعاندين يعرفون بعض الحق ثمّ يدخلهم الشك فيما لا يعرفونه، وختم كلامه بقوله: «فهم جاهلون بأشياء معاندون في أشياء غيرها وأنا أستبعد العناد مع المعرفة التامة»<sup>(3)</sup>. وكلامه يردّ عليه تقريره الأول بأنّ مقتضى النظر وظواهر القرآن تدل على وقوع كفر العناد، كما يردّ عليه استبعاده العناد مع المعرفة التامة؛ لأنّ المعرفة التامة على فرض تحققها فليست إلّا لخواص النّاس، ولا يعني هذا أنّ غيرهم من أهل الإيمان جاهلون بالقدر الذي يجعلهم مؤمنين بالله ﷻ.

وفي خلاصة هذا المبحث يتضح أنّ الثعالبي تعقّب ابن عطية في ثلاثة مواطن لها علاقة بالأسماء والأحكام، وهذه المواطن ترجع إلى مسألتين؛ الأولى تتضمن طلب بني إسرائيل من موسى ﷺ أن يجعل لهم إلها وهل كان ذلك كفرا أو جهلا؟ ولم يُوفق الثعالبي في تقريره، وأمّا الثانية فتناولت مسألة كفر العناد، وقد وُفق الثعالبي فيما ذهب إليه من إثبات ذلك.

والملاحظ أنّ ما تبناه الثعالبي في المسألة الأولى مبني على تصوّره للكفر مع العناد، ثمّ استحضاره لحال بني إسرائيل الذي دلّ عليه القرآن، وقد استند إلى ظاهر الآية في المسألة الثانية مع استحضاره لواقع بني إسرائيل، وأشار في الموضوع الآخر إلى تعقبه هذا دون أن ييسط في ذكر الأدلّة المؤيّدّة لتقريره، وهذا ما يُبرز منهجه في الاختصار مع عدم إغفال التنبيه على ما لا يرتضيه.

(1) - المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 81).

(2) - الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 194).

(3) - المصدر السابق، (2/ 286).

## الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقدية

---

### خلاصة الفصل:

ومجمل القول في هذا الفصل أنّ الثعالبي تعقّب ابن عطية في مسائل عقدية تركّزت حول بعض القضايا في النبوات والغيبيات والأسماء والأحكام، وهذا الاختلاف مردّه إلى اعتبارها مسائل خلافية في الغالب، وقد اتضحت قوة شخصيته بنصرته للحقّ الذي يعتقدّه دون النّظر إلى القائل، بالإضافة إلى عنايته بالآيات والأحاديث مع مراعاة الاختصار، كما يستند إلى وقائع الأعيان ويراعي المقاصد الشرعية، والثعالبي يقول بعصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها، ويرى وجوب صرف اللفظ عن ظاهره إذا احتمل ما يمسّ بذلك.

الفصل الثاني

تعقبات الثعالبي على ابن عطية

في علوم القرآن

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

يتناول هذا الفصل تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن، وقد تضمن تعقباته في أسباب النزول، والقراءات، والوجوه والنظائر، والناسخ والمنسوخ وإعجاز القرآن، خصّصت لها أربعة مباحث على النحو التالي:

### المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في أسباب النزول

من أهم شروط المفسر معرفة أسباب النزول؛ إذ العلم بالسبب يورث العلم بالمُسبب كما هو معلوم، وقد تقدم في منهج الثعالبي في التفسير عنايته بها، ومما يبرز ذلك إضافة إلى ما سبق، تعقباته على ابن عطية في هذا الجانب، ويأتي هذا المبحث لدراستها في ثلاثة مطالب، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: في نزول قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (204) [البقرة]

#### قول ابن عطية:

«قال السدي: «نزلت في الأخنس بن شريق، واسمه أبيّ، والأخنس لقب، وذلك أنه جاء إلى النبي ﷺ فأظهر الإسلام، [وقال: الله يعلم أبي صادق]، ثم هرب بعد ذلك، فمرّ بقوم من المسلمين فأحرق لهم زرعاً، وقتل حمراً، [فنزلت فيه هذه الآيات]». قال القاضي أبو محمد عبد الحق ﷺ: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم»<sup>(1)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«قلت: وفيما قاله ع: نظر ولا يلزم من عدم ثبوته عنده ألاّ يثبت عند غيره، وقد ذكر أحمد بن نصر الداودي في تفسيره أن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق»<sup>(2)</sup>.

#### الدراسة:

أورد السدي أن الآية نزلت في الأخنس بن شريق، حيث تظاهر بالإسلام وفعل ما فعل من حرق الزرع وقتل الحمُر، فتعقّب ابن عطية ذلك بنفي إسلام الأخنس وحقّته عدم ثبوته، فتعقّب الثعالبي بأنّ قوله فيه نظر،

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (279/1).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (194 / 1).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

وأنّ عدم ثبوته عنده لا يعني عدم ثبوته عند غيره، ثم نسب إلى الداوودي أنّ الآية نزلت فيه. والذي يظهر أن تعقب الثعالبي يتناول ناحيتين:

الأولى: تتعلق بإسلام الأحنس.

الثانية: في إثبات نزول الآية فيه، وهذا ما سأحاول تجليلته من خلال ما يلي:

### أولاً\_ التحقيق في إسلام الأحنس بن شريق:

سياق تعقب ابن عطية يُشعر أنه يُنكر تظاهره بالإسلام نفاقاً، وبعد البحث اتضح أنّه وقع خلاف في إسلامه على الحقيقة، لذا فتعقب الثعالبي يصبّ في تأكيد إسلامه على الحقيقة باعتبار نسبه ثبوت ذلك لغير ابن عطية، والمسألة ترجع إلى قولين:

**القول الأول:** أنّه أسلم وحسن إسلامه وهو معدود من الصحابة رضي الله عنهم.

عزاه ابن حجر لابن شاهين وابن فتحون عن الطبري<sup>(1)</sup>، وإليه ذهب ابن الجوزي حيث قال: «أسلم يوم فتح مكة وشهد مع رسول الله ﷺ حيننا، فأعطاه مع المؤلفه قلوبهم، وتوفي في أول خلافة عمر رضي الله عنه»<sup>(2)</sup>. وقال بذلك ابن الأثير<sup>(3)</sup>، واختاره ابن حجر وتعقب ابن عطية بقوله: «وقال ابن عطية: ما ثبت قط أن الأحنس أسلم. قلت: قد أثبتته في الصحابة من تقدّم ذكره \_ يقصد ابن شاهين وابن فتحون عن الطبري \_ ولا مانع أن يُسلم ثم يرتد ثم يرجع إلى الإسلام، والله أعلم»<sup>(4)</sup>. وممن قال بذلك السيوطي والقسطلاني وصاحب السيرة الحلبية وابن عجيبة<sup>(5)</sup>.

(1) \_ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر (ت: 852هـ). ت: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1415 هـ، (1/192).

(2) \_ ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1412 هـ - 1992 م، (4/152).

(3) \_ ينظر: أسد الغابة ط العلمية، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ). ت: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1415 هـ - 1994 م، (1/166).

(4) \_ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (1/192).

(5) \_ ينظر: الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). ت: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1، 1394هـ/ 1974 م، (4/94). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، (7/330). السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم الحلبي (ت: 1044هـ). دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 2 - 1427 هـ، (1/507). البحر المديد، ابن عجيبة، (1/233).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

القول الثاني: أنه لم يسلم.

عزاه صاحب السيرة الحلبي لابن قتيبة، وذكر العامري<sup>(1)</sup> أنه ظاهر كلام البغوي، واختاره ابن عطية<sup>(2)</sup>.

ثانياً\_ التحقيق في سبب نزول الآية:

بعد البحث والاستقراء تبين أنّ سبب النزول اختلف فيه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها نزلت في الأخنس.

عزاه الطبري للسدي، والثعلبي للكلي وعطاء، وإليه ذهب مقاتل والواحدي والسمعاني والبغوي والزنجشري والخازن والسيوطي والشرييني<sup>(3)</sup>.

● وتُعقب هذا القول؛ بأنّ الأخنس أسلم وحسن إسلامه، والآية حكمت على صاحبها بالنار مما يقتضي أنّه ليس معنيًا بها ولم تنزل في حقه.

— ولم ير بعض العلماء حرجاً أن تكون نزلت في حقه ثم تاب، ومن هؤلاء السيوطي ومثّل به في مبحث المُبهمات<sup>(4)</sup>.

القول الثاني: نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في حُبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرّجيع.

روي عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(5)</sup> وعزاه الثعلبي للضحاك<sup>(6)</sup>.

(1) — هو: يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري الحرصي، محدّث اليمن وشيخها، سمع بمكة على أبي الفتح المراغي، وسمع باليمن من إبراهيم النحوي، من مؤلفاته: العدد فيما لا يستغني عنه أحد في عمل اليوم والليلة، وغربال الزمان في التاريخ، توفي سنة: 893هـ). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، (10/224).

(2) — ينظر: السيرة الحلبيّة، الحلبي، (2/211). بهجة المحافل وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، يحيى العامري (ت: 893هـ). دار صادر — بيروت، د ت ط، (1/126). المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/279).

(3) — ينظر: جامع البيان، الطبري، (4/229). الكشف والبيان، الثعلبي، (2/119). تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل، (1/177). تفسير البسيط، الواحدي، (4/74). تفسير القرآن، السمعاني، (1/208). معالم التنزيل، البغوي، (1/262). الكشف، الزنجشري، (1/250). لباب التأويل، الخازن، (1/136). الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، (4/94). السراج المنير، الشرييني، (1/134).

(4) — ينظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، (4/94).

(5) — أخرجه الطبري في جامع البيان، رقم: 3962، (4/230).

(6) — ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (2/120).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

القول الثالث: أن الآية نزلت في جميع المنافقين.

عزاه الطبري لمحمد ابن كعب وقتادة ومجاهد وعطاء<sup>(1)</sup>، واختاره ابن عطية وابن العربي والرازي وعزاه لأكثر المحققين، وصححه ابن كثير<sup>(2)</sup>.

ومما استندوا إليه ما يلي:

أ \_ أن الله ﷻ قال بعد ذلك: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

بِالْعَبَادِ ﴾ [البقرة]؛ فتناول هذه الآية كل مجاهد في سبيل الله، أو مستشهد في ذاته، أو مغير منكر، والظاهر من هذا التقسيم أن تكون الآيات قبل هذا على العموم في الكافر بدليل الوعيد بالنار، ويأخذ العصاة الذين فيهم شيء من هذا الخلق بحظهم من وعيد الآية<sup>(3)</sup>.

ب \_ أن الحمل على العموم أكثر فائدة؛ لأنه يكون زجراً لكل المكلفين عن تلك الطريق المذمومة، ويكون أقرب للاحتياط، فيدخل فيه ذلك الشخص، وأما إذا خصصناه بشخص لم يثبت الحكم في غيره، فحمل الآية على العموم أولى<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

بعد استعراض أقوال أهل العلم يظهر أن تعقب الثعالبي على ابن عطية في نفيه لإسلام الأخنس في محله؛ فالذي عليه المحققون ممن له عناية بتراجم الصحابة كابن الأثير وابن الجوزي وابن حجر أنه أسلم وحسن إسلامه وهو معدود من الصحابة \_ رضي الله عنهم أجمعين \_ والمثبت مقدم على التآفي، خاصة وأن المثبتين من أهل الاختصاص، فيقدم كلامهم على غيرهم.

\_ وأما سبب نزول الآية فالذي يظهر، أن الأصح أن تحمل على العموم وذلك لعدة أوجه منها:

1 \_ أن القول بأنها نزلت في الأخنس مردود؛ لأنه أسلم وحسن إسلامه والآية حكمت على صاحبها بالنار مما يقتضي أنه ليس معناها ولم تنزل في حقه.

(1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (4/ 232).

(2) \_ ينظر: أحكام القرآن، القرطبي، (1/ 201). مفاتيح الغيب، الرازي، (5/ 344). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1/ 562).

(3) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 281).

(4) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (5/ 344).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

- 2 \_ رواية السدي أنّ الآية نزلت في الأحنس جاءت من طريق عمرو بن حماد عن أسباط عن السدي به. وأسباط صدوق كثير الخطأ<sup>(1)</sup>. وروايته هذه معضلة.
- 3 \_ رواية الكلبي لا يعتمد عليها؛ إذ أنّه متروك الحديث<sup>(2)</sup>.
- 4 \_ وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنّها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب، فأخرجها الطبري من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق<sup>(3)</sup> \_ والله أعلم \_.

المطلب الثاني: في نزول قوله ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ابْتِنَا بِعَذَابِ إِلِيمٍ ﴾ [الأنفال].

### قول ابن عطية :

«وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ابْتِنَا بِعَذَابِ إِلِيمٍ ﴾ [الأنفال]، روي عن مجاهد وغيره: أن قائل هذه المقالة هو النَّضْرُ بن الحارث المذكور، وفيه نزلت هذه الآية. قال [القاضي أبو محمد]: وترتّب أن يقول النَّضْرُ مقالة وينسبها القرآن إلى جميعهم لأن النضر كان فيهم موسومًا بالنُّبُلِ والفهم، مسكونًا إلى قوله، فكان إذا قال قولًا قاله منهم كثير، واتبعوه عليه حسب ما يفعله الناس أبدا بعلمائهم وفقهائهم»<sup>(4)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وخرّج البخاريّ بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال أبو جهل: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ابْتِنَا بِعَذَابِ إِلِيمٍ ﴾، فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ

(1) \_ ضَعَفَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَأَبُو نَعِيمٍ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ، وَرَوَى لَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ وَوَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ. يَنْظُرُ: تَهْدِيبُ الْكَمَالِ، الْمَزِي، (357/2).

(2) \_ يَنْظُرُ: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، الذَّهَبِيُّ، (6 / 248).

(3) \_ يَنْظُرُ: مِيزَانُ الْاِعْتِدَالِ فِي نَقْدِ الرِّجَالِ، شَمْسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ (ت: 748هـ)، ت: عَلِيُّ الْبِجَاوِيُّ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، بَيْرُوت - لُبْنَان، ط: 1، 1382 هـ - 1963 م، (4 / 26).

(4) \_ الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ، ابْنُ عَطِيَّةٍ، (520/2).



اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۗ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ [الأَنْفَال] «(1)».

#### الدراسة:

نسب ابن عطية هذه المقولة إلى النَّضْر بن الحارث، ثم وجه سبب إيراد الآية بلفظ الجمع مبيناً أن النَّضْر كانت له مكانة رفيعة عند القوم، وكان له مقلدين يتبعونه، فناسب أن تنسب المقالة للجميع، وتعقب الثعالبي ذلك بإيراد ما جاء في الصحيح عن أنس بن مالك أن القائل هو أبو جهل، واكتفى الثعالبي بالتقل دون رده للقول الأول، وتتبع المسألة اتضح أنها محلّ خلاف، وفيما يلي بيان ذلك:

#### القول الأول: أنها مقولة النَّضْر بن الحارث.

روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه (2) وسعيد ابن جبيرة ومجاهد وعطاء والسدي (3)، وذكره مقاتل والفراء والسمرقندي والثعلبي ومكي، وعزاه السمعاني لأكثر المفسرين، وقال به ابن عطية والبيضاوي والنسفي وغيرهم (4).  
— ووجه بعضهم سبب حكاية القول عن الجميع رغم أن قائله هو النَّضْر؛ باعتباره مطاعاً في قومه يتبعه الكثير منهم، وكانوا يؤيدونه ويحكونه ويحاكونه (5).

(1) — الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 125). والحديث سبق تخريجه. ينظر: (ص: 105).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (ت: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: 3، 1419 هـ) رقم: 9008، (5/ 1690). وفي سنده رجل مبهم.

(3) — ينظر: جامع البيان، الطبري، (13/ 506).

(4) — ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (2/ 367). معاني القرآن، يحيى الفراء (ت: 207 هـ). ت: أحمد النجاشي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط: 1، (3/ 183). بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 19). الكشف والبيان، الثعلبي، (4/ 351). الهداية في بلوغ النهاية، مكي، (6/ 4153) تفسير القرآن، السمعاني، (2/ 261). أنوار التنزيل، البيضاوي، (3/ 57). مدارك التنزيل، النسفي، (1/ 643). التفسير المظهر، محمد المظهري (ت: 1225 هـ). غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، ط: 1، 1412 هـ، (4/ 60).

(5) — ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 520). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (9/ 330).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

القول الثاني: أنّها مقولة أبي جهل.

وهو الوارد في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وعزاه ابن الجوزي للربيع بن أنس والسيوطي لقتادة، وذكر رشيد رضا أنّ نسبه لأبي جهل أولى وإن كان يحتمل أن يكون قاله النَّضْرُ أيضاً<sup>(1)</sup>.  
وجمع ابن عاشور بين القولين السابقين، حيث قال: «وقائل هذه المقالة هو النَّضْرُ بن الحارث صاحب المقالة السابقة، وقالها أيضاً أبو جهل»<sup>(2)</sup>.

القول الثالث: قائل ذلك كفار قريش.

عزاه أبو حيان للجمهور<sup>(3)</sup>، وليس كما قال \_ والله أعلم \_.

### الخلاصة:

بعد استعراض أقوال أهل العلم في المسألة، أخلص إلى أن تعقب الثعالبي في محلّه، وذلك لما يلي:

1 \_ ورود ذلك في الصحيح.

2 \_ ضعف الأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنه في أنّ القائل هو: النَّضْرُ؛ حيث أنّ إسناده راو مبهم<sup>(4)</sup>.

والملاحظ أنّ الثعالبي اكتفى بتعقب قول ابن عطية، بإيراد ما جاء في الصحيح دون رده له، ولعلّ السبب في ذلك: أنه قول الأكثر.

وقد وجّه الباحث خالد المزيني سبب إيراد غالب المفسرين لهذا القول، وعدم ذكرهم لما ورد في الصحيح، أنّه قد يرجع إلى:

أ \_ كون أنس بن مالك رضي الله عنه أنصاري لا يعرف أبا جهل ولم يسمع منه، إضافة إلى صغر سنه وقتها.

ب \_ وأما ابن عباس رضي الله عنه وهو وإن كان صغيراً وقتها لكن الله تعالى علمه التأويل وميّزه به، ثم إنّ ابن عباس رضي الله عنه قد يكون سمع هذا من أبيه وغيره، وهو من أهل مكة، وأهل البلد عادةً أدري بما فيه.

ج \_ الآية التي سبقتها تتحدث عن النَّضْرُ بن الحارث، فهو الذي قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31]

، وإذا كان هذا قوله فليكن ما بعده قولاً له أيضاً، وهذا لا يمنع أن يكون

(1) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (4/ 335). الدر المنثور، السيوطي، (4/ 55). تفسير المنار، رشيد رضا، (9/ 545).

(2) \_ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (9/ 331).

(3) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (5/ 310).

(4) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (5/ 1690).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

أبو جهل قال هذا تلقفا لمقالة النضر فسمعه من سمعه فظن أنه قوله أصلاً<sup>(1)</sup>.

ومع ما أوردته من تقديم رواية أنس رضي الله عنه باعتبار صحتها، إلا أن القول يُعمم على أهل الشرك، فقد تلقف الكثير منهم هذا الكلام وكرروه، فعن بريدة رضي الله عنه قال: «رأيت عمرو بن العاص واقفا على فرس يوم أحد وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمدا حقا فاحسف بي وبفرسي»<sup>(2)</sup>، وجاءت حكاية القرآن على وجه العموم، كقوله رضي الله عنه: ﴿وَسَتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(53)</sup> [العنكبوت] وقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا غَمَلًا وَفُتْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾<sup>(16)</sup> [ص]، وذلك جريا على عادة الجهلة من الأمم السابقة، كما قال قوم شعيب له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(187)</sup> [الشعراء].

المطلب الثالث: في سبب نزول قوله رضي الله عنه: ﴿يَأْتِيَهَا النَّيْبُ لِمَ تَحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلُغِ مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup> [التحریم]

قول ابن عطية:

«روي في الحديث عن زيد بن أسلم والشعبي وغيرهما ما معناه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أهدى إليه المقوقس مارية القبطية اتخذها سرية، فلما كان في بعض الأيام وهو يوم حفصة بنت عمر، وقيل بل كان في يوم عائشة، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت حفصة فوجدها قد مرت إلى زيارة أبيها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في جاريته [فقال معها]<sup>(3)</sup>، فجاءت حفصة فوجدتها فأقامت خارج البيت حتى أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية وذهبت، فدخلت حفصة غيرى متغيرة اللون فقالت: يا رسول الله أما كان في نسائك أهون عليك مني؟ أفي بيتي وعلى فراشي؟، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مترضيا لها: «أيرضيك أن أحرمها»، قالت: نعم، فقال: «إني قد حرمتها». قال ابن عباس، وقال مع ذلك: «والله لا أطؤها أبدا»، ثم قال لها: «لا تخبري بهذا أحدا»، فمن قال إن ذلك كان في يوم عائشة، قال استكتمها خوفا من غضب عائشة وحسن عشرتها، ومن قال: كان في يوم حفصة، قال استكتمتها

(1) \_ المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد المزيني، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: 1، 1427 هـ - 2006 م، (1/ 565).

(2) \_ الدر المنثور، السيوطي، (4/ 55).

(3) \_ أي قضى معها وقت القبلولة.

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

لنفس الأمر، ثم إنّ حفصة رضي الله عنها قرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة وأخبرتها لتسرّها بالأمر، ولم ترض إفشائه إليها حرجاً واستكتمتها، فأوحى الله بذلك إلى نبيه، ونزلت الآية.

وروي عن عكرمة أن هذا نزل بسبب أم شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذكر النقاش نحوه عن ابن عباس، وروي عبد بن عمير عن عائشة أنّ هذا التحريم المذكور في الآية، إنما هو بسبب شراب العسل الذي شربه ﷺ عند زينب بنت جحش، فتملأت عائشة وحفصة وسودة على أن تقول له: من دنا منها: أكلت مغاير. والمغاير صمغ العرفط، وهو حلو ثقيل الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «ولكني شربت عسلاً»، فقلن: جرت نحلته العرفط، فقال رسول الله ﷺ: «لا أشربه أبداً». وكان يكره أن توجد منه رائحة ثقيلة، فدخل بعد ذلك على زينب، فقالت: ألا نسقيك من ذلك العسل؟ قال: «لا حاجة لي به»، قالت عائشة: تقول سودة حين بلغها امتناعه والله لقد حرمتاه. قلت لها: اسكتي. قال ع: والقول الأول إنّ الآية نزلت بسبب مارية أصح وأوضح، وعليه تفقه الناس في الآية<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: والحديث الثاني هو الصحيح خرجه البخاري ومسلم وغيرهما»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

نقل ابن عطية في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال، أورد الثعالبي منها قولين؛ الأول أنّها نزلت بسبب مارية، والقول الأخير أنّ ذلك بسبب العسل الذي شربه ﷺ عند زينب بنت جحش، ورجح ابن عطية الأول بحجّة صحته ووضوحه وأنّ الناس تفقهوا عليه، فتعقبه الثعالبي مبيناً أن الحديث الثاني هو الصحيح؛ لأنّه مخرّج في الصحيحين وغيرهما، فهو بذلك يختار القول الثالث الذي أورده ابن عطية، ويتبع المسألة اتضح أنّ فيها ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: أنّها نزلت بسبب مارية رضي الله عنها.

روي عن زيد بن أسلم و مسروق والشعبي وقتادة<sup>(3)</sup>، وقال به مقاتل والفراء، واعتبره الزجاج الأكثر، واختاره القصاب، وذهب الجصاص والسمعاني إلى أنّه الأظهر، واكتفى به ابن أبي زمنين، وقال ابن عطية أنّه الأصح

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 330).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 434).

(3) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (23/ 476).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

والأوضح، وذهب ابن جزري أنه الأشهر، ورجّحه القاسمي<sup>(1)</sup>.

— وما استند إليه بعض من قال بهذا القول ما يلي:

أ— أنّ هذه الرواية أشهر.

ب— أنّ عليها تكلم الناس في فقه السورة<sup>(2)</sup>.

• وتعقب هذا القول بما يلي:

— أنه لم يدون في الصحيح، ولا عدّل ناقله، كما أنه روي مرسلًا<sup>(3)</sup>.

• وردّ ابن حجر هذا التعقب مبيناً أنه وردت طرق عديدة للرواية، وبمجموعها يتبين أن للقصة أصلاً أصيلاً، خاصة ما ثبت عن طريق النسائي، وكفى بها صحة<sup>(4)</sup>.

القول الثاني: أنها نزلت بسبب العسل.

رجحه ابن العربي والقاضي عياض والقرطبي والنووي وابن كثير والثعالبي<sup>(5)</sup>.

— وما استند إليه بعض من قال بهذا القول ما يلي:

— أنه مدون في الصحيحين<sup>(6)</sup>.

- 
- (1) — ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (4/ 375). معاني القرآن، الفراء، (3/ 165). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (5/ 191). النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد القصاب، ت: شايح الأسمري، دار القيم، ط: 1، 1424 هـ = 2003 م، (4/ 354). أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، ت: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1405 هـ، 1992 م، (5/ 362). تفسير القرآن، السمعاني، (5/ 470). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (5/ 5). المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 330). التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري، (2/ 389). محاسن التأويل، القاسمي، (9/ 268).
- (2) — ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 330). التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري، (2/ 389).
- (3) — ينظر: أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي (ت: 543 هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 3، 1424 هـ - 2003 م، (4/ 293).
- (4) — ينظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419 هـ. 1989 م، (3/ 447).
- (5) — ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، (4/ 293). إكمال المعلم، القاضي عياض، 28/5، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 179/18. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676 هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 2، 1392 هـ، (10/ 76). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (8/ 160). الجواهر الحسان، الثعالبي، (5/ 451).
- (6) — ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 434).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

### • وتُعقب هذا القول بما يلي:

أ \_ ليس في تركه ﷺ شرب العسل ما يبتغي به مرضات أزواجه، ولا ما يزول به غيرتهن، إذا دخل عليها ووطيها بعد أن لا يشرب عندها عسلاً، بل أشبه شيء أن يقلن له ﷺ: نجد منك ريح المغافير. طمعا في تزييف من شرب عندها ذلك العسل، ليزهد فيها فيحرمها، لا ليترك شرب العسل عندها.

ب \_ أن العسل داخل في جملة الطيبات التي نهى الله ﷻ عن تحريمها في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة:89]، وقد نزلت هذه الآية في رجل حرّم اللحم على نفسه فعّمه الله ﷻ هو وسائر المؤمنين بالنهي عن تحريم ما حلّله من الطيبات لهم، ورسول الله ﷺ أجّل المؤمنين قد دخل في هذا النهي مع أمته، والمائدة آخر ما نزل من القرآن، فلو كانت آية التحريم نازلة في العسل لقال النبي ﷺ للرجل: حلّ يمينك في تحريم اللحم، ولما سكت عنه حين سأله منتظراً للوحي حتى نزل (1).

القول الثالث: أنّها نزلت بسبب المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ.  
رُوي ذلك عن ابن عباس ﷺ (2) وعكرمة (3).

### • وتعقب هذا القول بما يلي:

أ \_ أنّه ضعيف من حيث السند لعدم عدالة رواته.

ب \_ أنّه ضعيف من حيث المعنى؛ لأن رد النبي ﷺ للموهوبة ليس تحريماً لها (4).

ج \_ أنّه لا ينطبق على هذا السبب قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَن أَبْنَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ (3) [التحريم] (5).

(1) \_ النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، القصاب، (4/ 356).

(2) \_ أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير، (8/ 160)، وعزه السيوطي في الدرر المنتور، (8/ 217) لابن مردويه، وضعّفه.

(3) \_ ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعالبي، (9/ 344).

(4) \_ ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، (4/ 293).

(5) \_ ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (5/ 301).

### الخلاصة:

بعد عرض أقوال العلماء في المسألة يتضح ما يلي:

- 1\_ السبب الورد في أنّها في الواهبة نفسها ضعيف لما تقدّم ذكره.
  - 2\_ ما رجّحه الثعالبي ممّا اتفق عليه البخاري ومسلم، فهو ثابت لا يمكن إنكاره بوجه.
  - 3\_ الرواية التي رجّحها ابن عطية ثبتت بمجموع طرقها.
  - 4\_ باعتبار ثبوت القصتين يظهر لي أن الجمع بينهما أولى، وأنّ القرآن نزل فيهما جميعا وفي كل واحد منهما أسرّ النبي الحديث إلى بعض أزواجه، وهذا ما اختاره ابن حجر والشوكاني<sup>(1)</sup> \_ والله أعلم \_.
- وفي ختام هذا المبحث يظهر أنّ الثعالبي تعقب ابن عطية فيما له علاقة بأسباب النزول في ثلاثة مسائل وُفق في أغلبها، وقد اعتمد في إثبات الصحبة وسبب النزول على إثبات غيره من أهل الاختصاص، كما استند في أسباب النزول على الصحيحين، وقد بيّن رجحان ما ورد فيهما وقد لا يبيّن، وفي هذه الحال تحفّ مجموعة من القرائن تجعل للرواية الأخرى وجها قويا عند المفسرين، وهذا ما يؤكد دقته وسعة اطلاعه.

---

(1) \_ ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، (376/9). فتح القدير، الشوكاني، (300/5).

### المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في القراءات

يعتبر ابن عطية من أشهر المفسرين الذي اعتنوا بالقراءات، وتفسيره خير شاهد على ذلك، ومع رسوخه في هذا الفن إلا أنّ الثعالبي تعقبه فيما ظهر له مجانبته للصواب، ويأتي هذا المبحث لدراسة تلك التعقبات، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: في قراءة حمزة ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1] بالخفض.

#### قول ابن عطية

قال ابن عطية عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1]: «وقرأ حمزة وجماعة من العلماء ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالخفض عطفًا على الضمير، والمعنى عندهم: أنّها يتساءل بها كما يقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم، هكذا فسرها الحسن وإبراهيم النخعي ومجاهد، وهذه القراءة عند رؤساء نحوي البصرة لا تجوز، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمّر مخفوض، قال الزجاج عن المازني: لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يجل كل واحد منهما محل صاحبه، فكما لا يجوز: مررت بزيد وبك، فكذلك لا يجوز مررت بك وزيد، وأما سيبويه فهي عنده قبيحة لا تجوز إلا في الشعر، كما قال:

فَالْيَوْمَ قَدْ بَتَّ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا... فَأَذْهَبَ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ (1).

وكما قال:

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفَنَا... وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ عُوطٌ نَفَانِفٌ (2).

واستهلها بعض النحويين، قال أبو علي: ذلك ضعيف في القياس. قال القاضي أبو محمد: المضمّر المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة، ولا يعطف على حرف، ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان: أحدهما أن ذكر الأرحام فيما يتساءل به لا معنى له في الحض على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها، وهذا تفرق في معنى الكلام وغض من فصاحته، وإنما الفصاحة في أن يكون لذكر الأرحام فائدة

(1) \_ البيت أورده سيبويه، وهو من شواهد. ينظر: الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه (ت: 180هـ)، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 3، 1408 هـ - 1988 م، (2/ 383).

(2) \_ نسب الجاحظ هذا البيت لمسكين الدارمي. ينظر: الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت: 255هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 2، 1424 هـ، (6/ 584).



## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

مستقلة، والوجه الثاني أن في ذكرها على ذلك تقريراً للتساؤل بها والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله **التَّالِيَةَ**: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»<sup>(1) - (2)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«قال ص: والصحيح جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار كمذهب الكوفيين، ولا ترد القراءة المتواترة بمثل مذهب البصريين، قال: وقد أمعنا الكلام عليه في قوله تعالى: ﴿وَكُفِّرُوا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْأَحْرَامِ﴾ [البقرة: 215] انتهى، وهو حسن، ونحوه للإمام الفخر»<sup>(3)</sup>.

### الدراسة:

ردّ ابن عطية قراءة حمزة: ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ بالخفض وبين أنّها لا تجوز عند نحة البصرة؛ لأنّ فيها عطف ظاهر على مضمّر مخفوض وهو ما لا يجوز إلّا عند ضرورة الشعر، ثمّ علّل عدم الجواز معتبراً أنّ الضمير المخفوض لا ينفصل فهو بمثابة الحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف، وبينّ تساهل بعض النحاة في قبولها، فتعقبه الثعالبي بإيراد كلام السفاقي الذي ردّ مذهب البصريين في عدم جواز العطف على الضمير المجرور، وأنكر الاحتجاج بذلك لردّ قبول قراءة متواترة، وقد حسّن الثعالبي ذلك وعزا نحوه للرازي. وتتبع المسألة انتهت إلى ما يلي:

أولاً - ذهب ثلّة من المفسرين والنحاة إلى ردّ هذه القراءة ومن هؤلاء؛ المبرد والطبري والزجاج والواحدي والزمخشري وابن عطية<sup>(4)</sup>.

(1) \_ أخرجه البخاري، باب: كيف يُسْتَحْلَفُ، رقم: 2679، (3/ 180). ومسلم، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم: 1646، (3/ 1267)، واللفظ للبخاري.

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 4).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 412).

(4) \_ ينظر: الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، (ت: 285هـ)، ت: محمد إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط: 3، 1417 هـ - 1997 م، (3/ 30). جامع البيان، الطبري، (7/ 519 و: 523). معاني القرآن، الزجاج، (2/ 6). التفسير الوسيط، الواحدي، (2/ 6). الكشاف، الزمخشري، (1/ 462). المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 4).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

ومّا احتجوا به:

أ\_ أنّ عطف الظاهر على المضمّر المخفوض لا يجوز إلاّ في ضرورة الشعر ومن أجازة فعلى قبح ويجب أن يُحمل القرآن على أشرف المذاهب.

ب\_ يُقبح بإجماع النحويين أن يُنسق باسم ظاهر على اسم مضمّر في حال الجرّ إلاّ بإظهار الجار.

ج\_ أنّ هذه القراءة تتضمن الحلف بغير الله وهذا ما لا يجوز؛ لأنّ النبي ﷺ قال: «لا تحلفوا بأبائكم»<sup>(1)</sup>.

ثانياً\_ دافع ثلّة من المفسرين والتّحاة على قراءة حمزة وردوا على منكريها وتبعوا ما استندوا إليه مبينين بطلانه ومن هؤلاء؛ ابن جنيّ والرازي والقرطبي وأبو حيان والثعالبي والشوكاني والألوسي وابن عاشور<sup>(2)</sup>.

ومّا أوردوه ما يلي:

أ\_ أنّ عطف الظاهر على المضمّر المخفوض ممّا ورد في القرآن الكريم وفي كلام العرب شعرا ونثرا:

\_ فمن أمثله في القرآن قوله ﷻ: ﴿وَكُفِّرْ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [البقرة: 215]<sup>(3)</sup>.

\_ وأمّا مثاله في الشعر فكثير يبعد أن يجعل ذلك ضرورة، ومنه:

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُوْفَنَا... وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوْطُ نَفَائِفُ

\_ ومن أمثلة وروده نثرا قولهم: ما فيها غيره وفّرسه. بجر الفرس عطفا على الضمير في غيره، والتقدير: ما فيها غيره وغير فرسه<sup>(4)</sup>.

ب\_ أنّ هذه القراءة لا تتضمن الحلف بغير الله؛ لأنّها حكاية عن فعل كانوا يفعلونه في الجاهلية، حيث يقولون: أسألك بالله والرّحم. وحكاية هذا الفعل عنهم في الماضي لا تنافي ورود النهي عنه في المستقبل، وأيضاّ للحديث

(1) \_ ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ابن المبرد، (30 / 3). جامع البيان، الطبري، (7 / 519 و: 523). معاني القرآن، الزجاج، (6 / 2).

(2) \_ الخصائص، عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ). الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 4، د ت ط، (1 / 286). مفاتيح الغيب، الرازي، (9 / 480). جامع أحكام القرآن، القرطبي، (2/5). البحر المحيط، أبو حيان، (3/498). الجواهر الحسان، الثعالبي، (1 / 412). فتح القدير، الشوكاني، (1/480). روح المعاني، الألوسي، (2/395). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (4/218).

(3) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (1 / 412).

(4) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (2 / 387).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

نهي عن الحلف بالأبَاء فقط، وهاهنا ليس كذلك، بل هو حلف بالله أولاً، ثم يقرب به بعده ذكر الرحم، فهذا يناهني ذلك الحديث<sup>(1)</sup>.

ج \_ أن قول الشخص لآخر: «أسألك بالرحم أن تفعل كذا». ليس الغرض منه سوى الاستعطاف وليس كقول القائل: «والرحم لأفعلن كذا. ولقد فعلت كذا»، فلا يكون متعلق النهي في شيء<sup>(2)</sup>.

د \_ أن حمزة أحد القراء السبعة، ولم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله ﷺ، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع، لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت، ولا يجوز ردّ قراءة متواترة بمثل مذهب البصريين<sup>(3)</sup>.

### الخلاصة:

تعقّب الثعالبي على ابن عطية في محله؛ إذ لا يمكن أن تردّ قراءة متواترة لمخالفة أهل اللغة لها، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وهو الأصل الذي يُرجع إليه في ضبط القواعد التحوّية وبيان الأوجه الإعرابية وليس العكس، ومن المقرّر "أنّ القراءة إذا ثبتت لا يجوز ردّها"<sup>(4)</sup>، ويظهر بوضوح اعتماد الثعالبي على هذه القاعدة في ردّه على ابن عطية.

### المطلب الثاني: تسمية الإمالة كسرا

#### قول ابن عطية :

«وقرأ الأخوان حمزة والكسائيّ وحفص بفتح ميم ﴿مَجْرِبَهَا﴾ [هود:41] وكسر الراء»<sup>(5)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي :

«ت: قوله: «وكسر الراء»؛ يريد إمالتها، وفي كلامه تسامح»<sup>(6)</sup>.

(1) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (9/ 480).

(2) \_ ينظر: روح المعاني، الألوسي، (2/ 395).

(3) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (9/ 480). الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 160).

(4) \_ ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، (ص: 89).

(5) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 173).

(6) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (3/ 284).

ذكر ابن عطية أن حمزة والكسائي وحفص قرؤوا ﴿بَجْرِنَهَا﴾ من قوله ﷺ: ﴿وَقَالَ إِرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بَجْرِنَهَا وَمُرْسِيهَا إِنَّ رِيَّ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (41) [هود] بفتح الميم وكسر الراء، فتعقبه الثعالبي مبينا أن مقصوده بكسر الراء إمالتها منتقدا كلامه بأن فيه تسامح، دون أن يبين ذلك مما يجعل تعقبه ينصب في أحد الاحتمالين:

الأول: أن تعقبه يتجه إلى تقرير ابن عطية بأن من سبق ذكرهم قرؤوا الراء في: ﴿بَجْرِنَهَا﴾ بالإمالة.  
الثاني: أن تعقبه يتجه إلى استعمال الكسر للدلالة على الإمالة. وهذا الذي ظهر لي من سياق الكلام، غير أنني سأعالج الاحتمالين ليتبين مقصد الثعالبي من تعقبه.

أولا \_ هل ما نقله ابن عطية عن حمزة والكسائي وحفص مقرر عند أهل الفن؟  
بتتبع كتب القراءات وقفت على ما يلي:

\_ لم أجد خلافا فيما قرره ابن عطية حول اتفاق حمزة و الكسائي وحفص على قراءة ﴿بَجْرِنَهَا﴾ بفتح الميم وإمالة الراء، وممن أورد هذا من القراء؛ ابن مجاهد والحسن الفارسي وابن زنجلة وأبو عمرو الداني وأبو علي الأهوازي وأبو شامة والنويري، وصاحب غيث التّفّع في القراءات السبع<sup>(1)</sup>.  
هذا ما يؤكد أن محل تعقب الثعالبي إنما هو في استعمال الكسر بدل الإمالة، وهو ما يستدعي النظر في اصطلاحات القراء؛ ليتبين هل الاستخدام في محله، أم فيه تجوّز وتسامح؟ وهذا ما أبينه في العنصر الموالي.

ثانيا \_ هل اصطلاح القراء بالكسر للدلالة على الإمالة؟

يُعرّف القراء الإمالة بقولهم: «هي أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرا»<sup>(2)</sup>. والمتتبع لكلامهم يجد أنهم كانوا يستخدمون بعض الاصطلاحات التي تدل على الإمالة كالكسر والإضعاف، فهذا الطبري

(1) \_ ينظر: السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد (ت: 324هـ)، ت: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط: 2، 1400هـ، (33/1). الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (ت: 377هـ). ت: بدر الدين قهوجي - بشير جويجايي، دار المأمون للتراث - دمشق/ بيروت، ط: 2، 1413 هـ - 1993 م، (4 / 392). حجة القراءات، عبد الرحمن ابن زنجلة (ت: حوالي 403هـ). ت: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت، ط: 5، 1418هـ، 1997م، (340). التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ت: 444 هـ). ت: خلف الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، ط: 1، 1436 هـ - 2015 م (3/ 1196).

(2) \_ شرح طيبة النشر في القراءات، (ت: 833هـ). ت: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 2، 1420 هـ - 2000 م، (ص: 115).

يقول: «واختلفت القراءة في إمالة ما كان من ذوات الواو في هذه السورة وغيرها، كقوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ [2] الشمس، ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا﴾ [6] الشمس، فكان يفتح ذلك كله عامة قراء الكوفة، ويميلون ما كان من ذوات الياء، غير عاصم والكسائي، فإن عاصمًا كان يفتح جميع ذلك، ما كان منه من ذوات الواو وذوات الياء، لا يضيع منه شيئًا. وكان الكسائي يكسر ذلك كله»<sup>(1)</sup>. فهذا النقل يبيّن كيف استخدم الطبري ثلاث مصطلحات للدلالة على مفهوم واحد، ومن بين تلك المصطلحات "الكسر".

وهذا الزجاج يعبر عن الإمالة بالكسر فيقول: «وقرأ أبو عمرو ﴿كَمَثَلِ الْجِبَارِ﴾ [الجمعة: 5] بكسر الألف؛ وهذه الإمالة أعني كسر الراء كثير في كلام العرب»<sup>(2)</sup>.

وقال أيضا في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: 54]: «القراءة على فتح الكاف، ويجوز الكسر ﴿إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾، ولم يرو في القرآن». قال عبد الجليل شليبي: «ويقصد بالكسر الإمالة»<sup>(3)</sup>.

وهذا الفارسي يستخدم الكسر للدلالة على الإمالة حيث يقول: «وقرأ حمزة والكسائي ﴿بَجْرَبْنَهَا﴾ بفتح الميم وكسر الراء، وكذلك حفص عن عاصم ﴿بَجْرَبْنَهَا﴾ بفتح الميم، وكسر الراء من غير إضافة. وليس يكسر في القرآن غير هذا الحرف، يعني الراء في: ﴿بَجْرَبْنَهَا﴾»<sup>(4)</sup>.

وقال النيسابوري: «ويكسر في رواية حفص ﴿بَجْرَبْنَهَا﴾ فقط»<sup>(5)</sup>.

وقال أبو عمرو الداني: «قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿بَجْرَبْنَهَا﴾ بفتح الميم وكسر الراء»<sup>(6)</sup>. وقد صرح أحمد الحموي على أنهم كانوا يعبرون عن الإمالة بالكسر، وبين أنواعها وأي من هذه الأنواع ينصرف إليه تعبيرهم بذلك فقال: «الإمالة؛ قال الأصبغ: هي ضد الفتح. قلت: ولهذا عبر عنها بالكسر؛ وهي

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (453 / 24).

(2) \_ معاني القرآن، الزجاج، (170/5).

(3) \_ المصدر نفسه، (454 / 2).

(4) \_ الحجّة للقراء السبعة، الفارسي، (329 / 4).

(5) \_ المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر النيسابوري (ت: 381هـ)، ت: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية - دمشق،

ط: 1، 1981 م، (ص: 113).

(6) \_ حجة القراءات، ابن زنجلة، (ص: 340).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

ضربان: أحدهما الكبرى، وهي المرادة عند الإطلاق؛ وحدها: نطق بألف خالصة فتصرف إلى الكسر كثيرا. والثاني: الصغرى، ويعبر عنها بالتقليل، وبين بين؛ وحدها: النطق بألف منصرفة إلى الكسر قليلا<sup>(1)</sup>. ومع ما نقلته من استخدامه الكسر للدلالة على الإمامة، إلا أن ابن عطية نقل عن الزجاج أن الإمامة ليست كسرا صحيحا، وأن بعض القراء الكبار كانوا يطلقون عليها لفظ الإمامة دون الكسر حيث قال: «قال الزجاج سمى الناس الإمامة كسرا وليس بكسر صحيح، والخليل وأبو عمرو يقولان إمالة»<sup>(2)</sup>. وكأنه بهذا يشير إلى أنهم استخدموا الكسر للتعبير عن الإمامة تجوذاً، إذ في الحقيقة ليس بكسر تام. وحتى يتفطن القارئ لاصطلاحات القراء نبّه السمين الحلبي على هذه القضية فقال: «وبعضهم يُعبر عن التفخيم بالضّم، كما يُعبر عن الإمامة بالكسر، وإنما ذكّرته لأنّ عبارتهم في ذلك مُوهمة»<sup>(3)</sup>.

### الخلاصة:

استخدام الكسر للدلالة على الإمامة أمر شائع عند العلماء المتقدمين، وقد نبه بعضهم إلى هذا الاصطلاح موضحاً أنه ليس بكسر صحيح كما فعل الزجاج وابن عطية نفسه في موضع آخر، وتنبه البعض لمثل هذا باعتبار أن العبارة موهمة كما فعل السمين الحلبي، وهذا ما يجعلنا نقف على دقة الثعالبي فهو بذلك يوضح أن إطلاق الكسر على الإمامة فيه تسامح وتجاوز؛ لأنه ليس بكسر صحيح، غير أنّه لا مشاحة في الاصطلاح \_ والله أعلم \_.

في ختام هذا المبحث يتّضح أنّ الثعالبي تعقب ابن عطية فيما له علاقة بالقراءات في مسألتين، وقد تبين أنّه يعتمد على قاعدة "القراءة سنة متبعة فإذا ثبت لا يجوز ردّها" وصرّح بذلك، كما اتضحت دقته في استعمال العبارات، وذلك من خلال تنبيهه على ما قد يكون موهماً، وهو في ذلك سالك لسبيل أهل الاختصاص.

كما يتّضح أنّ قلة تعقبات الثعالبي على ابن عطية في القراءات تدل على تمكنه \_ أي ابن عطية \_.

(1) \_ القواعد والإشارات في أصول القراءات، أحمد الحموي (ت: 791هـ)، ت: عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1406 هـ - 1986 م، (ص: 50).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 489).

(3) \_ الدر المصون، السمين الحلبي، (7/ 62).

### المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في الوجوه والنظائر وعادات القرآن

تُعنى الوجوه ببيان المعاني المختلفة التي تُصرف إليها اللفظة الواحدة في القرآن الكريم، بينما تهتم النظائر بالآيات الواردة في الوجه الواحد. وأما عادات القرآن فتهتم باستعمال لفظ أو أسلوب في القرآن على وجه مطرد، وذلك من أعظم الوسائل لفهم معانيه وفقه مقاصده ومراميه، ويأتي هذا المبحث لدراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية المندرجة تحت هذا السياق، وقد آثرت الجمع بينها لقلتها، ولوجود نوع صلة بينها، وراعى في دراسة المسائل ترتيب السور، وذلك في أربعة مطالب على النحو التالي:

#### المطلب الأول: الفرق بين العباد والعبيد في الاستعمال القرآني

##### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 79]: «وقوله: ﴿عِبَادًا﴾ هو جمع عبد، ومن جموعه عبيد وعبدي، قال بعض اللغويين، هذه الجموع بمعنى، وقال قوم: العباد لله، والعبيد والعبدي للبشر، وقال قوم: العبدي، إنما يقال في العبید بني العبید، وكأنه بناء مبالغة، تقتضي الإغراق في العبودية. قال القاضي أبو محمد: والذي استقرت في لفظه العباد، أنه جمع عبد متى سيقت اللفظة في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة دون أن يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشأن وانظر قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: 207]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا ابْتَئِذْ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [26] [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [53] [الزمر]. وقول عيسى في معنى الشفاعة والتعريض لرحمة الله ﴿ إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَإِنِّي عِبَادُكُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [118] [المائدة] فنوّه بهم، وقال بعض اللغويين: إنّ نصارى الحيرة وهم عرب لما أطاعوا كسرى ودخلوا تحت أمره سمّتهم العرب العباد فلم ينته بهم إلى اسم العبید، وقال قوم بل هم قوم من العرب من قبائل شتى اجتمعوا وتنصروا وسموا أنفسهم العباد كأنه انتساب إلى عبادة الله، وأما العبید فيستعمل في تحقير، ومنه قول امرئ القيس:

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

قُولًا لِدُودَانَ عَبِيدِ الْعَصَا ... مَا عَزَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ (1)

ومنه قول حمزة بن عبد المطلب: وهل أنتم إلا عبيد. ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]؛ لأنه مكان تشفيق وإعلام بقلة انتصارهم ومقدرتهم، وأنه تعالى ليس بظلام لهم مع ذلك، ولما كانت لفظة العباد تقتضي الطاعة لم تقع هنا، ولذلك أنس بها في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر] قال الإمام أبو محمد: فهذا النوع من النظر يسلك به سبل العجائب في ميزة فصاحة القرآن العزيز على الطريقة العربية السليمة...» (2).

### تعقيب الثعالبي:

«قال ص: ونوقش ابن عطية بأن «عبيدي»: اسم جمع، وتفريقه بين عباد وعبيد لا يصح. اهـ. قلت: وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فِيَقُولُ ءَأَن تُمْرُوا ضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُم ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان] ونحوه يوضحه» (3).

### الدراسة:

فرّق ابن عطية بين العباد والعبيد؛ فالعباد عنده تدلّ على الرّفعة والطاعة دون أن يقترب بها معنى التحقير وأمّا العبید فتستعمل لتصغير الشأن، وهذا ما لم يرتضه الثعالبي، فنقل تعقب السفاقي ووافقه في ذلك مستندا إلى قوله تعالى: ﴿ءَأَن تُمْرُوا ضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُم ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: 17]؛ يريد أن يبيّن أنّ لفظ العباد هنا سيق للتحقير، وهذا على خلاف ما قرره ابن عطية. وبعد البحث ظهر لي أنّ المسألة محلّ أخذ ورد، وفيما يلي بيان ذلك:

(1) \_ البيت في ديوان امرؤ القيس، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، ط: 2، 1425 هـ - 2004 م، (ص: 141).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1 / 461).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1 / 337).



## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

القول الأول: أنه يوجد فرق بينهما.

وفي بيان وجه الفرق وقع خلاف على النحو التالي:

### 1\_ أن لفظ العباد يأتي لبيان الرّفعة والطاعة ولفظ العبيد للتحقير:

ومن قال به ابن عطية ودافع عليه السمين الحلبي، ونقله صاحب اللباب عن ابن عطية مع دفاع السمين عليه مما يوضح أنه اختياره، وأورده ابن عاشور ولم يعقب عليه<sup>(1)</sup>.

ومما احتج به ابن عطية ما يلي:

— أنه استقرأ اللفظين في القرآن فوقف على الفرق بينهما؛ فمما يدلّ على أنّ لفظ "العباد" تأتي للدلالة على

الرّفعة والطاعة قوله ﷺ: ﴿ **وَاللَّهُ رُءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [البقرة: 205]، وقوله ﷺ: ﴿ **وَقَالُوا ابْتَغُوا الرَّحْمَنَ وَلَدًا**

**سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ﴾ [26] [الأنبياء]، وقوله ﷺ: ﴿ **قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا**

**تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [53] [الزمر]. ومما يدلّ أنّ لفظ

العبيد تأتي للتحقير قوله ﷺ: ﴿ **وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [ق: 29]، فاستخدم لفظ العبيد لأنه مكان تشفيق

وإعلام بقلة انتصارهم ومقدرتهم، وأنه تعالى ليس بظلام لهم مع ذلك، ولما كان لفظ العباد يقتضي الطاعة لم يقع

هنا.

• وتُعب بما يلي:

أ\_ قال أبو حيان بأنه ليس استقراء صحيحاً، فاستناده إلى قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [ق: 29]،

فيه نظر؛ حيث جاء لتواخي الفواصل، لأن قبله: ﴿ **قَالَ لَا تَخْضِعُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ** ﴾ [ق]

وبعده: ﴿ **يَوْمَ يَقُولُ لِبَنِيهِمْ هَلِ إِمْتَلَأْتُمْ وَتَقُولُوا هَلْ مِن مَّزِيدٍ** ﴾ [ق]، وأما مدلوله فمدلول عباد سواء<sup>(2)</sup>.

• وردّ عليه السمين بقوله: «ردّه عليه استقراءه من غير إتيانه بما يحرم الاستقراء مردود»<sup>(3)</sup>.

(1) — ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي، (3/ 275). اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (5/ 347). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (3/ 294).

(2) — ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (3/ 231).

(3) — الدر المصون، السمين، (3/ 275).

ب\_ أن قوله ﷺ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُءَ أَنْتُمْءَ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ

أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۗ ﴾ [الفرقان] (1)، يردّ ذلك؛ ووجه الشاهد أنّ الله أطلق لفظ العباد وأضافه إلى نفسه والمقصود به أهل الضلال.

2\_ أن لفظ العباد يقتضي الخصوص، والعبيد إذا أضيف لله يقتضي العموم:

ومعنى هذا القول أنّ العباد يراد منه أهل الإيمان ممن اتصفوا بالعبودية الخاصة، وأمّا العبید إذا أضيف إلى الله فيدخل فيه جميع الخلق، وممن قرره أبو البقاء، حيث قال: «في عرف القرآن؛ إضافة العباد تختص بالمؤمنين، والعبيد إذ أضيف إلى الله فهو أعم من العباد» (2).

\_ واحتج بما يلي:

أ\_ أكثر ما ورد العباد في القرآن بمعنى الخصوص نحو: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

الْفَاوِينَ ۗ ﴾ [الحجر]، ﴿ يَعْبادِي لَأَخَافُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۗ ﴾ [الزخرف] (3).

ب\_ أن الله ﷻ قال: ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ۗ ﴾ [ق: 29]، وقد قال في موضع آخر: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا

لِلْعِبَادِ ۗ ﴾ [غافر: 31]؛ خصص أحدهما بالإرادة مع لفظ العباد، والآخر بلفظ الظلم والعبيد تنبيها على أنّه لا يظلم من يخصص بعبادته (4)، وإن كان الله ﷻ لا يظلم أحدا، لكنّه شرف أهل العبودية الخاصة بلفظ الإرادة التي تدل على العناية.

ويشترك هذا القول والذي قبله في لفظ العباد الذي يدل على الرتبة لكونه خاصا بالمؤمنين، ويفترقان في معنى العبید؛ بحيث اقتزن في القول الأول بالتحقير، بينما جاء في القول الثاني للدلالة على العموم فيدخل فيه المؤمن والكافر.

وقد ذكر الرازي أنّ عُرِفَ القرآن جار بتخصيص اسم العباد بالمؤمنين. ولم يتطرق \_ أي الرازي \_ إلى لفظ العبید (5).

(1) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 337).

(2) \_ ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ت: 1094هـ). ت: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د ت ط، (ص: 649).

(3) \_ المصدر نفسه، (ص: 597).

(4) \_ ينظر: المصدر نفسه، (ص: 649).

(5) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (27/ 463).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

— وأورد بعض علماء اللغة فرقا آخر يتضمن أنّ العباد يطلق على: عباد الله. والعبيد: على المماليك، ولم يربطوا ذلك بالاستعمال القرآني. ومن ذكر هذا الخليل، وعزاه الأزهري لليث<sup>(1)</sup>، كما نسب له أنّ العبدى تقال في العبيد بني العبيد، وتعقبه بقوله: «قلت: هذا غلط. يقال: هؤلاء عبيدى الله أي عباده»<sup>(2)</sup>.

القول الثاني: أنه لا يوجد فرق بينهما.

ومن قال بذلك أبو حيان والصفاسي والثعالبي<sup>(3)</sup>.

— واحتج الثعالبي بقوله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۗ ﴾ [الفرقان]، ونحوها من الآيات<sup>(4)</sup>. دون أن يسوقها على عادته في الاختصار.

### الخلاصة:

بعد استعراض بعض الأقوال الواردة في المسألة يظهر للباحث ما يلي

1\_ تعقب الثعالبي على ابن عطية في عدم تخصيص لفظ العباد بمقام الرفعة تعقب في محله؛ فبعد استقراء موارد لفظ العباد في القرآن ظهر أنه يستعمل للدلالة على أربعة أصناف من الناس:  
الأول: أهل الإيمان.

ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ: ﴿ إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: 127]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۖ ﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿ يَنْعَبُدُونَ مَا لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۖ ﴾ [الزخرف].  
الصنف الثاني: الناس عامة دون تخصيص بمؤمن أو كافر.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۗ ﴾ [آل عمران: 20]، وقوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۗ ﴾ [الأنعام]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۗ ﴾ [غافر].

(1) — ينظر: العين، الخليل، (48/2). تهذيب اللغة، الأزهري، (2/139).

(2) — تهذيب اللغة، الأزهري، (2/140).

(3) — ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (3/231). الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/337).

(4) — ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/338).

الصف الثالث: أهل الذنوب والعصيان.

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَيْفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝١٧ ﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُءَ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝١٧ ﴾ [الفرقان]، وقوله: ﴿ يَحْشُرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٣٠ ﴾ [يس].

الصف الرابع: المماليك والعبيد.

وردت آية استعملت لفظة "العباد" للدلالة على هذا المعنى وهي قوله ﷺ: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمِينَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢ ﴾ [النور: 32].

غير أنه يجدر التنبيه أن أكثر استعمال (العباد) جاء في مقام الرِّفْعَة، وإذا ارتبط لفظ العباد باسم من أسماء الله فقد وقفت على أنه ينصرف إلى أهل الإيمان والطاعة، إلا موضعا واحدا وهو قوله ﷺ: ﴿ أَنْ أَدْرَأَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ فِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨ ﴾ [الدخان] فإنه ينصرف إلى القوم المدعويين وهم بنو إسرائيل.

2\_ لفظ العبيد في القرآن الكريم جاء في خمسة مواطن للدلالة على الناس عموما مؤمنهم وكافرهم، وهي:

أ\_ قوله ﷺ: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُمِبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝١٨١ ﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ۝١٨٢ ﴾ [عمران].

ب\_ قوله ﷺ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٥٠ ﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ۝٥١ ﴾ [الأنفال].

ج\_ قوله ﷺ: ﴿ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٩ ﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ۝١٠ ﴾ [الحج].

د\_ قوله ﷺ: ﴿ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْت إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۝٢٨ ﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ۝٢٩ ﴾ [ق].

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

والملاحظ أنّ هذه المواطن السابقة جاءت في سياق ذكر عذاب الآخرة، وهذا ما حمل ابن عطية على ربط لفظ "العبيد" بالتحقير، وقد تُعقب بأنّ سبب وروده بلفظ العبيد دون العباد؛ إمّا هو مراعاة للفواصل. هـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت]. والملاحظ أنّ هذا المواطن لم يأت في سياق ذكر العذاب.

وتبقى الإشارة أنّ سبب تقرير ابن عطية مبني على الأغلب من الاستعمال حسب استقرائه، إضافة إلى توجيهه لبعض المواطن التي قد لا تنسجم مع ما ذكر، وأمّا الثعالبي فمخالفته تنبني على وجود أمثلة تنقض استقراء ابن عطية، وقد ذكر منها واحدا وأشار إلى غيرها سالكا في ذلك مسلك الاختصار \_ والله أعلم \_.

### المطلب الثاني: لفظ "المال" في الاستعمال القرآني

#### قول ابن عطية :

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷻ: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود:31]: «والخير هنا: يظهر فيه أنّه خير الآخرة، اللهم إلا أن يكون ازدراؤهم من جهة الفقر، فيكون الخير المال وقد قال بعض المفسرين: حيث ما ذكر الله الخير في القرآن، فهو المال. قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الكلام تحامل، والذي يشبهه أن يقال: إنه حيثما ذكر الخير فإن المال يدخل فيه»<sup>(1)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«ت: وهذا أيضا غير ملخص، والصواب: أن الخير أعم من ذلك كله، وانظر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة]، فإنه يشمل المال وغيره، ونحوه: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]، وانظر قوله ﷻ: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة»<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:33]، فهنا لا مدخل للمال إلا على تجوُّز، وقد يكون الخير المراد به المال فقط وذلك

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (166/3).

(2) \_ أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، رقم: (428)، (1/ 624). ومسلم، كتاب الجهاد، باب: غزوة الأحزاب، رقم: (1805)، (3/ 1431).

بحسب القرائن، كقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (180) [البقرة] (1).

#### الدراسة:

أورد ابن عطية قول بعض المفسرين: «حيث ما ذكر الخير في القرآن فهو المال» و تعقبه مبينا أنّ الأنسب أن يقال حيث ما ذكر الخير فإن المال داخل فيه، فتعقبه الثعالبي بأن هذا غير ملخص والأصح أن الخير أعم من ذلك وساق على ذلك أدلة من القرآن والسنة ورد فيها لفظ الخير فانصرف معناه حسب السياق. والقول الذي تعقبه ابن عطية ينسب لمجاهد وعكرمة، وقد ذكر أهل التفسير أن للخير معاني عديدة أرجعها السمرقندي إلى خمسة معان وهي:

المعنى الأول: المال.

ومن أمثله قوله ﷺ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (180) [البقرة]، وقوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (215) [البقرة]، ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 272]؛ أي المال.

المعنى الثاني: الإيمان.

ومن أمثلة ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (23) [الأنفال]؛ أي إيماناً. وكقوله ﷺ: ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِ أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ [هود: 31].

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (275/2).

المعنى الثالث: الفضل.

ومن أمثلته قوله ﷺ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [109] [المؤمنون].

المعنى الرابع: العافية.

كقوله ﷺ: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [17] [الأنعام]، وقوله: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس: 107].

المعنى الخامس: الأجر.

كقوله ﷺ: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ [الحج: 36]؛ أي أجرا<sup>(1)</sup>.

وقد أوصلها ابن الجوزي إلى اثنين وعشرين وجهًا<sup>(2)</sup>، بل إن ابن عطية نفسه قرّر أن لفظ "الخير" ينصرف حسب القرائن وذلك عند تفسيره لقوله ﷺ: ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ ﴾ [البقرة: 272]، حيث قال: «والخير في هذه الآية المال لأنه اقترن بذكر الإنفاق، فهذه القرينة تدل على أنه المال، ومتى لم يقترن بما يدل على أنه المال فلا يلزم أن يكون بمعنى المال، نحو قوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [7] [الزلزلة]، إلى غير ذلك، وهذا الذي قلناه تحرز من قول عكرمة: كل خير في كتاب الله فهو المال<sup>(3)</sup>.

(1) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (119/1)

(2) \_ ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ)، ت: محمد كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط: 1، 1404هـ - 1984م، (ص: 285).

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (368/1).

### الخلاصة:

تعقب الثعالبي في محله وقد تبين أنّ معنى الخير ينصرف حسب السياق والقرائن المحتفّة به، وهذا ما قرره غير واحد من أهل العلم، و ساقوا على ذلك شواهد وقفنا على بعضها، وابن عطية نفسه قد قرّر هذا في سورة البقرة وما ذكره هنا ربما كان سهواً منه رحمه الله.

### المطلب الثالث: وقوع "القتل" بمعنى "اللّعن" في الاستعمال القرآني

#### قول ابن عطية :

قال ابن عطية في تفسير قوله ﷻ: ﴿ قُلْ الْفَرَّصُونَ ﴿10﴾ ﴾ [الذاريات]: «دعاءً عليهم كما تقول: قاتلك الله، وقال بعض المفسرين معناه: لُعِنَ الْفَرَّاصُونَ، وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ»<sup>(1)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«ت: والظاهر ما قاله هذا المفسّر، قال عِيَاضٌ فِي (الشفاء): وقد يقع القتل بمعنى اللّعن قال الله تعالى: ﴿ قُلْ الْفَرَّصُونَ ﴿10﴾ ﴾ [الذاريات] و: ﴿ فَتَلَّهِمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُونَ ﴾ [المنافقون: 4]»<sup>(2)</sup>.

#### الدراسة:

ذكر ابن عطية أنّ من المفسرين من قال: إنّ معنى: ﴿ قُلْ الْفَرَّصُونَ ﴿10﴾ ﴾ [الذاريات]، أي: (لُعِن)، وتعقب ذلك بأنّ اللفظ لا يساعد عليه، فتعقبه الثعالبي بإيراده قول عياض في الشفا بأنّ القتل يقع بمعنى اللّعن كما جاء في هذه الآية، وفي قوله ﷻ: ﴿ فَتَلَّهِمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُونَ ﴾ [المنافقون: 4]. وبتتبع أقوال أهل العلم وقفت على ما يلي:

— أولاً: ممن قال بأنّ (قُتِل) بمعنى (لُعِن) جمع من أهل التفسير، منهم ابن عباس وابن جريج<sup>(3)</sup> ومجاهد ومقاتل والطبري والرّجاج، وعزاه ابن الجوزي لابن الأنباري، واعتبره الماتريدي وجهاً تحتمله الآية، وقال به السمرقندي

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 17/5).

(2) — الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 279).

(3) — ينظر: جامع البيان، الطبري، (14/ 207).



## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

وابن أبي زمنين والتعلي والماوردي، وعزاه الواحدي للجميع، وذهب السمعاني بأنّه المتفق عليه، ومن قال بأنّه بمعنى (لُعن) البغوي والزمخشري وذكر أن أصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى: لُعن وقبح، ومن قال بذلك أيضا الرازي والقرطبي والنسفي وابن كثير والثعالبي والشوكاني والقنوجي وابن عاشور والمراغي<sup>(1)</sup>.  
ومأ استندوا إليه:

أ\_ ما روي عن ابن عباس أنّه قال: «كل شيء في القرآن (قُتل)، فهو (لُعن)»<sup>(2)</sup>.

ب\_ أن في القاموس ما يقتضي أن (قُتل) يأتي بمعنى (لُعن)<sup>(3)</sup>.

ج\_ أنّه نحو قوله ﷺ: ﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ إِنْ يُوفِّكَوْنَ﴾ [المنافقون:4]، وقوله: ﴿قُتِلَ أَحْسَبُ الْأَخْذُودِ﴾ [البروج] وهؤلاء لم يُقتلوا، لذلك فإنّه يفيد معنى اللُعن ويدل على الوعيد؛ لأنّ الغضب واللُعن يستلزمان العقاب على الفعل الملعون لأجله<sup>(4)</sup>.

\_ وذكر أن اللُعن سمي قتلا؛ لأنّ القتل سبب التباعد عن منافع الحياة، واللُعن هو الطرد عن رحمة الله التي بها تقع وتتحقق المنافع في الآخرة.

ثانيا \_ أنكر بعض أهل التفسير أن يكون (قُتل) بمعنى (لُعن)، ومن هؤلاء مكّي بن أبي طالب، حيث نقل هذا عن ابن عباس ﷺ والفراء ثم قال: «ولا يعرف أهل اللغة (قُتل) بمعنى (لُعن)، ومعناه على قول سيبويه والخليل

---

(1) \_ ينظر: تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر (ت: 104هـ)، ت: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ط: 1، 1410 هـ - 1989 م، (ص: 618). تفسير مقاتل، مقاتل، (4/ 128). جامع البيان، الطبري، (22/ 399). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (5/ 246). زاد المسير، ابن الجوزي، (4/ 168). بحر العلوم، السمرقندي، (3/ 342). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (4/ 283). الكشف والبيان، الثعالبي، (9/ 111). النكت والعيون، الماوردي، (5/ 363). التفسير الوسيط، الواحدي، (4/ 174). تفسير القرآن، السمعاني، (5/ 252). معالم التنزيل، البغوي، (4/ 281). الكشف، الزمخشري، (4/ 397). مفاتيح الغيب، الرازي، (28/ 163). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17/ 33). مدارك التنزيل، النسفي، (3/ 372). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (7/ 415). الجواهر الحسان، الثعالبي، (5/ 297). فتح القدير، الشوكاني، (5/ 100). فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القنوجي (ت: 1307هـ)، ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1412 هـ - 1992 م، (13/ 192).

(2) \_ أخرجه الطبري في جامع البيان، رقم: 16628، (14/ 207).

(3) \_ ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، (13/ 192).

(4) \_ ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، (2/ 486). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (30/ 240).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

وغيرهما: أنّ هؤلاء ممن يجب أن يدعى عليهم بالقتل على أيدي المؤمنين أو بعذاب من عند الله<sup>(1)</sup>. وممن قال بذلك أيضا ابن عطية وقد سبق كلامه، ومن المعاصرين ابن عثيمين حيث قال: «(قتل) كثير من المفسرين يفسرها بلعن، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ولكنّ الصحيح أنّها بمعنى أهلك؛ لأنّه لا داعي أن نصرفها عن ظاهرها، وظاهرها صحيح مستقيم، فمعنى (قتل): أهلك».

ويظهر من كلامهم السابق أنّهم ينكرون أن يكون (قتل) بمعنى (لعن)، بحجّة:  
أ\_ أنّه لا يعرف أهل اللّغة ذلك.

ب\_ أنّه إخراج للفظ عن ظاهره.

### الخلاصة:

بعد استعراض ما سبق يظهر لي أنّ تعقب الثعالبي في محله؛ وذلك لما يلي:

1\_ القائلون بهذا القول ثلّة من كبار المفسرين وأساطين اللّغة وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنه، إذ أنّه من أهل اللسان وهو حجّة على من تأخر، ومن هؤلاء الفراء والزجاج والثعالبي والزحشري...

2\_ الأصل أن تُفسر اللفظة في سياقها؛ لذلك فهم جل المفسرين أنّ معناها في هذا السياق إنّما هو (لعن)، وممن ذكر هذا المعنى إضافة إلى من سبق، الراغب في المفردات ومعلوم من منهجه أنّه يفسر حسب السياق<sup>(2)</sup>.

3\_ ممّا يدل أنّ (قتل) يأتي بمعنى (لعن) قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴾ [البروج]؛ إذ هؤلاء لم يقتلوا.

4\_ صدوره من الله تعالى يفيد معنى اللعن، ويدل على الوعيد؛ لأنّ الغضب واللعن يستلزمان العقاب على الفعل الملعون لأجله.

5\_ كلام مكّي حين نقل عن سيبويه والخليل، أنّ المعنى: أنّ هؤلاء ممن يجب أن يدعى عليهم بالقتل على أيدي المؤمنين أو بعذاب من عند الله، غير محصل؛ وذلك أنّ قوله: «أو بعذاب من عند الله» يُخرج لفظة القتل عن

(1) \_ الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي، (11 / 7075).

(2) \_ هذا ما قرّره الزركشي في البرهان في معرض ذكره لأقسام تفسير القرآن، حيث ذكر القسم الأول ثم قال: «الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب المفردات فيذكر قيّدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق». البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (2 / 172).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

المعنى الذي دافع عليه؛ لأنّ العذاب يمكن أن يكون بالقتل، كما يكون أيضا بإذاعة البأس دون قتل، ويمكن أن يكون كذلك باللعن، وهو الموجب للعذاب.

غير أنّه يُعتذر لمكي وابن عطية كونهما نظرا إلى اللَّفظة من حيث الاشتقاق اللغوي بعيدا عن معهود الاستعمال، وتأمل كلام الزمخشري حين قال: « أنّ أصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى: لعن وقبح»<sup>(1)</sup>. فقوله: «ثم جرى مجرى لعن» يبين أنّ أصل اللفظ يأتي على معناه الظاهر، والله أعلم.

### المطلب الرابع: المقصود بـ ﴿خَاوِيَةٌ﴾ الواردة في الكهف والحج والنمل

#### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷻ: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 42]: «وقوله ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾

عَلَى عُرُوشِهَا﴾: يريد أنّ السقوف وقعت وهي العروش، ثم تهدمت الحيطان عليها، فهي خاوية»<sup>(2)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«فسّر ع رحمه الله لفظ خاوية في سورة الحج والنمل ب: "خالية"، و الأحسن أن تفسر هنا وفي الحج ب "ساقطة"، وأما التي في النمل، فيتجه أن تفسر ب "خالية" وب "ساقطة" قال الزبيدي في مختصر العين: خوت الدار باد أهلها، وخوت: تهدمت انتهى، وقال الجوهري في كتابه المسمى ب تاج اللغة وصحاح العربية: خوت النجوم خيا: أمحلت، وذلك إذا سقطت ولم تمطر في نوائها، وأخوت مثله، وخوت الدار خواء ممدودا: أقوت وكذلك إذا سقطت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ [النمل: 52]؛ أي: خالية، ويقال: ساقطة كما قال: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الحج: 45]؛ أي ساقطة على سقوفها. انتهى وهو تفسير بارع وبه أقول، وقد تقدم إيضاح هذا المعنى في سورة البقرة»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ الكشاف، الزمخشري، (4/ 397).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 519).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 528).

فسر ابن عطية قوله ﷺ من سورة الكهف: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 42]، بـ: ساقطة ووافق الثعالبي على ذلك، غير أنه تعقبه في تفسيرها في قوله تعالى من سورة الحج: ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الحج: 45] وفي قوله تعالى من سورة النمل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ [النمل: 52] بـ: خالية، ورأى أن تُفسر في الكهف والحج بـ: ساقطة، وفي النمل بحملها على المعنيين. ويظهر لي أن المسألة متعلقة بالمشترك اللفظي، وتمييز معناه يستدعي مراعاة السياق، والأمر يتطلب الرجوع لكتب التفسير للوقوف على مسلك العلماء في ذلك، وستكون الدراسة بالاعتماد على الآيات التي أشار إليها الثعالبي، باستثناء آية الكهف إذ هي محل اتفاق بين ابن عطية والثعالبي، وقبل التطرق لذلك ينبغي الرجوع إلى تفسير ابن عطية للوقوف على تفسيره للمواضع التي أشار إليها الثعالبي، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً- نقلُ كلام ابن عطية في تفسيره لخواية الواردة في سورة الحج والنمل:

— أما الشاهد من سورة الحج فقوله ﷺ: ﴿فَكَأَنَّ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيْهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيْدٍ﴾ [45] [الحج] فسرها بقوله: «معناه خالية ومنه خوى النجم إذا خلا من النور، ونحوه ساقطة على عُرُوشِهَا، والعروش السقوف والمعنى أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها فهي على العروش»<sup>(1)</sup>. ويلاحظ أن ابن عطية في هذا الموضع جمع بين: خاوية وساقطة.

— وأما الشاهد من سورة النمل فقوله ﷺ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [52] [النمل]، فسرها ابن عطية بقوله: «ومعناها خالية قفرا»<sup>(2)</sup>.

ثانياً- التحقيق في تفسير خواية من قوله ﷺ: ﴿فَكَأَنَّ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيْهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيْدٍ﴾ [45] [الحج]:  
بتتبع كتب التفسير اتضح أن أقوالهم تعددت، وإليك بيان ذلك:

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (4/ 126).

(2) — المصدر نفسه، (4/ 265).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

### القول الأول: أنها بمعنى ساقطة

عزاه الواحدي لابن عباس رضي الله عنه والربيع والضحاك<sup>(1)</sup>، وقال به مقاتل والسمرقندي والثعلبي والكرماني والبغوي والنسفي والهازم وسراج الدين الدمشقي ومجير الدين المقدسي والشوكاني والقاسمي وابن عاشور والشنقيطي واعتبره الأظهر<sup>(2)</sup>.

### ومن أهم ما استندوا إليه:

أ\_ أنّ العروش معناه السقوف، وخاوية متعلقة بذلك فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها؛ أي خرت سقوفها على الأرض، ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف<sup>(3)</sup>.

ب\_ معنى الخاوية الساقطة، ومنه قولهم: خوى النجم إذا سقط<sup>(4)</sup>. ومنه قول الخنساء:

كَانَ أَبُو حَسَّانَ عَرَشًا حَوَى ... مِمَّا بَنَاهُ الدَّهْرُ دَانَ ظَلِيلٍ<sup>(5)-(6)</sup>.

### القول الثاني: أنها بمعنى خالية.

نقل يحيى بن سلام عن قتادة قال: ليس فيها أحد، قد هلك أهلها<sup>(7)</sup>، ومعنى كلامه هذا أنه يفسرها بخالية.

- (1) \_ ينظر: التفسير البسيط، أبو حيان، (382 /4).
- (2) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (131/3). بحر العلوم، السمرقندي، (2 /463). الكشف والبيان، الثعلبي، (7/26). غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني (ت: 505هـ)، ت: يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، د، ت، ط، (2/762). معالم التنزيل، الغوي، (3/344). مدارك التنزيل، النسفي، (2/445). لباب التأويل، الهازم، (3/259). اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (14/108). فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين المقدسي، = ت: نور الدين طالب، دار النوادر، السعودية، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م. (4/179). فتح القدير، الشوكاني، (3/543). محاسن التأويل، القاسمي، (7/251). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (17/286). أضواء البيان، الشنقيطي، (5/270).
- (3) \_ الكشف، الزمخشري، (3/161).
- (4) \_ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (5) \_ أورده الخليل في كتاب العين باللفظ السابق، وكذلك صاحب تهذيب اللغة، وجاء في ديوان الخنساء هوى بدل خوى. ينظر: العين، الفراهيدي، (1/249). تهذيب اللغة، الأزهرى، (7/251). ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، د، ت، ط، (ص:115).
- (6) \_ ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت: 1393هـ)، دار الفكر بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م، (5/270).
- (7) \_ تفسير يحيى بن سلام (ت: 200هـ)، ت: هند شلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م، (1/382).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

وبذلك فسرها الماتريدي والنحاس<sup>(1)</sup>.

ومن أهم ما استند إليه بعض من ذهب لهذا القول:

— أنّ خاوي في اللّغة أي خالي، من خَوَتِ المرأةُ وَخَوِيَتْ أَيضًا خَوِيٌّ، إذا خلا جوفُها عند الولادة، فهي خاوية، وخوى المنزل، إذا خلا من أهله، على معنى أنها خالية<sup>(2)</sup>.

القول الثالث: الجمع بين المعنيين.

من ذهب إلى ذلك الطبري، حيث فسّرها بقوله: «فباد أهلها وخلت وخوت من سكانها، فخربت وتداعت، وتساقطت على عروشها؛ يعني على بنائها وسقوفها»<sup>(3)</sup>. وإليه ذهب الزجاج و مكّي بن أبي طالب وابن عطية<sup>(4)</sup>، والسمعاني حيث قال: «أي: ساقطة على سقوفها، والخواوية في اللغة هي الخالية، وذكر الخاوية هاهنا؛ لأن الدور إذا سقطت خلت عن أهلها»<sup>(5)</sup>.

والذين جمعوا بين معنى خالية وساقطة استندوا إلى المعنى؛ فبعد سقوط سقوفها لا شك أنها خوت من أهلها. يقال للبيت إذا سقط وتهدم: خوي، لأنه بتهدمه يخلو من أهله، وكذلك خوت النجوم وأخوت؛ إذا سقطت ولم تمطر، لأنها خلت من المطر<sup>(6)</sup>.

من خلال ما سبق يتضح أنّ تفسير خاوية الواردة في سورة الحجّ بـ: ساقطة هو قول الأكثر، وإليه ذهب الثعالبي.

ثالثاً\_ تفسير خاوية في قوله ﷻ: ﴿فَتَلَك بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ **إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴿52﴾ [النمل]:

تعددت عبارات المفسرين في تفسير لفظ خاوية في هذه الآية، على النحو التالي:

- (1) — ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (428/7). معاني القرآن، النحاس، (420/4).
- (2) — الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمداني (ت: 643 هـ)، ت: محمد الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، السعودية، ط: 1، 1427 هـ – 2006 م، (4/566).
- (3) — جامع البيان، الطبري، (18/652).
- (4) — ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (432/3). الهداية في بلوغ النهاية، مكّي، (4906/7). المحرر الوجيز، ابن عطية، (126/4).
- (5) — تفسير القرآن، السمعاني، (3/444).
- (6) — ينظر: التفسير البسيط، أبو حيان، (4/382).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

القول الأول: بمعنى خالية.

وممن قال بذلك الطبري وابن أبي زمنين والثعلبي ومكي بن أبي طالب والسمعاني والبغوي وابن كثير ومجير الدين المقدسي والطاهر بن عاشور حيث يرى أن البيوت باق بعضها في الجبال لا ساكن بها<sup>(1)</sup>.

القول الثاني: بمعنى ساقطة.

ساق ابن أبي حاتم بسنده عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «والخاوية سقوط أعلاها على أسافلها»<sup>(2)</sup>.

القول الثالث: الجمع بين المعنيين.

فسرها مقاتل بأنها خربة ليس فيها سكان؛ ويقصد بخربة أي ساقطة، وبقوله ليس فيها سكان أي خالية، وبهذا فسرها الواحدي، ونقل الكرمانى المعنيين، وكذلك البيضاوي والنسفي والثعالبي والإيجي وابن عجيبة والمظهري والقاسمي والسعدي<sup>(3)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي استعرضته يظهر ما يلي:

1\_ الموضوع الذي أشار إليه الثعالبي من سورة الحج؛ بأن ابن عطية فسره بـ "خالية" غير صحيح حسبما ظهر لي من كلام ابن عطية، حيث جمع فيه بين المعنيين؛ أي: ساقطة وخاوية.

- 
- (1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (480/19). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (3/306). تفسير ابن فورك، تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك (ك: 406هـ)، ت: علاء عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1430 - 2009 م، (310/1). الكشف والبيان، الثعلبي، (217/7). الهداية في بلوغ النهاية، مكي، (5449/8). تفسير القرآن، السمعاني، (106/4). معالم التنزيل، البغوي، (510/3). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (200/6) فتح الرحمان في تفسير القرآن، المقدسي، (148/5). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (285/19).
- (2) \_ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، رقم: 16483، (9/2903).
- (3) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (312/3) التفسير الوسيط، أبو حيان، (381/3) غرائب التفسير، الكرمانى، (855/2). أنوار التنزيل، البيضاوي، (163/4). مدارك التنزيل، النسفي، (612/2). الجواهر الحسان، الثعالبي، (528/2). جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن الإيجي (المتوفى: 905هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1424 هـ - 2004 م، (223/3). البحر المديد، ابن عجيبة، (203/4). تفسير المظهري، المظهري، (123/7). محاسن التأويل، القاسمي، (497/7)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ت: 1376هـ). ت: عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م، (ص: 606).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

2\_ الذي ذهب إليه الثعالبي من تفسيرها ب "ساقطة" في سورة الحجّ هو الذي عليه الأكثر وهو الظاهر من سياق الآية.

3\_ وأما الموضوع من سورة النمل، فيتّجه أن يُفسر بـ "خاوية"، والدليل على ذلك الحس والمشاهدة ؛ إذ ما زالت بعض منازل قوم ثمود في مدائن صالح شاهدة على قوّتهم، وكيف نحتوا في الصخور بيوتا لهم، ومع ذلك أهلكتهم الله، فأضحت تلك المساكن خالية قفرا \_ والله أعلم \_.

وفي نهاية هذا المبحث يظهر أنّ الثعالبي وُفق في غالب ما تعقّب فيه ابن عطية في مسألة الوجوه والنظائر وعادات القرآن، وقد اعتمد في ذلك على الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية، وقد يكتفي بإيراد بعضها ويشير إلى وجود نظيراتها، سالكا في ذلك مسلك الاختصار، كما اعتمد على الاستشهاد بالسنة وكلام بعض أئمة اللغة، واهتم بالسياق، وهذا ما يظهر شخصية الثعالبي وما أُوتي من ثقافة تفسيرية تدل على استيفائه لشروط المفسر.



### المبحث الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوحِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ

مما تعقبه الثعالبي على ابن عطية من مباحث علوم القرآن قضيتان مهمتان، تتعلق الأولى بالناسخ والمنسوخ، وأما الثانية فبإعجاز القرآن، وهما مبحثان دقيقان يحتاجان إلى علم واطلاع، وقد آثرت أن أجمع بينهما في مبحث واحد لأن عدد التعقبات فيهما محدود جدا، إذ لم يتعد مثلا واحدا على كل قضية، وسأفرد كل مسألة بمطلب على النحو التالي:

المطلب الأول: هل قوله ﷺ: ﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: 80] منسوخ بآية المنافقون؟

قول ابن عطية:

«﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ المعنى: أن الله خير نبيه في هذا، فكأنه قال له: إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت لا تستغفر، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم، وإن استغفر سبعين مرة، وهذا هو الصحيح في تأويل الآية، لقول النبي ﷺ لعمر: «إن الله قد خيرني فاخترت، ولو علمت أني إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت...»<sup>(1)</sup>، وظاهر لفظ الحديث رفض إلزام دليل الخطاب، وظاهر صلاته ﷺ على ابن أبي أن كفره لم يكن يقينا عنده، ومُحال أن يصلي على كافر، ولكنه راعى ظواهره من الإقرار ووكل سريره إلى الله عز وجل، وعلى هذا كان ستر المنافقين، وإذا ترتب كما قلنا التخيير في هذه الآية، صحَّ أن ذلك التخيير هو الذي نُسخ بقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(2)</sup> [المنافقون].»

تعقيب الثعالبي:

«ت: والظاهر أن الآيتين بمعنى، فلا نسخ، فتأمله، ولولا الإطالة لأوضحت ذلك»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ سيأتي ذكر الحديث كاملا مع تخريجه.

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (64/3).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (193 /2).

فهم ابن عطية من الآية التخيير واستند في ذلك إلى ما ورد في الصحيح، ثم أوضح أنّ التخيير قد نسخ بآية "المنافقون"، فتعقبه الثعالبي بردّ ذلك معتمدا على ظاهر الآيتين، حيث فهم أنّهما بمعنى واحد، وخشية الإطالة منعه من إيضاح ما ذهب إليه. والمُلاحظ أنّ تعقب الثعالبي ينصب حول ادعاء النسخ، فهو يرى أنّ معنى الآيتين واحد، غير أنّه لم يبيّن هذا المعنى المشترك، هل هو من قبيل ما قرره ابن عطية في آية "التوبة" أنّها على التخيير فيكون معنى آية المنافقون على التخيير أيضا؟ أم من قبيل ما قرره ابن عطية في آية "المنافقون" أنّها جاءت للنهي عن الاستغفار، فتكون آية "التوبة" بنفس المعنى؟ ويظهر لي أنّه ينبغي بداية بيان المعنى الذي يراه الثعالبي مشتركا بين الآيتين، ثم بيان موقف أهل العلم؛ هل هما بمعنى واحد، وهل نُسخت آية "التوبة" بآية "المنافقون"؟

### أولا\_ التحقيق في المعنى المشترك بين الآيتين عند الثعالبي:

الوقوف على مقصد الثعالبي يستدعي التأمل في تعقبه، إضافة إلى بيان المعنى الذي قرره عند تفسير آية "المنافقون". فبالتأمل في تعقبه يظهر أنّه لم ينتقد ابن عطية في إقراره لمعنى التخيير في آية "التوبة"، وإنّما في حمله لآية "المنافقون" على النهي والاعتماد عليه لتقرير النسخ، لذلك يغلب من هذه الناحية أنّ المعنى المشترك بين الآيتين عند الثعالبي إنّما هو التخيير.

وأما إذا رجعنا إلى آية "المنافقون" فنجد أنّ الثعالبي نقل عن ابن عطية أنّها جاءت للنهي عن الاستغفار، وأنّ آية "التوبة" جاءت للتخيير، ولم يتعقبه في ذلك، وهذا ما يجعل المعنى الذي يراه مشتركا بين الآيتين غير واضح، غير أنّ الذي أميل إليه أنّ المعنى الذي قصده إنّما هو التخيير، لأنّه لم ينتقد ابن عطية في تقريره لذلك في هذا الموضوع، كما أنّ طريقة الثعالبي قائمة على تعظيم ما ورد في الصحيحين وتقديمه على غيرهما، وبذلك يبيّن أنّ يُخالف حمل آية "التوبة" على التخيير، لورود حديث عمر رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري، وقد ساقه الثعالبي.

### ثانيا\_ بيان موقف العلماء من الآيتين وهل نُسخت آية "التوبة" بآية "المنافقون"؟

بالتبع لما أورده أهل العلم في المسألة، اتّضح أنّها محل أخذ وردّ، وفيما يلي بيان ذلك:

### القول الأول: أنّ آية التوبة جاءت على التخيير ثمّ نُسخت بآية "المنافقون".

ومعنى ذلك: إنّ شئت فاستغفر لهم أو لا تستغفر لهم، ثمّ جاء النهي عن الاستغفار في آية "المنافقون"، وهذا

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

القول عزاه السمرقندي لقتادة ومجاهد، والتعلي للضحاك، وصرح بالنسخ مقاتل والمقري<sup>(1)</sup> وابن حزم وابن عطية وابن العربي<sup>(2)</sup>.

ومّا احتجوا به:

أ \_ حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، دُعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي، وقد قال يوم كذا: كذا وكذا، قال: أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أخّر عني يا عمر»، فلما أكثرت عليه قال: «إني خيّرت فاخترت، لو أعلم أيّ إن زدت على السبعين يُغفر له لزدت عليها»، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً، حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِ وَلَا نَفْسٌ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 84]، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ورسوله أعلم<sup>(3)</sup>. ووجه الاستدلال بهذا الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم فهم من أنّ (أو) في التوبة للتخيير، ثم جاءت الآيات الموالية في التوبة فهتته عن ذلك، وآية "المنافقون" تضمنت الإيأس وهو ممّا يصاد التخيير فينسخه<sup>(4)</sup>.

(1) \_ هو: هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم الضرير المقرئ المفسر النحوي البغدادي، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن والنحو والعربية، وكانت له حلقة في جامع المنصور ببغداد. سمع من أبي بكر ابن مالك القطيعي وغيره، وقرأ عليه أبو الحسن علي بن القاسم الطابثي. وصنف: كتاب الناسخ والمنسوخ. والمسائل المثورة في النحو والتفسير. توفي سنة: (410هـ). إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (ت: 626هـ)، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1414 هـ - 1993 م، (6/ 2771).

(2) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 77). الكشف والبيان، الثعالبي، (5/ 77). تفسير مقاتل، وقاتل، (2/ 187). الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم المقري (ت: 410هـ)، ت: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 1، 1404 هـ، (ص: 75). الناسخ والمنسوخ، ابن حزم الأندلسي، (ت: 456هـ)، ت: عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1406 هـ - 1986 م، (ص: 40). المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 64). الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو بكر بن العربي، ت: عبد الكبير المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، 1413 هـ، 1992 م، (2/ 258).

(3) \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ

تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: 80]، رقم: (4671)، (6/ 68).

(4) \_ ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن العربي، (2/ 258).

ب\_ كما احتجوا بما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة] فقال: «لأزيدن على السبعين فنسختها: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [المنافقون]»<sup>(1)</sup>.

- وتُعقب بأنه خلاف ما جاء في حديث عمر رضي الله عنه؛ حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: «لو أعلم أنّي إن زدت على السبعين يُغفر له لزدت عليها»، وروي هنا أنه قال: «لأزيدن على السبعين»<sup>(2)</sup>.
- كما تُعقب القول بأنّ آية "المنافقون" نزلت بعد "التوبة" بأنّ فيه نظر؛ لأنّ سورة المنافقون نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة<sup>(3)</sup>.

#### القول الثاني: أنّ الآيتين بمعنى واحد ولا وجود للنسخ.

وفي توجيه المعنى المشترك وقع خلاف، حيث ذكر بعضهم أنّ آية "التوبة" خرجت مخرج الشرط المتضمن للنهي، وهذا ما عزاها ابن الفرس للطبري<sup>(4)</sup>، ولم أقف عليه من كلامه. بينما ذهب البعض إلى القول بأنّها خرجت مخرج الشرط والإخبار دون أن تتضمن نهيًا؛ أي بمعنى لو استغفر لكم رسول الله ما عُفِرَ لكم. وممن قرّر ذلك السمعاني حيث قال عند تفسير آية "المنافقون": «ومعناه: أنّ استغفاركم لهم لا ينفعهم، وعندهم أنّ وجوده وتركه واحد. فإن قيل: كيف استغفر لهم رسول الله وقد علم أنّهم منافقون؟ والجواب: أنه كان يستغفر لهم لأنهم كانوا يأتون يطلبون الاستغفار، ويسألون منه الصفح والعفو، مثل ما ذكرنا في سورة التوبة، ولم يكن ينفعهم؛ لأنهم كانوا كفارًا عند الله»<sup>(5)</sup>. وذهب إلى هذا ابن الجوزي واعتبره قول

(1) \_ أخرجهُ النَّحَّاسُ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، (ص: 525) (ت: مُحَمَّدُ عَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّدٌ، مَكْتَبَةُ الْفَلَاحِ، الْكُوَيْتِ، ط: 1، 1408هـ)، عَنْ جَوَيْبِرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، وَجَوَيْبِرٌ هُوَ بَنُ سَعِيدِ الْأَزْدِيِّ، ضَعَّفَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ وَالدَّارِقُطِيُّ: مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، يَنْظُرُ: تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ، ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ (ت: 852هـ)، مَطْبَعَةُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ، الْهِنْدِ، ط: 1، 1326هـ، (2/ 123).

(2) \_ يَنْظُرُ: أَحْكَامُ الْقُرْآنِ، بَنُ الْفَرَسِ، (3/ 188).

(3) \_ يَنْظُرُ: التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ، ابْنُ جَزِيٍّ، (2/ 379).

(4) \_ يَنْظُرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، (3/ 187).

(5) \_ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ، السَّمْعَانِيُّ، (5/ 443).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

المحققين، وذكر ابن الفرس أنّ كثيرا من العلماء لا يرون نسخا في الآيتين، وضعّف ابن نور الدين<sup>(1)</sup> القول بالنسخ وعدّ الآيتين تحملا بمعنى التخيير، واختاره الثعالبي<sup>(2)</sup>.

وقرر رشيد رضا وابن عاشور أنّ الآيتين بمعنى واحد يدل على الإخبار بعدم مغفرة الله لهم، غير أنّ آية "التوبة" فيها زيادة تأكيد، واحتجوا على ذلك بما يلي:

أ\_ أنّ آية "المنافقون" كانت قبل آية "التوبة"، وأنّ هذه الأخيرة جاء فيها زيادة تأكيد بذكر السبعين مرّة، والتصريح بأنّ سبب عدم المغفرة هو الكفر، وهذا ما يقتضي عدم وجود النسخ بينهما<sup>(3)</sup>.

ب\_ أنّ الجمع بين الروايات الواردة في سبب النزول يقتضي القول أنّ آية "التوبة" جاءت مؤكدة لآية "المنافقون"<sup>(4)</sup>.

وقد وجّه أصحاب هذا القول استغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم رغم كفرهم بما يلي:

أ\_ أنّ ذلك من باب رحمته ورأفته على من بُعث إليه، كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم:36]، وفي إظهاره للرفقة والرحمة لطف لأئمته ودعاء لهم إلى أن يرحم بعضهم على بعض<sup>(5)</sup>.

ب\_ أنّه استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام، ولا يجوز أن يقال: علم كفرهم ثم استغفر<sup>(6)</sup>.

(1) \_ هو: محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب، أبو عبد الله، الشهير بابن نور الدين، ويعرف بالموزعي، نسبة إلى (موزع) قرية كبيرة باليمن على طريق الحاج من عدن، مفسر، عالم بالأصول، له تيسير البيان لأحكام القرآن، توفي سنة (820هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، (6/287).

(2) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (2/284). أحكام القرآن، بن الفرس، (3/188). تيسير البيان لأحكام القرآن محمد بن نور الدين (ت: 825 هـ)، ت: عبد المعين الحرش، دار النوادر، سوريا، ط:1، 1433 هـ - 2012 م، (3/362). الجواهر الحسان، الثعالبي، (3/202).

(3) \_ ينظر: تفسير المنار، رشيد رضا، (10/488).

(4) \_ ينظر: التحرير والتنوير، ابن عطية، (10/276).

(5) \_ ينظر: الكشاف، الزمخشري، (2/296).

(6) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (2/285).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

ج \_ أنه استغفر لهم رجاء أن يهديهم الله ﷻ فيتوب عليهم ويغفر لهم، كما كان يدعو للمشركين كلما اشتد إيذاؤهم له ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (1) - (2).

### الخلاصة:

بعد الذي سقته يظهر لي ما يلي:

1\_ آية "التوبة" تحقق فيها معنى التخيير بنص الحديث الوارد عن النبي ﷺ، وهو تفسير منه لمعنى الآية، ومن قواعد الترجيح المقررة: " أن تفسير النبي ﷺ مقدم على غيره".

2\_ تضمنت آية "التوبة" الإخبار بعدم مغفرة الله ﷻ للمنافقين وإن استغفر لهم النبي ﷺ، كما أنّها تضمنت التخيير ولا تنافي بينهما، والأمر نفسه يقال في آية "المنافقون"، حيث صرّحت بالتسوية بين استغفار النبي ﷺ من عدمه، وهذا ما يتضمن الإخبار، ولا يصح أن يقال: إنّها تضمنت النهي عن ذلك، كما لا يصح أن يقال: إنّ قوله ﷻ: ﴿ وَسَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْ أَدْرَأَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ كَذِبًا وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [يس] تضمن النهي عن تبليغ هؤلاء ودعوتهم.

3\_ لا يوجد دليل صريح يُرجع إليه في إثبات النسخ، وما ورد عن ابن عباس ﷺ من تصريح بذلك ضعيف سندا وممتنا؛ حيث جاء من رواية جويبر عن الضحّاك، وجويبر ضعيف، كما أنّ هذه الرواية خالفت رواية البخاري.

4\_ تاريخ الآيتين غير ثابت، وقد أورد البعض نزول آية "المنافقون" بعد آية "التوبة".

ويجدر التنبيه أنّ الثعالبي وانطلاقاً من حمله للآيتين على معنى واحد، فإنّه بذلك يقرّر قاعدة:

"لا يصح النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صحّ التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه" (3).  
وبذلك يتضح أنّ ما ذهب إليه الثعالبي بأن لا نسخ في الآيتين هو الصواب، وهو قول جمهور المفسرين.

(1) \_ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، رقم: 3477، (4 / 176). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، رقم: 1792، (3 / 1417).

(2) \_ ينظر: تفسير المنار، رشيد رضا، (10 / 488).

(3) \_ للوقوف على القاعدة ينظر: دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي \_ دراسة نظرية تطبيقية، عبد الله بن عبد الرحمن الرومي، دار التدمرية، السعودية، ط: 1، 1431هـ، 2010م، (1 / 264).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

المطلب الثاني: بأي شيء وقع التحدي في القرآن؟

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلُوبًا فَآتَانَا سُورَةً مِثْلَهُ وَادْعُوا مِنَّا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ** ﴾

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلُوبًا فَآتَانَا سُورَةً مِثْلَهُ وَادْعُوا مِنَّا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ** ﴾ [يونس]: «والتحدي في هذه الآية وقع بجهتي الإعجاز اللتين في القرآن: إحداهما النظم والرصف والإيجاز والجزالة، كل ذلك في التعريف بالحقائق، والأخرى المعاني من الغيب لما مضى ولما يستقبل، وحين تحداهم بعشر مفتريات إنما تحداهم بالنظم وحده. قال القاضي أبو محمد: هكذا قول جماعة من المتكلمين، وفيه عندي نظر، وكيف يجيء التحدي بمماثلة في الغيوب ردا على قولهم افتراه، وما وقع التحدي في الآيتين هذه وآية العشر السور إلا بالنظم والرصف والإيجاز في التعريف بالحقائق، وما ألزموا قط إتيانا بغيب»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: والصواب ما تقدم للجمهور، وإليه رجع في سورة هود وأوجه إعجاز القرآن أكثر من هذا وانظر الشفا»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

أورد ابن عطية قول من ذكر أن التحدي في هذه الآيتين راجع إلى النظم والإتيان بالغيب ونسب ذلك لجماعة من المتكلمين، وردّ عليهم بأن التحدي بالغيب ليس مقصودا هنا وحتى في الآيات الواردة في سورة هود، وهي قوله ﷺ: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلُوبًا فَآتَانَا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنَّا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ** ﴾ [هود] وقصر التحدي على النظم، فتعقبه الثعالبي بأن الصحيح ما تقدم ونسب ذلك للجمهور، موضحا أنّ ابن عطية قد أقرّ ذلك في سورة هود، مؤكدا أنّ أوجه الإعجاز أكثر من هذا، محيلا إلى كتاب الشفا للقاضي عياض. وبعد الذي استعرضته يتعين علي أن أفصل هذه المسألة من جانبين:

الأول \_ هل ابن عطية قرر في سورة هود خلاف ما قرره في هذا الموطن كما قال الثعالبي؟

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 120).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 239).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

الثاني\_ التحقق مما انتقده ابن عطية وتعقبه عليه الثعالبي؛ أهو قول جماعة من المتكلمين كما قال الأول، أم هو قول الجمهور كما قال المتعقب؟ وإليك بيان ذلك:

أولا \_ هل قرّر ابن عطية في سورة هود خلاف ما قرّره في هذا الموطن كما قال الثعالبي؟:

للتحقّق من صحة إيراد الثعالبي في هذا الجانب ينبغي الوقوف على كلام ابن عطية الذي أورده عند تفسير

قوله ﷺ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَبَهُ قُلٌّ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝۱۳ ﴾ [هود]، وهو كالتالي: «ووقع التحدي في هذه الآية بعشرٍ لأنّه قيدها بالافتراء، فوسّع

عليهم في القدر لتقوم الحجّة غاية القيام، إذ قد عجزهم في غير هذه الآية ﴿سُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23] دون تقييد، فهذه مماثلة تامة في غيوب القرآن ومعانيه الحجة، ونظمه ووعده ووعيدته، وعجزوا في هذه الآية بل قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر أمثاله في التقدير والغرض واحد، واجعلوه مفترى لا يبقى لكم إلاّ نظمه؛ فهذه غاية التوسعة وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر؛ لأنّ هذه إنما كانت تجيء معارضة سورة بسورة مفتراة ولا تبالي عن تقديم نزول هذه على هذه، ويؤيد هذا النظر أن التكليف في آية البقرة إنّما هو بسبب الريب، ولا يزيل الريب إلاّ العلم بأنهم لا يقدرّون على المماثلة التامة، وفي هذه الآية إنّما التكليف بسبب قولهم ﴿اقْتَرَبَهُ﴾ فكلفوا نحو ما قالوا: ولا يطرد هذا في آية يونس»<sup>(1)</sup>.

المُلاحظ أنّ ابن عطية قرّر أنّ المماثلة المطلوبة في التحدي بسورة من مثله إنّما هي في الغيب والنظم؛ لأن إزالة الشك لا تحصل إلاّ بالمماثلة، بخلاف التحدي بعشر سور مفتريات، فقد قصر الأمر على النظم، إذ لا يُنصّر أن يكون الكلام مختلفا ويطلب معه بيان الغيب والحقائق. هذا الكلام ساقه في بيان الفرق بين آية البقرة وآية هود، ثمّ استدرك ذلك بقوله: «ولا يطرد هذا في آية يونس»؛ وكأنّه بذلك يشير أنّ المماثلة المطلوبة في البقرة لا تطرد في آية يونس، لأنّ سياقها يوضّح أن التحدي جاء بعد وصفهم للقرآن بأنّه مفترى، وهذا ما يجعل كلامه غير واضح في مخالفته لما قرّره، فبالنظر إلى أصل المسألة وباعتبار نفيه أن يكون التحدي وقع بالغيب كما أورده في سورة هود يكون قد ناقض ما قرّره في هذا الموطن، خاصة وأنّه قال: «وما وقع التحدي في الآيتين هذه وآية العشر السور إلاّ بالنظم والرصف والإيجاز في التعريف بالحقائق». وغالب الظن أنّ المقصود بالآيتين؛ آية البقرة وآية يونس لدلالتهما على المماثلة. وهذا ما فهمه الثعالبي لذا بيّن أنّه قرّر خلاف ما انتقده.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 155).



## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

وإذا نظرنا إلى قوله \_ أي ابن عطية\_: «ولا يطرد هذا في آية يونس». فيمكن القول إنّه لم يُخالف ما أورده في سورة هود، لأنّ حديثه عن التفرقة بين التحدي الوارد في هود ويونس، وفي هذا الموطن بين البقرة وهود، وقد بين أنّ ما قرره في شأن البقرة لا يطرد في يونس.

ثانياً\_ هل ما انتقده ابن عطية ونسبه لجماعة من المتكلمين هو قول الجمهور كما ذكر الثعالبي ؟

الفصل في هذه المسألة يقتضي تتبع أقوال أهل التفسير وبيان موقفهم في أوجه التحدي، والمسألة حسبما وقفت عليه ترجع إلى أقوال منها:

**القول الأول:** أنّ التحدي إنما وقع من جهة البلاغة والنظم.

قاله الزمخشري وابن عطية وعزاه للأكثر ولحذاق أهل النظر، واعتبره ابن الفرس الصحيح عند المتأخرين من أهل السنّة، ورجّحه الرازي، وإليه ذهب البيضاوي والنسفي والخازن والطبي وأبو حيان وابن عادل واعتبره قول الأكثر<sup>(1)</sup>.

ومّا احتجّوا به:

\_ أنه لو كان إعجازه هو كثرة العلوم، أو الإخبار عن الغيوب، أو عدم التناقض لم يكن لقوله: «مفتريات» معنى، أمّا إذا كان وجه الإعجاز هو الفصاحة صحّ ذلك، لأنّ فصاحة الفصيح تظهر بالكلام، سواء كان الكلام صدقاً أو كذباً<sup>(2)</sup>.

**القول الثاني:** أنّ التحدي وقع من جهة حسن النظم والإخبار عن الغيب.

قاله الواحدي<sup>(3)</sup>.

(1) \_ الكشاف، الزمخشري، (347/2). المحرر الوجيز، ابن عطية، (106 /1). (120/3). أحكام القرآن، ابن الفرس، (1/42). مفاتيح الغيب، الرازي، (325 /17). أنوار التنزيل، البيضاوي، (114/3)، مدارك التنزيل، النسفي، (22/2) لباب التأويل، الخازن، (444/2) حاشية الطبي على الكشاف، الطبي، (488/7). البحر المحيط، أبو حيان، (58/6). اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (449 /10).

(2) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (325 /17).

(3) \_ ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (238 /2).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالي على ابن عطية في علوم القرآن

القول الثالث: أن التحدي بسورة مثله تضمن النظم والإخبار عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد وأما في هود فمن جهة البلاغة والنظم.

عزاه السمعاني للمبرد واختاره، وذكره البغوي دون أن يذكر وجها آخر مما يُشعر أنه اختياره<sup>(1)</sup>.

وحجّتهم في ذلك:

— أن سورة يونس نزلت فتحداهم الله ﷻ بقوله: ﴿قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: 38]؛ يعني مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، فعجزوا، فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثل القرآن في أخباره وأحكامه ووعدته ووعيده فأتوا بعشر سور مثله مفتريات؛ يعني: مختلفات من غير خبر عن غيب ولا حكم ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة<sup>(2)</sup>.

القول الرابع: أن التحدي وقع من وجوه الإعجاز الكثيرة.

وهو ما يفهم من كلام ابن كثير، وقد نسبه الزركشي لأهل التحقيق<sup>(3)</sup>.

ومّا احتجّوا به:

— أن القرآن جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

بعد عرض بعض الأقوال المتعلقة بوجه التحدي في القرآن، يظهر لي تشعب هذه المسألة وكثرة الأقوال الواردة فيها، وأسعدها بالحجّة ما تعلق بالنظم والفصاحة، وهو ما اختاره ابن عطية، وأمّا القول بوقوع التحدي بالغيب فبعيد وذلك لما يلي:

1\_ التحدي بفصاحته ونظمه يكاد يكون وجها مشتركا بين جميع الأقوال، وعليه الأكثر.

(1) — ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (417/2)، معالم التنزيل، البغوي، (441/2).

(2) — ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (417/2).

(3) — ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (269/4). البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (106/2).

(4) — ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (106/2).

## الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن

2\_ العرب إنما عُرفوا بالفصاحة فناسب أن يكون التحدي من جنس ما برعوا فيه؛ ليتحقق عجزهم، أما الإخبار بالغيب فتكليف بما لا يُستطاع.

3\_ القول بأن الوجه المتحدى به هو الغيب يعترضه كون بعض السور لم يرد فيها ذكر للغيب، ومعلوم أن الله ﷻ تحدى هؤلاء بأن يأتوا بسورة من مثله.

ويجدر التنبيه أن دلائل صدق القرآن كثيرة، وهو ما يصطلح عليه كثير من العلماء أوجه الإعجاز، ويدخلون فيه أنواعا عديدة؛ كالغيبى والتشريعي والعلمي... والوجه الذي وقع به التحدي هو النظم والفصاحة كما تقدم تقريره، ويبقى الإشكال في إطلاق لفظ الإعجاز على غيره من الدلائل؛ إذ أن لفظ الإعجاز يتضمن وجود التحدي والسلامة من المعارضة، لذا فإطلاقه على تلك الأوجه إنما هو من باب التجوُّز \_ والله أعلم \_

في نهاية هذا المبحث يظهر أن الثعالبي وانطلاقا من نفيه للنسخ في المسألة الأولى التي تعقب فيها ابن عطية قد وافق بذلك قول المحققين، وقرّر قاعدة " لا يصح النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه"، كما يتّضح منهجه القائم على الاختصار في اكتفائه بإيراده لموقفه دون البسط في ذكر الأدلة معللا ذلك بحشية الإطالة. وفي المسألة الثانية يظهر خطأه في نسبة ما ذهب إليه للجمهور، كما يبرز موقفه من أوجه الإعجاز التي تضمّنها القرآن حيث يرى أنها تشمل كل دلائل صدقه.

**وخلاصة هذا الفصل أن الثعالبي تعقب ابن عطية فيما له علاقة بأسباب النزول في ثلاثة مسائل وُفق في أغلبها، وقد اعتمد على أقوال أهل الاختصاص، كما استشهد بالصححين. وتعقب ابن عطية في مسألتين لهما صلة بالقراءات، حيث اعتمد قاعدة "القراءة سنة متبعة فإذا ثبتت لا يجوز ردّها" وصرّح بذلك، كما اتضحت دقته في استعمال العبارات. وقد وُفق في غالب ما تعقب فيه ابن عطية في مسألة الوجوه والنظائر وعادات القرآن، واستشهد ببعض الآيات مع الإشارة إلى وجود نظيراتها، كما اعتمد على السنة النبوية وكلام بعض أئمة اللغة، واهتم بالسياق، وهذا ما يُظهر شخصيته وما أُوتي من ثقافة تفسيرية تدل على استيفائه لشروط المفسر. وقد وافق قول المحققين في نفيه النسخ بين آبي " التوبة" و"المنافقون"، وقرّر قاعدة "لا يصح النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه"، كما اتضح منهجه القائم على الاختصار. وهو يرى أن جميع دلائل صدق القرآن الكريم تعتبر أوجها للإعجاز وبذلك وقع التحدي، وقد أخطأ في نسبة هذا القول للجمهور.**

## الفصل الثالث

تعقبات الثعالبي على ابن عطية

في التفسير

يتناول هذا الفصل التعقبات المتعلقة بالتفسير، وقد تضمن أربعة مباحث، روعي فيها تقسيم النبي ﷺ للقرآن، وفيما يلي تفصيل ذلك:

### المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من السبع الطوال

تعقب الثعالبي ابن عطية في تفسير بعض الآيات من السبع الطوال، ولم تشمل تعقباته جميع السور الخاصة بهذا القسم، ويأتي هذا المبحث ليكشف عن المسائل المتعقبة مع دراستها، وقد خصصت لكل مسألة مطلباً على النحو التالي:

المطلب الأول: المقصود من قوله ﷺ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة].

#### قول ابن عطية:

« [واختلف المتأولون في المقصود بهذه الآية]، فقال ابن عباس ﷺ: كان الأخبار يأمرون أتباعهم ومقلديهم بإتباع التوراة، وكانوا هم يخالفونها في جحدهم منها صفة محمد ﷺ، وقالت فرقة: كان الأخبار إذا استرشدتهم أحد من العرب في اتباع محمد ﷺ، دلّوه على ذلك، وهم لا يفعلونه» (1) - (2).

#### تعقيب الثعالبي:

«ت: وخرج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في كتاب رياضة المتعلمين، قال: حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن عبد الله بن علي بن زيد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار،

(1) \_ أورده الواحدي معلقاً في أسباب النزول (ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط: 2، 1412 هـ - 1992 م، (ص: 24)، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ، وهو إسناد هالك. ينظر: الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، (7/ 271). وأورده ابن حجر في كتابه العجائب في بيان الأسباب (ت: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي - السعودية، ط: 1، 1418 هـ - 1997 م) من طرق أخرى وسكت عنه.

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 136).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»<sup>(1)</sup>.

### الدراسة:

ذكر ابن عطية في المسألة أربعة أقوال كلها تدور حول أحبار بني إسرائيل بأنهم يأمرون بخلاف ما يفعلون، وقد أورد المختصر منها قولين، وتعقبها بذكر قول آخر لم يورده ابن عطية يُدخلُ به الخطباء من أمة النبي ﷺ ممن يأمرون بالمعروف ويخالفون ذلك، وعمدته الحديث السابق، ولم ينكر الثعالبي أنّ الآية تخاطب أحبار بني إسرائيل فالسياق يدل عليه، غير أنّ إيراد الحديث يدل أن الآية وإن كانت في بني إسرائيل، إلا أنّها عامة في كل من أمر بالمعروف وخالفه، والحديث الذي أورده الثعالبي رجاله رجال الصحيح غير علي بن زيد بن جدعان فهو ضعيف<sup>(2)</sup>، لكنه لم ينفرد به، فقد رواه ابن حبان من وجه آخر، عن الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن المنهال الضير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا هشام الدستوائي قال: حدثنا المغيرة ختن مالك بن دينار عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك ﷺ . وهذا الإسناد رجاله ثقات، والمغيرة هو ابن حبيب، قال البخاري في تاريخه: كان صدوقاً عدلاً<sup>(3)</sup>.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تبين أن أمة النبي ﷺ إذا وقعت فيما وقع فيه بنو إسرائيل شملهم العذاب، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»<sup>(4)</sup>.

وقد فهم المفسرون عدم تخصيص الآية ببني إسرائيل وإن نزلت فيهم، فعن ابن عباس ﷺ أن رجلاً سأله: إني أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، فقال: «إن لم تحش أن تُفتضح بثلاث آيات من كتاب الله ﷻ فأفعل؛ قوله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(44)</sup> [البقرة]،

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (76/1). والحديث تقدّم تحريجه. ينظر: (ص:105).

(2) \_ قال عنه ابن حجر: « علي ابن زيد ابن عبد الله ابن زهير ابن عبد الله ابن جدعان التيمي البصري، أصله حجازي وهو المعروف بعلي ابن زيد ابن جدعان، ينسب أبوه إلى جد جده، ضعيف من الرابعة، مات سنة إحدى وثلاثين وقيل قبلها». تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ط: 1، 1406 - 1986، (ص: 401).

(3) \_ تنبيه القارئ لتقوية ما ضعفه الألباني، عبد الله الدويش، دار العليان، بريدة، ط: 1، 1411 هـ - 1990 م، (ص: 21).

(4) \_ أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم: (2169)، (4/ 468)، وقال: « هذا حديث حسن».

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾ [الصف:2]، وقول شعيب: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَ كُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:88]»<sup>(1)</sup>، وقال ابن جريج: «أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس، فغيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة». وقال قتادة: «في هذه الآية دليل على أن من أمر بخير فليكن أشد الناس تسارعاً إليه، ومن نهى عن شر فليكن أشد الناس انتهاء عنه»<sup>(2)</sup>.

وذكر مكّي بن أبي طالب والسمعاني والبغوي والخازن الحديث الذي أورده الثعالبي بعد أن ذكروا أنّها نزلت في أحبار بني إسرائيل<sup>(3)</sup>.

وقال السعدي: «وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾ [الصف:2] كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾ [الصف:3]»<sup>(4)</sup>.

#### الخلاصة:

إيراد الثعالبي في محله فالآية يدخل فيها كل من أمر بخير ولم يفعله ومما يؤكد ذلك:

- 1\_ أنّ الكثير من أهل التفسير جعلوها عامة، وعلى رأس هؤلاء ابن عباس رضي الله عنه.
- 2\_ من القواعد المقررة "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، إلا إذا جاءت قرينة تخص ذلك.

3\_ أنّ الله عاتب أهل الإيمان ممن تزيّن بالأقوال دون الأفعال فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾ [الصف:3].

(1) \_ ينظر: الدرر المنتور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). دار الفكر - بيروت، د ت ط، (158/1). والأثر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد\_الرياض، ط:1، 1423 هـ - 2003 م)، رقم: 7162، (60 / 10).

(2) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (8/1).

(3) \_ ينظر: الهداية، مكّي، (252/1). تفسير القرآن، السمعاني، (73/1). معالم التنزيل، البغوي، (111/1). لباب التأويل، الخازن، (42/1).

(4) \_ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص:51).

المطلب الثاني: معنى قوله ﷺ: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: 146]

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: 146]: «والضمير في ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ عائد على الحق في القبلة والتحول بأمر الله إلى الكعبة، قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج والربيع، وقال قتادة أيضا ومجاهد وغيرهما: هو عائد على محمد ﷺ، أي: يعرفون صدقته ونبوته»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: بل وصفاته»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

من الأقوال التي أوردها ابن عطية في عود الضمير في قوله ﷺ: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ ما عناه لقتادة ومجاهد من أنه عائد على محمد ﷺ؛ لأنهم يعرفون صدقه ونبوته، فتعقبه الثعالبي بقوله بل وصفاته، وما ذكره الثعالبي قد دلّت عليه الآثار ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أَنَّ هَذِهِ آيَةُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (45) [الأحزاب]، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عمياً، وآذانا صماً، وقلوبنا غلفاً»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 224).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 145).

(3) \_ أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (8) [الفتح/9]، رقم: (4838)، (6/ 135).



وقال السمرقندي في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة:174]: «نزلت في رؤساء اليهود كانوا يرجون أن يكون النبي - ﷺ - منهم، فلما كان من غيرهم خشوا بأن تذهب منافعهم من السفلة، فعمدوا إلى صفة النبي ﷺ فغيروها» (1).

وعند تفسير قوله ﷺ: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:79] قال الواحدي: «يعني يغيرون صفة محمد رسول الله ﷺ في كتابهم» (2)، ثم ساق عن ابن عباس ﷺ قال: «أحبار اليهود وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل، أعين ربعة، حسن الوجه، فلما وجدوه في التوراة محوه حسدا وبغيا، فأتاهم نفر من قريش فقالوا: أتجدون في التوراة نبيا منا؟ قالوا: نعم، نجده طويلا أزرق سبط الشعر» (3)-(4).

### الخلاصة:

ما استدرك به الثعالبي على ابن عطية مما جاءت الأدلة في إثباته، والثعالبي بتعقبه أراد زيادة البيان، خاصة وأن معرفة صفة النبي ﷺ الموجودة في كتبهم مما يحملهم على تصديقه لو كانوا صادقين، لذلك اتبعه منهم من كان بهذا الوصف نظير ما تحققوا من صفاته التي وجدوها عندهم، كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنهما.

(1) \_ بحر العلوم، السمرقندي، (1/ 115).

(2) \_ التفسير الوسيط، الواحدي، (1/ 163).

(3) \_ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن عكرمة، رقم: 805، (1/ 154). وكذلك الواحدي في الوسيط، رقم: 37،

(1/ 163). وأخرجه المقدسي في المختارة، رقم: 123، (12/ 105)، وإسناده صحيح.

(4) \_ التفسير الوسيط، الواحدي، (1/ 163).

المطلب الثالث: معنى قوله ﷺ: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ [البقرة: 186]

### قول ابن عطية:

«قال قوم: المعنى أجيب إن شئت، وقال قوم: إن الله تعالى يجيب كل الدعاء: فإما أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفر عنه، وإما أن يدخر له أجر في الآخرة، وهذا بحسب حديث الموطأ: «ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث: إما أن يستجاب له، وإما أن يدخر له، وإما أن يكفر عنه» (1)» (2).

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وليس هذا باختلاف قول» (3).

### الدراسة:

ذكر ابن عطية في قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ عدّة أقوال، ومنها: أجيب إن شئت، ثم أورد قولاً آخر بأن الله يجيب كل الدعاء، والإجابة إما أن تظهر في الدنيا، أو يُكفّر بها عنه ذنوبه، أو يدخرها ليوم القيامة، فتعقبه الثعالبي بأن لا خلاف بين القولين. وللترجيح في المسألة سأورد ما وقفت عليه:

أولاً\_ صنيع السمعاني يشعر أنّه يرى أنّهما قولان، حيث ذكر أنّ قوله: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ فيه حذف تقديره أجيب دعوة الداع إن شئت، وهذا مثل قوله ﷺ: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: 41]، ثم قال: وقيل أنّه على حقيقة الإجابة. وذكر الحالات الثلاث الواردة في الحديث (4).

(1) \_ أوردته الإمام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم، باب ما جاء في الدعاء، رقم: 730، (2/ 303). قال ابن عبد البر في التمهيد: «ذكرنا هذا الخبر في كتابنا هذا وإن كان في رواية مالك من قول زيد بن أسلم، لأنه خبر محفوظ عن النبي ﷺ، ولأن مثله يستحيل أن يكون رأياً واجتهاداً، وإنما هو توقيف ومثله لا يقال بالرأي». ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر القرطبي (ت: 463هـ)، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387 هـ، (5/ 343).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 255).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 174).

(4) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (1/ 185).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

ثانياً\_ وقفت على أقوال بعض المفسرين ممن جعل القولين يؤولان إلى معنى واحد ساقه في مقابلة الأقوال الأخرى، ومن هؤلاء الثعالبي، فبعد أن بيّن بعض الأقوال في المسألة قال: « قال بعضهم: معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما، تقديرها أجيب دعوة الداعي إن شئت، وأجيب دعوة الداعي إذا وافق القضاء، وأجيب دعوة الداعي إذا لم يسأل محالا، وأجيب دعوة الداعي إذا كانت الإجابة له خيرا، يدلّ عليه ما روى أبو المتوكل عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وآله: «ما من مسلم دعا الله عزّ وجلّ بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن تعجلّ دعوته، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها» قالوا: يا رسول الله إذا يكثر قال: «الله أكثر»<sup>(1)</sup>-(2).

وكذلك فعل الرازي؛ حيث أورد القول بأن الاستجابة مرتبطة بمشيئة الله واستدل لذلك بقوله صلى الله عليه وآله: ﴿بَلِ آيَاتِهِ نَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [41] [الأنعام]، وأورد أن آية البقرة مطلقة وهذه مقيدة، والمطلق يحمل على المقيد، ثم بيّن أن تقرير معنى هذا القول من وجوه أورد منها ما تعلّق بالحالات الواردة في الحديث، وعلّق عليه بقوله: «وهذا الخبر تمام البيان في الكشف عن هذا السؤال، لأنه تعالى قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، ولم يقل: أستجب لكم في الحال، فإذا استجاب له ولو في الآخرة كان الوعد صدقا»<sup>(3)</sup>.

### الخلاصة:

الذي يظهر لي أن تعقيب الثعالبي في محلّه، وأنّ القولين يؤولان إلى معنى واحد، فليس بينهما اختلاف أو تضاد؛ إذ إنّ الله جلّ وعلا قد يمنح للعبد حاجته، وهذا قد يكون ناجزاً، وقد يكون بعد مدة، وقد يكون في الآخرة، وقد تكون الخيرة له في غيره، بما يكفر الله به عن ذنبه أو يدفع به البلاء وذلك كله لا يخرج عن مشيئة الله، فيصرف الأمر كما يشاء ولمن يشاء وفي الوقت الذي يشاء صلى الله عليه وآله \_ والله أعلم \_.

(1) \_ أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 11133، (17/ 213)، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده جيد».

(2) \_ الكشف والبيان، الثعالبي، (2/ 75).

(3) \_ مفاتيح الغيب، الرازي، (5/ 265).

المطلب الرابع: المخاطب بقوله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ﴾ [النساء: 146].

### قول ابن عطية:

«قال تعالى للمنافقين، ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ﴾ ، أي: أي منفعة له في ذلك أو حاجة»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«قال أبو عبد الله اللخمي: زعم الطبري أن قوله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ﴾ خطاب للمنافقين، ولا يكاد يقوم له على ذلك دليل يقطعه، وليس في ذكر المنافقين قبله ما يقتضي أن يحمل عليهم خاصة، مع احتمال الآية للعموم، فقطعه بأن الآية في المنافقين حكم لا يقوم به دليل. انتهى، وهو حسن إذ حمل الآية على العموم أحسن. والعجب من ع: كيف تبع الطبري في هذا التخصيص، ويظهر - والله أعلم - أنهما عوّلا في تخصيص الآية على قوله تعالى: ﴿ وَعَآمَنْتُمْ ﴾ وهو محتمل أن يحمل في حق المنافقين على ظاهره، وفي حق المؤمنين على معنى: «دمتم على إيمانكم». والله أعلم»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

ذكر ابن عطية أن الآية خطاب للمنافقين، فتعقبه الثعالبي بإيراده قول اللخمي في رده على الطبري الذي سبق ابن عطية إلى هذا القول، حيث بين أن لا دليل يقوم عليه، فينبغي أن تُحمل الآية على العموم لاحتماها ذلك وإن كان السياق في المنافقين، وقد حسن الثعالبي قوله وأبدى تعجبه من ابن عطية الذي تابع الطبري في هذا التخصيص، ثم أورد ما يراه قد استندا إليه وهو قوله تعالى: ﴿ وَعَآمَنْتُمْ ﴾ إذ يظهر أنه خطاب لمن لم يتحقق فيه هذا الوصف، لكن الثعالبي أوضح أنه يحمل في حق المنافقين على ظاهره وفي حق المؤمنين بمعنى دتم على إيمانكم، وأرجع العلم لله تعالى. وبتتبع المسألة وجدت أنها لا تخرج عن القولين السابقين وفيما يلي بيان ذلك:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 128).

(2) \_ الجواهر حسان، الثعالبي، (1/ 508).

القول الأول: الخطاب للمنافقين.

ينسب للكلبي<sup>(1)</sup>، وقال به الطبري والسمرقندي ومكي بن أبي طالب وابن عطية والقرطبي واختاره الطيبي في حاشيته على الزمخشري واعتبر النظم يقتضيه، وكذلك أبو حيان، وتبعهم في ذلك الألوسي وضعف من أجزاها في حق المؤمنين أيضا، وذكر رشيد رضا أن اتصالها بما سبق ظاهر<sup>(2)</sup>.

القول الثاني: حمل الآية على العموم.

وينسب لابن عباس رضي الله عنه؛ حيث جاء في رواية عطاء عنه قال: «ما يريد الله بعذاب خلقه»<sup>(3)</sup>. والخلق يراد به جميع الناس مؤمنهم وكافرهم. وأورد الثعالبي كلاما يفهم منه العموم حيث قال: «والله تعالى عزّ خلقه بفضله على أن تعذبه عباده لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على أفعالهم لا ينقص من سلطانه»<sup>(4)</sup>، وهو ما يفهم من كلام الرازي حيث أجرى الأمر على المكلفين، فيدخل في ذلك المؤمن والكافر<sup>(5)</sup>، وجوّز ابن عاشور حمل المعنى على المنافقين والمؤمنين إن هم ثبتوا على إيمانهم، حيث قال: «قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ﴾ تذييل لكلتا الجملتين؛ جملة: إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار، مع الجملة المتضمنة لاستثناء من يتوب منهم ويؤمن، وما تضمنته من التنويه بشأن المؤمنين من قوله: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:146]، والخطاب يجوز أن يراد به جميع الأمة، ويجوز أن يوجه إلى المنافقين على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ارتفاعا بهم؛ أريد به الجواب بالنفي فهو إنكاري، أي لا يفعل بعذابكم شيئا... والمعنى أنّ الوعيد الذي تُوعِد به المنافقون إنّما هو على الكفر والنفاق، فإذا تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله غفر لهم العذاب، فلا يحسبوا أنّ الله يعذبهم لكرهة في ذاتهم أو تشف منهم، ولكنه جزاء السوء، لأنّ الحكيم يضع الأشياء مواضعها، فيجازي على الإحسان بالإحسان، وعلى الإساءة بالإساءة، فإذا أفلح المسيء عن الإساءة

(1) عزاه إليه الواحدي في الوسيط، (196/7)، ولم أفق عليه.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، (9 / 342). بحر العلوم، السمرقندي، (1/ 351). الهداية، مكي، (2 / 1509).

المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/128). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (5 / 426). فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الطيبي، ت: جميل بني عطا، دبي، 2013، (5/207). البحر المحيط، أبو حيان، (4 / 114). روح المعاني، الألوسي، (3/172). تفسير المنار، رشيد رضا، (5/380).

(3) \_ التفسير الوسيط، الواحدي، (2 / 133).

(4) \_ الكشف والبيان، الثعالبي، (3 / 406).

(5) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (11 / 252).

أبطل الله جزاءه بالسوء، إذ لا ينتفع بعذاب ولا بثواب، ولكنها المسببات تجري على الأسباب، وإذا كان المؤمنون قد ثبتوا على إيمانهم وشكرهم وتجنبوا موالاة المنافقين والكافرين، فالله لا يعذبهم؛ إذ لا موجب لعذابهم»<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

حمل الآيات على العموم أولى وذلك لما يلي:

1\_ أن الله ﷻ خاطب المؤمنين بعد وصفه لحال المنافقين وما هم عليه من التذبذب، حيث قال ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ اَتُرِيدُونَ اَنْ تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا﴾ (النساء، 144)، ثم بين جزاء المنافقين، ثم استثنى من تاب منهم مبينا أجرهم وجزاءهم عند الله ﷻ وأنهم من أهل الإيمان، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعٰدِيْكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ وَاٰمَنْتُمْ﴾، فدل هذا أن حمل الآية على المنافقين مما يقتضيه السياق، كما أن حمل الآية على المؤمنين إن هم ثبتوا على إيمانهم ولم يوالوا المنافقين، وعلى المنافقين إن هم تابوا فصاروا بذلك مؤمنين، مما يقتضيه السياق أيضا لأنه جاء ذكرهم \_ كما تقدم \_ وهذا ما فهمه ابن عاشور؛ حيث ذكر بعد إيراده أن الآية خطاب للمنافقين، أنها تنصرف على المؤمنين إن هم ثبتوا على إيمانهم وشكرهم، وتجنبوا موالاة المنافقين والكافرين، فالله لا يعذبهم إذ لا موجب لذلك<sup>(2)</sup>.

2\_ على فرض أن السياق جاء في المنافقين، فإنّ الأصح أن يترك اللفظ على عمومته دون تقييده بسياق الآية، وهذا ثابت من حمل النبي ﷺ لقوله ﷻ: ﴿وَكَانَ الْاِنْسَانُ اَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54] على غير سياقها؛ إذ إنها نازلة في سياق الكفار، ومع ذلك استشهد بها النبي ﷺ على حال علي ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه، عن علي بن أبي طالب ﷺ: «أن رسول الله ﷺ طرقة وفاطمة بنت رسول الله ليلة، فقال: ألا تُصليان؟ فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قالت ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مؤلّ يضرب فخذه، ويقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (245/5).

(2) \_ ينظر: المصدر نفسه، (245/5).

(3) \_ أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، رقم: (1127)، (2/

3\_ إن كان المعترض قد تمسك بقوله تعالى: ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ على أن الآية في المنافقين، لأنَّ أهل الإيمان قد ثبت لهم ذلك فلا حاجة لاشتراط الإيمان عليهم، فالجواب أنَّ ما ذكره الثعالبي من حملة للمعنى على ظاهره في المنافقين، وفي حق المؤمنين على معنى: «دمتم على إيمانكم»<sup>(1)</sup> قوي جداً؛ إذ جاء في القرآن ما يدعو المؤمنين إلى الإيمان، والمقصود به الثبات عليه، وهو ما فهمه كبار المفسرين، وعلى سبيل التمثيل ففي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(136)</sup> [النساء]؛ فقد ذكر بعض المفسرين على أنه خطاب لأهل الإيمان، ونقل السمرقندي قول بعضهم: «﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامِنُوا﴾ خطاب به جميع المؤمنين، ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ ؛ يعني اثبتوا على الإيمان»<sup>(2)</sup>. وقال القرطبي: «﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامِنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ نزلت في جميع المؤمنين، والمعنى: يا أيها الذين صدقوا أقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه»<sup>(3)</sup> \_ والله أعلم .

المطلب الخامس: معنى ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: 94]

قول ابن عطية:

«و: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ قال الطبري معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه فهو غائب عنه، والظاهر أن المعنى بالغيب من الناس أي في الخلوة فمن خاف الله انتهى عن الصيد من ذات نفسه...»<sup>(4)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«قلت: وقول الطبري أظهر»<sup>(5)</sup>.

(1) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (2 / 321).

(2) \_ بحر العلوم، السمرقندي، (1/347).

(3) \_ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (5 / 415).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2 / 236).

(5) \_ جواهر الحسان، الثعالبي، (1 / 581).

ذهب ابن عطية إلى أن معنى الغيب في قوله ﷺ: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة:94]؛ أي حال غيابه عن الناس معتبرا إياه الظاهر مما ذهب إليه الطبري؛ من قوله أنّ المعنى: في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه. وقد تعقب الثعالبي ابن عطية مرجحا ما قاله الطبري معتبرا إياه الأظهر. والمسألة - حسب بحثي - لا تخرج عن هذين القولين:

**القول الأول: المقصود بالغيب، أي في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه فيؤمن به ويخافه.**

ومن قال بهذا؛ مقاتل والطبري والثعالبي والواحدي والسمعاني والبغوي والزمخشري وابن الجوزي والبيضاوي والخازن والثعالبي والإيجي والشوكاني<sup>(1)</sup>.

**ومجموع ما وقفت عليه في تأييد هذا القول ما يلي:**

أ - أنّ الباء في قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في محل نصب بالحال؛ أي من يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته، ونظير ذلك قوله ﷺ: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (33) [ق]، وقول النبي ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(2)</sup>-(3).

ب - أنّ تعلق المجرور هنا بقوله: ﴿يَخَافُهُ﴾ الأظهر أنّه تعلق لمجرد الكشف دون إرادة تقييد أو احتراز، كقوله ﷺ: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة:60]؛ أي من يخاف الله وهو غائب عن الله غير مشاهد له، وجميع مخافة الناس من الله في الدنيا هي مخافة بالغيب<sup>(4)</sup>.

(1) - تفسير مقاتل، مقاتل، (1/ 504). جامع البيان، الطبري، (10/ 584). الكشف والبيان، الثعالبي، (4/ 108). التفسير الوسيط، الواحدي، (2/ 228). تفسير القرآن، السمعي، (2/ 66). معالم التنزيل، البغوي، (2/ 83). الكشف، الزمخشري، (1/ 677). زاد المسير، ابن الجوزي، (1/ 584). أنوار التنزيل، البيضاوي، (2/ 143). لباب التأويل، الخازن، (2/ 77). الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 420). جامع البيان، الإيجي، (1/ 496). فتح القدير، الشوكاني، (2/ 88).

(2) - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم: 50، (1/ 19)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم: 8، (1/ 36).

(3) - ينظر: البحر المحیط، أبو حيان، (4/ 362). الدر المصون، السمين الحلبي، (4/ 417).

(4) - ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (7/ 41).



## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

القول الثاني: أي حال غيابه عن الناس، فهو يخاف ربه في السر كما يخافه في العلن.

أورده مكّي بن أبي طالب أولاً ثم ذكر بعده القول الآخر بصيغة التمريض، وممن قال به الماوردي وابن عطية والعز بن عبد السلام والمراغي<sup>(1)</sup>.

ومجموع ما وقفت عليه في تأييد هذا القول ما يلي:

أ- الباء في قوله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بمعنى (في)، والغيب مصدر واقع موقع غائب أي يخافه في المكان الغائب عن الخلق، فهم يخافون الله في السر كخوفه في العلن إذ ليسوا كحال المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا

الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ وَإِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

ب- أن المجرور للتقيد؛ أي من يخاف الله وهو غائب عن أعين الناس.

ج- أنهم هُؤُوا عن الصيد فكان يأتيهم وهم غائبون عن الناس، وبذلك ناسب أن يكون المعنى: ليظهر من يخاف ربه فلا يصيد حال غيابه عن الناس<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

بعد استعراض القولين وما استدلل به كل فريق، يظهر أنه لا تعارض بينهما، فالذي يخاف ربه ولم يره لا شك أنه مخلص له في عبادته مجتهد في سعيه، يستحضر مراقبته في سرّه وعلا نيته، ومن قواعد الترجيح " أن اللفظ إذا احتمل معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجمع حمل عليها"<sup>(3)</sup> \_ والله أعلم \_.

(1) \_ الهداية، مكّي، (3/ 1870).

(2) \_ ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (7/ 41).

(3) \_ ينظر: مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ط: 1، 1426هـ/ 2005، (ص: 29).

المطلب السادس: في معنى (العدل) في قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كَلَّ عَدْلٍ لَا يُؤَخِّدُ مِنْهَا﴾ [الأنعام: 70].

#### قول ابن عطية:

«وحكى الطبري عن قائل أن المعنى: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ﴾ من العدل المضاد للجور، ورد عليه وضعفه بالإجماع على أن توبة الكافر مقبولة. قال القاضي أبو محمد: ولا يلزم هذا الرد لأنّ الأمر إنما هو يوم القيامة ولا تقبل فيه توبة ولا عمل، والقول نص لأبي عبيدة»<sup>(1)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«قلت: وأجلى من هذا أن يُحمل كلام أبي عبيدة على معنى أنّه لا يقبل منها عدلها لاختلال شرطه، وهو الإيمان»<sup>(2)</sup>.

#### الدراسة:

ذكر أبو عبيدة حسب ما نقله ابن عطية أن معنى ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ﴾ من العدل المضاد للجور، يقصد بذلك أنّ الكافر مهما عدل فلن يُقبل منه، وأورد ابن عطية تعقب الطبري على أبي عبيدة: بأنّ توبة الكافر مقبولة بالإجماع، ثمّ تعقبه بأنّ رده ليس بلازم؛ لأنّ الأمر يكون يوم القيامة ولا تقبل فيه توبة ولا عمل، وقد تعقب الثعالبي الطبري وابن عطية بأنّ الأوضح أن يُحمل كلام أبي عبيدة على أنّ الكافر لا يُقبل منه عدل لاختلال شرط الإيمان الذي يعتبر أساساً لقبول الأعمال. وهذه المسألة تستوجب أولاً مراجعة كلام أبي عبيدة وكلام الطبري للوقوف عليه من مصدره، وبالرجوع إلى كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة وقفت على قوله وهو: «﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كَلَّ عَدْلٍ لَا يُؤَخِّدُ مِنْهَا﴾ [الأنعام: 70] مجازه: إن تقسط كل قسط لا يقبل منها؛ لأنّما التوبة في الحياة»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 306).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 636).

(3) \_ مجاز القرآن، أبو عبيدة، (1/ 195).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

وأما نص كلام الطبري فهو: «... وقد تأول ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى: وإن تقسط كل قسط لا يقبل منها. وقال: إنَّها التوبة في الحياة، وليس لما قال من ذلك معنى، وذلك أن كل تائب في الدنيا فإنَّ الله تعالى ذكره يقبل توبته»<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أنَّ كلام أبي عبيدة يتضمن أن عدل الكافر لا يقبل منه لأنَّ ذلك يقع يوم القيامة فقوله: «لأنَّما التوبة في الحياة» يبين هذا، ولعل لفظ (لأنَّما) تصحفت عند الطبري فنقلها (إنَّها) فتغير المعنى وفهم أن أبا عبيدة يقرّر هذا والحق خلاف ذلك، ولعلَّ النسخة التي اعتمد عليها الطبري وقع فيها هذا التصحيف، وممَّا يؤكّد أنَّ أبا عبيدة قال: «لأنَّما التوبة في الحياة»، ولم يقل: «إنَّها التوبة في الحياة» ما يلي:

1\_ أنه هكذا أثبتت في كتاب أبي عبيدة مجاز القرآن بتحقيق فؤاد ساركن وهو مشهود له في تحقيق النصوص والتثبت في قراءتها<sup>(2)</sup>.

2\_ مما يُدعّم هذا أنَّ الثعالبي نقلها في الكشف والبيان عن أبي عبيدة هكذا<sup>(3)</sup>.

3\_ قرب رسم الميم والهاء، خاصة في المخطوطات مما يجعل إمكانية الخلط بينهما واردا.

وابن عطية في تعقبه على الطبري لم ينقل كلامه كما هو وحمله ما لم يقل، إذ إن الطبري تعقب أبا عبيدة ظانا منه أنه يقرر أن العدل لا يُقبل من الكافر في الحياة الدنيا رغم توبته، فبين أن كل تائب في الدنيا فإنَّ الله يقبل منه، وهو بذلك \_ أي الطبري \_ يقرر أن الأمر إنما هو يوم القيامة، فقول ابن عطية عن الطبري: «ولا يلزم هذا الرد لأنَّ الأمر إنما هو يوم القيامة، ولا تقبل فيه توبة ولا عمل»<sup>(4)</sup>. لا يلزم الطبري في شيء. وقد أورد أبو حيان التعقب نفسه على الطبري ولم يصرح أنه أخذه من ابن عطية<sup>(5)</sup>.

### الخلاصة:

تعقب الثعالبي على الطبري وابن عطية محاولا الدفاع عن أبي عبيدة غير لازم؛ باعتبار أنَّ أبا عبيدة لم يقرّر أن ذلك إنَّما يحصل في الدنيا، والسبب في ذلك الخطأ في نقل الكلام \_ والله أعلم \_.

وفي ختام هذا المبحث اتضح أنَّ الثعالبي وُفق في أغلب ما تعقب فيه ابن عطية، وقد اشتملت تعقباته؛ الاستدراك على ابن عطية بزيادة ما لم يذكره ممَّا تؤيِّده النصوص الشرعية، كما تعقبه في مسألة نقل فيها أقوال

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (11 / 448).

(2) \_ ينظر: استدركات ابن عطية في المحرر على الطبري في جامع البيان، شايح الأسمرى، (2 / 613).

(3) \_ ينظر: الكشف والبيان، الثعالبي، (4 / 159).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2 / 306).

(5) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (4 / 160).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

---

عدّة، فأرجعها الثعالبي لمعنى واحد وبيّن أنّها ليست باختلاف قول وهذا ما يظهر دقّته، كما تعقب الطبري ومعه ابن عطية في مسألتين؛ الأولى: ذهب فيها إلى تخصيص معنى آية استنادا إلى السياق، فرأى الثعالبي أنّها عامة، وأمّا الثانية فتعقبهما دفاعا عن أبي عبيدة، غير أنّ تعقب الطبري وابن عطية على أبي عبيدة، وكذا تعقب الثعالبي عليهما غير لازم؛ لوقوع خطأ في التّقل عنه، كما دافع الثعالبي عن الطبري في مسألة أخرى وتعقب ابن عطية في ردّه عليه، واعتبر أنّ ما ذهب إليه ابن جرير هو الظاهر.

## المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المئين

السور التي تعرف بـ "المئين" هي التي تأتي بعد "السبع الطوال"، وسميت بهذا الاسم لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، ويأتي هذا المبحث لدراسة التعقبات التي أوردها الثعالبي على ابن عطية في تفسير بعض الآيات المتعلقة بهذا القسم، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: معنى الاختلاف في قوله تعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [يونس: 93]

### قول ابن عطية:

« ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ ؛ يحتمل معنيين أحدهما فما اختلفوا في نبوة محمد وانتظاره حتى جاءهم وبان علمه وأمره فاختلفوا حينئذ. قال القاضي أبو محمد: وهذا التخصيص هو الذي وقع في كتب المتأولين، وهذا التأويل يحتاج إلى سند، والتأويل الآخر الذي يحتمله اللفظ أن بني إسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى في أول حاله فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي

«ت: فرَّ رحمه الله من التخصيص فوقه فيه، فلو عمم اختلافهم على أنبيائهم موسى وغيره، وعلى نبينا لكان أحسن، وما ذهب إليه المتأولون من التخصيص أحسن لقرينة قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: 94]؛ فالربط بين الآيتين واضح، والله أعلم»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

ذكر ابن عطية أن اختلاف بني إسرائيل يحتمل معنيين؛ الأول اختلافهم في نبوة محمد ﷺ وعزا ذلك للأكثر وتعقبه بأنه تخصيص يحتاج إلى سند، وأما المعنى الثاني فيتضمن اختلافهم على موسى ﷺ، حيث لم يحصل ذلك إلا بعد أن جاءهم العلم، واعتبره الظاهر الذي يحتمله اللفظ، فتعقبه الثعالبي مبينا أنه فرَّ من التخصيص فوقه فيه،

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 142).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 258).

ولو عمّم لكان أحسن ثم استند إلى اختيار التخصيص الذي ذهب إليه الأكثر، وذلك لقوله ﷺ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّكَ﴾، واعتبر ذلك قرينة تبين الربط بين الآيتين ونسب العلم لله ﷻ.

وقد يظهر بداية أن الثعالبي اضطرب في توجيه المعنى المختار حيث حكم بالتعميم واعتبره الأحسن، ثم اختار التخصيص في نفس الوقت واعتبره الأحسن، غير أن المتأمل لكلامه يقف على أن توجيهه الأول متعلق بتعقبه على ابن عطية في إنكاره التخصيص ثم وقع فيه، فالأكثر خصّص الاختلاف على نبينا محمد ﷺ، وابن عطية خصّص اختلافهم على موسى ﷺ، والثعالبي ظهر له أنّ إنكار التخصيص يقتضي القول بالتعميم، ثم بين اختياره والذي توافق مع قول الأكثر، ورجّح ذلك بلحاق الآية واعتبره قرينة تبين المعنى. والمسألة في حدود ما وقفت عليه لا تخرج عن ثلاثة أقوال:

**القول الأول:** أن اختلافهم في نبوة محمد ﷺ بعد بعثته.

وهو قول جمهور المفسرين من السلف والخلف، حيث روي عن ابن عباس رضي الله عنهما (1)، وقال به مقاتل والفراء والطبري والثعالبي والماوردي والواحدي والبعوي وابن الجوزي والعز بن عبد السلام والقرطبي والخازن، واختاره الثعالبي، واعتمد عليه الشربيني ومجير الدين المقدسي والمظهري والمراغي (2).

---

(1) — عزاه إليه الواحدي في الوسيط من غير إسناد، (2/ 559)، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير، (2/ 349).  
(2) — ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (2/ 248). معاني القرآن، الفراء، (1/ 478). جامع البيان، الطبري، (15/ 199). الكشف والبيان، الثعالبي، (5/ 148). النكت والعيون، الماوردي، (2/ 450). التفسير الوسيط، أبو حيان، (2/ 559) معالم التنزيل، البغوي، (2/ 433). تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي (ت: 597هـ)، ت: طارق فتح السيد، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط: 1، 1425 هـ — 2004 م، (ص: 157). تفسير القرآن، العز بن عبد السلام (ت: 660هـ)، ت: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم — بيروت، ط: 1، 1416هـ/ 1996م، (2/ 76). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (8/ 381) لباب التأويل، الخازن، (2/ 463). الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 258) السراج المنير، الشربيني، (2/ 37) فتح الرحمان في تفسير القرآن، الدمشقي، (3/ 312) التفسير المظهري، المظهري، (5/ 54)، تفسير المراغي، (11/ 153).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

القول الثاني: أنهم لم يختلفوا على موسى ~~الطاهر~~ إلا بعد أن جاءتهم الأوامر والنواهي. وبه قال السمعاني وأبو جعفر الغرناطي<sup>(1)</sup>، واختاره أبو حيان، وقال به ابن كثير، واعتبره رشيد رضا المعنى الظاهر<sup>(2)</sup>.

وأهم ما استند إليه بعض من قال بهذا القول ما يلي:

- أ\_ سياق الآية يبيّن ذلك، فقد ذكر الله ما جرى لفرعون من الهلاك وما امتنّ به على بني إسرائيل، ثمّ بين اختلافهم، فيحمل ذلك على موسى عليه السلام<sup>(3)</sup>.
- ب\_ أنه المعنى الظاهر والتخصيص يحتاج إلى دليل<sup>(4)</sup>.
- ج\_ أنهم كانوا على حالة واحدة من الكفر، فلما جاءتهم التوراة اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر<sup>(5)</sup>.
- د\_ أنّ قوله صلى الله عليه وسلم: «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة...»<sup>(6)</sup> يبيّن ذلك<sup>(7)</sup>.

(1) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (403/2). ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أبو جعفر الغرناطي (ت: 708هـ)، ت: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د، ت، ط، (1/248).

(2) \_ ينظر: بحر المحيط، أبو حيان، (6/104). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4/296). تفسير المنار، رشيد رضا، (11/391).

(3) \_ بحر المحيط، أبو حيان، (6/104).

(4) \_ تفسير المنار، رشيد رضا، (11/391).

(5) \_ ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، د، ت، ط، (6/1075).

(6) \_ أخرجه ابن ماجه، باب افتراق الأمم، رقم: 3992، (2/1322). وأبو داود في سننه، باب شرح السنة، رقم:

4596، (4/198)، وجاء عنده بلفظ: «افتترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة...»، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1، 1415 هـ - 1995 م)، رقم: 1492، (3/480).

(7) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4/296).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

القول الثالث: يحمل الاختلاف على المعنيين معا.

أورد بعض المفسرين القولين معا، وحملوا الآية على الاحتماليين ومنهم السمرقندي والزمخشري والبيضاوي والنسفي والنيسابوري وأبو السعود وابن عجيبة<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

بعد استعراض الأقوال يظهر أنّ الثعالبي اختار قول الأكثر معتمدا على لحاق الآية، معتبرا ذلك قرينة توضح الترابط بين المعنيين، وأمّا ابن عطية فحمل المعنى على اختلافهم في بني إسرائيل باعتبار أنّه الظاهر من خلال سياق الآية، والذي أميل إليه هو القول بالعموم؛ لأن القرآن بين في غير موضع أنهم تفرقوا واختلفوا قبل إرسال محمد ﷺ، فاختلف هؤلاء وتفرقهم في محمد ﷺ هو من جملة ما تفرقوا واختلفوا فيه<sup>(2)</sup> \_ والله أعلم \_.

المطلب الثاني: المقصود بقوله ﷺ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس:94].

### قول ابن عطية:

«وقوله: ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يريد به من أنّ بني إسرائيل لم يختلفوا في أمره إلا من بعد مجيئه، وهذا قول أهل التأويل قاطبة. قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الذي يشبه أن ترتجى إزالة الشك فيه من قبل أهل الكتاب، ويحتمل اللفظ أن يريد بما أنزلنا جميع الشرع ولكنه بعيد بالمعنى؛ لأنّ ذلك لا يعرف وينزل الشك فيه إلا بأدلة العقل لا بالسمع من مؤمني بني إسرائيل»<sup>(3)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«وهذا التأويل عندي أبين إذا لخص وإن كان قد استبعده ع، ويكون المراد ب ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾؛ ما ذكره سبحانه من قصصهم، وذكر صفته عليه السلام، وذكر أنبيائهم وصفتهم وسيرهم وسائر أخبارهم الموافقة لما في كتبهم المنزلة على أنبيائهم كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف، وتكون هذه الآية تنظر إلى قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ

(1) \_ ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (123/3). مدارك التنزيل، النسفي، (40/2). غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت: 850هـ)، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1416 هـ، (612/3). إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (175/4). البحر المديد، ابن عجيبة، (497/2).

(2) \_ ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (516/16).

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (143/3).



حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿يوسف: 111﴾ فتأمله، والله أعلم. وأما قوله: هذا قول أهل التأويل قاطبة، فليس كذلك، وقد تكلم صاحب الشفا على الآية، فأحسن ولفظه: واختلف في معنى الآية، فقيل: المراد: قل يا محمد للشاك: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّكَ﴾ [يونس: 94]، قالوا: وفي السورة نفسها ما دلّ على هذا التأويل، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿104﴾﴾ [يونس]، ثم قال عياض: «وقيل: إن هذا الشك: الذي أمر غير النبي ﷺ بسؤال الذين يقرؤون الكتاب عنه، إنما هو فيما قصّه الله تعالى من أخبار الأمم، لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة» (1).

#### الدراسة:

ذكر ابن عطية أن معنى قوله تعالى: ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾؛ أي ما بينه من اختلاف بني إسرائيل في مبعث محمد ﷺ، حيث آمن به البعض وكفر به آخرون، ونسب ذلك لأهل التأويل جميعاً، ثم أورد احتمالاً آخر يحتمله اللفظ؛ أي مما أنزل الله على نبيه ﷺ، فيشمل بذلك جميع الشرائع، وبين ضعفه بحجة أن ما كان كذلك فإنه لا يتحقق اليقين فيه بمجرد السماع من مؤمني بني إسرائيل وإنما يحتاج إلى أدلة عقلية، وتعقبه الثعالبي أنّ هذا أبين عنده بشرط أن يلخص، وهذا ما وضّحه فجعل المعنى متعلقاً بما جاء في الكتب السابقة وورد ذكره في القرآن الكريم، كقصص السابقين وذكر صفة النبي والنبئين عليهم الصلاة والسلام، وساق على ذلك آية اعتبرها من نواظر ما جاء في هذه الآية، ثم حثّ على تأمل ما أورده، وتعقب ابن عطية في نقله للإجماع فيما اختاره، وذكر كلام القاضي عياض عن الآية واستحسنه. ومن خلال ما سبق يتضح أن تعقب الثعالبي ينصب في ناحيتين: الأولى: في معنى الآية، والثاني: في رد الإجماع، وفيما يلي بيان ذلك:

#### أولاً\_ التحقيق في معنى الآية:

ظهر لي من خلال تتبع بعض أقوال المفسرين؛ أن عباراتهم تعددت في المقصود بالذي يتوجه به السؤال لأهل الكتاب:

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 258).

— ذهب الطبري إلى أن السؤال إنما يتعلق بعدم اختلاف بني إسرائيل في نبوته قبل أن يُبعث رسولا، لأنهم يجدونه مكتوبا عندهم، ونسب القول بذلك لابن عباس رضي الله عنه وابن زيد ومجاهد والضحاك (1).

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما قرره الطبري ونسبه لمن سبق ذكرهم، لم يتحقق إلا فيما نقله عن ابن عباس رضي الله عنه،

أما ما نقله عن البقية فإنه متعلق بالمقصود من قوله ﷺ: ﴿ فَسَلِّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ يُرَوُّونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يونس: 94]. وبنحو ما ذكره الطبري قال مكي بن أبي طالب وابن عطية (2).

— وذكر الماوردي أن الآية فيها وجهان: أحدهما: ﴿ فِي شَاكٍ ﴾ أنك رسول. الثاني: ﴿ فِي شَاكٍ ﴾ أنك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل. وبمثله قال ابن الجوزي (3)، والظاهر أن الوجهان يؤولان للمعنى واحد؛ إذ إخبارهم بكونه رسولا إنما يتحقق بما يقرؤونه في كتبهم.

— وذهب الماتريدي إلى معنى آخر يتعلق بالأنباء التي أخبرهم بها النبي ﷺ أنها أوحيت إليه (4). ويظهر أن هذا المعنى يتجه إلى العموم ويتعلق بالتأويل الذي استبعده ابن عطية، وفي نفس المعنى يندرج كلام السمرقندي حيث قال: «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك من القرآن» (5). وكذلك قال الثعالبي، ونسب للمفسرين: أن ناسا في زمن النبي ﷺ قالوا آمنا بلسانهم ومنهم مُكذِّبٌ أو شاك، فخاطب الله ﷻ هذا الصنف من الناس فقال: فإن كنت أيها الإنسان في شكٍ مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد ﷺ... ، وأورد الرازي القولين السابقين واختار أن المقصود القرآن ومعرفة نبوة الرسول ﷺ، وحثته في ذلك أنه الأهم والحاجة إلى معرفته أتم (6)، ونقل ذلك أيضا ابن جزى على اختلاف بينهما في العبارة، حيث قال: « قيل: يعني القرآن أو الشرع بجملته، وهذا أظهر وقيل: يعني ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق» (7).

— وذكر البيضاوي أن المعنى مما أنزلنا إليك من القصص والأخبار، وبمثله قال صاحب الفواتح الإلهية وأبو السعود وأضاف: «ومن جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل». وإلى هذا ذهب القاسمي، وفي نفس

(1) — جامع البيان، الطبري، (201/15).

(2) — ينظر: الهداية في بلوغ النهاية (3325/3).

(3) — ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (2/450). زاد المسير، ابن الجوزي، (2/350).

(4) — ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (6/84).

(5) — بحر العلوم، السمرقندي، (2/132).

(6) — ينظر: الكشف والبيان، الثعالبي، (5/149). مفاتيح الغيب، الرازي، (17/302).

(7) — التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، (1/363).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

المعنى يصب كلام صاحب المنار، وأضاف قصة نوح وغيرها مما ورد ذكره<sup>(1)</sup>، وهو ما فهمه ابن عاشور حيث قال: «فالمراد من ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ هو المنزل الذي تفرع عليه هذا الكلام وهو ما أنزل في هذه السورة من القصص»<sup>(2)</sup>.

— وحمل الثعالبي المعنى على ما ورد في القرآن مما هو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، سواء ما تعلق بصفات النبي ﷺ أو صفات الأنبياء وقصصهم، وهو المعنى الذي قرره السعدي<sup>(3)</sup>.

### ثانياً\_ هل ما أورده ابن عطية هو ما ذهب إليه أهل التفسير قاطبة؟

انطلاقاً مما سبق يتضح أن المسألة محل خلاف بين أهل التفسير، فمنهم من حمل السؤال على ما اختلفوا فيه من أمره ﷺ، كالطبري ومكي بن أبي طالب وابن عطية، ومنهم من حمل ذلك على القرآن، وهو ما يفهم من كلام الماتريدي، وإليه ذهب السمرقندي وابن قتيبة والرازي وابن جزري، وحمل البيضاوي وأبو السعود وابن عاشور ذلك على القصص والأخبار التي يجدونها في كتبهم.

وحتى يكون الحكم على المسألة متسماً بالمنهجية العلمية، فلن أحاكم ابن عطية لمن جاء بعده، بل أكتفي برد الإجماع استناداً على نقل من سبقه ممن خالف تقريره، ومن هؤلاء الماتريدي والسمرقندي وابن قتيبة والثعالبي — كما تقدم —.

### الخلاصة:

بعد استعراض بعض أقوال أهل التفسير يظهر أن ما ذهب إليه الثعالبي هو الأولى بالصواب وذلك لما يلي:

1\_ أن إزالة الشك يتحقق بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلتها أو بسؤال العالم<sup>(4)</sup>، وهذا ما أمر به من أراد أن يستيقن من صدق القرآن الكريم، فعليه أن يسأل الذين يقرأون الكتاب، فسيخبرونه بما يتوافق مع ما ذكر في كتبهم من صفات النبي ﷺ ومن أخبار الأنبياء وقصصهم.

(1) — ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (3/ 123). الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله النخجواني، دار ركابي، مصر، ط: 1، 1419 هـ - 1999 م، (1/ 342). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د، ت، ط، (4/ 175). محاسن التأويل، القاسمي، (6/ 62). تفسير المنار، رشيد رضا، (11/ 391).

(2) — التحرير والتنوير، ابن عاشور، (11/ 284).

(3) — ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 258). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 373).

(4) — ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (6/ 106).

2\_ الآية التي استند إليها الثعالبي وهي قوله ﷺ: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف] حجة واضحة أنّ قصص القرآن ليس أمراً مفترى، وإتّما جاء ذكره فيما سبق من كتب، وسؤال المؤمنين من أهل الكتاب عن ذلك يزيل الشك كما سبق \_ والله أعلم \_ .

المطلب الثالث: هل يفهم من قوله ﷺ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً - اٰمَنْتَ فَنَفَعَهَا اِيْمَانُهَا اِلَّا قَوْمَ يُوْسُسَ لَمَّا اٰمَنُوْا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنٰهُمْ اِلٰى حِيْنٍ ﴾ [يونس] بأن الله تاب عليهم بعد معاينة العذاب؟

### قول ابن عطية:

«وذهب الطبري إلى أنّ قوم يونس حُصُوا من بين الأمم بأن تيب عليهم من بعد معاينة العذاب، وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين، وليس كذلك، والمعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي تلبس العذاب أو الموت بشخص الإنسان، كقصّة فرعون، وأما قوم يونس فلم يصلوا هذا الحدّ»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وما قاله الطبري عندي أبين»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

ذهب الطبري إلى أنّ الله استثنى قوم يونس بأن تاب الله عليهم بعد معاينة العذاب، فتعقبه ابن عطية برّد ذلك، فتعقبه الثعالبي معتبراً قول الطبري أبين، وهذا ما يستدعي تتبع أقوال أهل التفسير، وقد ظهر لي بعد البحث والتقصي أنّ المسألة محلّ خلاف بين المفسرين، وفيما يلي بيان ذلك:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 144).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 259).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

القول الأول: أنهم عاينوا العذاب فأمنوا وهذا خاص بهم.

ويُنسب هذا القول لكل من ابن عباس رضي الله عنهما (1) وقتادة (2)، وبه قال به مقاتل والطبري والثعلبي ومكي والواحدي، ونسبه البغوي والخازن لأكثر المفسرين، وقال به ابن كثير، واختاره الثعالبي (3).

ومما احتجوا به:

أ\_ قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [يونس: 98]، والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قرب (4).  
ب\_ أنّ ظاهر الآية يُفيد ذلك.

القول الثاني: أنهم لم يروا العذاب وإنما رأوا أماراته فتأبوا.

ومعنى هذا القول أن لا خصوصية لهم عن غيرهم، إذ إنّ حالهم كحال العليل الذي يتوب في مرضه قبل أن تدركه الغرغرة. ومن قال بهذا القول: الزجاج والسمرقندي وابن عطية والرازي والقرطبي والبيضاوي وابن جزري، وأبو حيان وأبو السعود وابن تيمية والشوكاني وابن عاشور (5).

ومما احتجوا به:

أ\_ السياق يدلّ على ذلك؛ حيث أن المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون، ولهذا جاء بقصة قوم يونس على أثر قصة فرعون؛ لأنّه آمن حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك، وقوم يونس تابوا قبل

(1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (15/ 206).

(2) \_ ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (2/ 451).

(3) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (2/ 250). جامع البيان، الطبري، (15/ 205) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي، (5/ 332). الكشف والبيان، الثعالبي، (5/ 151). معالم التنزيل، البغوي (2/ 434). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (3/ 451). (2/ 259).

(4) \_ ينظر: معالم التنزيل، البغوي (2/ 434).

(5) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 133). المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 144). مفاتيح الغيب، الرازي، (17/ 303). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (3/ 383). أنوار التنزيل، البيضاوي، (3/ 124). التسهيل، ابن جزري، (1/ 363). البحر المحيط، أبو حيان، (6/ 107). إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (4/ 176). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (11/ 288).

ذلك فيكون معنى إلا قوم يونس؛ لكن قوم يونس ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَٰذَابَ الۡخِزْيِ فِي الۡحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنٰهُمۡ اِلٰى حِيۡنٍ﴾ [يونس: 98]<sup>(1)</sup>.

ب\_ استدلوها بعموم الأدلة التي تبين أنّ التوبة لا تُقبل عند المعاينة، ومنها:

1\_ قوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنًا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَحَدَّهٖ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾<sup>(84)</sup> فَلَمَّا يَأْتِيَنَّهُمْ ءَايٰتُنَا قَالُوا بِأَسْنًا سُنَّتَ اللّٰهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنٰلِكَ الْكٰفِرُونَ﴾<sup>(85)</sup> [غافر]، فالآية دلّت على عدم قبول التوبة عند معاينة العذاب، وأنّ ذلك سنة الله ﷻ، وقد بين أنّ لا تبديل لسنته فقال: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: 43].

2\_ قوله ﷺ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْلَامَ﴾ [النساء: 18]، وهذا نفي عام ولو كان أحد مستثنى منه لكانت أمة النبي ﷺ؛ لأنها أكرم الأمم.

3\_ قوله ﷺ: «إِنَّ اللّٰهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ»<sup>(2)</sup>. والغرغرة الحشرجة، وذلك هو حال التلبس بالموت، وأما قبل ذلك فلا<sup>(3)</sup>.

ج \_ روي عن ابن مسعود ﷺ: أن يونس ﷺ لما وعدهم العذاب إلى ثلاثة أيام خرج عنهم فأصبحوا فلم يجدوه فتابوا وفرقوا بين الأمهات والأولاد<sup>(4)</sup>، وهذا يدل على أن توبتهم قبل رؤية علامة العذاب<sup>(5)</sup>.

(1) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 133).

(2) \_ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم: (3537)، (5/ 547) وقال: «هذا حديث حسن غريب». وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم: (4253)، (2/ 1420).

(3) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (8/ 384).

(4) \_ أورده القرطبي عن ابن مسعود دون إسناد، (8/ 384)، وعزا السيوطي في الدر المنثور، (4/ 392) لابن مردويه: أنّ ابن مسعود ﷺ روى عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ يُونُسَ دَعَا قَوْمَهُ فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَجِيبُوهُ وَعَدَهُمُ الْعَذَابَ فَقَالَ: إِنَّهُ يَأْتِيكُمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهُمْ - وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِذَا وَعَدَتْ قَوْمَهَا الْعَذَابَ خَرَجَتْ - فَلَمَّا أَظْلَمَ الْعَذَابَ خَرَجُوا فَفَرَّقُوا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَوَلَدِهَا وَبَيْنَ السَّخْلَةِ وَأَوْلَادِهَا، وَخَرَجُوا يَعْجَبُونَ إِلَى اللَّهِ، عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ الصَّدَقَ فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَصَرَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ...».

(5) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (8/ 385).

### الخلاصة:

بعد عرض أدلة الفريقين يظهر أنّ القول الذي ذهب إليه الطبري واختاره الثعالبي هو الصحيح وذلك لما يلي:

1\_ أنّه ظاهر الآية والاستثناء يدل عليه.

2\_ أنّ لفظ (كشفتنا) يقتضي ذلك، وأما تفريق ابن عطية بين الرؤيا والتلبس فيردّه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (84) ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّتَ اللَّهُ إِلَيْهِ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِمْ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (85) [غافر] (1).

3\_ أنّه قول جمهور المفسرين.

المطلب الثالث: هل يدل قول الملائكة لزوجة إبراهيم عليهم السلام: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: 73] "بأنّ الزوجة من أهل البيت؟

### قول ابن عطية:

«وهذه الآية تعطي أنّ زوجة الرجل من أهل بيته [لأنها خوطبت بهذا، فيقوى القول في زوجات النبي عليه السلام بأنهن من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس، بخلاف ما تذهب إليه الشيعة]» (2).

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وهي هنا من أهل البيت على كلّ حال، لأنها من قرابته، وابنة عمّه» (3).

### الدراسة:

استدل ابن عطية بقوله الملائكة لزوجة إبراهيم عليهم السلام: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بأنّ زوجة الرجل من أهل بيته، وبين أنّ هذا يقوى القول بأن نساء النبي ﷺ من أهل بيته خلافا لما تدعيه الشيعة،

(1) \_ ينظر: استدراقات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري، شايح الأسمري، (ص: 771).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 191).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 287).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

وتعقّب الثعالبي ذلك بأنّها هنا من أهل بيته على كل حال؛ فهي من قرابته وابنة عمه.

وتعقّب الثعالبي في الحقيقة لا يقصد منه إنكار إلحاق الزوجة بالأهل، حيث قرّر ذلك في سورة الأحزاب<sup>(1)</sup>، وإمّا أراد التنبيه أنّها في هذا الموضع داخله في أهل البيت باعتبار القرابة، فقله: «على كل حال» يُشعر أنّه يريد من القارئ أن يتفطن لهذا الاعتراض الذي قد يصادفه ممن يريد أن ينصر مذهبه الباطل، فلا يكتفي بهذا الدليل، بل ينبغي أن يجمع له أدلة أخرى تبين الحق وتحلّيه. ومع ما أوردته من توضيح إلا أنه يتعين أن أفصّل في أمرين: الأول: التحقيق فيما تعلق بما ذكره الثعالبي من كون سارة ابنة عم إبراهيم عليه السلام.

الثاني: في حال تحقق أنّها من قرابته، هل التعبير بكونها من أهل بيته باعتبار قرابتها أم باعتبار رابطة الزوجية؟

### أولاً\_ التحقيق فيما ذكره الثعالبي من كون سارة ابنة عم إبراهيم عليه السلام:

أورد ذلك الكثير من المفسرين والمؤرخين ومنهم: الطبري في تاريخه، وكذلك المسعودي والثعلبي ومكي بن أبي طالب والبغوي وابن عطية وابن الجوزي وابن الأثير والقرطبي والبيضاوي وأبو حيان، واختاره ابن كثير واعتبره الأشهر<sup>(2)</sup>. وقيل أنّها كانت ابنة ملك حاران، وقيل غير هذا<sup>(3)</sup>.

### ثانياً\_ هل الإشارة إليها بأنّها من أهل البيت باعتبار كونها ابنة عمه أو باعتبار أنّها زوجته؟

استدل بهذه الآية جمع من المفسرين على أنّ الزوجة من أهل بيت زوجها، وهم في ذلك يفندون شبهة إبعاد زوجات النبي صلى الله عليه وآله من جملة آل بيته، وممن استند إليها في ذلك: الجصاص والسمعاني وابن عطية والقرطبي والخازن ومجير الدين المقدسي والشرنقبي<sup>(4)</sup>.

(1) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (354/3).

(2) \_ ينظر: تاريخ الطبري، الطبري، (244/1). أخبار الزمان ومن أباده الحدّثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، أبو الحسن على المسعودي، دار الأندلس، بيروت، 1416هـ-1996م، (ص:103). الكشف والبيان، الثعلبي، (283/6) الهداية في بلوغ النهاية، مكي، (4781/7). معالم التنزيل، البغوي، (297/3). المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/189). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، (262/1). الكامل في التاريخ، أبو الحسن بن الأثير (ت: 630هـ)، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1417هـ / 1997م، (91/1). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (339/13). أنوار التنزيل، البيضاوي، (193/4). البحر المحيط، أبو حيان، (181/6). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (353/5).

(3) \_ ينظر: تاريخ الطبري، الطبري، (244/1). الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (91/1).

(4) \_ ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، (378/4). تفسير القرآن، السمعي، (444/2). معالم التنزيل، البغوي، (457/2). المحرر الوجيز، ابن عطية، (15/4). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (71/9). لباب التأويل، الخازن، (494/2) فتح الرحمن في تفسير القرآن، المقدسي، (360/3). السراج المنير، الشرنقبي، (70/2). أضواء البيان، الشنقبي، (237/6).



## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

وقد تتبع الفيروز آبادي كلمة الأهل في القرآن فظهر له أنّ لها عشرة أوجه منها: العترة، والعشيرة، والأولاد، والأحفاد والأزواج والذرية، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 131]، وقوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] (1)، إذ تدخل فيها الزوجات، وهناك من خصّص هذه الآية الأخيرة بزوجات النبي ﷺ كابن عباس ؓ وعكرمة وعطاء والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير، ومما اعتمدوا عليه: السياق من قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِرِجَالِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتِعْكُمْ وَأَسْرِحْكُمْ سَرَلًا جَمِيلًا﴾ (28) [الأحزاب] إلى قوله: ﴿وَأذْكُرَكُم مَّا يَتَّبِعُونَ فِي بُيُوتِكُمْ مِّنْ - آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (34) [الأحزاب] (2).

وقد وردت آية أخرى تبين أن لفظة الأهل إذا قرئت بالرجل فتعني زوجته، وهي قوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (29) [القصص]، وروى الإمام البخاري بسنده عن أنس ؓ قال: «بني النبي ﷺ بزینب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعيا ... فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلک؟ بارک الله لك...» (3).

### الخلاصة:

حمل الآية على رابطة الزوجية أولى من حملها على رابطة القرابة، وذلك لما يلي:

- 1\_ معهود استعمال القرآن لكلمة الأهل إذا قرئت بالرجل أو البيت أنّه يقصد منها الزوجة، وهذا ما اتضح من خلال الشواهد السابقة.

(1) \_ ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ت ط، (84/2).

(2) \_ ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (321/4).

(3) \_ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ [الأحزاب/ 53]، رقم (4793)، (119/6).

2\_ كما أنّ الآية أشارت إلى رابطة الزوجية بقول سارة: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود:71]، ولم تُشر إلى القرابة من النسب.

ويبقى تعقب الثعالبي مُهمًا ليتزود طالب العلم بما يجعل أدلته سالمة من المعارضة، كما يدل على سعة اطلاعه وتنوع مداركه \_ والله أعلم \_.

المطلب الرابع: المقصود بالحسنة في قوله ﷺ: ﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل:22]

### قول ابن عطية:

«الحسنة لسان الصدق وإمامته لجميع الخلق، هذا قول جميع المفسرين؛ وذلك أنّ كل أمة مُتشرعة فهي مُقرّة أنّ إيمانها إيمان إبراهيم وأنه قدوتها وأنه كان على الصواب»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وهذا كلام فيه بعض إجمال، وقد تقدّم في غير هذا الموضع بيانه، فلا نطوّل بسرّده»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

عزا ابن عطية لجميع المفسرين أن قوله ﷺ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾؛ المقصود بالحسنة صدقه وإمامته لجميع الخلق، وعلل ذلك بأنّ كلّ أمة لها شرع مقرّة بأن إيمانها إيمان إبراهيم، وأنه قدوتها وأنه على صواب، فتعقبه الثعالبي موردا أنّ في كلامه بعض إجمال قد بيّنه في غير هذا الموضع فلا حاجة إلى التطويل في إعادته.

ولم يُحلّ الثعالبي للموطن الذي بيّن فيه هذا الإجمال، وقد بذلت وسعي فلم أقف على كلام صريح له في موضع آخر يُزيل الإشكال، ويُوضّح مكنن التعقب والانتقاد، إلّا ما أورده عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَأَتَيْنَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ [العنكبوت:27]، حيث قال: «الأجر الذي آتاه الله في

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/431).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (3/447).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

الدنيا؛ العافية من النار ومن الملك الجائر، والعمل الصالح أو الثناء الحسن قاله مجاهد. ويدخل في عموم اللفظ غير ما ذكر<sup>(1)</sup>.

ويبقى الإشكال أنّ الكلام الذي نقلته جاء بعد الموضوع السابق الذي تعقب فيه ابن عطية؛ حيث استدرك عليه معنى الحسنة التي آتاها الله ﷻ إبراهيم ﷺ الواردة في سورة النحل، وهي متقدمة عن سورة العنكبوت، وقد أحال إلى ما تقدم. إلا أنّ بعض القرائن تجعل الموضوع الذي سقته هو المقصود، وقد يكون الثعالبي أخطأ في التعبير أثناء الإحالة، ومّا يدعم ذلك ما يلي:

أـ أنّ آية "العنكبوت" تُعتبر من نواظر آية "النحل"، وهذا ما صرح به غير واحد من أهل التفسير، منهم قتادة وبجي بن سلام<sup>(2)</sup>.

بـ أنّ الثعالبي لخص في آية "العنكبوت" بعض الأقوال التي ذكرها ابن عطية ثم قال: « ويدخل في عموم اللفظ غير ما ذكر ». فهو بذلك يحمل الآية على العموم، ويعتبر أنّ بقية الأقوال التي أوردها أهل التفسير في معنى الآية كلّها متجهة، ولا يرى أن تُخصّص ببعض ما ذكر، فكأنّه في الآية محلّ الدراسة حكم على كلام ابن عطية بأنّ فيه بعض إجمال نظير تخصيصه للآية بما ذكره، ونسبته ذلك \_ أي ابن عطية \_ لجميع أهل التفسير مع إهماله لبقية الأقوال الواردة في ذلك.

ومهما يكن الموضوع الذي أحال إليه، فإنّ تعقبه ينصب غالباً في نسبة ابن عطية المعنى الذي ساقه لجميع أهل التفسير، وهذا يستدعي بيان أقوال بعضهم في الآية محلّ الدراسة، للوقوف على مدى صحّة تخصيصها بما ذكر؟ وهل هو قول أهل التأويل جميعاً كما قال ابن عطية؟ وفيما يلي بيان ذلك:

\_ روي عن مجاهد وقاتدة أنّ المقصود بذلك لسان الصدق والثناء الحسن<sup>(3)</sup>، ومثله قال مقاتل والطبري<sup>(4)</sup>.

\_ وعزا الماتريدي لبعض أهل التفسير أنّ المقصود بذلك النبوة والرسالة، أو الصلاة عليه في قول هذه الأمة: اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم، وهذا الأخير عزاه الثعالبي لمقاتل<sup>(5)</sup>.

\_ وأورد السمرقندي بعض الأقوال السابقة، وأضاف قولاً آخر يقتضي أنّ المقصود الولد الطيب<sup>(6)</sup>.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4 / 293).

(2) \_ ينظر: تفسير يحيى بن سلام، ابن سلام، (1 / 97).

(3) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (17 / 319).

(4) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان (2 / 493). جامع البيان، الطبري، (17 / 319).

(5) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (6 / 592). الكشف والبيان، الثعالبي، (6 / 50).

(6) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2 / 296).

### الخلاصة:

بعد بيان مقصد الثعالبي من تعقبه يتضح أنّ قول ابن عطية: إنّ هذا هو قول أهل التأويل قاطبة. غير محصّل، وذلك باعتبار تعدّد أقوال من سبقه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تعقب الثعالبي في هذه المسألة لم يكن بعبارة واضحة، ولعلّ ذلك لكونه يخاطب أهل العلم ممن يفهم مقصوده وإن لم يفصّل الكلام ويوضّحه — والله أعلم —.

المطلب الخامس: هل وقع الاتفاق حول الآيات التسع الواردة في قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ

آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: 101]

### قول ابن عطية:

«اتفق المتأولون والرواة أن الآيات الخمس التي في سورة الأعراف هي من هذه التسع، وهي: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، واختلفوا في الأربع»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي

«ت: وفي هذا الاتفاق نظرٌ، وروى في هذا صفوان بن عسال: «أن يهوديا من يهود المدينة، قال لآخر: سر بنا إلى هذا النبي نسأله عن آيات موسى، فقال له الآخر: لا تقل له إنه نبي، فإنه لو سمعها، صار له أربعة أعين، قال: فسارا إلى النبي ﷺ فسألاه، فقال: «هي لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا بيريء إلى السلطان ليقته، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا الحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم — خاصة معشر اليهود ألا تعدوا في السبت» انتهى، وقد ذكر ع هذا الحديث»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة

ذكر ابن عطية أن المفسرين والرواة اتفقوا أن الآيات الخمس التي في سورة الأعراف هي من التسع، وهي: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، واختلفوا في الأربع المتبقية. وتعقبه الثعالبي برّد هذا الاتفاق، مستدلا على

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (488/3).

(2) — الجواهر الحسان، الثعالبي، (501/2).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

ذلك برواية عن صفوان بن عسال رضي الله عنه، فيها أن يهوديين سألا النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات فذكر غير هذه، كما أتبع ذلك مبيّناً أن ابن عطية ساق هذه الرواية؛ وكأنه يريد أن يبيّن بطلان الاتفاق بما قرّره ابن عطية نفسه بإيراد هذا الحديث مما يدل على وجود الخلاف في تحديدها، والحال هذه فإنّه يتوجب ما يلي:

أولاً: النظر في صحة الحديث الذي أورده الثعالبي، لمعرفة مدى صحة الاستدلال به.  
ثانياً: التحقق من إيراد ابن عطية له.

ثالثاً: مراجعة أقوال أهل الشأن للوقوف على موقفهم من المسألة، وهل نقلوا الخلاف في تحديد الآيات أم لا؟  
واليك بيان ذلك:

### أولاً\_ درجة حديث صفوان بن عسال:

رواه عنه عبد الله بن سلمة الأفيطس، ومن أخرجه الترمذي في سننه وقال: « هذا حديث حسن صحيح»<sup>(1)</sup> وأخرجه الضياء في المختارة وقال: « إسناده صحيح»<sup>(2)</sup>. وصحّحه الطحاوي في شرحه على مشكل الآثار، ونقل أيضاً رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيها أنّ الآيات هي: «الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ويده وعصاه والسنون ونقص من الثمرات». وحكم بصحّتها أيضاً، وجمع بين الحديثين ببيان أن الآيات تطلق على الآيات التعبديّة؛ أي الشرعية كقوله صلى الله عليه وسلم عن عبده ونبيه زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ فقال الله صلى الله عليه وسلم له: ﴿ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ [آل عمران: 41]، وتطلق على العلامات التي هي تحذيرات وإنذارات وحجج الله على خلقه، كقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [المؤمنون: 50]، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا آيَاتٍ وَالتَّهَارَاتِ آيَاتٍ ﴾ [الإسراء: 12]، ثم قال: « فكان تصحيح ما في حديث ابن عباس وما في حديث صفوان في ذلك إنما في حديث صفوان هو على الآيات التي تعبدوا بها، وكان ما في حديث ابن عباس هو الآيات التي أوعدوا بها وخُوفوها وأنذروا بها إن لم يعملوا ما تعبدوا به ما قد بينه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم،

(1) \_ ينظر: سنن الترمذي، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: 3144، (5/305).

(2) \_ الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين المقدسي، ت: عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: 3، 1420 هـ - 2000 م، (29/8).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

فصح ذلك ما في الحديثين جميعاً، وعقلنا عن رسول الله ﷺ أنّ مراده بما في أحدهما غير مراده بما في الآخر منهما»<sup>(1)</sup>.

وقد ذهب بعض المحدثين إلى تضعيف حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه، قال النسائي: «هذا حديث منكر، حكي عن شعبة قال: سألت عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة فقال: تعرف وتنكر»<sup>(2)</sup>. وقال العقيلي: «ولا يحفظ هذا الحديث من حديث صفوان بن عسال إلا من هذا الطريق»، وقال ابن كثير: «وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بال عشر الكلمات فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم»<sup>(3)</sup>.

والخلاصة: أنّ الحديث لا يعرف إلا من طريق عبد الله بن سلمة، وهو مختلف فيه، ذكره ابن حبان في "الثقات"، وذكره النسائي في "الضعفاء"<sup>(4)</sup>، ولما كبر ساء حفظه ولذلك قال عمرو بن مرة: «كان عبد الله بن سلمة يحدثنا، وقد كبر فكنا نعرف وننكر». فمن صحح الحديث اعتمد على توثيقه، ومن ضعفه اعتمد على تضعيفه، والثعالبي ممن يرى تصحيح الحديث لذلك استدل به. بقي أن أتأكد من إيراد ابن عطية له، وهل علّق على الحديث؟

### ثانياً\_ هل أورد ابن عطية الحديث:

بالرجوع إلى تفسيره اتضح أن ابن عطية ذكر الاتفاق في الآيات الخمس ثم ذكر اختلافهم في بقية الآيات، وساق على ذلك أقوالاً عديدة، ثم أتبعها بقوله: «وقالت فرقة: آيات موسى إنما أريد بها آيات التوراة التي هي أوامر ونواه»، وساق حديث صفوان بن عسال، ولم يعلّق عليه<sup>(5)</sup>.

### ثالثاً\_ هل نقل المفسرون الخلاف؟

بتتبع أقوال أهل الشأن وقفت على ما يلي:

(1) \_ شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي (ت: 321هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1415 هـ\_1994م، (64/1).

(2) \_ السنن الكبرى، النسائي، (449/3).

(3) \_ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (67/3).

(4) \_ ينظر: الضعفاء والمتروكون، أحمد بن شعيب النسائي (ت: 303هـ)، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب ط: 1، 1396هـ، (ص: 64). محمد بن حبان البستي (ت: 354هـ)، دائرة المعارف العثمانية\_ الهند، ط: 1، 1393 هـ\_ 1973م، (12/5).

(5) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (488/3).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

قال الطبري: «وقد اختلف أهل التأويل فيهنّ وما هنّ»<sup>(1)</sup>.  
وذكر الثعالبي الخلاف، حيث قال: «الآية إمّا أن تطلق على الدلالات والمعجزات فعلى القول الأول هي المقصودة، وقال بعضهم هي بمعنى آيات الكتاب وذكر الحديث». ونقل بعض من جاء بعد ابن عطية الخلاف في ذلك ومنهم القرطبي<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين أن تحديد الآيات محل خلاف بين أهل التفسير، وهذا ما عناه الثعالبي وهو ما نُقل عن كبار المفسرين، غير أن قول ابن عطية قد يحمل على اتفاق أصحاب القول الأول في الآيات الخمس الواردة في سورة الأعراف وأنها تدخل في التسع، ومما يؤيد هذا أنّ ابن عطية ساق القول الثاني \_ والله أعلم \_.

المطلب السادس: هل السؤال في قوله ﷺ: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾<sup>(112)</sup> [المؤمنون] عن زمن المكوث في الدنيا أم في القبر؟

### قول ابن عطية:

«قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ قال الطبريُّ معناه: في الدنيا أحياء، وعن هذا وقع السؤال، ونَسُوا لفرط هول العذاب حتّى قالوا: يوماً أو بعض يوم؛ والغرض توقيفهم على أنّ أعمارهم قصيرة أدّاهم الكفر فيها إلى عذاب طويل. وقال الجمهور: معناه: كم لبثتم في جوف التراب أمواتاً؟ قال ع: وهذا هو الأصوب من حيث أنكروا البعث وكان قولهم: إنهم لا يقومون من التراب، وقوله آخراً: ﴿وَأَنْتُمْ بِإِنْبَاءِنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115] يقتضي ما قلناه»<sup>(3)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«قلت: الآيات محتملة للمعنيين، والله أعلم بما أراد سبحانه»<sup>(4)</sup>.

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (564 / 17).

(2) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (335/10).

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (158 / 4).

(4) \_ الجواهر الحسان ، الثعالبي، (166 / 3).

### الدراسة:

ذكر الطبري في تفسير الآية أن السؤال وقع عن زمن المكوث في الحياة الدنيا، وتعقبه ابن عطية أن الأصوب أنه وقع على مدة مكوثهم في القبر، وعزا ذلك للجمهور، فتعقبه الثعالبي بأن الآية محتملة للمعنيين. وبتتبع المسألة وقفت على الخلاف فيها، وإليك بيان ذلك:

القول الأول: أن السؤال عن زمن مكثهم في القبر.

قال به مقاتل والواحدي في البسيط ومكي بن أبي طالب وابن عطية وعزا ذلك للجمهور<sup>(1)</sup>.

ومن جملة ما احتج به بعض من ذهب لهذا القول:

أ\_ أنهم أنكروا البعث وكان يزعمون أنهم لا يقومون من التراب، وقوله ﷺ: ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115] يؤكد ذلك<sup>(2)</sup>.

ب\_ أن قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ المقصود في القبر، ولو كان في الدنيا لقال على الأرض.

• ورد ذلك بقوله ﷺ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]؛ أي على الأرض.

ج \_ واستدلوا بقوله ﷺ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (55) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (56) [الروم].<sup>(3)</sup>

• ورُدَّ هذا القول بحجة أنه قول من يُنكر عذاب القبر، وهو قول الجهمية؛ لأن من كان في عذاب وشدة لا يقتصر المقام فيه كل هذا الاقتصار، حتى يقول: لبثت يوماً أو بعض يوم؛ بل يزداد له مقام يوم في العذاب على سنة وأكثر.

(1) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (167/3). تفسير البسيط، الواحدي، (82/16). جامع البيان، الطبري، (82/19).

المحرر الوجيز، ابن عطية، (158/4).

(2) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (158/4).

(3) \_ ينظر: الكشاف، الزمخشري، (88/3).



## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

● وأجيب على هذا الاعتراض بأنهم في عذاب في قبورهم، لكنهم إذا عاينوا عذاب الآخرة استقلوا عذاب القبر واستقصروه؛ لشدة عذاب الآخرة، وذلك جائز في متعارف الخلق أن يكون الرجل في بلاء وشدة، ثم يزداد له البلاء والشدة؛ فيستقل ذلك البلاء الذي كان به لشدة ما حلّ به؛ فعلى ذلك هم<sup>(1)</sup>.

### القول الثاني: أنّ السؤال وقع عن زمن مكوثهم في الدنيا.

وإليه ذهب الطبري والثعلبي والزخشي، وذكره السمعاني أولاً وأتبع القول الآخر بصيغة التمریض، واعتمد عليه النسفي وابن كثير ومجير الدين المقدسي، واختاره الألويسي وتعقب ابن عطية فيما ذهب إليه، وفرزه السعدي<sup>(2)</sup>.

### ومّا استندوا إليه:

أ\_ أنّ المقصود كم لبثتم في الحياة؛ لأنّ المشركين كانوا ينكرون البعث، فجاءهم السؤال عن زمن لبثهم في الدنيا توبيخاً لهم .

أ\_ قوله: ﴿ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾ [المؤمنون:113] يدل على أنّ ذلك في الحياة الدنيا أشبه؛ حيث أمر أن يسأل الذين يعدّون، وذلك إنّما يكون في الدنيا لا في الآخرة<sup>(3)</sup>.

ب\_ واستندوا لما روي مرفوعاً: «أن الله تعالى إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار قال: يا أهل الجنة كم لبتم في الأرض عدد سنين، قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، قال: لنعم ما أنجزتم في يوم أو بعض يوم، رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين، ثم يقول: يا أهل النار كم لبتم في الأرض عدد سنين، قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، فيقول بئسما أنجزتم في يوم أو بعض يوم، ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين»<sup>(4)-(5)</sup>.

(1) \_ تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (7/ 499).

(2) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (19/ 82). الكشف والبيان، الثعالبي، (7/ 59). الكشف، الزخشي، (3/ 205). تفسير القرآن، السمعاني، (3/ 494). مدارك التنزيل، النسفي، (2/ 484). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/ 500). فتح الرحمن في تفسير القرآن، ابن عادل، (4/ 497)، روح المعاني، الألويسي، (9/ 269). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 560).

(3) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (7/ 500).

(4) \_ أخرجه أبو نعيم في الحلية (دار الفكر\_ القاهرة، ط: 1، 1416 هـ\_ 1996 م)، (5/ 132)، وقال: «رواه أيفع مرسلًا، وأسند أيفع عن معاوية بن أبي سفيان وغيره».

(5) \_ ينظر: روح المعاني، الألويسي، (9/ 269).

### القول الثالث: أن الآية تحتل المعنيين

عزا السمرقندي للسديّ أنه ذكر الاحتمالين معاً، ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «لا أدري في الأرض أم في القبر؟». وذكر الماوردي الوجهين، وحمل الواحد في الوسيط المعنى عليهما، وكذلك البغوي والبيضاوي والثعالبي، وأورد الشوكاني احتمال إرادة الجميع، وهو ما قرّره أبو بكر جابر الجزائري<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

الذي يظهر أن الآية تحتل المعنيين كما قال الثعالبي وذلك لما يلي:

1\_ مكوّتهم على ظهر الأرض قبل موتهم وفي بطنها بعد موتهم، كل ذلك قليل بالنسبة إلى لبثهم<sup>(2)</sup>.

2 \_ قوله: ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ يُحْمَلُ عَلَى الْمَعْنَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا وَعَاءُ الْإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ كَمَا قَالَ رضي الله عنه: ﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾<sup>(25)</sup> أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا<sup>(26)</sup> [المرسلات].

المطلب السابع: في المخاطب بقوله رضي الله عنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾<sup>(51)</sup> [المؤمنون]

### قول ابن عطية:

«...والوجه في هذا أن يكون الخطاب لمحمد، وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزاً أن هذه المقالة قد خوطب بها كل نبي، أو هي طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها، وهذا كما تقول لتاجر: يا تاجر ينبغي أن تحتبوا الربا. فأنت تخاطبه بالمعنى، وقد اقترن بذلك أنّ هذه المقالة تصلح لجميع صنفه، وقال الطبري: الخطاب بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ﴾ لعيسى، ورؤي أنه كان يأكل من غزل أمه، والمشهور عنه أنه كان يأكل من بقل البرية، ووجه خطابه لعيسى ما ذكرناه من تقدير لمحمد رضي الله عنه»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (492/2). النكت والعيون، الماوردي، (69/4). التفسير الوسيط، أبو حيان، (300/3). معالم التنزيل، البغوي، (377/3). أنوار التنزيل، البيضاوي، (97/4). لباب التأويل، الخازن، (278/3). فتح القدير، الشوكاني، (592/3). أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط:5، 1424هـ/2003م، (377/3).

(2) \_ ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (592/3).

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (146/4).

تعقيب الثعالبي:

«قلت: والصحيح في تأويل الآية: أنه أمر للمرسلين كما هو نص صريح في الحديث الصحيح، فلا معنى للتردد في ذلك، وقد روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (51) [المؤمنون]، وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:172] ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟!»<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (53) [المؤمنون]، وهذه الآية تقوي أن قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ إنما هو مخاطبة لجميعهم، وأنه بتقدير حضورهم، وإذا قدرت: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ مخاطبة للنبي ﷺ فليق اتصال هذه واتصال قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

أورد المختصر قول ابن عطية في المقصود بالخطاب في الآية السابقة، حيث حمل ذلك على النبي ﷺ، خرج بهذه الصيغة \_ أي الجمع \_ ليفهم أنه قد خوطب به كل نبي، ثم لم يقطع بذلك فأورد احتمالاً آخر؛ أنه قد يحمل على الطريقة التي ينبغي أن يكونوا عليها، ثم أورد بعد ذلك قول الطبري بأن الخطاب لعيسى عليه السلام، قال ابن عطية: «ووجه خطابه لعيسى ما ذكرناه من تقدير لمحمد ﷺ». فتعقبه الثعالبي مبيناً أنه خطاب لجميع المرسلين، وساق على ذلك أدلة، وأنكر التردد في هذه القضية. وتتبع أقوال المفسرين ظهر أن المسألة لا تخرج عن هذه الأقوال وهي:

(1) \_ أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم: (65 / 1015)، (2 / 703).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4 / 152).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

القول الأول: أنه خطاب لعيسى عليه السلام.

روي عن عمرو بن شرحبيل<sup>(1)</sup>، وعزاه مكّي للزجاج، وذهب إليه الطبري<sup>(2)</sup>.

ومجموع ما وقفت عليه من أدلة ما يلي:

أ\_ أنّ العرب تقول في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنّا أذاكم. وكما قال الله: ﴿إِلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران]، وهو رجل واحد<sup>(3)</sup>.

ب\_ كما أن قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون] يُوضّح ذلك؛

ف: ﴿زُبْرًا﴾ معناه: كتبنا أحدثوها، وهذا حال النصارى.

ج\_ أنه روي أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمه<sup>(4)</sup>.

القول الثاني: الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي<sup>(5)</sup>، وقال به مقاتل والزجاج، وعزاه الماتريدي لعامة أهل التأويل، ومن قال به السمرقندي وابن أبي زمنين والواحدي<sup>(6)</sup>. وبعض من ذهب لهذا القول خصّص الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم خصّه به وبين أنه تضمن أنّ الرسل جميعا هكذا أمروا.

ومما احتجوا به ما يلي:

أ\_ قد يذكر الجماعة ويراد به الواحد كقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنْ يُعَفَّ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ [التوبة: 66]، وإنما كان رجلا واحدا<sup>(7)</sup>.

(1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (40/19).

(2) \_ ينظر: الهداية، مكّي، (7/ 4973). جامع البيان، الطبري، (40/19)، غير أنّ الطبري أورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 199] أن المقصود إبراهيم، لكن العرب يطلقون على الواحد لفظ الجماعة ومنه

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ قيل: عنى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى.

(3) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (40/19).

(4) \_ ينظر: الهداية، مكّي بن أبي طالب، (7/ 4973).

(5) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (3/ 478). معالم التنزيل، البغوي، (3/ 367). زاد المسير، ابن الجوزي، (3/ 264)

(6) \_ ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (3/ 158). معاني القرآن وإعراجه للزجاج (4/ 15). بحر العلوم، السمرقندي، (2/

482). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (3/ 202).

(7) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 71).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

ب \_ أن النبي ﷺ ذكر بعد انقضاء أخبار الرسل عليهم السلام<sup>(1)</sup>.

القول الثالث: الخطاب عام لجميع الرسل عليهم السلام.

ومعنى ذلك الإعلام بأن كل رسول في زمانه أمر بذلك، ليعتقد السامع أن أمرًا نودي له جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به تحقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه، فيكون المعنى: وقلنا يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، وإليه ذهب الزمخشري، واختاره الرازي والقرطبي والبيضاوي وابن القيم وابن كثير والقاسمي وابن باديس والمراغي والسعدي والطاهر بن عاشور والشنقيطي<sup>(2)</sup>.

ومما استندوا إليه في إثبات هذا القول ما يلي:

أ \_ أنه أوفق للفظ الآية.

ب \_ روي عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس رضي الله عنها: «أما بعثت إلى رسول الله ﷺ بقدر من لبن في شدة الحر عند فطره وهو صائم فردّه الرسول إليها، وقال: «من أين لك هذا؟» فقالت من شاة لي، ثم ردّه وقال: «من أين هذه الشاة؟» فقالت اشتريتها بمالي فأخذه. ثم إنها جاءته وقالت: يا رسول الله لم ردّدته؟ فقال ﷺ: «بذلك أمرت الرسل أن لا يأكلوا إلا طيبا، ولا يعملوا إلا صالحا»<sup>(3)</sup>-(4).

ج \_ روي في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾<sup>(51)</sup>»، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172] ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فإني يستجاب لذلك؟!«<sup>(5)</sup>.

(1) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (280 / 23).

(2) \_ ينظر: الكشاف، الزمخشري، (190 / 3). مفاتيح الغيب، الرازي، (281 / 23). أنوار التنزيل، البيضاوي، (89 / 4). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (477 / 5). محاسن التأويل، القاسمي، (291 / 7). مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، (ص: 354). تفسير المراغي، المراغي، (29 / 18). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (68 / 18). أضواء البيان، الشنقيطي، (334 / 5).

(3) \_ أخرجه الطبراني في الكبير، رقم: 428، (174 / 25)، وفيه أبو بكر بن أبي مریم وهو ضعيف. ينظر: الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص: 115).

(4) \_ مفاتيح الغيب، الرازي، (281 / 23).

(5) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (478 / 5).

### الخلاصة:

يظهر لي بعد استعراض الأقوال السابقة، أنّ تعقب الثعالبي في محلّه؛ فالراجح أنّه خطاب لجميع الرّسل عليهم السلام، حُوطب به كل واحد في زمانه، ويدخل في ذلك عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأهم ما يؤكّد ذلك ما يلي:

1\_ ورد في ذلك حديث صحيح كما تقدّم، ومعلوم أنّ أفضل أنواع التفسير وأعلاها تفسير القرآن بالقرآن، ثمّ بالسنة النبوية الصحيحة.

2\_ مما هو مقرر أنّه: لا يصح ادعاء خصوص في آية ظاهرها العموم إلاّ بحجّة يجب التسليم إليها. والله أعلم.

وفي ختام هذا المبحث يتضح أنّ الثعالبي قد أصاب في أغلب المسائل التي تعقب فيها ابن عطية، وقد تبين أنّه يقدم العموم مستندا في ذلك إمّا للحاق الآية ولكونه قول الأكثر، أو بالاعتماد على النظائر القرآنية، كما ردّ الإجماع الذي نقله ابن عطية استنادا على الخلاف الذي حكاه القاضي عياض، وقد وُفق في ذلك، كما أيّد الطبري معتمدا على ظاهر الآية، واستند في حمل آية أخرى على الظاهر بما ورد من تفسير نبوي يؤكّد ما ذهب إليه، واعتبر التردّد مع وجود الحديث لا معنى له، وهذا ما يبرز عنايته بالسنة النبوية، كما ظهر من خلال هذا المبحث إطلاع الثعالبي على كتب التاريخ. وقد يورد تعقبا غير واضح العبارة؛ لكونه يكتب لأهل العلم ممن لا يلتبس عليهم مقصوده.

### المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المثاني

المثاني هي السور التي تأتي بعد المئين، وتقع في أقل من مائة آية، وقد خصّصت هذا المبحث لدراسة تعقبات الثعالبي في التفسير على ابن عطية في هذا القسم من القرآن، ضمّنتها في سبعة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: معنى الزيادة في قوله ﷻ: ﴿لِيَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]

#### قول ابن عطية:

«وحكى الطبري عن سفيان وعن الحسن أنهما قالاً: معنى الآية: ﴿لِيَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ مِنْ طَاعَتِي. قال ابن عطية: وضعفه الطبري، وليس كما قال، بل هو قويٌّ حَسَنٌ، فتأمله»<sup>(1)</sup>.

#### تعقب الثعالبي:

«ت: وتضعف الطبري بين من حيثُ التخصيص، والأصلُ التعميم»<sup>(2)</sup>.

#### الدراسة:

نقل الطبري عن سفيان والحسن أنّ معنى ﴿لِيَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من طاعتي، وضعفه<sup>(3)</sup>، فتعقبه ابن عطية مصححاً له، فردّ عليه الثعالبي بأن تضعيف الطبري بين من حيث تخصيص الزيادة بالطاعة، والأصل التعميم، يريد بذلك أن لفظ الزيادة لا يتناول الطاعة بل هو عام في كل خير. وبتتبع التفاسير يتضح أن عبارات المفسرين في معنى الزيادة تعددت ومن ذلك:

#### أولاً\_ تفسيرها بالطاعة:

قاله مجاهد والحسن وأبو صالح<sup>(4)</sup> والثوري<sup>(5)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (325/3).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (377/2).

(3) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (527/16).

(4) \_ المصدر نفسه، (527/16).

(5) \_ ينظر: تفسير الثوري، سفيان الثوري (161 هـ)، ت: لجنة من الباحثين بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط:

1، 1403 هـ/1983، (1/176).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

ثانياً\_ تفسيرها بما يُحصّله الإنسان من خير في الدنيا:  
قاله مقاتل<sup>(1)</sup>.

ثالثاً\_ تفسيرها بثواب الآخرة:

عزاه القرطبي لابن عباس رضي الله عنه<sup>(2)</sup>.

\_ ونقل مكي أقولاً أخرى ولم ينسبها وهي: أنّ المقصود بالزيادة الرّحمة والتوفيق والعصمة، وقيل لأزيدنكم من أسباب الشكر<sup>(3)</sup>.

\_ وأكثر المفسرين \_ حسب ما وقفت عليه \_ فسّرها: لئن شكرتم نعمي لأزيدنكم منها، أو لأزيدنكم نعمة إلى نعمة.

قاله السمرقندي وابن أبي زمنين والثعلبي والرازي والبيضاوي وابن كثير، وهو اختيار الطبري، ووافقه الألوسي واعتبر أن صرف الزيادة إلى نوع من النعم دون غيرها خلاف الظاهر، ووافقه الثعالبي أيضاً<sup>(4)</sup>.

ويرى القرطبي أنّ هذه العبارات متقاربة لا متنافرة، حيث قال بعد إيراد بعضها: «والمعنى متقارب في هذه الأقوال، والآية تنص في أن الشكر سبب المزيد»<sup>(5)</sup>.

### الخلاصة:

بعد أن سقت أقوال المفسرين يتضح أن قول الطبري هو الذي ينبغي أن تُحمل عليه الآية، وذلك للأسباب التالية:

1\_ دلالة السياق تُوضّح هذا المعنى، وهذا ما أورده الطبري في سياق ردّه قول الحسن وسفيان، حيث قال: «ولا وجه لهذا القول يُفهم؛ لأنّه لم يجرٍ للطاعة في هذا الموضوع ذكرٌ فيقال: إنّ شكرتموني عليها زدتمكم منها، وإنما جرى

ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم:6]، ثم أخبرهم أنّ الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم، فالواجب في

(1) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (2 / 399).

(2) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (9/343).

(3) \_ الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي، (5/3778).

(4) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2 / 235). تفسير ابن أبي زمنين 2 / 363، الكشف والبيان، الثعلبي، (5 / 306).

مفاتيح الغيب، الرازي، (19/67). أنوار التنزيل، البيضاوي، (3/193). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4/479). جامع

البيان، الطبري، (16/527). روح المعاني، الألوسي، (7/181). الجواهر الحسان، الثعالبي، (3/376).

(5) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (9/343).



## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

المفهوم أن يكون معنى الكلام: زادهم من نعمه، لا ممّا لم يجر له ذكر من (الطاعة)، إلا أن يكون أريد به: لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر، لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه، فيكون ذلك وجهًا»<sup>(1)</sup>.

2\_ الأصل أن يحمل اللفظ على عمومه ما لم يرد دليل يقتضي التخصيص، وهذا يجعل الألفاظ المذكورة تدخل فيه، وفضل الله واسع فيجازي في الدنيا والآخرة.

3\_ مما يدل على العموم ما أورده الطاهر بن عاشور من أنّ المفعول الثاني من ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ محذوف حيث قال: «والشكر مؤذن بالنعمة، فالمراد: شكر نعمة الإنجاء من آل فرعون وغيرها؛ ولذلك حذف مفعول شكرتم ومفعول لأزيدنكم ليقدر عاما في الفعلين»<sup>(2)</sup>.

4\_ التفاسير التي خصّصت الزيادة هي من قبيل التفسير بالمثال، أو تفسير العام ببعض أفراده، ومن المقرّر عند العلماء؛ أنّه متى أمكن حمل الآية على معنى كليّ يجمع تفسيرات جزئية من قبيل التفسير بالمثال أو الجزء ولا معارض له، وتشهد له الأدلة الصحيحة، فهو أولى بتفسير الآية حملا على عموم ألفاظها، ولا داعي بتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير، ولم يقتض السياق تخصيصها حتما<sup>(3)</sup>.

ومع ذلك فإنّ التفاسير التي ذكرناها ومنها تفسير سفيان والحسن متوجهة، وهي من باب التفسير بالمثال أو تفسير العام ببعض أفراده، وتعقب الثعالبي كان دقيقا؛ إذ أشار إلى أن وجه تخطيطه الطبري للحسن والثوري، وأنّه من جهة التخصيص، ولم يردّ \_ الثعالبي \_ تفسيريهما وإمّا ردّ التخصيص \_ والله تعالى أعلم \_.

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (527 / 16).

(2) \_ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (193/ 13).

(3) \_ ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، (527 / 2).

المطلب الثاني: المقصود بقوله ﷺ: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ [الحج:77]

قول ابن عطية:

«وقوله: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾؛ ندب فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«قلت: وهذه الآية الكريمة عامّة في أنواع الخيرات، ومن أعظمها الرأفة والشفقة على خلق الله، ومواساة الفقراء وأهل الحاجة...»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

ذكر ابن عطية كلاما يفهم منه أن قوله ﷺ: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ ينصرف إلى المستحبات، وقد قرّر هذا في سورة البقرة حين تكلم عن حكم كتابة الدين فقال: «وأما الكتب في الجملة فندب كقوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾»<sup>(3)</sup>، وقرّره عند تفسيره لسورة المائدة في سياق التمثيل لصيغة (أفعل) التي قد تأتي للوجوب وقد تأتي للندب، ومثّل بهذه الآية وقال أنّها للندب<sup>(4)</sup>، وقد تعقبه الثعالبي في هذا الموطن من سورة الحجّ دون غيرها، مبيناً أن الآية عامة في كل أنواع الخير؛ يريد بذلك أنّها تشمل الواجب والمندوب. وتتبع أقوال أهل العلم وقفت على ما يلي:

أولاً\_ أكثر أهل التفسير جعلوها عامة في الخيرات والطاعات، ومن هؤلاء الزجاج حيث قال: «والخير كل ما أمر الله به»<sup>(5)</sup>. ولا شك أنّ المأمور يشمل الواجب والمستحب، وبمثل ذلك قال الماتريدي ومكي بن أبي طالب، وإليه ذهب القشيري والسمعاني وابن الجوزي والرازي<sup>(6)</sup>، وهو ما يفهم من كلام البيضاوي حيث قال: «وتحرّوا ما هو

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (4/ 134).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 138).

(3) \_ المصدر السابق، (1/ 379).

(4) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 148).

(5) \_ معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (3/ 439).

(6) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (7/ 449). الهداية، مكي، (7/ 4936)، لطائف الإشارات، عبد الكريم بن

هوازن القشيري (ت: 465هـ)، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط: 3، 2000م، (2/ 564).

تفسير القرآن، السمعي، (3/ 457). زاد المسير، ابن الجوزي، (3/ 251). مفاتيح الغيب، الرازي، (23/ 254).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصللة الأرحام ومكارم الأخلاق»<sup>(1)</sup>. والملاحظ أنه مثل بالنوافل وأورد صلة الأرحام وفيها الواجب والمستحب، وأورد مكارم الأخلاق، والامتثال بها من صميم الواجبات. وممن حمل الأمر على العموم أيضا ابن جزى، حيث ردّ على من خصّصها بصلة الرّحم، كما ردّ قول ابن عطية وقال أنّ اللفظ أعمّ من ذلك كلّهُ، وهو ما اختاره الثعالبي والمظهري والشوكاني والسعدي وابن عاشور والشنقيطي<sup>(2)</sup>.

ومّا اعتمدوا عليه:

— الترتيب؛ حيث إنّهم أمروا أولا بالصلاة وهي نوع من العبادة، وثانيا بالعبادة وهي نوع من فعل الخير، وثالثا بفعل الخير وهو أعمّ من العبادة، فبدأ بخاص ثم بعام ثم بأعمّ<sup>(3)</sup>.

ثانيا — ذهب بعض أهل التفسير إلى أن المقصود بها صلة الرحم ومكارم الأخلاق، ويُنسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنه ذكره الواحدي والبغوي<sup>(4)</sup>، غير أن صاحب المقباس أورد أن ابن عباس رضي الله عنه حملها على العمل الصالح؛ أي على العموم، إذ العمل الصالح فيه واجب ومستحب، ولا يختص بصلة الرّحم ومكارم الأخلاق.

ثالثا — ذكر ابن عطية أن المقصود به المستحبات، وهو ما ذكره القرطبي<sup>(5)</sup>.

### الخلاصة:

ما ذهب إليه الثعالبي هو الرّاجح وذلك لما يلي:

- 1\_ ترتيب الآية وسياقها يدل على ذلك كما مرّ سابقا.
- 2\_ لفظ (الخير) جاء بالألف واللام، وهي من صيغ العموم، فَيُعَمّ ذلك جميع أنواع الخير.
- 3\_ ما جاء عن بعض السلف كابن عباس رضي الله عنه من تخصيصها ببعض العبادات كصلة الرّحم، لا يراد منه التخصيص، وإنّما هو من قبيل التفسير بالمثل.

(1) \_ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (80 / 4).

(2) \_ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، (47 / 2)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، (138 / 4)، التفسير

المظهري، المظهري، (350 / 6). فتح القدير، الشوكاني (556 / 3). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (346 / 17).

(3) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (254 / 23). البحر المحيط، أبو حيان، (539 / 7).

(4) \_ ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، (281 / 3). معالم التنزيل، البغوي، (352 / 3).

(5) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (134 / 4). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (98 / 12).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

— ويبقى الخير في هذه الآية مجمل بيّنته وبينت مراتبه أدلة أخرى كما قال ابن عاشور<sup>(1)</sup>.

المطلب الثالث: معنى ﴿وَأذْكَرْتُمْ﴾ في قوله ﷺ: ﴿وَأذْكَرْتُمْ مَا يَتَّبِعِي فِي بَيْتِي فِي بَيْتِي كُنَّ مِنْ-إِيْدَتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (34) [الأحزاب].

قول ابن عطية:

«﴿وَأذْكَرْتُمْ﴾ يحتمل مقصدين: كلاهما موعظة أحدهما: أن يريد تذكره، واقدرنه قدره، وفكّر في أن من هذه حاله ينبغي أن تحسن أفعاله، والثاني: أن يريد: اذكرن بمعنى: احفظن واقرأن وألزمه ألسنتكن»<sup>(2)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: ويحتمل أن يراد ب اذكرن إفشاؤه ونشره للناس، والله أعلم. وهذا هو الذي فهمه ابن العربي من الآية، فإنه قال: «أمر الله أزواج رسوله أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وبما يرين من أفعال النبي ﷺ وأقواله، حتى يبلغ ذلك إلى الناس، فيعملوا بما فيه ويقتدوا به، انتهى. وهو حسن وهو ظاهر الآية، وقد تقدم له نحو هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: 127] الآية ذكره في أحكام القرآن»<sup>(3)</sup>.

الدراسة:

ذكر ابن عطية أن معنى ﴿وَأذْكَرْتُمْ﴾ ينصب في مقصدين؛ الأول: أي تذكره واعرفن قدره وأتبعن ذلك بالعمل به. والثاني: أي واطن على ترديده وحفظه. وكلاهما في الحقيقة يخدمان نساء النبي ﷺ بتمام صلاح نفوسهن واستقامتهن بالعلم والعمل. وأما ما أورده الثعالبي من احتمال آخر للآية وحسنه، فلا يكفي بمجرد إصلاح النفس، وإنما يتعلق بالتبليغ لإصلاح الغير عملا به واقتداء، وقد اعتمد في ذلك على ظاهر الآية. وتتبع أقوال المفسرين وقفت على ما يلي:

(1) — ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (17/ 346).

(2) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (4/ 385).

(3) — الجواهر الحسان، الثعالبي، (3/ 355).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

القول الأول: أن المقصود بالذكر تقدير هذه النعمة وشكر الله عليها بالقول والعمل. ومن قال به: قتادة<sup>(1)</sup> ومكي بن أبي طالب والقشيري والبيضاوي وابن كثير والإيجي<sup>(2)</sup>.

القول الثاني: أن المقصود بالذكر، تلاوته وحفظه.

ومن قال به: السمرقندي والواحدي والزنجشيري<sup>(3)</sup>.

القول الثالث: أنه يحتمل تذكر هذه النعمة، ويحتمل حفظه وتلاوته.

ومن قال بذلك: الماتريدي وابن الجوزي والقاسمي<sup>(4)</sup>.

القول الرابع: هناك من أضاف احتمالا آخر وهو تذكير الناس به على جهة التبليغ.

ومن أورد هذا القول إضافة إلى إيراد أحد الاحتمالات السابقة أو جميعها، أبو حيان حيث قال:

«وَأَذْكُرُكَ» إِمَّا بِمَعْنَى احْفَظْهُ وَتَذَكَّرْهُ، وَإِمَّا أَذْكُرْهُ لِغَيْرِكُنْ وَأَرُونَهُ حَتَّى يُنْقَلُ<sup>(5)</sup>. ومن ذكره أيضا الشريبي وأبو السعود والشوكاني والسعدي<sup>(6)</sup> وابن عاشور، وقد أسهب رحمه الله في بيان أنّ لفظ الذكر يصلح أن يُحمل على كل هذه الاحتمالات، حيث قال: « وفعل (اذكرن) يجوز أن يكون من الذكر بضم الذال وهو التذكر، وهذه كلمة جامعة تشمل المعنى الصريح منه؛ وهو أن لا ينسين ما جاء في القرآن ولا يغفلن عن العمل به، ويشمل المعنى الكنائي؛ وهو أن يراد مراعاة العمل بما يتلى في بيوتهن مما ينزل فيها وما يقرأه النبي ﷺ فيها وما يبين فيها من الدين، ويشمل معنى كنائيا ثانيا؛ وهو تذكر تلك النعمة العظيمة أن كانت بيوتهن موقع تلاوة القرآن، ويجوز أن يكون من الذكر بكسر الذال، وهو إجراء الكلام على اللسان؛ أي بلغنه للناس بأن يقرآن القرآن ويبلغن أقوال النبي ﷺ وسيرته، وفيه كناية عن العمل به؛ أي ما يتلى في بيوتهن عند نزوله، أو بقراءة النبي ﷺ ودراستهن القرآن؛ ليتجدد ما علمنه ويلمع لهن من أنواره ما هو مكنون لا ينضب معينه، وليكن مشاركات في تبليغ القرآن

(1) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6/ 415).

(2) \_ ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، مكي، (9/ 5834). لطائف الإشارات، القشيري، (3/ 161). أنوار التنزيل، البيضاوي، (4/ 231). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6/ 415). جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، (3/ 352).

(3) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (3/ 61). التفسير الوسيط، الواحدي، (3/ 470). الكشف، الزنجشيري، (3/ 538).

(4) \_ ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (8/ 384)، زاد المسير، ابن الجوزي، (3/ 464). محاسن التأويل، القاسمي، (8/ 75).

(5) \_ البحر المحيط، أبو حيان، (8/ 479).

(6) \_ ينظر: السراج المنير، الشريبي، (3/ 245). إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (7/ 103). فتح القدير، الشوكاني،

(4/ 323). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 664).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

وتواتره، ولم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون بعدهم يرجعون إلى أمهات المؤمنين في كثير من أحكام التساء ومن أحكام الرجل مع أهله، كما في قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:42]؛ أي بلغ خير سجنى وبقائي فيه، وموقع مادة الذكر هنا موقع شريف لتحملها هذه المحامل ما لا يتحمله غيرها إلا بإطناب<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي سقته يتضح أنّ مادة (الذكر) تحمل المعاني السابقة جميعاً، إذ ليس بينها تنافر والقاعدة تقول: "إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها"<sup>(2)</sup>، وهذا ما يظهر إعجاز القرآن وبلاغته، وبذلك فإنّ تعقب الثعالبي في محله \_ والله أعلم \_.

المطلب الثالث: معنى ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿أَوْجَلَهُ مَعَهُ الْمَلِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف]

### قول ابن عطية:

«قوله: ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾؛ أي: يحمونه، ويشهدون له، وقيّمون حجته»<sup>(3)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«﴿مُقْتَرِنِينَ﴾: متتابعين، يقارن بعضهم بعضاً، يمشون معه شاهدين له، انتهى، وقال ع: قوله: مقترينين: أي: يحمونه، ويشهدون له، وقيّمون حجته. وما تقدم لغيره أحسن، ولا يشك أن فرعون شاهد من حماية الله لموسى أمورا لم يبق معه شك في أن الله قد منعه منه»<sup>(4)</sup>.

### الدراسة:

ذكر ابن عطية أنّ معنى ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾؛ أي يحمونه ويشهدون له وقيّمون حجته، فتعقبه الثعالبي بأن قول من فسر ذلك بأنهم يأتون متتابعين يمشون معه ويشهدون له أحسن مما ذكره ابن عطية، بدليل أن فرعون كان عالماً بحماية الله لموسى ﷻ مما لم يترك عنده شك أن الله قد منعه منه.

(1) \_ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (19 / 22).

(2) \_ ينظر: مختصر في قواعد التفسير، الحربي، (ص: 29).

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (60/5).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (174/4).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

ولعل الناظر لتعقب الثعالبي يظهر له بداية أنّ ما اختاره وما ذكره ابن عطية نفسه، ولكن المدقق يلحظ أنّ الثعالبي تعقب ابن عطية في حمله للمعنى على دعوة فرعون أن تُنزل الملائكة لحماية موسى عليه السلام حتى يعلموا أنه رسول من عند الله، ويبيّن أنّ فرعون قد رأى من المعجزات ما تيقن من خلاله أن الله يحميه ويحوطه بعنايته؛ لذا فالأحسن أن يحمل المعنى: أي يمشون معه ويشهدون له. وحسب بحثي فإن المفسرين أوردوا عبارات عديدة لمعنى

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ يمكن أن أخصها فيما يلي:

أولاً\_ أي يمشون معه:

قاله مجاهد والزجاج والثعلبي وزاد: شاهدين له. وقال الكلبي أي على صدقه<sup>(1)</sup>.

• وقد تعقبه الماوردي بقوله: «وليس يلزم هذا لأن الإعجاز كاف، وقد كان في الجائز أن يكذب مع مجيء الملائكة كما يكذب مع ظهور الآيات»<sup>(2)</sup>.

ثانياً\_ أي متتابعين:

روي عن قتادة<sup>(3)</sup>، وقاله السمعاني<sup>(4)</sup>.

ثالثاً\_ يقارن بعضهم بعضاً:

روي عن السدي<sup>(5)</sup>.

\_ وأورد الطبري العبارات السابقة واعتبرها متحدة في المعنى<sup>(6)</sup>، ولم يذكر معنى الحماية، وهذا ما حسّنه الثعالبي واختاره<sup>(7)</sup>.

(1) \_ ينظر: تفسير مجاهد، مجاهد، (1/ 594). معاني القرآن وإعرابه (4/ 415). الكشف والبيان، الثعالبي، (8/ 339).

(2) \_ النكت والعيون، الماوردي، (5/ 231).

(3) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (21/ 621).

(4) \_ تفسير القرآن، السمعاني، (5/ 109).

(5) \_ ينظر: المصدر السابق، (21/ 621).

(6) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (21/ 621).

(7) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 174).

رابعاً\_ يعينونه:

روي عن ابن عباس رضي الله عنه (1)، وقال به مقاتل وبنحوه السمرقندي والواحدي (2)، وهو معنى ما ذكره الزمخشري، حيث قال: «وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره» (3)؛ إذ معنى الإعانة ينصرف إلى النصرة وكذلك الحماية، وهو ما ذهب إليه ابن عطية.

الخلاصة:

بعد الذي سقته يظهر لي أنّ معنى ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ يحمل المعاني السابقة جميعاً، ومن ذلك معنى الحماية، ومما يؤيد هذا ما يلي:

1\_ معنى الاقتران والتتابع يفيد الاشتقاق.

2\_ معنى الشهادة على صدقه، يدل عليه قول المشركين للنبي ﷺ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصّٰدِقِيْنَ ۗ﴾ [الحجر]، فهم طلبوا من النبي ﷺ حضور الملائكة معه ليشهدوا على صدقه، وما قيل للنبي ﷺ قيل للرسل من قبله بنص قوله ﷺ: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت: 43]. وتُعْتَبُ الماوردي لهذا المعنى بقوله: «وليس يلزم هذا؛ لأنّ الإعجاز كاف، وقد كان في الجائر أن يكذب مع مجيء الملائكة كما يكذب مع ظهور الآيات» (4) غير لازم، فالآيات كافية لكن كفر فرعون ومن معه كان على سبيل الإباء والاستكبار، وطلبهم للآيات الأخرى من قبيل التعنت وهو معروف من أخلاق المكذّبين، وقد قال الله لنبيه ﷺ عن أهل الكتاب: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: 144].

3\_ وأما معنى النصرة والإعانة والحماية، فالسياق يدل على استهتار فرعون بموسى عليه السلام وتعييره بضعفه، ممّا يجعل المعنى يُحمل على طلب الحماية من الملائكة استهزاء به، قال أبو حيان: «وقد ذكر قبل ذلك: قال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب إن كان صادقا؟ وكان ذلك دليلاً على إلقاء مقاليد الملوك إليه، لما وصف

(1) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (16/ 100).

(2) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل، (3/ 798). بحر العلوم، السمرقندي، (3/ 260). التفسير الوسيط، الواحدي، (4/ 77).

(3) \_ الكشاف، الزمخشري، (4/ 258).

(4) \_ النكت والعيون، الماوردي، (5/ 231).



## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

نفسه بالعزة والملك، ووازن بينه وبين موسى عليه السلام، فوصفه بالضعف وقلة الأعضاء، فاعترض فقال: إن كان صادقاً فهلا ملكه ربه وسوره وجعل الملائكة أنصاره؟»<sup>(1)</sup>.

وما ذهب إليه الثعالبي في تعقبه على هذا المعنى بقوله: «ولا يشك أن فرعون شاهد من حماية الله لموسى أمورا لم يبق معه شك في أن الله قد منعه منه». غير محصل؛ لأن كفر فرعون كان تعنتاً وجحوداً واستكباراً، وما قيل في ردّ اعتراض الماوردي يقال هنا، ويضاف إلى ذلك أن فرعون كما رأى من الآيات الدالة على صدقه وكذب بها واحدة تلو الأخرى، فكذلك رأى حماية الله لموسى عليه السلام ومع ذلك أصّر على محاولة البطش به، وأعظم ما رآه من ذلك أن الله منعه من الغرق على ضعفه، ومنعه من كيد فرعون فترى في بيته، ومنعه منه بعد أن بطش بعدوه، ومنعه منه يوم الزينة، ومع ذلك سار خلفه بجنده يريد قتله وهو قد رأى حماية الله له في المواطن السابقة.

4\_ واستناداً إلى ما سبق فإنّ المعاني الواردة غير متنافرة، ومن القواعد المقررة "أنّ الآية إذا فسرت بعدة معان لا يوجد تنافر بينها فيحمل على الجميع". ولعلّ الثعالبي في تعقبه ركّز على الاشتقاق اللغوي لكلمة للفظ (الاقتران) \_ والله أعلم \_.

المطلب الرابع: هل يفهم من قوله عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ ﴾ [مريم] أنّ عيسى عليه السلام أوتي النبوة على صغره؟

### قول ابن عطية:

«وقالت فرقة: إنّ عيسى عليه السلام كان أوتي الكتاب وهو في سنّ الطفوليّة، وكان يصوم، ويصلي. قال ع: وهذا في غاية الضّعف. [مُصْرَحٌ بِجَهَالَةِ قَائِلِهِ]»<sup>(2)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وضعفه من جهة سنده وإلا فالعقل لا يحيله لا سيّما وأمره كله خرق عادة»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ البحر المحيط، أبو حيان، (9/ 383).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (4/ 15).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 18).

تعقب ابن عطية قول من أورد أن عيسى عليه السلام أوتي الكتاب وهو في سن الطفولة وكان يصلي ويصوم، مبينا أن ذلك في غاية الضعف، فتعقبه الثعالبي بأن ضعفه من جهة سنه وإلا فإنّ العقل لا يحيله؛ إذ أمر عيسى عليه السلام كله خارق للعادة، وبتتبع بعض كتب التفسير ظهر أن المسألة محل خلاف وإليك بيان ذلك:

**القول الأول:** أن المقصود من قوله: ﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ قضي أن يؤتيني الكتاب.

عزاه الطبري لعكرمة، وقال به مكّي والقشيري والواحدي وابن عطية، ورجّحه القرطبي والشوكاني والألوسي والشنقيطي، وبه قال ابن عاشور<sup>(1)</sup>.

ومّا استند إليه بعض من ذهب لهذا القول ما يلي:

أ\_ أن رجلا سأل النبي ﷺ: متى كنت نبيا؟ قال: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»<sup>(2)</sup>.

ب\_ أنه يؤتى باللفظ الماضي ويجعل في حكم ما يأتي، كما في قول الله جلّ ثناؤه: ﴿آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1]<sup>(3)</sup>.

**القول الثاني:** أنه كان نبيا في الصغر.

رُوي عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهما أنهما قال: «معناه علمني الكتاب في بطن أمي»<sup>(4)</sup>.

\_ والرواية عن أنس جاءت من طريق يحيى بن سعيد الحمصي قال عنه ابن كثير متروك<sup>(5)</sup>.

ونسبه السمعاني والبغوي للحسن واعتبراه قول الأكثر، ورجّحه السمعاني والرازي، وذكر أبو حيان والنيسابوري

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (18/ 190). الهداية في بلوغ النهاية، مكّي، (7/ 4532). لطائف الإشارات، القشيري، (2/ 427). التفسير الوسيط، أبو حيان، (3/ 183). المحرر الوجيز، ابن عطية، (4/ 15). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (11/ 103) فتح القدير، الشوكاني، (3/ 392). روح المعاني، الألوسي، (13/ 176). أضواء البيان، الشنقيطي، (3/ 416). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (16/ 99).

(2) \_ أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، رقم: (4209)، (2/ 665). وأخرجه الطبراني في الكبير، رقم: (834)، (2/ 353) من طرق عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(3) \_ ينظر: السراج المنير، الشربيني، (2/ 424).

(4) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 373). تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم، (7/ 2408).

(5) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/ 229).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

أَنَّهُ الأَظْهَرُ، وَقَالَ بِهِ مَجِيرُ الدِّينِ المَقْدِسِيِّ<sup>(1)</sup>.

وَمَا اسْتَنْدَ إِلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ إِلَى هَذَا القَوْلِ:

أ\_ أَنَّ ظَاهِرَ الآيَةِ يَقْتَضِي ذَلِكَ.

ب\_ أَنَّ أَمْرَ عِيسَى عليه السلام كَلَّمَ خَارِقَ<sup>(2)</sup>.

• وَاَعْتَرَضَ عَلَى هَذَا القَوْلِ بِمَا يَلِي:

1\_ أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكُونُ إِلَّا كَامِلًا، وَالصَّغِيرُ نَاقِصُ الخَلْقَةِ بِحَيْثُ يُعَدُّ هَذَا التَّحْدِي مِنَ الصَّغِيرِ مَنْقَرًا.

2\_ لَوْ كَانَ نَبِيًّا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ لَوَجِبَ أَنْ يَشْتَغَلَ بِبَيَانِ الأحْكَامِ وَتَعْرِيفِ الشَّرَائِعِ، وَلَوْ وَقَعَ ذَلِكَ لِاشْتِهَارِهِ وَلِنَقْلِ؛ فَحَيْثُ لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّهُ مَا كَانَ نَبِيًّا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ.

• وَأَجِيبَ عَلَى ذَلِكَ:

أ\_ بِأَنَّ كَوْنَ الصَّبِيِّ نَاقِصًا لَيْسَ لِذَاتِهِ بَلِ الأَمْرُ يَرْجِعُ إِلَى صِغَرِ جِسْمِهِ وَنَقْصَانِ فَهْمِهِ، فَإِذَا أزالَ اللهُ تعالى هَذِهِ الأَشْيَاءَ لَمْ تَحْصُلِ النِّفْرَةُ، بَلِ تَكُونُ الرَّغْبَةُ إِلَى اسْتِمَاعِ قَوْلِهِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَتَمًّا وَأَكْمَلًا.

ب\_ كَمَا رَدَّ عَلَى الِاعْتِرَاضِ الثَّانِي؛ بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ بَيَانِ شَيْءٍ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَامِ، ثُمَّ بَعْدَ البُلُوغِ أَخَذَ فِي شَرْحِ تِلْكَ الأحْكَامِ، فَثَبَتَ بِهَذَا أَنَّهُ لَا امْتِنَاعَ فِي كَوْنِهِ نَبِيًّا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ<sup>(3)</sup>.

### الخلاصة:

بَيَّنَّ ابْنَ عَطِيَّةٍ ضَعْفَ هَذَا القَوْلِ وَلَمْ يَوْضَحْ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ حَكَمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، فَجَاءَ تَعَقُّبُ الثَّعالِبِيِّ مَوْضِحًا أَنَّ ضَعْفَهُ مِنْ جِهَةٍ سَنَدِهِ لَا مِنْ إِمْكَانِيَّةِ حَدُوثِهِ؛ لَكُونِ أَمْرِ عِيسَى عليه السلام كَلَّمَ خَارِقَ لِلْعَادَةِ، فَضَعْفُهُ مِنْ جِهَةٍ سَنَدِهِ \_ فِي حُدُودِ بَحْثِي \_ قَدْ تَحَقَّقَ وَبِذَلِكَ يَكُونُ تَعَقُّبُ الثَّعالِبِيِّ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَوْفَقًا.

\_ وَأَمَّا قَوْلُهُ بِإِمْكَانِيَّةِ حَدُوثِهِ لَكُونِ أَمْرِ عِيسَى عليه السلام كَلَّمَ خَارِقَ لِلْعَادَةِ، فَكَلَامٌ قَدْ أَقْرَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ، كَابْنِ العَرَبِيِّ وَإِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ، لَكِنَّهُ جَائِزٌ عِنْدَهُ؛ فَاللهُ تَعَالَى لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَوُجُودُ عِيسَى عليه السلام فِي حَدِّ ذَاتِهِ كَمَا قَالَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ مَعْجِزَةٌ.

\_ يَبْقَى التَّنَازُعُ فِي القَضِيَّةِ بَيْنَ قَاعِدَتَيْنِ مِنْ قَوَاعِدِ التَّرْجِيحِ؛ القَاعِدَةُ الأُولَى: "لَا يَصِحُّ حَمْلُ الآيَةِ عَلَى تَفْسِيرَاتٍ وَتَفْصِيْلَاتٍ لِأُمُورٍ مَغِيْبَةٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا"، وَالقَاعِدَةُ الأُخْرَى: "الأَصْلُ حَمْلُ الآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا إِلَّا لِذَلِيلٍ يَصْرِفُهَا

(1) \_ يَنْظُرُ: تَفْسِيرُ القُرْآنِ، السَّمْعَانِيُّ، (290/3). مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ، البَغْوِيُّ، (233/3). مَفَاتِيحُ الغَيْبِ، الرَّازِيُّ، (535/21).

الْبَحْرُ المَحِيْطُ، أَبُو حَيَّانَ، (258/7). غَرَائِبُ القُرْآنِ، النِّيْسَابُورِيُّ، (482/4). فَتْحُ الرَّحْمَنِ، المَقْدِسِيُّ، (249/4).

(2) \_ يَنْظُرُ: الكَشَافُ، الرَّمَحْشَرِيُّ، (15/3).

(3) \_ يَنْظُرُ: مَفَاتِيحُ الغَيْبِ، الرَّازِيُّ، (534/21).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

عن ذلك"، فكثير ممن نفى استند إلى عدم ورود دليل، ومن ثم حاول أن يوجّه ظاهر الآية بالإيرادات التي ذكرتها، ومن أثبت استند إلى ظاهر الآية، وأنّ أمر عيسى عليه السلام خارق للعادة، وهذا الذي أميل إليه لما سبق وباعتبار أنّه قول الجمهور.

— بقي التنبيه إلى أمر مهم، يتعلّق بإعراض الثعالبي عن إيراد كلام ابن عطية بتجهيل القائل، وهذا يدل على فقهه وورعه؛ فوقفه على ما ورد في المسألة جعله يتعقب ابن عطية بعد أن لخصّ قوله مبيناً رأيه دون أن يتعرض لإيراد وصف ابن عطية السابق — والله أعلم —

المطلب الخامس: المقصود بـ: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ في قوله عليه السلام: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْصَامَكُمْ﴾ (22) [محمد]

### قول ابن عطية:

«ومعنى ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: إن أعرضتم عن الحق، وقيل المعنى: إن توليتم أمور الناس من الولاية وعلى هذا قيل: إنها نزلت في بني هاشم، وبني أمية ذكره الثعالبي»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وهو عندي بعيد لقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [محمد:23]، فتعين التأويل الأول، والله أعلم»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

أورد ابن عطية أن ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ يراد بها أعرضتم عن الحق، ثم نقل كلاماً آخر يُرجع المعنى إلى ولاية أمور الناس ونسبه إلى كعب الأحبار ومحمد القرظي، وذكر أنّها نزلت في بني هاشم وبني أمية نقلاً عن الثعالبي، واستبعد الثعالبي هذا القول بدليل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [محمد:23] واختار المعنى الأول. والمسألة في حدود بحثي لا تخرج عن هذين القولين:

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 118).

(2) — الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 228).

القول الأول: توليتم بمعنى أعرضتم عن الحق.

وقد اختلفت عبارات أصحاب هذا القول فمنهم من قال أي أعرضتم عن الطاعة، ومنهم من قال عن القرآن، ومنهم من قال عن الإسلام، ومنهم من قال عن الجهاد. والذي يظهر أن هذه المعاني غير متنافرة إذ كلها تدخل في الإعراض عن الحق لذا جمعتهما في قول واحد. وممن قال به قتادة<sup>(1)</sup> وابن جريج<sup>(2)</sup> وابن قتيبة والطبري والقشيري والواحدي وبدر الدين الرازي والنسفي<sup>(3)</sup>، وأبو حيان حيث قال: « والأظهر أن ذلك خطاب للمنافقين في أمر القتال، وهو الذي سيقى الآيات فيه، أي إن أعرضتم عن امتثال أمر الله في القتال<sup>(4)</sup>. واعتبره السمين المعنى الظاهر من الآية واختاره الثعالبي والقاسمي والسعدي وابن عاشور<sup>(5)</sup>.

ومن الأدلة على هذا القول ما يلي:

أ\_ سياق الآية؛ حيث بينت مقولة هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة ويذكر فيها القتال، وأنهم إذا قيل لهم: إن الله مفترض عليكم الجهاد، قالوا: سمع وطاعة، فقال الله عز وجل لهم: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ﴾ [محمد:20] كرهوه رغم زعمهم الطاعة وقول المعروف قبل وجوب ذلك، فلو صدقوا الله ما وعدوه لكان خيرا لهم، لكنهم أعرضوا عن اتباع الحق، فكانت النتيجة إفسادهم في الأرض وقطع الأرحام<sup>(6)</sup>.  
 ب\_ لحاق الآية يتضمّن حصول اللّعن على من وقع في ذلك، وفيه رد على من ذكر أنّها في بني هاشم وبني أمية، وهذا ما استند إليه الثعالبي في رد هذا المعنى، وشدّد ابن عاشور فيمن حمل الآية على ما حصل بين بني هاشم وبني أمية، وذكر أنّ ذلك على عادة أهل الشيع والأهواء من تحميل كتاب الله ما لا يتحمّله.

(1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (177/22).

(2) \_ ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (302 /5).

(3) \_ ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1423هـ\_2002م، (ص: 238). جامع البيان، الطبري، (22 / 177). لطائف الإشارات، القشيري، (413/3). التفسير الوسيط، أبو حيان، (4 /127). مباحث التفسير، بدر الدين الرازي، (1 /280). مدارك التنزيل، النسفي، (3 /323).

(4) \_ البحر المحيط، أبو حيان، (472/9).

(5) \_ ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي، (701/9). الجواهر الحسان، الثعالبي، (5 /238). محاسن التأويل، القاسمي، (8 / 475). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 788).

(6) \_ جامع البيان، الطبري، (22 / 176\_ 177) (بتصرف).

ج \_ واستدلوا أيضا بنواظر الآيات القرآنية التي تبين أنّ معنى التولي هو الإعراض، كقوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 244]، وقوله ﷻ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ [النجم: 32] (1).

القول الثاني: أي توليتم أمر الناس.

روي عن كعب القرظي (2) والكلبي وأبو العالية (3) والمسيب بن شريك والفراء (4)، ويظهر أنّه اختيار السمرقندي؛ حيث أورده أولاً ثم ذكر القول الآخر بصيغة التمريض، وكذلك فعل الزمخشري، ومن قال به أيضاً الخازن وابن كثير وابن عجيبة والمراغي (5).

ومن الأدلة على هذا القول ما يلي:

أ\_ حديث عبد الله بن مغفل، قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد]، ثم قال: «هم هذا الحي من قريش أخذ الله عليهم إن ولوا الناس ألا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم» (6).

ب\_ وكذلك قراءة علي بن أبي طالب (إِنْ تُؤَلِّيْتُمْ) بضمّ (التاء) و (الواو) وكسر (اللام)؛ أي: إن وُلِّيْتُمْ ولاية جائزة خرجتم معهم في الفتنة، وعاونتموهم (7). وبها قرأ ابن أبي اسحاق ورويس عن يعقوب (8)، وهي قراءة مشهورة عند الأئمة (9).

(1) \_ ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (26 / 112).

(2) \_ ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي، (11 / 6909).

(3) \_ ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (5 / 301).

(4) \_ ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (4 / 216).

(5) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (3 / 303). الكشاف، الزمخشري، (4 / 325). لباب التأويل، الخازن، (4 / 174).

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (7 / 318). البحر المديد، ابن عجيبة، (5 / 372). تفسير المراغي، المراغي، (26 / 66).

(6) \_ أخرجه الطبري في تهذيب الآثار كما في فتح الباري، (8 / 581)، والثعلبي في تفسيره، الكشف والبيان، (9 / 35)، وفيه نفع أبي داود الكوفي متروك، وقد كذّبه ابن معين كما قال الحافظ في التقريب. ينظر: تقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ط: 1، 1406 - 1986، (ص: 565).

(7) \_ ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (9 / 35).

(8) \_ ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (5 / 46).

(9) \_ ينظر: معجم القراءات القرآنية، حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط: 2،

1385 هـ - 1965 م، (6 / 192).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

وقد يراد منها أيضا: إن وُلِّيْتُمْ أمورَ النَّاسِ. وفُرئ «وُلِّيْتُمْ» من الولاية أيضا<sup>(1)</sup>. وأورد الزجاج أن فيها الوجهان، وكذلك النَّحاس<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

بحسب القراءة التي اعتمد عليها ابن عطية والثعالبي في تفسيريهما؛ فإنَّ حمل الآية على معنى الإعراض أولى بالصواب وذلك لما يلي:  
1\_ دلالة السياق.

2\_ في الآيات الأخيرة من السورة ما يدل على هذا المعنى، وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: 38] وهو معنى ظاهر أنه من الإعراض<sup>(3)</sup>.

\_ وأما قراءة علي رضي الله عنه فقد أفادت وجها جديدا من التحذير والتنبيه لولاة الأمور؛ إذ أمروا بتقوى الله عز وجل فيما خوَّ لهم من أقدار العباد، وفي مثل هذا المعنى تواترت الأخبار عن النبي ﷺ، من ذلك قوله ﷺ: «ما من وال يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة»<sup>(4)</sup>-<sup>(5)</sup>. وبذلك يتضح أن تعقب الثعالبي في محله \_ والله أعلم \_.

(1) \_ ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي، (9/ 701).

(2) \_ ينظر: معاني القرآن، الزجاج، (5/13). معاني القرآن، النحاس، (6/483).

(3) \_ ينظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)، محمد شكور أمير، دار الفكر - عمان، الأردن، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م، (2/ 572).

(4) \_ أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، رقم: 7151، (9/ 64). ومسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم: 227، (1/125).

(5) \_ القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، دار الفكر - دمشق، ط: 1، 1419 هـ - 1999 م، (ص: 238).

المطلب السادس: معنى قوله ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح: 10]

قول ابن عطية:

«ومعنى: ﴿ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ ﴾ أن صفقتهم إنما يمضيها ويمنح ثمنها الله تعالى»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: وهذا تفسير لا يمس الآية ولا بد، وقال الثعالبي: ﴿ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ ﴾ أي: أخذك البيعة عليهم عقد الله عليهم، انتهى، وهذا تفسير حسن»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

فهم ابن عطية من قوله ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ ﴾ أنه تعالى هو من يتولى صفقتهم بمبايعتهم للنبي ﷺ فيكافئهم، فتعقبه الثعالبي مبيناً أن هذا التفسير لا يمس الآية؛ أي بعيد عن معناها، ثم ساق كلاماً نسبته للثعالبي مفاده أن بيعتهم للنبي ﷺ هي عقد الله عليهم، وقد حسن هذا المعنى واختاره. والظاهر أن الفرق بين القولين يتمثل في كون الأول يتضمن الجزاء الذي أعدّه الله للمبايعين، ويتأكد ذلك من خلال قول ابن عطية أن صفقتهم إنما يمضيها ويمنح ثمنها الله، كما أنه أشار قبل هذا إلى أن المبايعة على وزن مفاعلة من البيع، وعلل ذلك بقوله: «لأن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة». أما ما اختاره الثعالبي فيتضمن معنى البيعة التي بايعوا عليها النبي ﷺ، وأتمها التزام بعقد الله عليهم بفعل ما أمروا به وترك ما نهيوا عنه، فهذه البيعة إنما هي بأمر الله؛ لذلك فعقد ميثاق البيعة مع الرسول ﷺ كعقده مع الله. وتتبع بعض أقوال المفسرين ظهر ما يلي:

أولاً- القول الذي ذكره ابن عطية سبقه إليه الطبري حيث قال: «إنما يبايعون بيعتهم إياك الله؛ لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك»<sup>(3)</sup>، وأورده مكّي والواحدي والبغوي وابن الجوزي والحازن<sup>(4)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 129).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 238).

(3) \_ جامع البيان، الطبري، (22/ 209).

(4) \_ ينظر: الهداية، مكّي، (11/ 6944). التفسير الوسيط، أبو حيان، الواحدي، (4/ 136). معالم التنزيل، البغوي، (4/ 224).

(224). زاد المسير ابن الجوزي، (4/ 130). لباب التأويل، الحازن، (4/ 156).



ثانياً\_ ذكر السمرقندي كلاماً يفهم منه تضمنه للقولين السابقين، حيث قال: «﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾» ؛ يعني: كأثم يبایعون الله؛ لأنّ النبي ﷺ إنما بايعهم بأمر الله تعالى. ويقال: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ ؛ أي: لأجله، وطلب رضاه»<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أنه أورد القول الذي ذهب إليه ابن عطية بصيغة التمريض، فالظاهر أنه يقدم القول الآخر، وهو المعنى الذي اكتفى بإيراده ابن أبي زمنين والزمخشري والقرطبي<sup>(2)</sup> وابن جزري حيث قال: «وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام، كعقده مع الله كقوله: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء:80]<sup>(3)</sup>، وهو معنى ما ذهب إليه الثعالبي والإيجي وابن عجيبة والقاسمي والسعدي<sup>(4)</sup>.

#### الخلاصة:

ما أورده الثعالبي وعزاه للثعالبي وحسنه، قال به ثلثة من المفسرين كما سبق بيانه، ولعلّ لحاق الآية يقويه وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنّ الله تعالى أكدّ أنّ هذه المبايعة هي عقد مع الله وذلك بقوله: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾؛ ولذلك جرّدت عن حرف العطف كما قال ابن عاشور<sup>(5)</sup>.

الوجه الثاني: أنّ قوله ﷺ: ﴿ فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ إِلَهُ فَمَنْ أَوْفَى أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:10]، قد تناول الجزاء، فإن قلنا إنّ المقصود من قوله: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ أنّ الله يجازيهم كان ذلك تكراراً. وقد تكون هذه الأوجه حاضرة في ذهن الثعالبي؛ لذلك وجّه الآية إلى المعنى الذي أورده، وتعقّب قول ابن عطية بأنّه لا يمسّ الآية.

ومع ما أورده إلا أنّ قول ابن عطية متجه أيضاً وذلك لما يلي:

- (1) \_ بحر العلوم، السمرقندي، (3/ 313).
- (2) \_ ينظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (4/ 251). الكشاف، الزمخشري، (4/ 335). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (16/ 267).
- (3) \_ التسهيل، ابن جزري، (2/ 287).
- (4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 238). جامع البيان، الإيجي، (4/ 155). البحر المديد، ابن عجيبة، (5/ 389). محاسن التأويل، القاسمي، (8/ 487). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 792).
- (5) \_ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (26/ 158).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

- 1\_ أنه فُرئ: (إنما يبایعون لله) وهو واضح المعنى أنهم يرجون وجهه وثوابه.
- 2\_ المعنى الذي أورده ابن عطية قال به الكثير من أساطين التفسير، وعلى رأسهم الطبري.
- 3\_ لا تعارض بين هذه الأقوال، لذا يمكن الجمع بينها، وهذا صنيع أبي حيان وابن كثير والشوكاني وغيرهم<sup>(1)</sup> والله أعلم.

وفي ختام هذا المبحث يتضح أن الثعالبي وُفق في كثير من المسائل التي تعقب فيها ابن عطية، وقد ذهب إلى القول بالعموم اعتماداً على السياق، مع عدم ردّ ما كان من قبيل التفسير بالمثل، كما أضاف احتمالاً آخر ممّا تتضمنه الآية في مسألة أخرى، ونقل ذلك عن ابن العربي، دون أن يردّ الاحتمالات الأخرى، وهذا ما يؤكّد قوله بالعموم إذا لم يرد دليل يقتضي التخصيص، كما نجده يستند إلى ظاهر الآية، حيث قدم القول الذي يقتضيه وإن كان ما روي في معناه ضعيفاً، واستند في ذلك إلى بعض القرائن، إضافة إلى ذلك فإنه اعتمد على لحاق الآية في ترجيح ما ذهب إليه.

---

(1) \_ ينظر: البحر المحیط، أبو حيان، (9/ 486). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (7/ 330). فتح القدير، الشوكاني، (5/ 57).

## المبحث الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المفصل

المفصل هي السور التي تلي المثاني، سميت بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، ويأتي هذا المبحث لدراسة التعقبات التفسيرية للثعالبي على ابن عطية في هذا القسم من القرآن الكريم، وقد تضمنت خمسة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: هل وقع الإجماع في معنى قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق:39]؟

قول ابن عطية:

«وقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ معناه: صلِّ بإجماعٍ من المتأولين»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: وفي الإجماع نظر وقد قال الثعلبي ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾؛ أي: قل سبحان الله والحمد لله قاله عطاء الخرساني، انتهى. ولكن المخرج في الصحيح إنما هو أمر بالصلاة»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

نقل ابن عطية الإجماع على أن المقصود بقوله ﷺ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾؛ أي أمر بالصلاة، وتعقبه الثعالبي بقوله: أنّ في الإجماع نظر، واستند في ذلك إلى وجود المخالف وهو الثعلبي الذي نقل عن عطاء الخرساني: أنّ المقصود التسييح بالقول، ثم نبّه الثعالبي أنّ المخرج في الصحيح إنما هو أمر بالصلاة، فيفهم من ذلك أنّ هذا اختياره وأنّ تعقبه إنما هو في إطلاق ابن عطية للإجماع في المسألة، وهذا ما يستدعي النظر في أقوال المفسرين وقد وقفت \_ حسب بحثي \_ على ما يلي:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 168).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 274).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

أولاً - ذهب إلى القول بأن المراد بالتسبيح في الآية الصلاة، قتادة وابن زيد<sup>(1)</sup> والطبري والزجاج والسمرقندي وابن أبي زمنين ومكي والواحدي والبغوي وابن عطية وغيرهم<sup>(2)</sup>.

— وقد ورد في ذلك حديث في الصحيحين عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته؛ فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:39]<sup>(3)</sup>، وإليه أشار الثعالبي وهو عمدة الكثير من القائلين بهذا.

ثانياً - أورد ثلّة من أهل التفسير القولين، وأول من وقفت على إيراده لذلك الثعالبي، وعليه اعتمد الثعالبي في بيان وجود المخالف، حيث قال - أي الثعالبي -: «﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يعني قل: سبحان الله والحمد لله. عن عطاء الخراساني، وقال الآخرون: وصلّ بأمر ربك وتوفيقه»<sup>(4)</sup>. وقال الماوردي: «وفي هذا التسبيح وجهان؛ أحدهما: أنه تسبيحه بالقول تنزيهاً قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، قاله أبو الأحوص. الثاني: أنّها الصلاة»<sup>(5)</sup>.

ونقل القرطبي الخلاف ونسب القول بأن المقصود التسبيح بالقول لعطاء وأبي الأحوص<sup>(6)</sup>. ومن أورد القولين أيضاً الزمخشري والنسفي حيث قالوا: «والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة»<sup>(7)</sup>. وكذلك الرازي والشوكاني<sup>(8)</sup>.

(1) - ينظر: جامع البيان، الطبري، (22 / 376).

(2) - ينظر: جامع البيان، الطبري، (22 / 376). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (5 / 49). بحر العلوم، السمرقندي، (3 / 339). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (4 / 279). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي، (11 / 7063). التفسير الوسيط، الواحدي، (4 / 170). معالم التنزيل، البغوي، (4 / 277). المحرر الوجيز، ابن عطية، (5 / 168).

(3) - أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم: 554، (1 / 115). ومسلم، كتاب المساجد ومواضيع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، رقم: 211، (1 / 439).

(4) - الكشف والبيان، الثعالبي، (9 / 106).

(5) - النكت والعيون، الماوردي، (5 / 356).

(6) - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17 / 24).

(7) - الكشف، الزمخشري، (4 / 392). مدارك التنزيل، النسفي، (3 / 369).

(8) - ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (28 / 153). فتح القدير، الشوكاني، (5 / 95).

### الخلاصة:

ظهر من خلال ما سقته من أقوال أهل العلم أنّ المسألة محلّ خلاف، وبذلك فتعقب الثعالبي في محلّه، غير أن إيراد ابن عطية للإجماع قد يكون باعتبار قلة المخالفين قبل عصره، خاصة وأن أقوال السلف تضافت في معنى ما ذكر، إضافة إلى ورود حديث صحيح في ذلك، وما ذهب إليه الثعالبي مبني على اعتباره بالمخالفين خاصة الثعالبي، فكثيرا ما يستند إلى أقواله ويعتبره حجّة، بل إنّ تفسيره من أهم التفاسير التي ينقل عنها، وكثيرا ما يختار أقواله \_ والله أعلم \_.

المطلب الثاني: معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور: 35]

### قول ابن عطية:

« [قال الطبري معناه: أم خلقوا خلق الجماد من غير حي فهم لا يؤمرون ولا ينهون كما هي الجمادات عليه]. وقال آخرون معناه: خلقوا لغير علة ولا لغير عقاب ولا ثواب، فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرعون، وهذا كما تقول: فعلت كذا وكذا من غير علة، أي لغير علة»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«وعبر ع: عن هذا بأن قال: وقال آخرون: معناه: ﴿أَمْ خُلِقُوا﴾ لغير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرعون. قلت: وقد يحتمل أن يكون المعنى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ خَلَقَهُمْ، أي: من غير مُوجِدٍ أَوْجَدَهُمْ، ويدل عليه مقابلته بقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ وهكذا قال الغزالي في «الإحياء»، قال: وقوله عز وجل: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَي: من غير خالق، انتهى بلفظه من كتاب، آداب التلاوة قال الغزالي: ولا يتوهم أن الآية تدل أنه لا يخلق شيء إلا من شيء! انتهى، وقال الفخر: قوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [فيه وجوه، المنقول منها: أم خلقوا من غير خالق، وقيل: أم خلقوا لغير شيء عبثا، وقيل: أم خلقوا من غير أب وأم. انتهى، وأحسنها الأول كما قال الغزالي، والله أعلم بما أراد سبحانه»<sup>(2)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 192).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 299).

نقل ابن عطية عن الطبري قوله في تفسير الآية ما معناه: أم خلقوا كالجُمادات فلا يقع عليهم التكليف، ثم عَقَّب على ذلك بإيراد معنى آخر يقتضي أن المقصود أنهم خلقوا لغير علة فلا يجازون يوم القيامة، فتعقبه الثعالبي بإيراد احتمال آخر؛ أي أنهم خلقوا من غير خالق، واستند في ذلك إلى تنمة الآية ﴿ **أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ فالمقابلة تدل على هذا المعنى — حسب ما ذكر — وأتبع ذلك ببيان أنه القول الذي اعتمده الغزالي وساق كلام الرازي في بيان الأوجه التي فسرت بها الآية وقدم هذا المعنى واختاره الثعالبي وبين أنه الأحسن وأرجع العلم لله تعالى، وبعد النظر في كتب أهل الشأن، تبين لي أن المسألة فيها ثلاثة أقوال:

#### القول الأول: خلقوا من غير مادة فهم كالجُمادات.

عزاه الواحدي لابن عباس والكلبي، وعزاه الثعالبي لابن عطاء، وقال الطبري: من غير أب ولا أم. وعده الماتريدي قول عامة أهل التأويل، وممن قال به ابن أبي زيمين وابن الجوزي في تذكرة الأريب<sup>(1)</sup>.  
— ومن ذهب إلى هذا القول جعل (من) لا ابتداءً غاية<sup>(2)</sup>.

#### القول الثاني: خلقوا لغير غاية فهم لا يكلفون ولا يحاسبون.

أم خلقوا من غير شيء أي: لغير شيء، عزاه القرطبي لابن كيسان وأورده الزجاج والطبي<sup>(3)</sup>.  
— ومما استندوا إليه:

أ— قوله تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون]، وقوله: ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ [القيامة].

ب— جعلوا (من) للسببية<sup>(4)</sup>؛ أي من غير سبب، كما جعلها بعضهم بمعنى لغير سبب.

(1) — ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (504/20). الكشف والبيان الثعالبي، (131/9). جامع البيان، الطبري، (481/22). تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (409/9). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زيمين، (301/4). تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، (ص: 373).  
(2) — ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (575/9).  
(3) — ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (74/17). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (65/5). حاشية الطبي على البيضاوي، الطبي، (62/15).  
(4) — ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (575/9).

- واعترض عليهم بأنه لا يجوز أن يكون (من) بمعنى اللام.
- وأجابوا: أنّ البعض أجاز ذلك، ومن لم يجز قال معناه: أم خلقوا من غير شيء توجبه الحكمة. يعني: أنّ الحكمة أوجبت خلقهم.

### القول الثالث: أي خلقوا من غير خالق.

أسنده البغوي لابن عباس رضي الله عنه، وقال بذلك الخطيب الإسكافي والأسفراييني، واعتبره السمعاني المعنى الأظهر، وذكره الزمخشري وأتبعه بالأقوال الأخرى بصيغة التمرّيب مما يدل أنه اختياره، وأورده الرازي واعتبره ترتيباً حسناً، وعليه اعتمد النسفي والخازن وابن كثير، ورّجحه ابن عرفة والنيسابوري والثعالبي ومجير الدين المقدسي والخفاجي واستند إلى وجود المقابلة، وبذلك استدل المظهري والألوسي، وهو المعنى الذي ذكره ابن عجيبة والسعدي<sup>(1)</sup>.

ومن أهم ما استند إليه أصحاب هذا القول:

— وجود التقابل بين قوله ﷻ: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ** ﴾ [الطور: 35]، وبين قوله: ﴿ **أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ فبناء على المقابلة يكون المعنى: أم خلقوا من غير خالق أم هم خلقوا أنفسهم.

### الخلاصة:

الذي يظهر لي بعد أن سُقت قوال أهل التفسير في المسألة أنّ تعقب الثعالبي في محله، وذلك لما يلي:

- 1\_ وجود المقابلة بين قوله ﷻ: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ** ﴾ وبين قوله: ﴿ **أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ فيقتضي ذلك أن يحمل المعنى على: أم خلقوا من غير خالق.
- 2\_ أنه قول أكثر المفسرين — والله أعلم —.

---

(1) — ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (4/295). درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي (ت: 420هـ). ت: محمد آيدين، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م، (1/1213). التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر الأسفراييني (ت: 471هـ)، ت: كمال الحوت، عالم الكتب - لبنان، ط: 1، 1403 هـ - 1983 م، (ص: 155). تفسير القرآن، السمعاني، (5/278). الكشف، الزمخشري، (4/414). مفاتيح الغيب، الرازي، (28/217). مدارك التنزيل، النسفي، (3/386). لباب التأويل، الخازن، (4/201). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (7/437). تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، (4/87). غرائب القرآن، النيسابوري، (6/195). الجواهر الحسان، الثعالبي، (5/317). فتح الرحمان في تفسير القرآن، الدمشقي، (6/426). حاشية البيضاوي، الخفاجي، (8/106). تفسير المظهري، المظهري، (9/99). روح المعاني، الألوسي، (14/38). البحر المديد، ابن عجيبة، (5/494). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 816).

المطلب الثالث: المقصود بالعذاب في قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: 47]

قول ابن عطية:

«واختُلفَ في تعيينه، فقال ابن عباس وغيره: هو بدر ونحوه، وقال مجاهد: هو الجوع الذي أصابهم، وقال البراء بن عازب وابن عباس أيضا: هو عذاب القبر، وقال ابن زيد: هي مصائب الدنيا، إذ هي لهم عذاب»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: ويحتمل أن يكون المراد الجميع»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

ساق ابن عطية جملة من الأقوال في تحديد العذاب المقصود من قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾؛ حيث إنّ ابن عباس ربط ذلك بيوم بدر، وذهب مجاهد بأنّه الجوع الذي أصاب قريشا، وعزا للبراء وابن عباس أنّه عذب القبر، وقال ابن زيد أنّها مصائب الدنيا، فتعقبه الثعالبي ببيان أنّ الآية تحتمل الجميع. وتتبع المسألة اتضح أنّها لا تخرج عن الأقوال السابقة، وفيما يلي بيان ذلك:

**القول الأول: أن العذاب هو يوم بدر.**

عزاه الثعالبي لابن عباس ﷺ، والماوردي لعلي ﷺ، وابن أبي زمنين للحسن وقال به مقاتل ويحيى بن سلام<sup>(3)</sup>.

**القول الثاني: أن المقصود عذاب القبر.**

روي عن ابن عباس ﷺ والبراء<sup>(4)</sup> وزاذان<sup>(5)</sup>، وذكر السمعاني أنّه قول الأكثر<sup>(6)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (194/5).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (319/5).

(3) \_ ينظر: الكشف والبيان، الثعالبي، (132/9). النكت والعيون، الماوردي، (386/5). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي

زمنين، (303/4). تفسير مقاتل، مقاتل، (150/4). تفسير يحيى بن سلام، ابن سلام، (494/1).

(4) \_ ينظر: تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق، (247/3). جامع البيان، الطبري، (487/22).

(5) \_ ي نظر: تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق، (246/3).

(6) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (280/5).



## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

واحتج بعض من قال به:

— بأنه الأظهر؛ لأنّ الكثير منهم مات ولم يُعذب في الدنيا، ممّا يعني أنّ العذاب المقصود هنا هو ما يقع لهم في البرزخ<sup>(1)</sup>.

القول الثالث: الجوع والقحط الذي أصاب قريشا.

عزاه عبد الرزاق لمجاهد، والبغوي للضحاك، وقال به الجاوي والمراغي<sup>(2)</sup>.

واحتج بعض من قال به:

— أنّ المقصود بقوله: ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾؛ أي قبل ما لقوه في بدر؛ لأنه كان في السنة الثانية للهجرة والقحط وقع لهم قبلها<sup>(3)</sup>.

القول الرابع: المصائب التي تصيبهم في الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد.

روي عن ابن زيد<sup>(4)</sup>، وعزاه الماوردي للحسن<sup>(5)</sup>.

القول الخامس: القول بالعموم.

وإليه ذهب الطبري ومكي والزمخشري والنسفي والنيسابوري والثعالبي والشربيني والقاسمي والسعدي<sup>(6)</sup>.

واحتجوا له بما يلي:

— سياق الآية يبيّن أنّ المقصود بقوله: ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾؛ أي قبل عذاب الآخرة، حيث أخبر الله ﷻ أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابا دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة؛

(1) — ينظر: تفسير ابن أبي العز، ابن أبي العز، (ص:47).

(2) — ينظر: تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق، (246/3). معالم التنزيل، البغوي، (296/4). مراح لبيد، الجاوي، (462/2). تفسير المراغي، المراغي، (37 /27).

(3) — ينظر: تفسير المراغي، المراغي، (37 /27).

(4) — ينظر: جامع البيان، الطبري، (487/22).

(5) — ينظر: جامع البيان، الطبري، (487/22). النكت والعيون، الماوردي، (386/5).

(6) — ينظر: جامع البيان، الطبري، (488/22). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي، (7135 /11). الكشف، الزمخشري،

(415/4). مدارك التنزيل، النسفي، (388/3). غرائب القرآن، النيسابوري، (195/6). الجواهر الحسان، الثعالبي،

(319/5). السراج المنير، الشربيني، (120/4). محاسن التأويل، القاسمي، (55/9). تيسير الكريم الرحمان، السعدي، (ص:

818).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخصص الله نوعاً من ذلك<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

بعد استعراض الأقوال، يظهر لي أن تعقب الثعالبي في محله، وذلك لما يلي:

1\_ أنه قول الكثير من المفسرين.

2\_ أن قوله ﷺ: ﴿ دُونَ ذَلِكَ ﴾ قد يُحمل على: (قبل)؛ فيكون المعنى: قبل يوم الآخرة، كما قد يحمل على: أقلّ من ذلك؛ أي: أقلّ من عذاب الآخرة، ويقع هذا زمناً قبل الموت بما يصيبهم في الدنيا، كما يقع بعد الموت بعذاب القبر، فهذا كله قبل القيامة، وهو في نفس الوقت أقلّ من عذاب يوم القيامة.

3\_ أنّ الآية عامة لم يرد فيها تخصيص أيّ نوع من العذاب.

المطلب الرابع: المقصود بمقعد صدق في قوله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴾ [القمر]

### قول ابن عطية:

«وقوله تعالى: فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ يحتمل أن يريد به الصّدق الذي هو ضدّ الكذب، أي: المقعد الذي صدقوا في الخبر به، ويحتمل أن يكون من قولك: عود صدق، أي: جيد، وَرَجُلٌ صِدْقٌ، أي: خير»<sup>(2)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وقال الثعالبي: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ أي: في مجلس حقّ لا لَعْو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة ﴿ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴾، وعِنْدَ: إشارة إلى القربة والرُّبُوبَةِ، انتهى»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (488/22) (بتصرف).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (222/5).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (344/5).

### الدراسة:

أورد ابن عطية وجهين في قوله عنه: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾؛ الأول: يعود إلى المُخْبِر عن هذا المكان، والثاني يختص بالمكان ذاته، ويعني أنه مكان جيد، فتعقبه الثعالبي بإيراد كلام الثعلبي، والذي تضمن معنى آخر؛ يقتضي أنه مكان لا لغو فيه، وبتتبع كتب التفسير وقفت على هذه الأقوال مبسطة في كلام المفسرين وإليك بيان ذلك:

### القول الأول: في مكان مرضي وحسن.

وهذا القول قد ضمّنه ابن عطية في الاحتمال الثاني، وهو ما يفهم من كلام الماتريدي وبه قال السمرقندي والواحدي في البسيط والزخشي وابن الجوزي والبيضاوي والنسفي وابن جزى وأبو السعود وابن عاشور<sup>(1)</sup>.

ومما استند إليه بعض من ذكر هذا المعنى:

— أنّ العرب إذا بلغت في مدح شيء أضافته إلى الصدق، كقوله عنه: ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء] وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: 2] <sup>(2)</sup> فكل شيء أضافته إلى الصدق، فقد مدحته<sup>(3)</sup>.

### القول الثاني: المقصود أنّ المُخْبِر عن هذا المكان صادق في ذلك

وهو الذي أورده ابن عطية بداية، وذكره الماوردي والرازي و أبو حيان وذكروا معه أوجه أخرى<sup>(4)</sup>.

(1) — ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (9/ 460). بحر العلوم، السمرقندي، (3/ 377). التفسير البسيط، الواحدي، (21/ 128). الكشاف، الزخشي، (4/ 442). زاد المسير، ابن الجوزي، (4/ 204). أنوار التنزيل، البيضاوي، (5/ 169). مدارك التنزيل، النسفي، (3/ 408). التسهيل، ابن جزى، (2/ 326). إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (8/ 175). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (27/ 225).

(2) — ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (21/ 128).

(3) — ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (2/ 316).

(4) — ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 222). النكت والعيون، الماوردي، (5/ 421). مفاتيح الغيب، الرازي، (29/ 333). البحر المحيط، أبو حيان، (10/ 49).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

القول الثالث: في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم.

وهو الوجه الذي أورده الثعالبي نقلاً عن الثعلبي، وقد قال به الطبري والثعلبي ومكي بن أبي طالب والبغوي والقرطبي والخازن والشريبي والشوكاني والقنوجي<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

بعد عرض أقوال أهل التفسير يتضح أنّ الأوجه المذكورة كلّها متّجهة، ويمكن الجمع بينها، كما أنّ إيراد الثعالبي في محلّه؛ إذ أن الاحتمال الذي أورده قد شاع عند أهل التفسير، وهذا يدل على سعة اطلاعه رحمه الله.

المطلب الرابع: هل قوله ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم]؛ يراد منه القرآن بإجماع المفسرين؟

### قول ابن عطية:

«وقوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم] يراد به القرآن بإجماع»<sup>(2)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وليس هذا الإجماع بصحيح، ولفظ الثعلبي ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي: ما نُطْفِئُهُ فِي الدِّينِ إِلَّا بَوْحِي، انتهى، وهو أحسن إن شاء الله، قال الفخر: الوحي اسم، ومعناه: الكتاب، أو مصدر وله معانٍ: منها الإرسال، والإلهام، والكتابة، والكلام، والإشارة، فإن قلنا: هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب، ويحتمل أن يُقَالَ: مصدر، أي: ما القرآن إِلَّا إِسْأَلٌ، أي: مُرْسَلٌ، وَإِنْ قلنا: المراد من قوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ قول محمد وكلامه فالوحي حينئذ هو الإلهام، أي: كلامه مُلَهَّمٌ من الله أو مرسل»<sup>(3)</sup>.

(1) – ينظر: جامع البيان، الطبري، (22/ 167). الكشف والبيان، الثعلبي، (9/ 174). الهداية الى بلوغ النهاية، مكي، (11/ 7209). معالم التنزيل، البغوي، (4/ 330). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17/ 150). لباب التأويل، الخازن، (4/ 224) جامع البيان، الإيجي، (4/ 230). السراج المنير، الشريبي، (4/ 156). فتح القدير، الشوكاني، (5/ 156) فتح البيان القنوجي، (13/ 310).

(2) – المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 196).

(3) – الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 304).

نقل ابن عطية الإجماع على أن المقصود من قوله ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم] القرآن، وتعقبه الثعالبي برد هذا الإجماع مستندا في ذلك إلى كلام الثعالبي الذي يرى أن نطق النبي صلى الله عليه وسلم كله وحي، بمعنى أن المقصود بالآية القرآن والسنة، وأتبع ذلك بكلام الرازي الذي بين أن للوحي معان: منها الإرسال والإلهام...، فبمعنى الإرسال: أي القرآن وبمعنى الإلهام السنة. ويتبع أقول المفسرين وجدت أن مكّي ابن أبي طالب قد سبق ابن عطية بادعاء الإجماع، حيث قال: «فهذا هو القرآن بلا اختلاف»<sup>(1)</sup>.

وقد أشار البغوي إلى الخلاف حيث قال: «﴿إِنْ هُوَ﴾ ما نطقه في الدين، وقيل: القرآن. ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ يعني وحي من الله يوحى إليه»<sup>(2)</sup>.

وقد استدلل كثير من المفسرين بالآية على أن السنة وحي من عند الله ولم يقصروا مفهومها على القرآن، قال السمعاني: «﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ فكل ما ثبت بالسنة؛ فكأنه ثابت في الكتاب»<sup>(3)</sup>. وقال القرطبي بعد أن أشار إلى القول الأول: «وفيها أيضا دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل»<sup>(4)</sup>. وقال ابن كثير: «﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان»<sup>(5)</sup>. وساق على ذلك أحاديث كثيرة تدل على أن السنة وحي من عند الله، وإلى هذا ذهب القنوجي وابن باديس والسعدي والشنقيطي وغيرهم<sup>(6)</sup>. وبهذا فإن تعقب الثعالبي في محلّه، والإجماع غير صحيح لوجود المخالف ممن يُعتدّ بقوله \_ والله تعالى أعلم \_.

في نهاية هذا المبحث يتضح أنّ الثعالبي ووفق في كل تعقباته على ابن عطية، وقد استدرك عليه في مسألتين حكى فيهما الإجماع، واستند في ردّ ذلك على قول الثعالبي والرازي، وبين في إحدى المسائل أنّ الإجماع ليس بصحيح مع ترجيحه لما ذهب إليه ابن عطية، وسار الثعالبي على طريقته من القول بالعموم حين لا يرد دليل

(1) \_ الهداية الى بلوغ النهاية، مكّي، (11/ 7142).

(2) \_ معالم التنزيل، البغوي، (7/ 400).

(3) \_ تفسير القرآن، السمعاني، (2/ 102).

(4) \_ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17/ 85).

(5) \_ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (7/ 443).

(6) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (7/ 443). فتح البيان، القنوجي، (13/ 245). مجالس التذكير من كلام الحكيم

الخبير، ابن باديس، (ص: 294). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 818). أضواء البيان، الشنقيطي، (8/ 37).

## الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير

---

يقتضي التخصيص، كما أورد احتمالاً تقتضيه الآية دون أن يرّد الاحتمالات الأخرى، وقد اتضح بعد البحث أن ما استدرك به علي ابن عطية هو قول الأكثر، أو أنه شاع عند أهل التفسير.

### خلاصة الفصل:

وُفق الثعالبي في أغلب ما تعقب فيه ابن عطية، وقد اتضح قوله بالعموم متى أمكن ذلك، مع اعتماده على سياق الآية ولحاقها، والاستناد إلى نظائرها، وقد بدا واضحاً تعظيمه للسنة؛ إذ لا يقبل التردد في بيان المعنى مع وجود حديث في ذلك.

# الفصل الرابع

تعقبات الثعالبي على ابن عطية

في اللغة

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، لذا تعتبر اللغة من أهم شروط المُفسر، وقد ظهرت عناية ابن عطية بها، ويعتبر تفسيره من أهم الشواهد على ذلك، غير أنّ هذا لم يمنع الثعالبي من تعقبه في بعض المسائل اللغوية، ويأتي هذا الفصل لدراستها من خلال ثلاثة مباحث، وتفصيل ذلك فيما يلي:

### المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل إعرابية

للإعراب أهمية كبرى في الكشف عن معاني الآيات وما تحمله من دلالات، للارتباط الوثيق بين المعنى والمبنى في اللغة العربية، لذا وجب على المُفسر أن يتزود من هذا العلم ليصل إلى المطلوب، ولا يخفى على كل مشتغل بالتفسير عناية ابن عطية بهذا الباب، ممّا جعل تفسيره قبلة العلماء ممن جاء بعده، يرتشفون من معينه ويستندون إليه، كما يتعرضون لبعض مسائله مناقشة واستدراكا، وقد كان للثعالبي جانب من ذلك، ويأتي هذا المبحث لدراسة تعقباته الإعرابية على ابن عطية، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: إعراب (الجن) في قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ [الأنعام: 100]

#### قول ابن عطية:

«و ﴿ الْجِنَّ ﴾ مفعول، و ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ مفعول ثانٍ مقدم، ويصح أن يكون قوله: ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ مفعولا أولا و ﴿ لِلَّهِ ﴾ في موضع المفعول الثاني، و ﴿ الْجِنَّ ﴾ بدل من قوله ﴿ شُرَكَاءَ ﴾»<sup>(1)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«قال ص:...والجمهورُ على نَصْبِ ﴿ الْجِنَّ ﴾، فقال ابن عطية وغيره: هو مفعولٌ أولٌ لـ: ﴿ جَعَلُوا ﴾، و: ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ الثاني، وجوّزوا فيه أن يكون بدلا من ﴿ شُرَكَاءَ ﴾، و ﴿ لِلَّهِ ﴾ في موضع المفعول الثاني، و ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ الأول، وردّه أبو حيان بأنّ البدل حينئذ لا يصحُّ أن يحل محلّ المبدل منه؛ إذ لو قلت: وجعلوا لله الجنّ، لم يصحّ، وشرط البدل أن يكون على نيّة تكرار العامل على الأشهر، أو معمولا للعامل في المبدل منه على قول، وهذا لا يصحُّ كما ذكرنا، قلت: وفيه نظر. انتهى، قلت: وما قاله الشيخ أبو حيان عندي ظاهر، وفي نظر الصفاقصي نظر»<sup>(2)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 329).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 653).



ذهب ابن عطية إلى أنّ ﴿الْجَنَّ﴾ في قوله ﷺ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجَنِّ﴾، مفعول، و﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ثانٍ مقدّم، كما يصح أن يكون ﴿الْجَنَّ﴾ بدل من ﴿شُرَكَاءَ﴾، وهذا الأخير لم يرتضه أبو حيان؛ لأنّ شرط البدل أن يكون فيه تكرار العامل على الأشهر، أو معمولاً للعامل في المبدل منه على قول، فتعقبه في ذلك الصفاقسي، ورأى الثعالبي أنّ في تعقبه نظر وأنّ ما ذهب إليه أبو حيان هو الظاهر، فهو بذلك ينتصر لأبي حيان ويتعقب ابن عطية وكذا الصفاقسي الذي وافقه في هذه القضية، وبعد النظر والاستقراء لبعض أقوال أهل العلم تبين أنّ إعراب الجن في هذه الآية قد اختلف فيه على خمسة أقوال:

القول الأول: أنه مفعول أول مؤخر و﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ثانٍ مقدّم.

وتقديره: وجعلوا لله الجنّ شركاء؛ وممن قال به الفراء والطبري والزجاج والنحاس ومكي والزمخشري وابن عطية والقرطبي وابن جزي واختاره السمين الحلبي<sup>(1)</sup>.

— ومما احتجوا به بما يلي:

أ— أنّه كقوله ﷺ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّتًا﴾ [الزخرف: 19]<sup>(2)</sup>.

ب— أنّ فائدته استعظام أن يتخذ الله شريك، ففيه إنكار لذلك، ولو أخبر فقيل: «جعلوا الجنّ شركاء الله» لم يفد ذلك ولم يكن فيه أكثر من الإخبار<sup>(3)</sup>.

ج— أنّه يفيد إنكار جعل الشركاء على الإطلاق، من غير اختصاص شيء دون شيء. وحصل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن، لأنّ الصفة إذا ذكرت مجردة غير مجرأة على شيء، كان الذي تعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة<sup>(4)</sup>.

القول الثاني: أنه بدل من ﴿شُرَكَاءَ﴾ و: ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول و: ﴿لِلَّهِ﴾ مفعول ثانٍ.

(1) — ينظر: معاني القرآن، الفراء (1/ 348). جامع البيان، الطبري، (7/ 11)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (2/ 277).

(2) — معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (2/ 277).

(3) — ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)، ت: محمود شاكر، دار المدني— جدة، ط: 3، 1413هـ - 1992م، (1/ 287)، الكشف، الزمخشري، (2/ 52).

(4) — ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، (1/ 287).

أجازه من سبق في القول الأول<sup>(1)</sup>، واستخدم الفراء عبارة (التفسير) ويقصد به البدل؛ حيث قال: «إن شئت جعلت (الجنّ) تفسيراً للشركاء»<sup>(2)</sup>، وكذلك الطبري حيث قال: «وفي (الجنّ) وجهان من النصب؛ أحدهما: أن يكون تفسيراً للشركاء...»<sup>(3)</sup>.

● وقد تعقب أبو حيان هذا القول ووافقه الثعالبي، وسبقهم إلى ذلك الرازي ونسب ردّه للمحققين؛ وحثّهم ما يلي:

أ\_ أنّ البدل لا يقوم مقام المبدل، فلو قيل: (وجعلوا لله الجن) لم يكن كلاماً مفهوماً، فشرط البدل أن يكون على نية تكرار العامل على أشهر القولين أو معمولا للعامل في المبدل منه على قول؛ وهذا لا يصح هنا البتة<sup>(4)</sup>.

● وتعقب السمين هذا الاعتراض بما يلي:

1\_ أنّ البدل مُفسّر ل (شركاء)، وأنّه صحيح ولا معنى لردّه.

2\_ أنّ أبا حيان قرّر في موطن آخر خلاف ما ذكره هنا فوقع في التناقض؛ حيث ردّ على الزمخشري قوله عند

قوله ﷺ: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ [المائدة: 117]: «فإنّه لا يلزم في كل بدل أن يحل محلّ المبدل منه»، قال \_ أي أبو حيان \_: «ألا ترى إلى تجويز النحويين: «زيد مررت به أبي عبد الله» ولو قلت: «زيد مررت بأبي عبد الله» لم يجز إلا على رأي الأخفش، وقد سبق هذا في المائة، فقد قرر هو أنه لا يلزم حلول البدل محلّ المبدل منه فكيف يردُّ به هنا؟»<sup>(5)</sup>.

القول الثالث: أنّه عطف بيان و(شركاء) مفعول أول، و (لله) مفعول ثاني.

أورده الرازي وعزاه لبعض المحققين<sup>(6)</sup>.

(1) \_ ينظر: معاني القرآن، الفراء، (1/ 348). جامع البيان، الطبري، (7/ 11). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (2/ 277). إعراب القرآن، النحاس، (2/ 25). الهداية، مكّي، (3/ 2120). الكشاف، الزمخشري، (2/ 52). المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 329). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (7/ 52). التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (1/ 271).

(2) \_ معاني القرآن، الفراء، (1/ 348).

(3) \_ جامع البيان، الطبري، (7/ 11).

(4) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (13/ 90). البحر المحيط، أبو حيان، (4/ 602). الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 653).

(5) \_ الدر المصون، السمين، (5/ 84).

(6) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (13/ 90).

## الفصل الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في اللغة

القول الرابع: أنه مفعول ثاني و (شركاء) مفعول أول.

عزاه أبو حيان للحويني<sup>(1)</sup>.

- وتعبه السمين بأنه لا يصح؛ لأنّ الأول في هذا الباب مبتدأ في الأصل، والثاني خبر في الأصل، والمقرّر أنه إذا اجتمع معرفة ونكرة جعلت المعرفة مبتدأ، والنكرة خبراً من غير عكس إلاّ في ضرورة<sup>(2)</sup>.

القول الخامس: أنه منصوب على إضمار فعل جواب سؤال مقدر.

فكأنه قيل من جعلوا لله شركاء؟ فيكون التقدير: جعلوا الجنّ شركاء الله. قاله السكاكي، واختاره أبو حيان وعزاه لأبي جعفر الثقفي<sup>(3)</sup>-(4).

— واحتج له أبو حيان بقراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب (الجنّ) بالرفع على تقديرهم (الجنّ) جواباً لمن قال: من الذي جعلوه شريكاً؟ ف قيل له: هم الجن، ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه والانتقاص لمن جعلوه شريكاً لله<sup>(5)</sup>.

- وتُعبّ بأنه ليس فيه أكثر من الإخبار كونهم عبدوا الجنّ مع الله ﷻ، ولم يتضمن الإنكار عليهم<sup>(6)</sup>.

### الخلاصة:

بعد استعراض الأوجه الإعرابية التي وقفت عليها، يظهر ما يلي:

1 \_ الأظهر هو القول الأول؛ وذلك لسلامته من الاعتراضات، إضافة إلى ما تضمنه من فائدة شريفة ومعنى جليل كما ذكر الجرجاني؛ إذ يفيد معنى الإنكار وأنّه لا ينبغي اتخاذ الشريك من الجن ولا من غيره.

(1) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (4/ 602).

(2) \_ ينظر: الدر المصون، السمين، (5/ 84).

(3) \_ هو: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثَّقَفِي العاصمي الغرناطي النَّحْوِي، ولد سنة (627هـ)، عني بالحديث ونظر في الرِّجَال، وعمل تاريخاً للأندلسيين، وساد النَّاس في القراءات، وأحكم العربية، أخذ عنه: أبو حيان النحوي، وأبو القاسم بن سَهْل. توفي سنة: (708هـ) بغرناطة. ينظر: طبقات علماء الحديث، محمد الصالحى (ت: 744 هـ)، ت: أكرم البوشي — إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان، ط: 2، 1417 هـ - 1996 م، (4/ 268).

(4) \_ مفتاح العلوم، يوسف السكاكي (ت: 626هـ)، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط: 2، 1407 هـ - 1987 م، (ص: 228). البحر المحيط، أبو حيان، (4/ 602).

(5) \_ البحر المحيط، أبو حيان، (4/ 603).

(6) \_ ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، (1/ 287).

## الفصل الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في اللغة

2\_ يجوز القول الثاني، ومن ثمّ فلا وجه لإنكار أبي حيان ولا لتعقب الثعالبي؛ ومّا يؤكد ذلك ما يلي:  
أ\_ أنه قول كثير من المحققين وأرباب اللسان.

ب\_ أنّ مسألة العامل في البدل مسألة خلافية، والخلاف فيها معتبر.

ج\_ أنّ أبا حيان نفسه قرّر خلاف ما ذكره هنا \_ كما تقدم\_.

د\_ أنه يشهد له قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: {وجعلوا لله شركاء من الجنّ}.

3\_ الأوجه الثلاثة الأخرى بعيدة وذلك لما يلي:

أ\_ الوجه الثالث المتضمن؛ أنّ (الجنّ) عطف بيان و(شركاء) مفعول أول، و(الله) مفعول ثاني، مردود لإجماع البصريين والكوفيين على اشتراط المطابقة بين التابع والمتبوع في عطف البيان، وهذا الوجه مخالف لذلك.

ب\_ الوجه الرابع المتضمن؛ أنّ (الجنّ) مفعول أول و(شركاء) مفعول ثاني، مردود كما تقدم.

ج\_ أمّا الوجه الخامس ففيه قصر المعنى على مجرّد الإخبار.

ويظهر من خلال تعقب الثعالبي أنه ساق قول الصفاقسي في الردّ على أبي حيان والانتصار لابن عطية، فردّ عليه الثعالبي وانتصر لأبي حيان، وهذا ما يُبرز شخصيته العلمية، فرغم إكثاره النّقل عن الصفاقسي إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه من تعقبه فيما جانب فيه الصواب.

المطلب الثاني: إعراب (ماتيا) في قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ

مَأْنِيًّا ﴿٦١﴾ [مریم]

قول ابن عطية:

«و(المأني) مفعول على بابه، والآتي هو الإنجاز والفعل الذي تضمنه الوعد، وكان إتيانه إنما يقصد به (الوعد) الذي تقدمه. وقالت جماعة من المفسرين: هو مفعول في اللفظ بمعنى فاعل بمعنى آت وهذا بعيد [والنظر الأول أصوب]»<sup>(1)</sup>

تعقيب الثعالبي:

«ت: بل هو الظاهر، وعليه اعتمد ص»<sup>(2)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، الثعالبي، (4 / 23).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (3 / 23).

ذكر ابن عطية أن ﴿مَائِيًّا﴾ مفعول على الحقيقة؛ يقصد بذلك أنه اسم مفعول، ثم أورد عن جماعة من المفسرين أنه مفعول بمعنى فاعل؛ أي (مأيتيا) بمعنى (آت)، فهو بذلك اسم فاعل، وتعقبه بأنه بعيد واختار القول الأول، فتعقبه الثعالبي مبيناً أنه الظاهر وعليه اعتمد الصفاقسي، وقد ظهر بعد البحث أنّ المسألة لا تخرج عن هذين القولين وفيما يلي بيان ذلك:

### القول الأول: أنه مفعول على بابه.

وقد تعددت توجيهات أصحاب هذا القول للمفعولية في قوله: ﴿مَائِيًّا﴾ على النحو التالي:

- 1\_ أنّ المائي إليه هو الجنة؛ لأنها المقصودة ب الوعد الوارد في الآية، وأهل الإيمان يسعون لبلوغها فيأتونها، ومن ذهب إلى هذا الطبري ومكي والبيضاوي والنسفي وذكره أبو السعود أولاً وأورد غيره بصيغة التمرريض<sup>(1)</sup>.
- 2\_ أنه لم يقل (آتيا)؛ لأن كل من أتاك فقد أتيت به وبذلك فلا فرق بينهما، والعرب لا تفرق بين قول القائل: أتت علي خمسون سنة وبين قوله أتيت علي خمسين سنة، عزاه ابن الجوزي للفراء، وذهب إليه الزجاج والنحاس والأزهري والسمعاني<sup>(2)</sup>.
- 3\_ جوزّ الزمخشري أن يكون من قولك: «أتى إليك إحساناً» أي كان وعده مفعولاً منجزاً، بمعنى أنّ الوعد منه تعالى لا بد من وقوعه فهو وإن كان بأمر غائب، فكأنه حاصل مشاهد، وقد قرره أيضا الرازي والألوسي<sup>(3)</sup>.

### القول الثاني: أنه مفعول بمعنى فاعل.

أي أنه بمعنى (آت)، ومن قال بذلك: ابن قتيبة، وعزاه السمرقندي للقتبي، وأورده البغوي أولاً وساق غيره بصيغة التمرريض، وقال به ابن أبي زمنين، وعزاه الثعالبي للصفاقسي واختاره<sup>(4)</sup>.

(1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (220/18). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي، (4546/7). أنوار التنزيل، البيضاوي، (14/4). مدارك التنزيل، النسفي، (343/2). إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (272/5).

(2) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (3/138). معاني القرآن وإعراجه، الزجاج، (3/336). معاني القرآن، النحاس، (4/342). تهذيب اللغة، الأزهري، (14/252). تفسير القرآن، السمعي، (3/302).

(3) \_ ينظر: الكشاف، الزمخشري، (3/27). مفاتيح الغيب، الرازي، (21/553). روح المعاني، الألوسي، (8/429).

(4) \_ ينظر: تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، (ص 274). معالم التنزيل، البغوي، (3/240). بحر العلوم، السمرقندي، (2/381). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (3/100). الكشف والبيان، الثعالبي، (17/411)

وحجّتهم في ذلك:

أ \_ أن وعد الله ﷻ يأتي ولا يؤتى (1).

ويظهر لي أنّ توجيه الثعالبي لهذا القول بحجة أنّه ظاهر، ينطلق من هذا الاحتجاج؛ وذلك لورود آيات تبين أنّ وعد الله ﷻ يأتي، كقوله: ﴿إِنَّ مَا توعَدُونَ لَأْتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (134) [الأنعام]، وقوله ﷻ: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31].

ب \_ وعزا ابن عطية للأخفش أنّه كقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (45) [الإسراء]؛ أي ساترا، كمشؤوم وميمون فإنهما بمعنى شائم ويأمن.

• وتَعَقَّب \_ ابن عطية \_ هذا القول بأنّه بعيد، ولم يبيّن وجه ذلك (2).

#### الخلاصة:

بعد الذي استعرضته يظهر أنّ ما نقله الثعالبي قول اشتهر عند أهل العلم، واحتججه بكونه ظاهر يتعلّق بأنّ الوعد يأتي ولا يؤتى كما دلّت عليه بعض الآيات، ولم ير ابن عطية لهذا القول وجهها، فوصفه بالبعد؛ لأنّ الجنّة يسعى إليها أهلها، وهي المقصودة في الآية ب (الوعد) كما دلّ عليه السياق \_ والله أعلم \_

المطلب الثالث: هل يجوز البدل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْتَ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: 40]؟

#### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَنْتَ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: «﴿إِلَّا أَنْتَ يَقُولُوا﴾ استثناء منقطع ليس من الأول هذا قول سيبويه، ولا يجوز عنده فيه البدل، وجوّزه أبو إسحاق، والأول أصوب» (3).

(1) \_ ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب، الطيبي، (14 / 261).

(2) \_ ينظر: الحرر الوجيز، ابن عطية، (3 / 460).

(3) \_ المصدر نفسه، (4 / 124).

تعقيب الثعالبي:

«قال ص: وأجاز أبو إسحاق وغيره أن يكون في موضع جر بدلا من حق، أي: بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار، لا موجب الإخراج، ومثله: ﴿ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ - اٰمَنَّا بِاللّٰهِ ﴾ [المائدة: 61] انتهى، وهو حسن من حيث المعنى، والانتقاد عليه مزيف»<sup>(1)</sup>.

الدراسة:

ذكر ابن عطية أنّ قوله ﷺ: ﴿ اِلَّا اَنْ يَقُوْلُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ﴾ [الحج: 40] استثناء منقطع على قول سيبويه، وأنّه لا يجوز عنده فيه البدل، وأمّا أبو إسحاق فقد أجاز، ورجّح ابن عطية قول سيبويه، فتعقبه الثعالبي بإيراد موقف أبي إسحاق نقلا عن الصفاقصي. وبتتبع أقوال أهل الاختصاص وقفت \_ في حدود بحثي \_ على أنّ قوله ﷺ: ﴿ اِلَّا اَنْ يَقُوْلُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوبٌ على الاستثناء المنقطع وهو مما يجمع العرب على نصبه، وهذا ما رجّحه ابن عطية، والوجه الثاني: أنه في محل جر بدلا من حق، وهو الذي اعتبره الثعالبي حسنا من حيث المعنى، واعتبره البعض غير جائز، وسأركز على بيان مدى صحة ذلك من عدمه، وفيما يلي بيان ذلك:

القول الأول: أنه يجوز أن يكون في محل جر بدل من حق.

وممن قرّر ذلك الزجاج والفراء والنحاس والثعلبي ومكي بن أبي طالب والزمخشري والبيضاوي والنسفي والإيجي وأبو السعود، واعتبر أنه على غير الظاهر وإنما على طريقة قول النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ ... بَيْنَ فُلُوءٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُنَائِبِ (2) - (3).

واحتجوا له:

\_ بأنه مثل قوله ﷺ: ﴿ قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتٰبِ هَلْ تَنْقُمُوْنَ مِنَّا اِلَّا اَنْ - اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنزِلَ اِلَيْنَا وَمَا اُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَاَنْ اٰكْتَرِكُمْ فَنَسْفُوْنَ ﴿ 59 ﴾ [المائدة].

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4 / 127).

(2) \_ نسبه إلى النابغة الفراهيدي في العين، (8 / 316)، والجاحظ في كتابه الحيوان، (4 / 394).

(3) \_ ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (7 / 25)، الهداية، مكي، (7 / 4898). الكشف، الزمخشري، أنوار التنزيل،

البيضاوي، (4 / 73)، مدارك التنزيل، النسفي، (2 / 443). جامع البيان، لإيجي، (3 / 59). إرشاد العقل السليم، أبو السعود،

(6 / 109).

القول الثاني: أنّ ذلك غير جائز.

اعترض على الجواز بعض أهل العلم؛ ومنهم ابن عطية وأبو حيان<sup>(1)</sup>، واحتجّ على ذلك بما يلي:  
أ\_ أنّ البدل لا يكون إلا إذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي، نحو: ما قام أحد إلا زيد، ولا يضرب أحد إلا زيد، وهل يضرب أحد إلا زيد.

ب\_ إذا كان الكلام موجبا أو أمرا فلا يجوز البدل: لا يقال قام القوم إلا زيد على البدل، ولا يضرب القوم إلا زيد على البدل؛ لأنّ البدل لا يكون إلا حيث يكون العامل يتسلط عليه، ولو قلت: قام إلا زيد، وليضرب إلا عمرو. لم يجوز. ولو قلت في غير القرآن: أخرج الناس من ديارهم إلا بأن يقولوا لا إله إلا الله. لم يكن كلاما، هذا إذا تخيل أن يكون: إلا أن يقولوا في موضع جرّ بدلا من غير المضاف إلى حق.

ج\_ القول بأنّه بدل من حق في غاية الفساد؛ لأنه يلزم منه أن يكون البدل يلي غيرا، فيصير التركيب بغير إلا أن يقولوا، وهذا لا يصح، ولو قدرت إلا بغير كما يقدر في النفي في: ما مررت بأحد إلا زيد، فتجعله بدلا لم يصح، لأنّه يصير التركيب بغير غير قولهم ربنا الله، فتكون قد أضفت غيرا إلى غير، وهي هي فصار بغير غير، ويصح في: ما مررت بأحد إلا زيد. أن تقول: ما مررت بغير زيد.

ج\_ بعض من أجاز البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد، وهذا تمثيل للصفة؛ جعل إلا بمعنى سوى، ويصحّ على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل، ويجوز أن تقول: مررت بالقوم إلا زيد؛ على الصفة لا على البدل<sup>(2)</sup>.

وتبعه على ذلك السمين الحلبي، حيث نقل كلامه ولم يعقب عليه، ومثله ابن عادل في اللباب<sup>(3)</sup>.

● وقد تعقب الخفاجي أبا حيان في اعتراضه على الزمخشري، حيث قال: «وما ذكره ليس بوارد على الزمخشري؛ لأنّ ما ذكره بيان لحاصل المعنى، وليس مثله ممن يلتبس عليه باب بياض، وهو استثناء، لكن ظاهر مقابلته بالمنقطع أنه متصل على هذا وهو ظاهر؛ لدخول المستثنى في الحق، إذ تقديره في الحقيقة لا موجب لإخراجهم إلا التوحيد، وتقديره بغير لا يتعين... فما ذكره مغالطة لا طائل تحتها، مع ما فيه من الاختلال وإن تبعه بعضهم»<sup>(4)</sup>.

(1) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (4/ 124). البحر المحيط، أبو حيان، (7/ 515).

(2) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (7/ 515).

(3) \_ ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي، (8/ 283)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (14/ 102).

(4) \_ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الخفاجي، (6/ 299).



### الخلاصة:

بعد استعراض الأقوال في المسألة، يتضح أنّ ما ذهب إليه الثعالبي هو الصحيح من ناحية المعنى، وإن كان وجهه من الجانب الإعرابي ضعيفا، وهذا ما يُظهر عناية الثعالبي بالمعنى، كما يُوضّح أيضا استناده لاختيارات الصفاقسي التّحوية.

وفي ختام هذا المبحث يتضح أن الثعالبي اعتمد على الصفاقسي في رده على ابن عطية، ورغم إكثاره النّقل عليه إلا أنّ ذلك لم يمنعه من تعقبه فيما ظهر له مجانبته للصواب، وهذا ما يُبرز شخصيته العلمية، كما اتضح أن الثعالبي يؤيّد القول المشتهر عند النحويين، ويركز على المعنى ولو على حساب الوظيفة الإعرابية.

المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في معاني الألفاظ والحروف

ضبط معاني الألفاظ والحروف مما يحتاج إليه المفسر، والمتبع للمحرر الوجيز يقف على عنايته بذلك، وقد استفاد الثعالبي منه استفادة لافتة، مما جعل تعقباته على ابن عطية قليلة جدا في هذا السياق، ومن خلال هذا المبحث سأبرز ما وقفت عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول: إطلاق السلوى على العسل

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷻ: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰةَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ [البقرة: 57]: « وقد غلط الهذلي (1) فقال: وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ عَهْدًا لِأَنْتُمْ ... أَلَدُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُوْهُهَا(2) ظن السلوى العسل»(3).

تعقيب الثعالبي:

«... قد نقل صاحب المختصر أنه يطلق على العسل لغةً فلا وجه لتغليظه؛ لأنَّ إجماع المفسرين لا يمنع من إطلاقه لغةً بمعنى آخر في غير الآية»(4).

(1) \_ هو: خالد بن زهير بن محرث الهذلي، ذكره ابن حجر في الإصابة، ولم يلق النبي ﷺ. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (354/2).

(2) \_ البيت لأبي ذؤيب، وقد ورد في ديوان الهذليين: وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ جَهْدًا ... بدل: وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ عَهْدًا... ينظر: ديوان الهذليين، جمع وترتيب: محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، 1385 هـ - 1965 م، (158 /1). ومعنى: إذا ما نشوؤها: أي نأخذها من خلبيها، يعني العسل. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (394/14).

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (149 /1).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (87 /1).

### الدراسة:

نقل ابن عطية إجماع المفسرين على إطلاق السلوى على الطير، وممن قال بذلك ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم. وتعمّب الهذلي في إطلاقه السلوى على العسل، فتعقّبه الثعالبي موضحاً أنه يطلق عليه لغة، ونسب ذلك لصاحب المختصر، والظاهر أنه يقصد: "مختصر الصفاقصي على أبي حيان"، واعتبر أنّ إجماع المفسرين على إطلاقه على الطير إنما يتعلق بهذه الآية، وتتبع أقوال أهل العلم اتضح أن المسألة محلّ خلاف:

### القول الأول: لا يصحّ إطلاق السلوى على العسل.

وممن أنكر ذلك أبو إسحاق كما نقل الواحدي: « قال أبو علي الفارسي: قرئ على أبي إسحاق في مصنف القاسم السلوى: العسل، مع بيت خالد بن زهير. فقال لنا أبو إسحاق: السلوى طائر، وغلط خالد بن زهير، وظن أنه العسل»<sup>(1)</sup>. وممن أنكر ذلك أيضاً ابن عطية كما سبق<sup>(2)</sup>.

### القول الثاني: أن السلوى يطلق عليه.

والذين ذهبوا إلى هذا القول اتفقوا أنّ السلوى يطلق على العسل لغة، ومنهم من أورد الخلاف في الآية واعتبر الإجماع ليس صحيحاً.

وممن ذكر أنّ السلوى يُطلق على العسل لغة؛ الخليل الفراهيدي، وعزاه الثعالبي لمؤرخ السدوسي<sup>(3)</sup> بلغة كنانة<sup>(4)</sup>، واستدل بالبيت السابق، ونقله الأزهري عن أبي عبيد<sup>(5)</sup>، وقال الباوردي: « **وَالسَّلْوَى** طائر،

(1) \_ التفسير البسيط، الواحدي، (2/ 549).

(2) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 149).

(3) \_ هو: أبو فيد، مؤرخ بن عمرو بن الحارث بن ثور السدوسي النحوي البصري؛ أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما، وله عدة تصانيف: منها كتاب الأنواء وهو كتاب حسن، وكتاب غريب القرآن، توفي سنة: (195هـ) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (5/ 304). وتاريخ بغداد، ابن عساکر، (13/ 258).

(4) \_ كنانة بن خزيمه: قبيلة عظيمة، من العدنانية، وهم: بنو كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وتنقسم: إلى عدة بطون، منها: قريش، وعبد مناة بن كنانة، وبنو مالك بن كنانة، وبنو الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر كحالة (ت: 1408هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 7، 1414 هـ - 1994 م (3/ 996).

(5) \_ ينظر: العين، الفراهيدي، (7/ 298). الكشف والبيان، الثعالبي، (1/ 201). تهذيب اللغة، الأزهري، (13/ 49).

## الفصل الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في اللغة

والسلوى في غير القرآن: العسل»<sup>(1)</sup>. وإلى هذا ذهب الجوهري والواحدى في البسيط وردّ على أبي إسحاق إنكاره ذلك، مؤكداً أنه صحيح من حيث اللغة، وإن كان في هذه الآية يقصد به الطائر بالإجماع<sup>(2)</sup>. واستناداً إلى كلام أئمة اللغة نقل جمع من المفسرين الخلاف في الآية؛ ومن هؤلاء الكرمانى وعزا القول بأنّ السلوى طائر للجمهور، ومن نقل الخلاف؛ البغوي والظاهر أنّه اختار القول بأنّه العسل، ومن حكى ذلك ابن الجوزي<sup>(3)</sup>، وأنكر القرطبي على ابن عطية زعمه للإجماع حيث قال: «ما ادعاه من الإجماع لا يصحّ، وقد قال المؤرّج أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل، واستدل بيت الهدلي، وذكر أنه كذلك بلغة كنانة، سُمي به لأنه يُسلى به، ومنه عين السلوان، وأنشد:

لو أَشْرَبُ السُّلْوَانَ ما سَلَيْتُ ... ما بي غِنَىٰ عَنكَ وَإِنْ غَنَيْتُ»<sup>(4)</sup>-(5).

وكذلك تعقب أبو حيان ابن عطية في دعواه للإجماع وذكر أن ذلك لا يصح ورد الغلط فقال: «قال ابن عطية: وقد غلط الهدلي في قوله: ألد من السلوى إذا ما نشورها، فظن السلوى العسل وعن هذا جوابان بينان أن هذا ليس غلطا:

أحدهما: ما نقلناه عن مؤرّج من كونه العسل بلغة كنانة.

والثاني: أنّه تجوز في قوله: نشورها لأجل القافية، فعبر عن الأكل بالشور، على سبيل المجاز، قالوا: واشتقاق السلوى من السلوة، لأنه لطيبه يسلي عن غيره»<sup>(6)</sup>. ومن تعقب ابن عطية في نقله للإجماع، السمين الحلبي حيث أورد بيت الهدلي ثم قال: «وعَلَّطه ابن عطية، وادّعى الإجماع على أن السُّلْوَى طائر، وهذا غير مُرْضٍ من القاضي أبي محمد، فإن أئمة اللغة نقلوا أن السلوى العسل، ولم يُعَلِّطوا هذا الشاعر، بل يستشهدون بقوله»<sup>(7)</sup>. وأورد ابن كثير نقل ابن عطية للإجماع وتعقبه بإيراد اعتراض القرطبي، وكذلك فعل الشوكاني<sup>(8)</sup>، وذكر البقاعي أنّه يطلق

(1) \_ ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، محمد الباوردي (ت: 345هـ)، ت: محمد التركستاني، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط: 1، 1423هـ - 2002م، (ص: 173).

(2) \_ ينظر: الصحاح، الجوهري، (2381/6). التفسير البسيط، الواحدى، (2/ 549).

(3) \_ ينظر: غرائب التفسير، الكرمانى، (141/1). معالم التنزيل، البغوي، (98/1). زاد المسير، ابن الجوزي، (68/1).

(4) \_ أورد الفراهيدي من غير نسبة، وعزاه أبو بكر الأنباري لابن الأعرابي. ينظر: العين، الفراهيدي، (7/ 297). شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط: 5، د، ت، (ص: 73).

(5) \_ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (407/1).

(6) \_ البحر المحيط، أبو حيان، (332/1).

(7) \_ الدر المصون، السمين الحلبي، (370/1).

(8) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (272/1). فتح القدير، الشوكاني، (104/1).

على الطير والعسل أيضا حيث قال: « ومنه السلوى، وهي طائر معروف، وهي أيضاً العسل»<sup>(1)</sup>. ويمثل ما استدل به من سبق على تغليب ابن عطية ذهب الخفاجي فقال: «السلوى ضرب من العسل وقال ابن عطية: أنه غلط وخطئ فيه لأنه ورد في شعر العرب ونص عليه أئمة اللغة»<sup>(2)</sup>. وردّ الألوسي على ابن عطية بقوله: «وقول ابن عطية- إنه غلط- غلط»<sup>(3)</sup>، وذكر الشنقيطي أنّ الجمهور على أن السلوى طائر يشبه السمانى وقيل: السلوى العسل. وأنكر بعضهم إطلاق السلوى على العسل. والتحقيق: أن «السلوى» يطلق على العسل لغة، واختار أن المقصود في الآية إنما هو الطائر<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

بعد تتبع أقوال أهل الاختصاص اتضح له ما يلي:

- 1\_ تعقب الثعالبي على ابن عطية ببيان أن السلوى يطلق على العسل في غير هذه الآية \_ يعني لغة \_ صحيح لورود ذلك عند فطاحل أهل اللغة والبلاغة، كالخليل ومؤرج السدوسي وأبي عبيد والأزهري والجوهري وغيرهم، وقد استشهدوا ببيت الهذلي وغيره، وفي حدود بحثي لم أقف على من أنكر ذلك غير الزجاج وابن عطية، فقول الأكثر مقدّم، خاصة إذا كان ممن سبقت أسماؤهم.
- 2\_ إدعاء الإجماع أنه يطلق على العسل في هذه الآية غير صحيح، فقد أنكر ذلك جل المفسرين.
- 3\_ ومع إنكارهم للإجماع إلا أنّ أكثرهم اختار أنّ السلوى يطلق في هذه الآية على الطائر، وهذا هو الصحيح الذي عليه المحققون كما نقل ذلك الشنقيطي.
- 4\_ ويلاحظ أن الثعالبي لم يتعقب ابن عطية في نقله للإجماع، وإنما تعقبه في إنكاره ذلك لغة، وهذا هو اختياره \_ أي الثعالبي \_ ولعلّه بنى ذلك على قول الأكثر، خاصة أنه يُستبعد أن لا يطلع على كلام المفسرين في نقض الإجماع، إذ أنّ غالبيتهم ممن ينقل الثعالبي منهم، وتعتبر تفاسيرهم من أهم مصادره. وقد اعتبر السمعاني أنّ إطلاق السلوى على العسل في الآية قول غريب، وذكر سعيد حوى في تفسيره أن إطلاق السلوى في الآية على الطير؛ هو المشهور الذي يكاد يكون عليه إجماع المفسرين<sup>(5)</sup>. والله أعلم.

(1) \_ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (33/10).

(2) \_ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الخفاجي، (163/2).

(3) \_ روح المعاني، الألوسي، (264 /1).

(4) \_ ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، (75/4).

(5) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (82 /1). الأساس في التفسير، سعيد حوى، (149 /1).

المطلب الثاني: في دلالة (لن)

قول ابن عطية:

قال ابن عطية في قوله ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن

تَرِيَنِي﴾ [الأعراف: 143]: «و(لن) تنفي الفعل المستقبل ولو بقينا مع هذا النفي بمجرد لقضينا أنه لا يراه موسى أبدا ولا في الآخرة، لكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر أن أهل الإيمان يرون الله تعالى يوم القيامة، فموسى عليه السلام أخرى برويته»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

« قلت: وقول ع: ولو بقينا مع هذا النفي بمجرد، لقضينا أنه لا يراه موسى أبداً ولا في الآخرة، قول مرجوح لم يتفطن له رحمه الله، والحق الذي لا شك فيه أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد، قال بدر الدين أبو عبد الله بن مالك في شرح التسهيل: و(لن) كغيرها من حروف النفي في جواز كون استقبال المنفي بها منقطعا عند حدٍّ وغير منقطع، وذكر الزمخشري في «أتمودجه» أن (لن) لتأييد النفي، وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى، وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله ﷺ، واستدل على عدم اختصاصها بالتأييد بمجيء استقبال المنفي بها معيًّا إلى غاية ينتهي بانتهائها، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِين حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا

مُوسَىٰ ۗ﴾ [طه]، وهو واضح. انتهى، ونحوه لابن هشام، ولفظه: ولا تفيد (لن) توكيد المنفي خلافا للزمخشري في «كشافه»، ولا تأييده، خلافا له في «أتمودجه»، وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأييد، لم يقيد

منفيها ب (اليوم) في: ﴿فَلَن أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًا﴾ [مريم: 26] وكان ذكره (الأبد) في: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ

أَبَدًا﴾ [البقرة: 95] تكرارا، والأصل عدمه. انتهى من «المغني»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

ذكر ابن عطية أن (لن) تفيد النفي في المستقبل ولو اعتمدنا عليه مجردا عن غيره من الأدلة لقضينا أن موسى ﷺ لا يرى ربه أبدا، وهذا يرده الحديث المتواتر في إثبات الرؤية لأهل الإيمان وموسى عليه السلام أحقهم

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 450).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 69).

بذلك، وتعقبه الثعالبي بذكر أنّ (لن) لا تفيد النفي المؤبد، وساق على ذلك قول ابن مالك وفيه ردّ على الزمخشري، وكذلك قول ابن هشام. والملاحظ أنّ الثعالبي أطال في تعقبه هذا مقارنة بكثير من تعقباته، وساق أدلة تؤيد ما ذهب إليه، وحسب ما وقفت عليه، يمكن حوصلة الأقوال الواردة في (لن) وما تفيده من حيث المعنى إلى ما يلي:

### القول الأول: أنّها تفيد تأكيد النفي.

ذهب بعض الباحثين إلى أنّه لم يقل به أحد من أئمة النحو قبل الزمخشري<sup>(1)</sup>، وقد وقفت على خلاف ذلك؛ حيث عزا الزمخشري والرازي هذا القول لسبويه والخليل في إحدى الروايتين عنه<sup>(2)</sup>، وقد وقفت على إيراد الخليل لذلك في كتابه العين؛ حيث قال: « وأما (لن) فهي: لا أن، وُصِلت لكثرتها في الكلام، ألا ترى أنّها تشبه في المعنى (لا)، ولكنّها [أؤكد]، تقول: لن يكرمك زيد، معناه: كأنّه يطمع في إكرامه، فنفيته عنه ووكدت النفي بلن فكانت أوكد من (لا) »<sup>(3)</sup>، وإن كانت كلمة (أوكد) التي وضعتها بين عاكفتين، هي من تصرّف المحقق كما صرح بذلك<sup>(4)</sup>، غير أنّ آخر الكلام يبين صحة نسبة هذا القول للخليل، وممن قال به الزمخشري كما نقله الثعالبي عن ابن هشام، وقد وقفت عليه صريحاً بلفظه وفي مواطن عديدة، منها قوله: « فإن قلت: ما حقيقة (لن) في باب النفي؟ قلت: (لا) و (لن) أختان في نفي المستقبل، إلا أنّ في (لن) توكيدا وتشديدا... »<sup>(5)</sup>. وممن قال بهذا أيضا: الرازي والبيضاوي والنسفي، وجعله أبو حيان أقرب للصواب من غيره<sup>(6)</sup>.

### ومّا احتجوا به ما يلي:

أ \_ تقول لصاحبك: لا أقيم غداً. فإن أنكر عليك قلت: لن أقيم غداً. كما تفعل في: أنا مقيم، وإني مقيم<sup>(7)</sup>.  
ب \_ أنّ المعتمد في معاني الحروف وتصرفاتها؛ إنّما هم أئمة العربية الذين يُرجع إلى أقوالهم، وهو ما نقله أبو حيان عن سبويه في قوله: « ولن نفي لقوله: سيفعل ». وقال: « وتكون لا نفيًا لقوله: تفعل، ولم تفعل ». ويعني بقوله: تفعل، ولم تفعل المستقبل، فهذا نص منه أنّهما ينفيان المستقبل، إلا أنّ لن نفي لما دخلت عليه أداة الاستقبال، ولا

(1) \_ ينظر: هل تفيد لن النفي التأبيدي كما زعم الزمخشري، حسن عمر، مجلة العلوم العربية، ع:34، محرم 1436هـ،

(2) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (2/352). الكشاف، الزمخشري، (1/102).

(3) \_ كتاب العين، الفراهيدي، (8/350).

(4) \_ قال المحقق: زيادة اقتضاها السياق. سقطت من الأصول، المصدر السابق، (8/350).

(5) \_ الكشاف، الزمخشري، (1/101).

(6) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (23/251). أنوار التنزيل، البيضاوي، (4/79). مدارك التنزيل، النسفي، (3/481).

(7) \_ البحر المحيط، أبو حيان، (1/174).

(8) \_ الكشاف، الزمخشري، (1/101).

نفي للمضارع الذي يراد به الاستقبال. فلن أخص؛ إذ هي داخلة على ما ظهر فيه دليل الاستقبال لفظاً، فهي تنفي ما هو مستقبل بالأداة، بخلاف لا، فإنها تنفي المراد به الاستقبال مما لا أداة فيه تخلصه له، ولأن لا قد ينفي بها الحال قليلاً، فلن أخص بالاستقبال وأخص بالمضارع؛ ولأن (ولن تفعلوا) أخصر من (ولا تفعلون)؛ فلهذا كله يجعل القول بالتوكيد أقرب للصواب من غيره<sup>(1)</sup>.

• وقد نوقش هذا القول المقتضي أنّ (لن) أكد في النفي من (لا)؛ حيث نقل بدر الدين المرادي عن ابن عصفور أنّه قال: «وما ذهب إليه - يقصد الزمخشري - دعوى لا دليل عليها، بل قد يكون النفي ب (لا) أكد من النفي ب (لن)؛ لأنّ المنفي ب (لا) قد يكون جواباً للقسم، والمنفي ب (لن) لا يكون جواباً له، ونفي الفعل إذا أقسم عليه أكد»<sup>(2)</sup>.

• وتعقب المرادي هذا الاعتراض مبيناً أنّ (لن) وقعت جواب القسم في قول أبي طالب:

وَاللّٰهُ لَنْ يَصِلُوْا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّىٰ أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينًا (3) - (4).

القول الثاني: أنّها لتأييد النفي.

هذا القول نسبة أغلب من تناول المسألة للزمخشري وعزوه لكتابه (الأنموذج)، وقد ذكر أحد الباحثين أنّ النسختين المطبوعتين للكتاب لا يوجد فيهما الإشارة إلى التأييد؛ والوارد فيهما: أنّ (لن) تفيد تأكيد النفي، وأنّه رجع لشرح الأردبيلي المتوفى سنة: (627هـ)، فوقف على أنّه ذكر أنّ بعض النسخ وقع فيها التأييد بدل التأكيد، وسار في شرحه على المعنى الثاني ممّا يدل أنّه نسبة للزمخشري دون المعنى الأول<sup>(5)</sup>، غير أنّي سأضيف شيئاً يؤكد أنّ الزمخشري وإن ثبت قوله بالتأييد كما صرح بذلك الكثير من معاصره حتى اشتهر تسمية (لن) ب "الزَمْخَشْرِيَّة"، إلّا أنّه قد سبق لذلك، وممّا يؤكد هذا أنّ الواحد في الوسيط ردّ على هذا القول دون ذكر صاحبه، حيث قال: «وقول من قال: إنّ (لن) للتأييد دعوى على أهل اللغة، وليس يشهد لذلك كتاب ولا نقل ولا إسناد ولا

(1) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (1/ 174).

(2) \_ الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين المرادي (ت: 749هـ)، ت: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1 1413 هـ - 1992 م، (ص: 270).

(3) \_ أورده ابن إسحاق في السيرة، (ص: 155).

(4) \_ المصدر السابق، (ص: 270).

(5) \_ ينظر: القول السديد في دلالة (لن) على التأييد، سالم جاري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع: 37، 2018، (ص: 582).



## الفصل الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في اللغة

أصل»<sup>(1)</sup>. ومُحال أنّ يكون المقصود بذلك الرمخشري، فقد وُلد سنة: (467هـ) وتوفي الواحدي بعدها بسنة. وقد وقفت على قول الجبان في ذلك حيث قال شارحا قول الشاعر:

ولن يراجع قلبي حبّهم أبداً زكّنتُ من بعضهم مثل الذي زكّنتوا

«أي نحن متباغضون، يبغضوننا ونبغضهم، ويعادوننا ونعادهم، وأكد أمر العداوة بأن وصفها بأنّها لا تزول أبداً؛ لأنّ لن تفيد نفي الشيء في المستقبل أبداً»<sup>(2)</sup>.

• وتُعقب هذا القول بما يلي:

1\_ قوله ﷺ: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوْبِيًّا﴾ [طه] بيّن أنّها ليست للتأييد؛ لأنّ المنفيّ جاء مُعَيَّنًا إلى غاية ينتهي بانتهائها وهو رجوع موسى عليه السلام<sup>(3)</sup>.

2\_ ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيّها ب (اليوم) في: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا﴾ [مریم: 26].

3\_ لو كانت للتأييد لكان ذكره (الأبد) في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: 95] تكرارا، والأصل عدمه<sup>(4)</sup>.

القول الثالث: أنّها تنفي ما قرب.

عزاه أبو حيان والسيوطي للزملكاني<sup>(5)</sup>، وسبقه إليه السهيلي؛ حيث قال: «ومن خواصها أنّها تنفي ما قرب ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معنى النفي في حرف (لا) إذا قلت: لا يقوم زيد أبداً»<sup>(6)</sup>.

(1) \_ التفسير البسيط، الواحدي، (9/ 333).

(2) \_ شرح فصيح ثعلب لأبي منصور محمد بن علي الجبان الأصبهاني: 109

(3) \_ ينظر: شرح تسهيل الفوائد، محمد بن مالك (ت: 672هـ)، ت: عبد الرحمن السيد \_ محمد المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: 1، 1410هـ - 1990م، (4/ 14).

(4) \_ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين ابن هشام (ت: 761هـ)، ت: مازن المبارك \_ محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط: 6، 1985، (ص: 374).

(5) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (1/ 174).

(6) \_ نتائج الفكر في النحو، عبد الرحمن السهيلي (ت: 581هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1412 - 1992م، (ص: 100).

ومن جملة ما استندوا إليه في الاحتجاج لهذا القول ما يلي:

أ \_ أن الألفاظ مشاكلة للمعاني؛ ولأن آخرها الألف فاللام يمكن امتداد الصوت بها بخلاف النون، فطابق كل لفظ معناه؛ ولذلك أتى ب (لن) في قوله: ﴿لَنْ تَرِيَنِي﴾ حيث لم يرد به التقي مطلقاً، وإنما نفاه في الدنيا، بينما أتى ب (لا) في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [الأنعام:103]؛ حيث أراد نفي الإدراك على الإطلاق.

ب \_ أن الله تعالى قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ [الجمعة: 7] ، بحرف (لا) في الموضع الذي اقترن فيه حرف الشرط بالفعل فصار من صيغ العموم، فانسحب على جميع الأزمنة، وهو قوله: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:6]، وقال في سورة البقرة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (95) [البقرة] فقصر من سعة النفي وقرب؛ لأن قوله تعالى في التّظم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (94) [البقرة]، وليست (إن) ها هنا مع (كان) من صيغ العموم؛ فكأنه يقول عز وجل إن كانت قد وجبت لكم الدار الآخرة وثبتت لكم في علم الله تعالى فتمنوا الموت الآن، ثم قال في الجواب: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾، فانتظم معنى الجواب بمعنى الخطاب في الآيتين جميعاً<sup>(1)</sup>.

• وتعقب أبو حيان هذا القول واعتبره قول المتأخرين، وبين أن المصير في معاني هذه الحروف وتصرفاتها لأئمة العربية المقانع الذين يرجع إلى أقاويلهم<sup>(2)</sup>.

القول الرابع: تفييد نفي المستقبل دون تقييد بزمن.

ومعنى ذلك أن (لن) لنفي المستقبل، وقد يطول ذلك أو يقصر، وهذا ما ذهب إليه سيبويه والمبرد والزجاجي وابن الوراق، و هو اختيار ابن مالك وابن هشام والثعالبي.

ومما احتجوا به على ذلك ما يلي:

أ \_ أن نفي "سوف يفعل" و " سيفعل" هو: " لن يفعل"، والسين تصلح للمستقبل القريب، بينما سوف فتصلح للمستقبل البعيد.

(1) \_ ينظر: نتائج الفكر في النحو، السهيلي، (ص/101).

(2) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (1/174).

ب\_ قولك: «لن أقوم» يحتمل أنك تريد بذلك أن لا تقوم أبدا، أو أنك لا تقوم في بعض أزمنة المستقبل<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

بعد عرض أقوال أهل العلم في المسألة يظهر أنّ تعقب الثعالبي في محلّه، وذلك لما يلي:

\_ وردت (لن) في القرآن دالة على النفي لوقت محدد، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُبِينٌ﴾ [طه]، كما وردت دالة على استمرار النفي، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُمْ﴾ [الحج:73]، ومفهوم التأيد في هذه الآية الأخيرة ليس من (لن)، وإنما هو من دلالة خارجية؛ إذ الخلق خاص بالله وحده.

وفي خلاصة هذا المبحث يتضح أن الثعالبي قد وُفق فيما انتقد عليه ابن عطية، وقد أبان صاحب الجواهر اطلاعه الواسع حين أنكر دعوى أنّ السلوى لا يراد به العسل لغة، واستعان في ذلك بما نقله عن غيره، كما أنّه أطل في الاحتجاج لموقفه من دلالة (لن)، واعتمد على نصوص القرآن الكريم، كما استند إلى أهل الاختصاص.

(1) \_ ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط: 11، 1383هـ، (ص: 58).

### المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في العهد الذكري وعود الضمير

العهد الذكري، وعود الضمير لهما أثر كبير في فهم المعنى وتحديد المقصود، وتزداد أهميتهما حين يتعلق الأمر بمراد الله ﷻ، ويأتي هذا المبحث لدراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية في هذا السياق، وقد تضمن مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: هل تعريف (السحر) في قوله ﷻ: ﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ ﴾ [يونس: 81] للعهد الذكري؟

#### قول ابن عطية:

« والتعريف هنا في (السِّحْر) أرتب؛ لأنه قد تقدم منكر في قولهم: ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: 76] فجاء هنا بلام العهد كما يقال في أول الرسالة، سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك»<sup>(1)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

« قال ص: قال الفراء: إنما قال: (السِّحْر) ب (أل)؛ لأنَّ النكرة إذا أُعيدت، أُعيدت ب «أل» ، وتبعه ابن عطية، ورُدَّ بأنَّ شرط ما ذكره اتحاد مدلول النكرة المعادة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل] وهنا السِّحْر المنكر هو ما أتى به موسى، والمعروف ما أتوا به هم، فاختلف مدلولهما، والاستفهام هنا: على سبيل التحقير. انتهى. وهو حسن»<sup>(2)</sup>.

#### الدراسة:

ذكر ابن عطية أنَّ الألف واللام في (السِّحْر) من قوله ﷻ: ﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ ﴾ للعهد، وذلك لتقدم ذكر (السِّحْر) منكر في قولهم: ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، فتعقب الثعالبي ذلك بإيراد كلام الصفاقسي في رده على الفراء وابن عطية في دعواهم هذه، مبيناً أن شرط ذلك اتحاد مدلول النكرة المعادة، ثم ختم ذلك ببيان أنَّ الاستفهام في قوله ما جئتم، سيق به على سبيل التحقير، وحسن الثعالبي ذلك، وبتتبع المسألة وقفت على الخلاف الوارد فيها على النحو التالي:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 135).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 252).

القول الأول: الألف واللام للعهد.

ومن قال بذلك الفراء كما نقله الثعالبي، وقد وقفت عليه في كتابه معاني القرآن حيث قال: « إنما قال (السحر) بالألف واللام؛ لأنه جواب لكلام قد سبق ألا ترى أنهم قالوا لما جاءهم به موسى: أهذا سحر؟ فقال: بل ما جئتم به السحر. وكل حرف ذكره متكلم نكرة فرددت عليها لفظها في جواب المتكلم زدت فيها ألفا ولما كقول الرجل: قد وجدت درهماً، فتقول أنت: فأين الدرهم؟ أو: فأرني الدرهم. ولو قلت: فأرني درهماً، كنت كأنك سألته أن يريك غير ما وجدته»<sup>(1)</sup>، ومن قال بذلك أيضا النحاس، ومكي بن أبي طالب، وابن عطية، وابن الجوزي، وابن عاشور<sup>(2)</sup>.

وحجتهم في ذلك:

— أن النكرة إذا أعيدت، أعيدت ب (أل) وكان ذلك عين الأول.

• وتُعقب ذلك؛ بأن شرط كونه للعهد اتحاد المتقدم والمتأخر كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا

شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ [المزمل] وهذا ليس كذلك فإنَّ السحر المتقدم ما جاء به موسى ﷺ، وهذا ما جاؤوا به.

القول الثاني: الألف واللام ليست للعهد.

ومن قال بذلك أبو حيان ونقله الثعالبي عن الصفاقصي وحسنه، واختار الألويسي أنها للجنس والتعريف واعتبره البقاعي الأقرب<sup>(3)</sup>.

ومما احتجوا به:

— ما سبق بيانه في الاعتراض على القول السابق؛ من أن شرط اعتبار آل التعريف للعهد؛ اتحاد مدلول النكرة

المعاداة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ [المزمل] وهنا السحر المنكر هو ما أتى به موسى، والمعروف ما أتوا به هم، فاختلف مدلولهما.

(1) — معاني القرآن، الفراء، (1/ 475).

(2) — يُنظر: معاني القرآن، الفراء، (1/ 475). إعراب القرآن، النحاس، (2/ 154). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي، (5/ 3306). زاد المسير، ابن الجوزي، (2/ 342). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (11/ 254).

(3) — نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (ت: 885 هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د، ت، ط، (9/ 174).

• وأجيب على ذلك: أنّ الفراء، وابن عطية إنما أرادَا السِّحْرَ المتقدِّمَ الذكر في اللفظ، وإن كان الثَّانِي هو غير عين الأول في المعنى، ولكن لما أطلق عليهما لفظ «السِّحْر» جاز أن يقال ذلك، ويدلُّ على هذا: أنّهم قالوا في قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ [مريم: 33] إنّ الألف واللام للعهد؛ لتقدُّم ذكر السَّلَام في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ﴾ [مريم: 15]، وإن كان السَّلَامُ الواقعُ على عيسى، هو غير السلام الواقع على يحيى؛ لاختصاص كلِّ سلام بصاحبه من حيث اختصاصه به فلا يشترط ما ذكر بل اتحاد الجنس كاف في الجملة ولا يشترط الاتحاد ذاتاً<sup>(1)</sup>.

• وأجيب عليه: أنّه ليس دليلاً باعتبار السلام متحد فيهما وتعدد من وقع له لا يجعله متعدداً، كما أنّ زيدا لا يتعدد باعتبار تعدد الأماكن والمحال، وإنما يتم ما ذكره أن لو صح رأيت رجلاً وأكرمت الرجل إذا كان الأوّل زيدا والثاني عمراً، مثلاً أن يقال: إن آل للعهد، لأنّ الاتحاد في الجنس ظاهر ولم نجد من يقوله، بل لا أظن أحداً تحدّثه نفسه بذلك، وما في الآية من هذا القبيل بل المغايرة بين المتقدم والمتأخر أظهر؛ إذ الأول سحر ادعائي، والثاني حقيقي، والسَّلَامُ فيما نقلوا متحدّ، وتعدد من وقع عليه لا يجعله متعدداً في العرف، والتدقيق الفلسفي لا يلتفت إليه في مثل ذلك<sup>(2)</sup>.

• وتعقب الألويسي الفراء واعتبر أن دعواه لا يلتفت إليها، ثم اعتذر له أنّه ربما أراد الجنس، وإنّ عبر بالعهد بناء على ما ذكره السيوطي في جمع الجوامع نقلاً عن ابن عصفور أنه قال: «لا يبعد عندي أن يسمى الألف واللام اللتان لتعريف الجنس عهديتين؛ لأنّ الأجناس عند العقلاء معلومة مذ فهموها والعهد تقدم لمعرفة، وادعى أبو الحجاج يوسف بن معزوز أن (أل) لا تكون إلّا عهدية، وتأوله بنحو ما ذكر إلا أنّ ظاهر التعليل لا يساعد ذلك»<sup>(3)</sup>.

— ونقل مكي بن أبي طالب عن الفراء أن الألف واللام زائدتين وضعفه، واعتبر السمين الحلبي أن هذا النقل ينافي ما نقل عنه من كون الألف واللام للعهد، ثم قال: «اللهم إلّا أن يُقال: يُحتمل أن يكونَ له مقالتان، وليس ببعيدٍ فإنه كلما كثر العلم اتسعت المقالات»<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

بعد عرض جملة من أقوال أهل التفسير في المسألة، ظهر لي ما يلي:

- (1) — ينظر: الدر المصون، الحلبي، (253/6). حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي، الخفاجي، (51/5).
- (2) — ينظر: حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي، الخفاجي، (51/5). روح المعاني، الألويسي، (6/156).
- (3) — روح المعاني، الألويسي، (6/156).
- (4) — الدر المصون، الحلبي، (6/254).

1\_ القاعدة التي أوردتها الفراء ذكرها غير واحد من أهل اللسان والبلاغة، حيث نصّ عليها أبو سعيد السيرافي في شرحه على كتاب سيبويه<sup>(1)</sup>، ونصّ عليها الراغب حيث قال: « والمنكر متى أعيد ذكره وأريد به ما تقدّم عرّف »<sup>(2)</sup> وقال بذلك ابن الشجري وأبو البقاء العكبري<sup>(3)</sup>.

2\_ هذه القاعدة أغلبية حيث إن لها استثناءات، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء:127]؛ فالصلح الأول خاص وهو الصلح بين الزوجين، والثاني عام؛ ولهذا يُستدلّ بها على استحباب كل صلح، ومثله ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [88] [النحل] والشّيء لا يكون فوق نفسه<sup>(4)</sup>.

المطلب الثاني: عود الضمير في قوله ﷺ: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْتَهُمْ ﴾ [الزخرف:20]

#### قول ابن عطية:

« [ذكر الله تعالى احتجاج الكفار لمذهبهم ليعين فساد منزعهم، وذلك أنهم جعلوا إمهال الله لهم وإنعامه عليهم وهم يعبدون الأصنام، دليلاً على أنه يرضى عبادة الأصنام ديناً، وأن ذلك كالأمر به] »<sup>(5)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

ت: وقال قتادة وغيره: يعني: ما عبدنا الملائكة»<sup>(6)</sup>.

(1) \_ ينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، ت: أحمد مهدي، سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 2008 م، (3/175).

(2) \_ المفردات، الراغب، (ص: 507).

(3) \_ ينظر: أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات، ت: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:1، 1413 هـ - 1991 م، (3/545). الباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري البغدادي، ت: عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط:1، 1416 هـ 1995 م، (2/136).

(4) \_ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين ابن هشام، ت: مازن المبارك / محمد حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط:6، 1985، (ص: 863).

(5) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/50).

(6) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/166).

ذكر ابن عطية أن المقصود بقوله عنه: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ يعني الأصنام، وتعقبه الثعالبي بقول قتادة أن المقصود الملائكة ولم يورد أدلة على ذلك، وبتتبع كتب التفسير ظهر أن المسألة محل خلاف، وفيما يلي بيان ذلك:

### القول الأول: المقصود الأصنام والأوثان.

رُوي ذلك عن مجاهد<sup>(1)</sup> وقال به الماتريدي والطبري ومكي بن أبي طالب وابن عطية، واختاره ابن عاشور<sup>(2)</sup>.

ومن جملة ما اعتمدوا عليه ما يلي:

أ\_ أن المشركين عبدوا الأوثان<sup>(3)</sup>.

ب\_ ضمير الغيبة في ﴿ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ عائد إلى معلوم من المقام، ومن ذكر فعل العبادة لأنهم كانوا يعبدون الأصنام وهو الغالب، فضمير جمع المذكر جاء على التغليب<sup>(4)</sup>.

### القول الثاني: المقصود الملائكة.

عزه الواحدي للكبي وفتادة<sup>(5)</sup> وقال به مقاتل، ويظهر أنه اختيار السمرقندي حيث أورده أولاً ثم ساق القول بأن المقصود الأصنام بصيغة التمریض، ومن قال به: الواحدي و الزمخشري والقرطبي والبيضاوي والنسفي والإيجي وأبو السعود والسعدي<sup>(6)</sup>، وابن جزى وتعقب ابن عطية في حمله المعنى على الأصنام، حيث قال: « ﴿ وَقَالُوا لَوْ

(1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (583/21).

(2) \_ ينظر: تأويلات أهل السنن، الماتريدي، (157/9). جامع البيان، الطبري، (583/21). الهداية، مكي، (6644/10).

(3) \_ ينظر: الدرر المنتور في التفسير بالمأثور، السيوطي، (372/7).

(4) \_ ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (184/25).

(5) \_ ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (26/20).

(6) \_ ينظر: تفسير مقاتل (3 / 791)، تفسير السمرقندي (254/3). التفسير الوسيط، الواحدي، (4 / 68).

الكشاف، الزمخشري، (244/4). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (74/16). أنوار التنزيل، البيضاوي، (5 / 88).

مدارك التنزيل، النسفي، (268/3). جامع البيان، الإيجي، (80/4). إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (43/8). السراج المنير،

الشربيني، (558/3). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 763).



شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْتَهُمْ ﴿ الضمير في قالوا للكفار، وفي عبدناهم للملائكة، وقال ابن عطية للأصنام: والأول أظهر وأشهر»<sup>(1)</sup>.

ومن جملة ما استند إليه بعض من قال بهذا ما يلي:

أ\_ أن بني مليح<sup>(2)</sup> كانوا يعبدون الملائكة واحتجوا على ذلك بمشئمة الله، فرد الله عليهم.

● وتُعَبَّبُ بأنهم لو أرادوا الملائكة لقالوا ما عبدناها أو ما عبدناهن، لكونهم قالوا أن الملائكة إناثا، فيقتضي أن لا يستعملوا ضمير الجمع المذكور، كما أن الواقع يثبت أن العرب لم يعبد منهم الملائكة إلا طوائف قليلة وأن ذلك ليس ديانة عامة<sup>(3)</sup>.

ب\_ أنه الأظهر<sup>(4)</sup>، ولعلمهم اعتمدوا في ذلك على السياق، حيث جاء ذكر قولهم هذا عقب حكاية قولهم في الملائكة: إنهم إناث وتعقب ذلك بأن اقتران كلام بكلام ليس بموجب اتحاد محليهما<sup>(5)</sup>.

ج\_ أنه قول الأكثر<sup>(6)</sup>.

وحاول ابن كثير الجمع بين القولين السابقين، فحمل المعنى على أنهم يعبدون الأصنام التي هي على صور الملائكة، ولم يبيِّن مستنده في ذلك، وتبعه المراغي<sup>(7)</sup>.

### القول الثالث: القول بالعموم.

وهو الذي يظهر من كلام الشوكاني حيث قال: ومعناه: لو شاء الرحمن في زعمكم ما عبدنا هذه الملائكة، ثم

نقل عن مجاهد وابن جريج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿20﴾ [الزخرف] قولهم: أي ما لهم بعبادة الأوثان من علم. فيفهم منه أنه لا يرى أن الآية

(1) \_ التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزى، (256/2).

(2) \_ بنو مليح قبيلة عربية، تنتسب إلى مليح بن عمرو بن عامر بن لحي بن قمعة بن إلياس، وقيل أنهم من من ولد الصلت بن مالك بن النضر بن كنانة. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1983/1403م، (ص 238).

(3) \_ ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (184/25).

(4) \_ ينظر: التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزى، (256/2).

(5) \_ ينظر: المصدر السابق، (184/25).

(6) \_ ينظر: التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزى، (256/2).

(7) \_ ينظر: ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (84/7).

## الفصل الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في اللغة

تقتضي تخصيص ذلك، وصرح النيسابوري بذلك حيث قال: « أي الملائكة والأصنام نظير ما مرّ في آخر الأنعام ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:148]»<sup>(1)</sup>، وكذلك مجير الدين المقدسي، حيث قال: « يعنون الملائكة وغيرهم»<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي سقته يتضح أنّ تعقّب الثعالبي قوي جداً، وذلك باعتبار ما يلي:

1\_ أنه قول الأكثر.

2\_ أن سياق الآية يدل عليه، وقاعدة السياق إذا وافقت قول الجمهور فإن هذا القول يتأكد رجحانه<sup>(3)</sup>.

والملاحظ أن الثعالبي لم يزد القول الأول وساق الثاني، فلعل صنيعة هذا يدل على التعميم، وهو مناسب لحال أهل الشرك، فقد جاءت آيات تبين احتجاجهم على شركهم بمشيئة الله كقوله ﷻ: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:148] والله أعلم.

(1) \_ تفسير النيسابوري (6 / 88).

(2) \_ فتح الرحمن في تفسير القرآن، المقدسي، (6 / 212).

(3) \_ ينظر: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط:2، 1432، (ص:171).

المطلب الثالث: عود الضمير في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾ (22) [الرحمن]

#### قول ابن عطية:

«واختلف الناس في قوله: مِنْهُمَا فقال أبو الحسن الأخفش في كتابه الحجة، وزعم قوم أنه قد ينفرج اللؤلؤ والمرجان من الملح ومن العذب. قال ع: ورد الناس على هذا القول، لأن الحس يخالفه ولا يخرج ذلك إلا من الملح وقد رد الناس على الشاعر في قوله:

فجاءَ بها ما شئتَ من لَطْمِيَّةٍ ... يدومُ الفراتُ فوقَها ويموجُ<sup>(1)</sup>

وقال جمهور من المتأولين: إنما يخرج ذلك من الأجاج في المواضع التي تقع فيها الأنهار والمياه العذبة، فلذلك قال: مِنْهُمَا [وهذا مشهور عند الغواصين<sup>(2)</sup>].»

#### تعقيب الثعالبي:

«ت: وهذا بناء على أنَّ الضمير في مِنْهُمَا للعذب وللمالح، وأمَّا على قول مَنْ قال: إِنَّ البحرين بَحْرُ فَارَسٍ والرُّومِ، أو بَحْرُ القُلُومِ وبَحْرُ الشَّامِ- فلا إشكال- إذ كُلُّها مالحةٌ، وقد نقل الأخفش عن قوم أَنَّهُ يخرج اللؤلؤ والمرجان من المالح ومن العذب، وليس لِمَنْ رَدَّهُ حُجَّةٌ قاطعة، وَمَنْ أثبتَ أولى مَن نفى، قال أبو حيان: والضمير في مِنْهُمَا يعود على البحرين، يعني: العذب والمالح، والظاهرُ خروجُ اللؤلؤِ والمرجانِ منهما، وحكاة الأخفش عن قوم<sup>(3)</sup>».

#### الدراسة:

ذكر ابن عطية الاختلاف الحاصل في مسألة عود الضمير في (منهما)، من قوله ﷻ: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ

وَالْمَرْجَانَ﴾ (22)، ونقل عن الأخفش قول بعضهم: إنَّه يخرج من العذب والمالح. فيكون عود الضمير إليهما معاً، وتعقب ابن عطية هذا القول ببيان أن الحسَّ يخالفه؛ يقصد بذلك الواقع، والملاحظ أنَّ الثعالبي لم يورد هذا الكلام في معرض كلام ابن عطية، وإنما ذكره في كلامه متعقباً له - كما سيأتي - ثم أورد قول جمهور من المفسرين، أن قوله ﷻ: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾ (22) إنما يعني بذلك الأجاج؛ أي المالح في المواضع التي

(1) - ينظر: ديوان الهذليين، (1/ 57).

(2) - المحرر الوجيز، ابن عطية، (228/5).

(3) - الجواهر الحسان، الثعالبي، (333/4).

## الفصل الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في اللغة

تقع فيها المياه العذبة؛ يريد بذلك موضع التقاء البحرين، وتَعَقَّب الثعالبي هذا القول موضِّحاً أنّ الضمير حينها يعود على العذب والمالح، ثم أشار إلى قول من قال أنّ البحرين هما بحر فارس والروم أو بحر القلزم وبحر الشام، وأنّه لا إشكال في كون الضمير يعود على البحرين، فلا وجه لردّ ذلك بكون المرجان لا يخرج إلّا من العذب؛ لأنّها كلها مالحة، ثم نقل الثعالبي قول الأخفش بأنّ المرجان يخرج منهما معا، وردّ على من أنكر ذلك مبينا أنّه لم يعتمد حجة قاطعة، وأن المثبت مقدّم على من نفى، وهو برده يقصد ابن عطية حيث أورد هذا القول وأنكره.

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح أن تعقب الثعالبي ينصب في ناحيتين:

الناحية الأولى: إثبات أنّ الضمير يعود على البحرين، على قول من اعتبر التقاءهما في مكان واحد وهو موضع خروج المرجان، وعلى قول من ذكر أنّهما بحر فارس والقلزم، وهذا قول أورده ابن عطية في معرض حديثه عن تحديد البحرين، والملاحظ أن الثعالبي يذكر هذه الأقوال تنزّلاً، حتى وإن كان لا يرتضيها، لكن تركيزه على إثبات عود الضمير على البحرين يجعله يسلك هذا المسلك، وهو من المسالك التي تُستخدم في المناظرة والاحتجاج على المخالف انطلاقاً من أقواله لإثبات ما يخالفه، خاصة إذا علمنا أنّ ابن عطية في إيراده للأقوال في مسألة عود الضمير ختمها بقول أبي عبيدة بأنّه يخرج من أحدهما وهو المالح وإنما ذكر ذلك تجوزاً على عادة العرب واحتجّ له ببعض الأقوال مما يُشعر أنه اختياره، على الأقل في هذا الموضوع، فاحتاج المُختصر أن يُعقّب مدافعاً على ما يراه صواباً في مسألة عود الضمير بناء على تقريرات المخالف في المسألة تنزلاً معه.

الناحية الثانية: إثبات أنّ المرجان يخرج من المالح والعذب، والردّ على ابن عطية في ذلك تلميحاً لا تصريحاً. وفي كلتا الناحيتين فالضمير يعود عليهما معا.

ولتحرير هذه المسألة تحتم عليّ تتبع أقوال أهل العلم في خروج اللؤلؤ و المرجان، وقد وقفت على أقوال كثيرة، غير أنه يمكن إجمالها في قولين:

### القول الأول: أنّ المرجان يخرج من المالح فقط.

وهذا القول في الحقيقة تتفرع عنه أربعة أقوال، حيث حاول كل فريق أن يجد مخرجاً لعود الضمير عليهما والمعلوم عندهم أن المرجان لا يخرج إلا من المالح، بل نقل السمعاني إجماع أهل العلم بهذا الشأن \_ أي المتخصصين في معرفة علوم البحار \_ على ذلك<sup>(1)</sup>، وهذه الأقوال هي:

(1) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (327/5).

أولاً\_ إنما يخرج من المواضع التي يلتقي فيها الماء المالح والماء العذب:

فأصحاب هذا القول يعتقدون أنه يخرج من المالح لكن يخصصون ذلك بموضع التقاء الأنهار بالبحار، وقد عزاه ابن عطية لجمهور من المتأولين<sup>(1)</sup>، مما يدل على كثرة الفائلين به، ومن هؤلاء أبو القفال الشاشي؛ حيث اعتبر أن اللؤلؤ والمرجان لا يكون إلا في ملتقى البحرين في أول ما يخلق، ثم حينئذ موضع الأصداف هو البحر المالح دون العذب، فصح قوله: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾<sup>(22)</sup> [الرحمن] لأنهما في ابتداء عند ملتقى البحرين، وحسنه السمعاني بشرط أن يكون كذلك<sup>(2)</sup>.

ومما استندوا إليه:

\_ أنه عند التقائهما يكون العذب كاللقاح للمالح، فنُسب إليهما كما نُسب الولد إلى الذكر والأنثى وإن ولدته الأنثى<sup>(3)</sup>.

ثانياً\_ إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عندما يسقط عليها قطر السماء:

رُوي عن ابن عباس وعكرمة<sup>(4)</sup> ومجاهد والضحاك<sup>(5)</sup>، وهو اختيار الطبري؛ حيث قال: «واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطر ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء»<sup>(6)</sup>. فعلى هذا القول البحر العذب هو المطر<sup>(7)</sup>، ويستشكل هذا القول بكون ماء المطر لا يسمى بحرا.

ومجموع ما وقفت عليه في الاستدلال لهذا القول ما يلي:

أ\_ الآثار الواردة عن ابن عباس رضي الله عنه.

ب\_ كما نقل بعضهم؛ أنّ السنة إذا أجذبت هزلت الحيتان، وقلت الأصداف والجواهر<sup>(8)</sup>.

(1) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (228/5).

(2) \_ ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (327/5).

(3) \_ ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (431 /5).

(4) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (30/ 23).

(5) \_ ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (181/9).

(6) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (30/ 23).

(7) \_ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (328 /2).

(8) \_ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (162 /19).

ثالثاً\_ أن المقصود بالبحرين بحر فارس والروم أو بحر القلزم الأحمر واليمن:

وضعه ابن جزي بدليل قوله ﷺ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ** ﴾ [الفرقان:

53]، وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بالبحرين في هذه السورة \_ أي الرحمان \_ ما أراد في الفرقان<sup>(1)</sup>.

رابعاً\_ أنه يخرج من المالح وذكرهما الله وأراد أحدهما:

ومن قال بهذا الرأي الفراء والزجاج والسمرقندي وابن أبي زمنين والواحدي وابن الجوزي والطبي وابن كثير وأبو

السعود<sup>(2)</sup>.

ومن جملة ما اعتمدوا عليه ما يلي:

أ\_ لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال: يخرجان منهما، كما يقال يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه. وتقول: خرجت من البلد. وإنما خرجت من محلة من محاله، بل من دار واحدة من دوره<sup>(3)</sup>.

ب\_ أنه يخرج من المالح لكن الله ﷻ ذكرهما مجازاً.

ج \_ أنه من باب حذف المضاف؛ أي من إحداهما، كقوله ﷻ: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ**

**الْقَرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ [الزخرف] أي من إحدى القريتين<sup>(4)</sup>.

• وقد ردّ هذا النحاس بقوله: «وفي هذا من البعد ما لا خفاء به على ذي فهم أن يكون «منهما» من أحدهما»<sup>(5)</sup>.

(1) \_ التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (2/ 328).

(2) \_ ينظر: معاني القرآن، الفراء، (3/ 115). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (5/ 100). بحر العلوم، السمرقندي،

(381/3). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (4/ 328). التفسير الوسيط، الواحدي، (4/ 220). غريب القرآن الكريم،

(ص: 383). فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطبي، (15/ 157). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (7/ 493).

إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (8/ 180).

(3) \_ ينظر: الكشف، الزمخشري، (4/ 446).

(4) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17/ 163).

(5) \_ إعراب القرآن، النحاس، (4/ 207).

د- أن الله قد ذكرهما وجمعهما، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما، ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿الْقُرُونُ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝۱۵ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝۱۶﴾ [نوح]، والشمس في السماء الدنيا، إلا أنه لما أجمل ذكر السبع كان ما في إحداهن فيهن.

• وردّ النحاس أن تكون القاعدة التي استند إليها للاستدلال أمرا معروفا فقال: «والذي قاله لا يعرف في تفسير ولا لغة ولا معقول أي يخبر عن اثنين بخبر واحد»<sup>(1)</sup>.

القول الثاني: أنه يخرج منهما معا كما هو ظاهر الآية.

قاله مقاتل، ويُنسب للأخفش، وقال به نجم الدين الطوفي واعتبر أن القول بأنه يخرج من المالح ليس بشيء، وكذلك نظام الدين الواحدي واعتبر القول الآخر تكلفا لا حاجة إليه، ورجحه الثعالبي ورشيد رضا والشنقيطي<sup>(2)</sup>.

ومن الأدلة التي اعتمدوا عليها:

أ- قوله ﷺ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُؤُنٍ لِحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝۱۲﴾ [فاطر]، والحلية هنا هي اللؤلؤ والمرجان هناك، وقد أخبر أنها من كل واحد من البحرين.

ب- أن من زعم أنه يخرج من المالح إنما اعتمد على قول الحكماء الطبيعيين مثل أرسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية، وكتاب الأحجار وغيره، والله عز وجل أعلم بمخلوقاته، وعجائب مصنوعاته: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝۱۴﴾ [الملك]<sup>(3)</sup>، وظاهر كلامه أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس وهب أن الغواصين ما أخرجوه إلا من المالح وما وجدوه إلا فيه، لكن لا يلزم من هذا أن لا يوجد في غيره، وكيف يمكن الجزم والأمور الأرضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى أمر ما في قعر البحر عليهم<sup>(4)</sup>.

(1) \_ إعراب القرآن، النحاس، (56 / 4).

(2) ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، (198/4). لتفسير البسيط، الواحدي، (155/21). الإشارات الإلهية إلى

المباحث الأصولية، الطوفي، (ص: 264) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (229/6). الجواهر الحسان، الثعالبي، (350/5).

تفسير المنار، رشيد رضا، (8/). أضواء البيان، الشنقيطي، (500/7).

(3) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، الطوفي، (ص: 264).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي، (29 / 352) (بتصرف).

### الخلاصة:

وبعد استعراض الأقوال وأدلة أصحابها يظهر أن أقرب الأقوال بموافقة الصواب ما ذهب إليه الثعالبي وذلك لما يلي:

1\_ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر].

2\_ إذا كان القائلون بأن اللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من الملح، استنادا لما بلغهم في ذلك، ومن خلاله حاولوا أن يجدوا مخرجا للضمير، فإنّ الواقع يُثبت أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من المياه العذبة، وهذا ما أثبتته الأبحاث العلمية، حيث عُثر على المرجان في نهر الأمازون، وقد نشر بحث علمي يؤكد عام: 2016م، وذلك في مجلة:

An extensive reef system at the Amazon river : Science advances، تحت عنوان: mouth<sup>(1)</sup>، كما عثر عليه في أنهار ويلز واسكتلاندا وبريطانيا حسب ما أفادته دائرة المعارف المصري<sup>(2)</sup>، وليس هذا بجديد فقد وقفت على كلام للبسلي التونسي وهو من علماء القرن التاسع يقوله فيه: «قال شيخنا: وحكي أن رجلاً جاء إلى الأمير أبي الحسن بلؤلؤة صغيرة، وذكر أنه أخرجها من الماء العذب، وشهد له بذلك شهود لا بأس بهم»<sup>(3)</sup>. وقال ابن عرفة: «وفي جزء الأمير أبو حسن بن مزيد أنهم استخرجوا من وادي رقاق شبه الجواهر واستشهد ببعض الحاضرين، وكذلك سمعت أنهم خرجوا من موضع هناك المرجان لكنها صغيرة، ومرجان صغير مكتوف اللون يسحقونه ويعملونه في الأدوية، وإنما يُستخرج الكبير البراق المنير المشرق من ماء البحر المالح»<sup>(4)</sup>. ولعل الثعالبي وقف على هذه الأخبار لذلك قال: «وليس لمن رَدّه حُجَّة قاطعة، ومنْ أُنْبِتَ أولى مَنْ نفى»، وأكد رشيد رضا هذا الأمر، وبَيَّن أنه وجد في أنهار الهند، ثبت ذلك قطعاً واستدركه (سائل) مترجم القرآن بالإنكليزية على البيضاوي<sup>(5)</sup>.

(1) \_ ينظر: advances. Sciencemag. org

(2) \_ دائرة معارف الشعب المصرية العدد 73، (ص: 537).

(3) \_ التقييد الكبير، البسيلي، (ص: 315).

(4) \_ تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، (3/ 11).

(5) \_ ينظر: تفسير المنار، رشيد رضا، (8/ 92).



وفي خلاصة المبحث تتضح دقة الثعالبي وسعة اطلاعه، فتعقبه في المسألة الأولى متضمّن إيراد قول دون ردّ قول ابن عطية، وذلك مناسب لحال الواقع، كما اتضح أنّه يرى حمل الضمير على حقيقته ما أمكن ذلك.

### خلاصة الفصل:

وصفوة القول أنّ الثعالبي يعتمد على الصفاقصي كثيرا في القضايا اللغوية للردّ على ابن عطية، إلا أنّ ذلك لم يمنعه من تعقبه — أي الصفاقصي — فيما ظهر له مجانبته للصواب، وهذا ما يُبرز شخصيته العلمية، كما اتضح أن الثعالبي يؤيد القول المشتهر عند النحويين، ويركز على المعنى ولو على حساب الوظيفة الإعرابية، وقد ظهر اطلاعه الواسع على أقوال أهل الاختصاص مع اعتماده على نصوص القرآن الكريم، وهو يرى حمل الضمير على حقيقته ما أمكن ذلك.

الفصل الخامس  
تعقبات الثعالبي على ابن عطية  
في موضوعات متنوعة

من خلال هذا الفصل سأتناول التعقبات التي لا تندرج ضمن المواضيع السابقة، وقد سقتها تحت هذا العنوان الجامع لأن مادتها قليلة ولا تكفي لإبرازها تحت فصول مستقلة، وقد رتبها بحسب الأهمية والألوية في أربعة مباحث، وتفصيل ذلك كالتالي:

### المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل حديثة

عُرف عن الثعالبي عنايته بالسنة والآثار فقد حصل إجازات كثيرة في كتب السنة رواية ودراية، وقد برز أثر ذلك في منهجه في التفسير، حيث كان معظماً للسنة مُقدِّماً لها عن كل قول، ومما يظهر عنايته بها أيضاً؛ تعقباته على ابن عطية في المسائل الحديثة، ويأتي هذا المبحث ليبرز ذلك ضمن ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: هل حديث «لن يغلب عسر يسرين» مرفوع أم موقوف؟

#### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر:3]: «فترتب في الآية وعيد بين وعدين، وهكذا رحمة الله تغلب غضبه. قال القاضي أبو محمد: سمعت هذه النزعة من أبي عليه السلام وهي نحو من قول عمر رضي الله عنه: «لن يغلب عسر يسرين»<sup>(1)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«ت: هو حديث»<sup>(2)</sup>.

#### الدراسة:

أورد ابن عطية أثراً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لن يغلب عسر يُسرِين»، فتعقبه الثعالبي مبيناً أنه حديث؛ يقصد بذلك أنه حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مما يستوجب تتبع روايات الحديث من مظانها للتحقق من ذلك، وقد تبين بعد الاستقصاء في حدود الاستطاعة، أنّ الحديث روي مرفوعاً وروي أيضاً موقوفاً، وهذا ما أورده ابن حجر في الفتح<sup>(3)</sup>، وفيما يلي بيان لذلك:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (546/4).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (92/4).

(3) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (712/8).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

أولا\_ الروايات المرفوعة:

جاءت موصولة ومرسلة:

أ\_ الروايات الموصولة:

روي عن جابر ابن عبد الله وابن مسعود رضي الله عنهما يرفعانه للبي رضي الله عنه:

- فأما رواية جابر رضي الله عنه فأخرجها ابن مردويه كما عزاها إليه الزيلعي<sup>(1)</sup>. قال السخاوي: «سنده ضعيف»<sup>(2)</sup>. وذلك بسبب الحسن بن عطية العوفي، فقد اتفق أهل العلم على تضعيفه<sup>(3)</sup>.
- وأما رواية ابن مسعود رضي الله عنه فأخرجها الطبراني عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرج منه ولن يغلب عسر يسرين، ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(5)</sup> إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا<sup>(6)</sup>» [الشرح]<sup>(4)</sup>. وفي إسناده أبو مالك النخعي وهو ضعيف، قال عنه يحيى بن معين: «ليس بشيء». وقال أبو زرعة، وأبو حاتم: «ضعيف الحديث»<sup>(5)</sup>.

ب\_ الروايات المرسلة:

- أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(6)</sup>.
- وأخرجه الطبري من طريق قتادة قال: «ذكر لنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بهذه الآية — ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(5)</sup> إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا<sup>(6)</sup>» [الشرح] — فقال: «لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله»<sup>(7)</sup>.

(1) — ينظر: تخرّيج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، جمال الدين الزيلعي (ت: 762هـ)، ت: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط: 1، 1414هـ، (236/4).

(2) — المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين السخاوي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي — بيروت، ط: 1، 1405 هـ - 1985 م، (ص: 539).

(3) — ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، (294/2).

(4) — المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360هـ)، ت: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية — القاهرة، ط: 2، د، ت، (70/10).

(5) — تهذيب الكمال، المزي، (248/34).

(6) — ينظر: تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق، (438/3)، جامع البيان، الطبري، (495/24).

(7) — جامع البيان، الطبري، (495/24).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

قال الألباني بعد أن ساق هاتين الروایتين: «فعلة الحديث الإرسال...، ولا يقوي أحدهما الآخر؛ لاحتمال أن يكونا تلقياه من شيخ واحد، واحتمال أن يكون تابعياً مثلهما، واحتمال أن يكون ضعيفاً أو مجهولاً، وهو السبب في عدم الاحتجاج بالحديث المرسل وجعلهم إياه من أقسام الحديث الضعيف كما هو مقرر في علم المصطلح»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً\_ الروايات الموقوفة:

رُوي ذلك عن بعض الصحابة، منهم عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم.

- فأما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخرجه مالك في الموطأ والحاكم في المستدرک وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي في "التلخيص"<sup>(2)</sup>.
- وأما عن ابن مسعود رضي الله عنه، فأخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن إبراهيم النخعي عنه به. وإبراهيم النخعي ذكر الحاكم أنه كان يُدلس، وقال أبو حاتم: «لم يلق أحداً من الصحابة إلا عائشة رضي الله تعالى عنها ولم يسمع منها، وكان يرسل كثيراً ولا سيما عن ابن مسعود»<sup>(3)</sup>.
- وأما عن ابن عباس رضي الله عنه فجاء من رواية الفراء عن الكلبي عن ابن صالح عنه. وحكم عليه ابن حجر بالضعف<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي عرضته من روايات الحديث اتضح ما يلي:

- 1\_ أنّ الحديث مما تعارض فيه الوقف والرفع.
- 2\_ بالنسبة للروايات المرفوعة، فقد تعارض فيها الوصل والإرسال، والصحيح أنّه مرسل لذلك فهو ضعيف، ولا يُنسب للنبي صلى الله عليه وسلم.
- 3\_ بالنسبة للروايات الموقوفة، أصحها \_ حسب ما وقفت عليه \_ ما أخرجه الحاكم بسنده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(1) \_ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1412 هـ / 1992 م، (9/ 328).

(2) \_ ينظر: المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، (2/ 329).

(3) \_ ينظر: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، ت: عاصم القريوتي، مكتبة المنار - عمان، ط: 1، 1403 - 1983، (ص: 28).

(4) \_ ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (712/8).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

4\_ ومع ما سقته من بيان أنه موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أن إيراد ابن عطية له لا يعني أنه لم يقف على الروايات المرفوعة، كما لا يعني أنه يُقدّم الموقوف على المرفوع، فهو يشبهه مرفوعاً وموقوفاً، ومما يدل على ذلك ما أورده عند تفسير قوله صلى الله عليه وآله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ [الشرح]، حيث قال: «وقد روي في هذا التأويل حديث عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «لن يغلب عسر يسرين»، وأما قول عمر به فنص في الموطأ في رسالته إلى أبي عبيدة بن الجراح»<sup>(1)</sup>.

وبالتجوع إلى نفس الموضوع من تفسير الثعالبي، اتضح أنه اكتفى بإيراد قول ابن عطية بأنه حديث مروى عن النبي صلى الله عليه وآله، وأعرض عن بيان أنه مروى عن عمر رضي الله عنه كما ذكره ابن عطية<sup>(2)</sup>، وهذا يبين أنه يقدم الرفع على الوقف، كما يوضح جانباً من منهجيته في الاختصار القائم على الاقتصار على ما يراه صحيحاً حسب اجتهاده، وإلى ذلك أشار حين بين أنه أورد في تفسيره مهمات ابن عطية \_ والله أعلم \_.

المطلب الثاني: هل صح ما رواه النقاش عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَثَلُ الْفَرَسِ الْفَارِسِيِّ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: 29].

قول ابن عطية:

«وحكى النقاش عن ابن عباس أنه قال: الزرع: النبي صلى الله عليه وآله، ﴿فَازَهُ﴾: علي بن أبي طالب، ﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾: بأبي بكر، ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: على سوقه بعمر بن الخطاب»<sup>(3)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: وهذا لين الإسناد والمتن كما ترى، والله أعلم بصحته»<sup>(4)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (497/5).

(2) ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (636/4).

(3) \_ المصدر السابق، (142/5).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (250/4).

ذكر ابن عطية ما حكاه النقاش عن ابن عباس رضي الله عنه، أن المقصود بالزّرع: النبي صلى الله عليه وآله، فأزره: علي بن أبي طالب، فاستغلظ بأبي بكر، فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب. وتعقب الثعالبي ذلك مبينا ضعفه سندا ومتنا، وهذا ما يستدعي تتبع الطرق ودراستها دراسة حديثة من جهة سندها ومتنها.

أولاً\_ فأما من جهة السند؛ فقد رُوي هذا الأثر عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وفيما يلي بيان ذلك:

### 1\_ عن ابن عباس رضي الله عنه:

جاء من رواية سعيد بن جبير والضحاك وأبي الأحوص وعطاء عنه، وحكي عن النقاش، وفيما يلي بيان ذلك:

### أ\_ رواية سعيد ابن جبير:

أخرجها ابن سمعون في الأمالي والخطيب البغدادي في تاريخه عن محمد بن جعفر، وأخرجها ابن ثرثال عن أبي القاسم، كلاهما (محمد بن جعفر و أبو القاسم) عن عيسى بن إسحاق الأنصاري، عن الحسن بن الحارث بن طليب (كليب) الهاشمي، عن أبيه، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ كَزَرَاعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ قال: «أصل الزّرع عبد المطلب ﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ أخرج محمدا صلى الله عليه وآله، ﴿ فَآزَرَهُ ﴾ بأبي بكر ﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ بعمر ﴿ فَاسْتَوَى ﴾ بعثمان ﴿ عَلَى سَوْقِهِ ﴾ علي بن أبي طالب ﴿ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾»<sup>(1)</sup>.

ووقع اختلاف في اسم "الحارث"، حيث ذكره ابن سمعون: "الحارث بن طليب" وأما غيره: "الحارث بن كليب"، وقد استنفذت جهدي في البحث عنه وعن ابنه فلم أجد شيئا.

### ب\_ رواية الضحاك:

ساقها ابن الجوزي بسنده عن محمد بن عبد الباقي البزاز، أنبأنا أبو عمر الجوهري، أنبأنا الحسين بن محمد ابن عبيد، أنبأنا إبراهيم بن عبد الله المخزومي إسحاق بن إبراهيم؛ حدثنا علي ابن إبراهيم، حدثنا الحسين بن علي الهمداني، حدثنا محمد بن عبد العزيز، عن الضحاك عن ابن عباس: ﴿ كَزَرَاعٍ ﴾ قال: «الزّرع محمد. ﴿ أَخْرَجَ

(1) \_ ينظر: جزء ابن ثرثال، أحمد بن ثرثال (ت: 408هـ)، ت: خلاف عبد السميع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1،

1423 هـ - 2002 م، (ص: 92). و: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (12/ 501).

شَطَكُهُ ﴿ أَبُو بَكْرٍ ﴿ فَازَرَهُ ﴿ بَعْمَرٍ ﴿ فَاسْتَقْلَطَ ﴿ بَعَثَانَ ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴿ بَعْلِي ﴿ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿ قال: المؤمنون؛ وهو قول عمر لأهل مكة: لا يُعْبَدُ اللهُ سِوَا بَعْدِ الْيَوْمِ»<sup>(1)</sup>.

ج - رواية عطاء:

ساقها القزويني بسنده عن سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه: «في قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴿ عمر بن الخطاب ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿ عثمان بن عفان ﴿ تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سَجْدًا ﴿ علي بن أبي طالب ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴿ طلحة والزبير ﴿ سَيِّبَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿ عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴿ أبو عبيدة ابن الجراح ﴿ كَرَّعَ أَخْرَجَ شَطَكُهُ ﴿ أبو بكر ﴿ فَاسْتَقْلَطَ ﴿ بَعْمَرٍ ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ ﴿ يعني عثمان، ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿ علي بن أبي طالب، ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿»<sup>(2)</sup>.

2\_ عن علي رضي الله عنه:

رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب: «في قوله عز وجل: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴿، قال: محمد رسول الله، ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴿ أبو بكر، ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴿ عمر، ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿ عثمان، ﴿ تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سَجْدًا ﴿ علي بن أبي طالب، ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴿ طلحة والزبير، ﴿ سَيِّبَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿ عبد الرحمن بن عوف وسعد، ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعَ أَخْرَجَ شَطَكُهُ فَازَرَهُ فَاسْتَقْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ

(1) \_ التبصرة، عبد الرحمن ابن الجوزي (ت: 597هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1406 هـ - 1986 م، (1/480).

(2) \_ التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم القزويني (ت: 623هـ)، ت: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1408هـ-1987م، (2/461).



الزَّرَاعِ ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ المبغضون لهم، ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(1)</sup>.

— وفيه لؤلؤ بن عبد الله أبو بكر العوفي لم أجد ترجمة له، وقد حكم وصي الله عباس على سنده بالضعف الشديد<sup>(2)</sup>.

ثانياً — وأما من جهة المتن، فقد اختلف في تحديد المقصود بما ورد في الآية بين رواية ابن جبير ورواية الضحاك: ففي رواية ابن جبير: أصل الزرع عبد المطلب، أما في رواية الضحاك: أصل الزرع محمد ﷺ، ﴿ أَخْرَجَ شَطْرَهُ ﴾ في رواية ابن جبير: أخرج محمدا ﷺ، أما في رواية الضحاك: أبو بكر، ﴿ فَفَازَهُ ﴾ في رواية ابن جبير بأبي بكر، وفي رواية الضحاك بعمر، ﴿ فَاسْتَقَلَّطَ ﴾ في رواية ابن جبير بعمر، وفي رواية الضحاك بعثمان، ﴿ فَاسْتَوَى ﴾ في رواية ابن جبير بعثمان، وفي رواية الضحاك بعلي، وجاء عن ابن جبير: ﴿ عَلَى سُوقِهِ ﴾ علي بن أبي طالب. وعن الضحاك ﴿ يَعْجِبُ الزَّرَاعَ ﴾: يعني المؤمنين ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ وهو قول عمر لأهل مكة: «لا يُعْبَدُ اللَّهُ سِرًّا». وجاءت الرواية التي حكاها النقاش مخالفة أيضاً.

وأورد الطبري بسنده عن ابن عباس ﷺ: «قوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ أصحابه مثلهم، يعني نعتهم مكتوباً في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق السموات والأرض»<sup>(3)</sup>، وهذه الرواية عن ابن عباس ﷺ تخالف الرواية السابقة عنه؛ إذ ترجع تلك النعوت الواردة لجميع الصحابة رضي الله عنهم دون قصرها على بعضهم؛ لذلك انتقد كثير من أهل العلم ما ورد في هذه الروايات، قال السمعاني: «وهذا قول غريب ذكره النقاش، والمختار والمشهور هو القول الأول، أن الآية في جميع أصحاب النبي من غير تعيين، وعليه المفسرون»<sup>(4)</sup>.

واعتبر ابن تيمية أنّ ذلك من التحريفات التي طالت التفسير، فبعد أن ذكر جملة منها مما جاء في كتب الرافضة قال: «وقد شاركهم في نحو هذه التحريفات طائفة من الصوفية وبعض المفسرين كالذين يقولون: ﴿ وَالَّذِينَ

(1) \_ فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل (ت: 241هـ)، ت: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1403هـ - 1983م، رقم: 690، (1/434).

(2) \_ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) \_ جامع البيان، الطبري، (22/265).

(4) \_ تفسير القرآن، السمعاني، (5/210).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

وَالرَّيْتُونَ<sup>(1)</sup> وَطُورِ سَيْنِينَ<sup>(2)</sup> وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ<sup>(3)</sup> [التين]، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وكذلك قوله: ﴿كَزْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْكُهُ﴾ أبو بكر، ﴿فَنَازَرُهُ﴾ عمر، ﴿فَاسْتَفْلَظَ﴾ هو عثمان، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُرُوقِهِ﴾ هو علي<sup>(1)</sup>.

واعتبر الألوسي أن حمل الآية على هذه الأخبار لا يصح، وكأنه فهم من بعضها قصر الفضل على بعض الخلفاء دون بعض، حيث قال: «وكل هذه الأخبار لم تصح فيما أرى ولا ينبغي تحريج ما في الآية عليها، وأعتقد أن لكل من الخلفاء رضي الله تعالى عنهم الحظ الأوفى مما تضمنته»<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي استعرضته يظهر أن تعقب الثعالبي في محله، فقد تحقق أن الأثر الذي نقله ابن عطية ضعيف سندا وممتنا، فالروايات التي جاءت لا تسلم من رواة ضعفاء أو مجهولين، وأما من جهة المتن فقد اختلفت عباراته اختلافا محلا، كما خالف أثرا صحيحا عن ابن عباس رضي الله عنه. وعليه فإن تفسير الآية بالعموم هو الراجح، والحق فيه واضح \_ والله أعلم \_.

(1) \_ شرح حديث النزول، أحمد ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 5، 1397هـ/1977م، (ص: 168).

(2) \_ روح المعاني، الألوسي، (13 / 281).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

المطلب الثالث: الرواية الصحيحة في بيان الممتنع عن السجود عندما قرأ النبي ﷺ سورة النجم

### قول ابن عطية:

«وفيهما سجد \_ أي النبي ﷺ \_ وسجد معه المؤمنون والمشركون والجنّ والإنس غير أبي لهب، فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا»<sup>(1)</sup>.

### تعقب الثعالبي:

«ت: والذي خرّجه البخاريّ في صحيحه عن ابن مسعود: «فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف<sup>(2)</sup>»<sup>(3)</sup>.

### الدراسة:

ذكر ابن عطية أن مشركي قريش سجدوا لما سجد النبي ﷺ أواخر سورة النجم، إلا أبا لهب فإنه اكتفى بوضع جبينه على حفنة من تراب، وتعقبه الثعالبي مبيناً أن الوارد في الصحيح في الممتنع عن السجود هو أمية بن خلف، وتتبع أقوال أهل العلم وجدت أنها مختلفة في تحديد المعنى بذلك، وإليك بيان ما وقفت عليه:

### القول الأول: أنه أبو لهب.

قاله ابن عطية وتبعه أبو حيان في تفسيره ولم ينسبها لأحد<sup>(4)</sup>، وهو كما ترى دون إسناد.

### القول الثاني: أنه أمية بن خلف

أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود رضي الله عنه<sup>(5)</sup>، وبه قال القرطبي والحاازن والثعالبي والشريبي والشوكاني والقاسمي والمراغي وابن عاشور<sup>(6)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (195/5).

(2) \_ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: فاسجدوا لله واعبدوا، رقم: (4863)، (8/480). وهو عند مسلم دون زيادة: «وهو أمية بن خلف»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة، رقم: 576، (1/405).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (303/4).

(4) \_ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (9/10)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/195).

(5) \_ تقدم تحريجه. (ص:343).

(6) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (81/17). لباب التأويل، الخازن، (216/4). السراج المنير، الشريبي،

(141/4). الفتح القدير، الشوكاني، (5/125). محاسن التأويل، القاسمي، (58/9) تفسير المراغي، المراغي، (27/41).

التحرير والتنوير، ابن عاشور، (27/87).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

وهو قول صحيح لا غبار عليه، لتصريح البخاري باسمه.

القول الثالث: أنه المطلب بن أبي ودیعة رضي الله عنه.

أخرجه النسائي بسنده عن المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنه قال: «قرأ النبي صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فسجد وسجد من عنده، وأبیت أن أسجد، \_ ولم يكن يومئذ أسلم \_ قال المطلب: فلا أدع السجود فيها»<sup>(1)</sup>، وقد صحّحه ابن حجر، وحسنه الألباني<sup>(2)</sup>.

وذكر الشوكاني الروایتين السابقتين وجزم بصحة ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه ثم قال عقب رواية المطلب رضي الله عنه: «وإذا ثبت ذلك فلعل ابن مسعود لم يره \_ أي المطلب \_، أو خصّه وحده بذكره \_ أي أمية \_ لاختصاصه بأخذ الكفّ من التراب دون غيره»<sup>(3)</sup>.

القول الرابع: أنهما رجلان من قريش أرادا الشهرة.

أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في النجم إلا رجلين من قريش، أرادا بذلك الشهرة»<sup>(4)</sup>. قال الهيثمي: رجاله ثقات<sup>(5)</sup>.

القول الخامس: أنه الوليد بن المغيرة.

وقد روي ذلك عن محمد القرظي ومحمد بن قيس، والمطلب بن عبد الله وعروة بن الزبير وابن شهاب:

أ \_ فأما رواية محمد القرظي فأخرجها الطبري من طريقين<sup>(6)</sup>:

الأول: من طريق أبي معشر، واسمه: "نجيح بن عبد الرحمن السدي"، وهو ضعيف، كما قال الحافظ في التقريب<sup>(7)</sup>.

(1) \_ أخرجه النسائي في سننه، كتاب الافتتاح، باب سجود القرآن، السجود في النجم، رقم: (958)، (2/160).

(2) \_ ينظر: فتح الباري فتح الباري، ابن حجر، (615/8). صحيح سنن النسائي، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: 1، 1419هـ، 1998م، (317/1).

(3) \_ فتح القدير، الشوكاني، (117/3).

(4) \_ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم: (4253)، (370/1).

(5) \_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، (285/2).

(6) \_ ينظر جامع البيان، الطبري، (664/18).

(7) \_ ينظر: تقريب التهذيب، ابن حجر، (289/2).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

الثاني: من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن زياد المدني، عن محمد القرظي، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن<sup>(1)</sup>.

بـ وأما رواية محمد بن قيس فأوردها الطبري من طريق أبي معشر<sup>(2)</sup>، وقد تقدم ضعفه.

جـ وأما رواية المطلب بن عبد الله فجاءت من طريق الواقدي، وقد حكم القرظي عليها أنها فظيعة، ونقل عن الثعالب أنها منكرة خاصة وأن فيها الواقدي<sup>(3)</sup>.

دـ وأما رواية عروة، فخرجها الطبراني في الكبير من طريق ابن لهيعة<sup>(4)</sup>، وابن لهيعة مختلف فيه، ثم إنه اضطرب في روايته فجعلها هنا من مُرسَل عروة، وجاء فيها أن الوليد بن المغيرة امتنع عن السجود، وذكر رواية أخرى من طريق عروة عن المسور بن مخرمة عن أبيه، في سياق مغاير، ورد فيها: «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كُلَّهُمْ أَسْلَمُوا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَفْرُضَ الصَّلَاةَ، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَيَقْرَأُ بِالسَّجْدَةِ فَيَسْجُدُ فَيَسْجُدُونَ، وَمَا يَسْتَطِيعُ بَعْضُهُمْ أَنْ يَسْجُدَ مِنَ الزَّحَامِ وَضَيْقِ الْمَكَانِ لِكثْرَةِ النَّاسِ حَتَّى قَدَّمَ رُؤُوسَ قَرِيشٍ، الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَغَيْرَهُمَا، وَكَانُوا بِالطَّائِفِ فِي أَرْضِهِمْ، فَقَالُوا: أَتَدْعُونَ دِينَ آبَائِكُمْ؟ فَكَفَرُوا»<sup>(5)</sup>.

هــ وأما رواية ابن شهاب فأخرجها ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير من طريق محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب. وقال ابن كثير أن هذه الأسانيد مرسلات ومنقطعات<sup>(6)</sup>.  
وجزم ابن بطلال في باب سجود القرآن بأنه الوليد، وتَعَقَّبَهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ حَجْرٍ بِقَوْلِهِ: «وَهُوَ عَجِيبٌ مِنْهُ مَعَ وُجُودِ التَّصْرِيحِ بِأَنَّهُ أُمِيَّةٌ بَنَ خَلْفًا»<sup>(7)</sup>.

واعتبر الألباني هذا القول باطل لأنه مخالف لما ورد في الصحيح<sup>(8)</sup>.

---

(1) \_ ينظر: أسماء المدلسين، جلال الدين السيوطي (911هـ)، ت: محمود نصار، دار الجيل - بيروت، ط: 1، 1412هـ، 1992م، (ص: 81).

(2) \_ ينظر جامع البيان، الطبري، (18/ 664).

(3) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرظي، (12/ 81).

(4) \_ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: 8316، (9/ 34).

(5) \_ هذه الرواية أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، (13/ 301).

(6) \_ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/ 443).

(7) \_ فتح الباري، ابن حجر، (8/ 615).

(8) \_ مختصر صحيح الإمام البخاري، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: 1، 1422 هـ - 2002 م،

(321/1)

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

القول السادس: أنه سعيد بن العاص.

روي عن أبي العالية<sup>(1)</sup>، وهي روايات مرسلة.

القول السابع: أنه الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص.

عزاه الثعالبي لابن عباس رضي الله عنه ومحمد بن كعب القرظي<sup>(2)</sup>.

وردّها الرازي بقوله: «هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة»<sup>(3)</sup>. وسبب رد المحققين لها: ورود قصة الغرائق فيها.

القول الثامن: أنه عتبة بن ربيعة.

ذكره ابن كثير، ولم يورد سنده<sup>(4)</sup>.

القول التاسع: أنه منافق:

ذكره ابن بَرِيْزَةَ، وتُعَقَّبُ بأن القصة وقعت بمكة بلا خلاف، ولم يكن النفاق ظهر بعد<sup>(5)</sup>.

وقد حاول ابن حجر في الفتح الجمع بين بعض الروايات الواردة، حيث ذكر أن الممتنع هو أمية وجزم بصحته، وقيل الوليد وقيل سعيد بن العاص، وقيل أبو لهب. ثم قال: «ويحتمل أن يكون الأربعة لم يسجدوا والتعميم في كلام ابن مسعود بالنسبة إلى ما اطلع عليه ... لكن لا يُفسَّر الذي في حديث بن مسعود إلاّ بأمية»<sup>(6)</sup>.

### الخلاصة:

من خلال ذكر الروايات الواردة في الممتنع عن السجود، تبين أنّ غالبيتها روايات مرسلة ومنقطعة وبعضها من غير إسناد، ومنها الرواية التي ساقها ابن عطية بأنّه أبو لهب، ولم يصح من ذلك إلا ثلاثة وهي: وهي رواية البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيها أنه أمية بن خلف، وهي التي ذكرها الثعالبي، والثانية: رواية المطلب بن أبي

(1) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (606/16)

(2) \_ ينظر: الكشف والبيان، الثعالبي، (29/7).

(3) \_ مفاتيح الغيب، الرازي، (237/23).

(4) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (442/5).

(5) \_ ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (615 /8).

(6) \_ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

وداعة رضي الله عنه، والثالثة: رواية أبي هريرة رضي الله عنه وليس فيها تحديد الرجلين، ويحتمل أن يكونا: أمية والمطلب رضي الله عنه، لصحة نسبة ذلك إليهما.

وبذلك فتعقب الثعالبي في محله، حيث استدرك على ابن عطية القول بأنه أبو لهب، ويحسن التنبيه أن ابن عطية سبق أن ذكر في تفسير سورة الحج؛ أن الوارد في الصحيح هو أمية، ثم أتبع ذلك بقوله: «وقال بعض الناس: هو الوليد بن المغيرة، وقال بعض الناس: هو أبو أحيحة سعيد بن العاصي»<sup>(1)</sup>، ولم يذكر أبا لهب، ولم يتعقبه الثعالبي في ذلك، ولعل السبب كونه قرّر أن الوارد في الصحيح هو أمية، كما أنّ ذكره لبقية الأقوال دون بيان لسندها مشعر بعدم اختيارها \_ والله أعلم \_.

في خلاصة هذا المبحث يتضح أن الثعالبي وُفق في أغلب تعقباته على ابن عطية في المسائل الحديثية، وقد ظهرت عنايته بنقد السند والمتن، كما أنّه اهتم بإيراد رواية البخاري في مقابل الروايات الأخرى مما يُظهر عنايته بالصحيح.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (128/4).

## المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في الفقه

اشتهر عن ابن عطية تمكنه من الفقه وعنايته به، غير أنّ ذلك لم يمنع الثعالبي من تعقبه في بعض القضايا التي لم يرتض قول ابن عطية فيها، ويأتي هذا المبحث لدراسة المسائل المندرجة ضمن هذا الجانب، وذلك في ستة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: هل صحّ الإجماع في إباحة الدم غير المسفوح؟

### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [البقرة:173]: «والدم يراد به المسفوح؛ لأنّ ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: بل فيه خلافٌ شاذُّ، ذكره ابن الحاجب<sup>(2)</sup> وغيره، والمشهور: أظهر لقول عائشة رضي الله عنها: «لو حُرِّمَ غير المسفوح، لتتبع الناس ما في العروق، ولقد كنّا نطبخ اللحم، والرُّمّةُ تعلوها الصُّفرة»<sup>(3)</sup>»<sup>(4)</sup>.

### الدراسة:

نقل ابن عطية الإجماع على أن الدم الذي خالط اللحم جائز، فتعقبه الثعالبي بأنّ فيه خلاف شاذ حكاه ابن الحاجب وغيره، ثمّ رجح المشهور وأورد في ذلك أثر عائشة رضي الله عنها والذي يدلّ على رفع الحرج بإباحته، كما يبين فعل الصحابة، وأنّهم لم يكونوا يتحرّزون منه. وبتتبع أقوال أهل العلم وقفت على ما يلي:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 240).

(2) \_ هو: أبو عمرو، عثمان بن عمر الكردي، الإنساوي المولد، توفي سنة: (646 هـ)، برع في علوم العربية، والفقه، وأخذ القراءات عن الشاطبي، وقرأ على الشهاب الغزنوي، وتفقه على الأبياري، عرف بصحبته للعز ابن عبد السلام، أخذ عنه جماعة منهم الشهاب القرافي، وابن المنبر، له من التصانيف "الجامع بين الأمهات" وهو مختصره الشهير في الفقه. ينظر: الدياج، ابن فرحون: (2/ 86).

(3) \_ لم أقف عليه.

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 160).



## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

أولاً: حكى الإجماع على جواز الدم غير المسفوح جماعة من العلماء ومنهم: الطبري وابن عطية والقرطبي وأبو حيان وابن جزى والشوكاني وغيرهم<sup>(1)</sup>.

وعمدتهم في ذلك:

أ\_ أنهم حملوا المطلق على المقيد؛ فالمطلق يفهم من قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [البقرة:173]، فُيَد ذلك التحريم بالدم المسفوح في قوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُرْحَىٰ إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام:145].

ب\_ كما استندوا إلى أثر عائشة رضي الله عنها، والذي فيه بيان حال الصحابة رضي الله عنهم، ولا يُعرف خلاف بينهم في ذلك.

ثانياً: وقفت على من حكى الخلاف في المسألة، ومنهم اللّخمي حيث ذكر أن للإمام مالك قولان: أحدهما جواز غير المسفوح. والآخر التحريم مطلقاً سواء كان مسفوحاً أو غير مسفوح، ومن نقل الخلاف أيضاً: المهدي وابن العربي وابن رشد، الذي بين أن الخلاف موجود في مذهب مالك وغيره. ومن ذكر أن لمالك في المسألة قولين ابن الفرس والرجراجي<sup>(2)</sup> والقرافي<sup>(3)</sup>.

وذكر خليل عن ابن الحاجب أنّ له في المسألة قولان؛ الأول: أنّه طاهر بلا خلاف. والثاني: أن فيه قولان: أي قول بالطهارة، وقول بالنجاسة.

(1) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/240). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (2/222). التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، (1/107).

(2) \_ هو: علي بن سعيد أبو الحسن الرجراجي صاحب منهاج شرح المدونة، الشيخ الإمام الفقيه الحافظ الفروع الحاج الفاضل، لخص في شرحه المذكور ما وقع للأئمة من التأويلات واعتمد على كلام القاضي ابن رشد والقاضي عياض وتخرجات أبي الحسن اللّخمي، كان ماهراً في العربية، لقي بالمشرق جماعة من أهل العلم منهم الفرموسي الجزولي لقيه على ظهر البحر وتكلم معه في مسائل العربية، وأخذ عنه كثير من أهل المشرق. ينظر: نيل الابتهاج، التنبكي، (ص:316).

(3) \_ ينظر: التبصرة، أبو الحسن اللّخمي (ت: 478 هـ)، ت: أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط:1، 1432 هـ - 2011 م، (4/1601). التنبيه على مبادئ التوجيه، إبراهيم المهدي (ت: 536 هـ)، ت: محمد بلحسان، دار ابن حزم، بيروت - لبنان ط:1، 1428 هـ - 2007 م، (1/233)، أحكام القرآن، ابن العربي، (2/290)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد (ت: 595 هـ)، دار الحديث - القاهرة، د ط، 1425 هـ - 2004 م، (3/19)، مفاتيح الغيب، الرازي، (5/199)، مناهج التّحصيل ونتائج لطائف التّأويل في شرح المدونة وحلّ مشكلاتها، علي الرجراجي، ت: أبو الفضل الدمياطي - أحمد بن عليّ، دار ابن حزم، ط:1، 1428 هـ - 2007 م، (3/241)، الذخيرة، شهاب الدين القرافي (ت: 684 هـ)، ت: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط:1، 1994 م، (4/106).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

- وتعمّبه بقوله: «وأما الأولى فلم أرها لغير المصنف؛ أعني الحكم بطهارته فقط لوجود الخلاف، نعم القول بنجاسته شاذ، والمشهور الطهارة لقول عائشة رضي الله عنها: «لو حرّم غير المسفوح لتتبع الناس ما في العروق، ولقد كنا نطبخ اللحم على عهد رسول الله ﷺ والبرزمة تعلوها الصفرة»<sup>(1)</sup>. وذكر الرازي عن الشافعي أنه يرى أنّ الدم محرّم مطلقا سواء كان مسفوح أو غير مسفوح<sup>2</sup>. وعزا ابن نور الدين الشافعي<sup>(3)</sup> القول بجواز غير المسفوح للجمهور، ممّا يوضح أنه يرى في المسألة خلافا<sup>(4)</sup>. وعمدة القائلين بالتحريم:

أ \_ أخذنا بعموم قوله ﷺ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ﴾ [المائدة:3].

- ب \_ أنّ الإطلاق في قوله ﷺ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ﴾ يقتضي حكما زائدا على التقييد الوارد في قوله ﷺ: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ [الأنعام:145]؛ وأنّ معارضة المقيّد للمطلق إنّما هو من باب دليل الخطاب، والمطلق عام، والعام أقوى من دليل الخطاب، فيحمل المطلق على المقيّد<sup>(5)</sup>.

- ج \_ أنّ الله ﷻ قد خصّص المسفوح بالذكر تأكيدا لأمره، فالدم المسفوح حرام للآية المقيّدة وكذلك الكثير من غير المسفوح للآية المطلقة<sup>(6)</sup>.
- د \_ أنّ ذكر المسفوح جاء لاستثناء الكبد والطحال منه<sup>(7)</sup>.

\_ وذهب بعضهم إلى أنّ قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ [الأنعام:145]، نسخه قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ﴾ [المائدة:3].

---

(1) \_ التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق (ت: 776هـ)، ت: أحمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط: 1، 1429هـ - 2008م، (1/ 28).

(2) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (5/ 199).

(3) \_ هو: محمد بن علي بن نور الدين أبو عبد الله الموزعي الإمام الأصولي ويعرف بابن نور الدين. مات في حدود 820 هـ، وجرّت له مع صوفية وقته أمور بان فيها فضله. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، (8/ 223).

(4) \_ تيسير البيان لأحكام القرآن، ابن نور الدين، (3/ 77).

(5) \_ ينظر: بداية المجتهد، ابن رشد، (3/ 19).

(6) \_ ينظر: أحكام القرآن، ابن الفرّس، (2/ 320).

(7) \_ تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام، (1/ 467).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

- وتُعقَّب هذا القول؛ بأنَّ الأنعام مكية والمائدة مدنية، والمكي لا ينسخ المدني باتفاق<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

بعد البحث والاستقصاء اتضح أنَّ المسألة حُكِي فيها الخلاف، ووصف الثعالبي له بكونه خلاف شاذ متحقق وذلك لما يلي:

1\_ أنه لم ينقل عن الصحابة خلاف في ذلك، بل عملهم كما دلَّ عليه أثر عائشة رضي الله عنها يبين أنهم لم يكونوا يرون فيه بأساً، قال ابن تيمية: «وقد ثبت أنهم كانوا يضعون اللحم بالقدر فيبقى الدم في الماء خطوطاً، وهذا لا أعلم بين العلماء خلافاً في العفو عنه وأنه لا ينجس باتفاقهم»<sup>(2)</sup>.

2\_ ما نقله الرازي عن الشافعي لم أقف عليه في كتب الشافعية معزواً إليه، ولم أجد من صرَّح بأن أئمة الشافعية قالوا بعدم جوازهِ إلاَّ ما نقله الجُمَّل عن الإسنوي من عدم وقوفه على نص صريح لأئمة الشافعية في طهارته، ثمَّ عقَّب على ذلك بقوله \_ أي الإسنوي \_: «إلاَّ أنَّ الإمام الثعلبي المفسر قال بالطهارة وهو معدود من الشافعية»<sup>(3)</sup>، وقد تعقبه بعضهم في ذلك كما نقل الجُمَّل حيث قال: «قال بعضهم وفيما قاله الإسنوي نظراً؛ لأنَّه في شرح المهذب صرَّح بذلك وعلَّله بمشقة الاحتراز عنه»<sup>(4)</sup>.

وقد أبطل محمد الخضير<sup>(5)</sup> من نسب للشافعي القول بتحريم الدم غير المسفوح، وحجَّته في ذلك أنه لو ثبت عنه لاشتهر ذلك، بل قال النووي وهو أحد أئمتهم: «مما تعم به البلوى الدم الباقي على اللحم وعظامه وقلَّ من تعرض له من أصحابنا، فقد ذكره أبو إسحق الثعلبي المفسر من أصحابنا ونقل عن جماعة كثيرة من التابعين أنه لا بأس به، ودليله المشقة في الاحتراز منه، وصرَّح أحمد وأصحابه بأن ما يبقى من الدم في اللحم معفو عنه، ولو غلبت حمرة الدم في القدر لعسر الاحتراز منه، وحكوه عن عائشة وعكرمة والثوري وابن عيينة وأبي يوسف وأحمد وإسحاق وغيرهم، واحتجت عائشة والمذكورون بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: 145]، قالوا فلم يبق منه عن كل دم، بل عن المسفوح خاصة وهو السائل»<sup>(6)</sup>.

(1) \_ ينظر: أحكام القرآن، ابن الفرس، (2/ 319).

(2) \_ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (21/ 524).

(3) \_ فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، سليمان بن عمر الجمل (ت: 1204هـ)، دار الفكر \_ بيروت، د، ت، ط، (1/ 423).

(4) \_ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) \_ ينظر: الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضير، دار الوطن، السعودية، د، ت، ط، (ص: 187).

(6) \_ المجموع شرح المهذب، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الفكر، بيروت، د، ت، ط، (2/ 557).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

— يبقى التنبيه إلى أن الثعالبي يعتبر الخلاف الشاذ ناقضا للإجماع — والله أعلم —.

المطلب الثاني: متى يجوز الفرار من الزحف؟

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ

الْأَدْبَرَ ۗ (15) وَمَنْ يُؤْمِرْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضْبٍ مِّنْ

اللَّهِ وَمَأْوِنُهُ جَهَنَّمُ وَيَسِيرُ الْمَصِيرُ ۗ (16)﴾ [الأنفال]: «قال جمهور الأمة: الإشارة بـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إلى يوم

اللقاء الذي يتضمنه قوله: ﴿إِذَا لَقِيْتُمْ﴾، وحكم الآية باقٍ إلى يوم القيامة، بشرط الضعف الذي بيّنه الله تعالى

[في آية أخرى]»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: قال ابن رشد: وهذا ما لم يبلغ عددُ المسلمين اثني عشر ألفاً، فإن بلغ حرم الفرار، وإن زاد المشركون

على الضعف للحديث «لن تغلب اثنا عشر ألفاً من قِلَّةٍ»<sup>(2)</sup> فإن أكثر أهل العلم خصّصوا بهذا الحديث عموم

الآية، وعن مالك مثله. انتهى. وفهم ع: الحديث على التّعجب، ذكره عند قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ﴾ [التوبة: 25]، وما قاله ابن رشد هو الصواب، والله أعلم»<sup>(3)</sup>.

الدراسة:

عزا ابن عطية للجمهور أن حكم الآية باقٍ إلى يوم القيامة، والمتضمن لتحريم الفرار عند لقاء العدو، ثم أشار

إلى أن الحكم يجري إذا كان الكفار ضعف عدد المسلمين، فإن زادوا على الضعف جاز الفرار كما بيّنه آية

أخرى؛ يقصد بذلك قوله ﷺ: ﴿أَلَنْ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضِعْفًا فَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ

صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال]،

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 510).

(2) — أخرجه الترمذي في سننه، كتاب السير، باب ما جاء في السرايا، رقم: 1555، (4/ 125). أحمد في المسند، رقم: 2682، (3/ 199). قال أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(3) — الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 117).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

وتعقبه الثعالبي بنقل كلام ابن رشد الذي خصّص ذلك بشرط عدم بلوغ المسلمين اثني عشر ألفاً، فإذا بلغ حُرْم الفرار وإن زاد المشركون على الضعف، واستدل على ذلك بالحديث السابق، واعتبر أن أكثر أهل العلم خصّص به عموم الآية وهو ما ذهب إليه الإمام مالك، ثم أتبع الثعالبي نقله بتوضيح سبب عدم أخذ ابن عطية بالحديث، حيث اعتبره خارجاً مخرج التعجب وأشار إلى الموضوع الذي قرّر فيه ذلك، ليختم بترجيح ما ذهب إليه ابن رشد معتبراً إيّاه الصواب. وتتبع المسألة اتضح أنّ فيها أقوالاً كثيرة، من أهم ما وقفت عليه ما يلي:

**القول الأول:** يجوز الفرار إذا كان عدد المشركين أكثر من ضعف عدد المسلمين.

روي عن ابن عباس رضي الله عنه وعزاه ابن الجوزي لعطاء وأحمد، ونسبه النووي للشافعي، وذكر ابن رشد الجدل أنّه قول أكثر أهل العلم، وصحّحه ابن جزى واعتبره المشهور<sup>(1)</sup>.  
واستدلوا على ذلك بما يلي:

أ\_ قوله رضي الله عنه: ﴿ **أَلَنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضِعْفًا فَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال: 66].

ب\_ روي عن ابن عباس رضي الله عنه: إنّ فرّ رجل من رجلين فقد فرّ، وإن فرّ من ثلاثة فلم يفر<sup>(2)</sup>.

**القول الثاني:** يجوز لهم الفرار إذا كان المشركون أشد منهم سلاحاً وإن كانوا أقل من الضعف.

وبه قال ابن الماجشون، وهو رواية عن مالك، وإليه ذهب عبد الملك بن حبيب<sup>(3)</sup>.

**القول الثالث:** يجوز الفرار إذا كان عدد المشركين أكثر من الضعف ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر ألفاً، فإن بلغ حرم الفرار ولو كان المشركون أكثر من الضعف.

قال بذلك محمد بن الحسن، وروي عن مالك، وقال به ابن القاسم والجصاص، وعزاه ابن رشد وابن رسلان لأكثر أهل العلم، واعتبره الثعالبي الصواب<sup>(4)</sup>.

(1) \_ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (195/2). المجموع شرح المهذب، النووي، (294/19). المقدمات الممهدة، محمد بن رشد القرطبي، ت: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط: 1، 1408 هـ - 1988 م، (348/1). القوانين الفقهية، ابن جزى، (ص: 98).

(2) \_ ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، (227 /4).

(3) \_ الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه، محمد الأزدي القرطبي (ت: 620هـ)، ت: مشهور آل سلمان، دار الإمام مالك، د ت ط، (ص: 215).

(4) \_ ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، (228/4). شرح سنن أبي داود، شهاب الدين بن رسلان، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، مصر، ط: 1، 1437 هـ - 2016 م، (412/11). الجواهر الحسان، الثعالبي، (121/3).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

— ودليلهم في ذلك حديث النبي ﷺ: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربع مائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يؤتى اثنا عشر ألفا من قلة ولن يغلب وفي بعضها ما غلب قوم يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم»<sup>(1)</sup>، واعتبروا الحديث مخصّص لآية بشرط اجتماع كلمتهم وعدم تفرقهم<sup>(2)</sup>.

• وردّ على ذلك بما يلي:

أ — أن الحديث ليس فيه ما يدل على أنه لا يجوز الفرار من أكثر من الضعف لأن الحديث لا يعطي بيان حكم شرعي وإنما هو بيان لحكم العرف، وأن الغالب على هذا العدد الظفر ولا يخصص به عموم الآية<sup>(3)</sup>.  
ب — وقال القرطبي: «الحديث رواه أبو بشر وأبو سلمة العاملي، وهو الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو متروك»<sup>(4)</sup>.

القول الرابع: أن الفرار جائز مطلقا، وتحريمه إنما هو خاص بيوم بدر.

وقد نسبه النووي لعمر وابنه، وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، وأبي بصرة وعكرمة ونافع والحسن وقتادة وزيد أبي حبيب والضحاك<sup>(5)</sup>.

• وردّ ذلك بما يلي:

أ — أنّ ذلك خلاف قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ب — أنّ الآية نزلت بعد انتهاء غزوة بدر<sup>(6)</sup>.

ج — ويُردّ أيضا بقوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات — وذكر منها — التولي يوم الزحف»<sup>(7)</sup>.

(1) — سبق تخرجه. ينظر: (364).

(2) — ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، (228/4).

(3) — ينظر: أحكام القرآن، ابن الفرس، (80 /3). تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1357 هـ - 1983 م، (9 /243).

(4) — الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (7 /382).

(5) — ينظر: المجموع شرح المهذب، النووي، (19/294).

(6) — ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) — أخرجه البخاري، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَيْهِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ

سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]، رقم: (2766)، (10/4).

### الخلاصة:

بعد استعراض أقوال أهل العلم اتضح للباحث ما يلي:

- 1\_ أنّ الثعالبي تعقب ابن عطية اعتماداً على الحديث الوارد، حيث فهمه مخصصاً للآية، وهو قول أكثر المالكية.
- 2\_ لم يشر الثعالبي لضعف الحديث، فعمله به استناداً لظنه بصحته، وهذا ما يظهر من طريقته.
- 3\_ الذي يظهر لي أنّ الأمر متروك لقائد المعركة الأمين الشجاع، فإن رأى الثبات أمام العدو: ثبت، وإن رأى غير ذلك: انسحب بجيشه حتى تتاح فرصة الاستعداد القويّ للقاء العدو، لئلا يلقي بجنود الله إلى التهلكة في معركة غير متكافئة بسبب كثرة العدد، أو قوة الأسلحة وفتكها الذريع<sup>(1)</sup> \_ والله أعلم \_.

المطلب الثالث: هل يحمل قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ

فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْحَمُونَ﴾ [طه: 130] على الصلوات المكتوبة أم النوافل؟

### قول ابن عطية:

«وقالت فرقة: في الآية: إشارة إلى نوافل، فمنها آناء الليل، ومنها قبل طلوع الشمس [و] ركعتا الفجر [والمغرب]»<sup>(2)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: ويتعذر على هذا التأويل قوله: ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: 130]؛ إذ ليس ذلك الوقت وقت نفل، على ما عُلّم، إلا أنّ يتأول ما قبل الغروب بما قبل صلاة العصر وفيه بعد»<sup>(3)</sup>.

### الدراسة:

أورد ابن عطية بعض الأقوال المتعلقة بالآية السابقة، ومن ضمنها ما ذهب إليه بعضهم من حمل الآية على النوافل، منها ما يكون بالليل وهو المقصود ب: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ ومنها قبل طلوع الشمس وركعتا الفجر

(1) \_ ينظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، ط: 1، 1393 هـ، 1973 م، (3/ 1596).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (70/4).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (68/3).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

والمغرب. وتعقبه الثعالبي بأنه يتعذر حمل قوله: ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ على هذا التأويل؛ إذ ليس ذلك بوقت نفل، إلا إذا حُمِّل على ما قبل العصر وهو بعيد. وتتبع التفاسير اتضح أن المسألة فيها أقوال منها:

القول الأول: تُحْمَل على الصلوات الخمس.

أخرجه عبد الرزاق بسنده عن ابن عباس وقتادة، وقال به مقاتل والطبري والسمرقندي وابن أبي زمنين والثعلبي ومكي بن أبي طالب والواحدي والسمعاني والبغوي، وعزاه ابن الفرس والقرطبي إلى أكثر المفسرين، وممن قال بذلك النسفي والخازن والبقاعي والشوكاني وابن عاشور<sup>(1)</sup>، وذهب أكثرهم إلى أن المقصود بـ ﴿ وَقَبْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: 130] الفجر والعصر.

واستندوا في ذلك إلى جملة من الأحاديث منها:

— ما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها» يعني العصر والفجر: ثم قرأ جرير ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: 130]»<sup>(2)</sup>.

وقد ساق الثعالبي هذا الحديث نقلا عن ابن العربي عقب إيراده للقول السابق، مما يبيِّن أن هذا هو اختياره.

— وأما ما تعلق ببقية الآية فاختلّفوا في صرف معناها على بقية الصلوات؛ فمقاتل ذكر أن قوله ﷺ: ﴿ وَمِنْ -انَّاءِ فِي اللَّيْلِ﴾ يعني: المغرب والعشاء. وكذلك قتادة، غير أنّ الأول جعل الظهر مع العصر مقصودة بقوله ﷺ:

(1) — ينظر: تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، (380/2). تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، (46/3) جامع البيان، الطبري، (400/18). بحر العلوم، السمرقندي، (417/2). تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (279/4). الكشف والبيان، الثعلبي، (266/6). الهداية في بلوغ النهاية، مكي، (4718/7) تفسير القرآن، السمعاني، (363/3). أحكام القرآن، ابن الفرس، (283/3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (261/11). مدارك التنزيل، النسفي، (390/2). لباب التأويل، الخازن، (218/3). نظم الدرر، البقاعي، (367/12) فتح القدير، الشوكاني، (467/3). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (393/16). (2) — أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم: (573)، (1/119). ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، رقم: (633)، (1/439).



﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهِ﴾، والثاني جعل الظهر مقصودة بقوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾. وأما الطبري فحمل قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ آتَاءِ اللَّيْلِ﴾ على العشاء، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ على الظهر والمغرب<sup>(1)</sup>.

القول الثاني: أن ذلك كان قبل أن تفرض الصلاة.

وقد عزاه ابن أبي حاتم للسدي<sup>(2)</sup>.

القول الثالث: أن النوافل مقصودة من الآية.

حيث ذكر ابن الجوزي أن العوفي روى عن ابن عباس ﷺ أن المقصود بقوله ﷺ: ﴿وَمِنَ آتَاءِ اللَّيْلِ﴾ جوف الليل؛ يقصد بذلك النفل، وعزا مكي بن أبي طالب إلى الحسن: أول الليل وأوسطه وآخره؛ يعني به النافلة. وعزا يحيى بن سلام للحسن أنه حمل قوله ﷺ: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ على التطوع، ونسبه السمعاني لبعض أهل التفسير<sup>(3)</sup>، وقال ابن الفرس: «وقال بعضهم في الآية إشارة إلى نوافل، منها آتاء الليل ومنها قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر والصبح، والمغرب أطراف النهار والعصر قبل الغروب»<sup>(4)</sup>. وذكر عند تفسير قوله ﷺ من سورة ق: ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39]: «قيل الركعتان قبل المغرب، وقد اختلف فيهما، فمن الناس من أجازهما ومنهم من لم يجزهما وهو المشهور من المذهب، وقد قال قتادة: ما أدركت أحدا يصلي الركعتين قبل المغرب إلا أنسا وأبا برزة»<sup>(5)</sup>.

وحمل الإيجي قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ آتَاءِ اللَّيْلِ﴾ على التهجد أو المغرب والعشاء و: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ على التطوع أو المغرب والعصر<sup>(6)</sup>.

وأورد الشربيني القول الأول، ثم ذكر قولاً آخر بصيغة التمريض يجمع فيه بين صلاة الفرض والنفل وعلل ذلك بقوله: «لأنَّ الزمان إما أن يكون قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها، فالليل والنهار داخلان في هاتين العبارتين

(1) — ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، (3/ 46). تفسير يحيى بن سلام، ابن سلام، (1/ 239). جامع البيان، الطبري، (18/ 400).

(2) — ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم، (7/ 2441).

(3) — ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (3/ 182). الهداية في بلوغ النهاية، مكي، (7/ 4718). تفسير يحيى بن سلام، ابن سلام، (1/ 293). تفسير القرآن، السمعاني، (3/ 363).

(4) — أحكام القرآن، ابن الفرس، (3/ 283).

(5) — المصدر نفسه، (3/ 504).

(6) — ينظر: جامع البيان، الإيجي، (2/ 534).

وأوقات الصلوات الواجبة دخلت فيهما، فبقي قوله: ﴿وَمِنَ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْجُو﴾ للنوافل»<sup>(1)</sup>

القول الرابع: أن الآية تحمل على التسبيح بالقول.

عزا الشربيني لأبي مسلم أنه لا يبعد حمل التسبيح على التنزيه والإجلال، والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات<sup>(2)</sup>. وذكر هذا المعنى ابن عجيبة وإن كان قد رجح أن المقصود الصلاة؛ باعتبار ربط التسبيح بالوقت، وتوقيت التنزيه غير معهود، غير أنه احتج بعد ذلك لهذا الاحتمال بورود بعض الأحاديث المرعبة في التسبيح في أوقات معلومة كأول النهار وفي آخره، حيث قال: «وإذا حملناه على التنزيه - وهو أن يقول: سبحان الله، أو: لا إله إلا الله، أو كل ما يدل على تنزيه الحق - يكون تخصيص هذه الأوقات بالذكر لشرفها، فقد وردت أحاديث في الترغيب في ذكر الله أول النهار وآخره، وآناء الليل حين ينتبه من نومه، بحيث يكون كلما استيقظ من نومه سبَّح الله وهلَّله وكبَّره، قبل أن يعود إلى نومه، وهكذا كان أهل البيضة من السلف الصالح»<sup>(3)</sup>. ثم أكد ما ذهب إليه من أن المقصود من قوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أنها صلاة الفجر والعصر بدليل الحديث الذي احتج به من ذهب إلى هذا القول<sup>(4)</sup>.

واعتبر القنوجي حمل المعنى على التسبيح بالقول غير بعيد حيث قال: «ولو قيل ليس في الآية إشارة إلى الصلاة بل المراد التسبيح في هذه الأوقات أي قول القائل سبحان الله لم يكن ذلك بعيداً من الصواب، والتسبيح وإن كان يطلق على الصلاة لكنه مجاز، والحقيقة أولى إلا لقرينة تصرف ذلك إلى المعنى المجازي»<sup>(5)</sup>.

وذكر القاسمي هذا الوجه غير أنه رجح حملها على الصلاة لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا

لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾<sup>(45)</sup> [البقرة].

(1) \_ السراج المنير، الشربيني، (2/ 492).

(2) \_ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) \_ البحر المديد، ابن عجيبة، (3/ 434).

(4) \_ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) \_ فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، (8/ 294).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

وعزا فيصل الحرمللي هذا القول لجماعة من أهل التفسير، ورجح أن الآية عامة لصلاة المكتوبة وصلاة التطوع، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي سقته يتضح لي ما يلي:

- 1\_ اختيار الثعالبي حمل قوله تعالى: ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ على صلاة الفجر والعصر هو الصحيح لورود تفسير النبي ﷺ في بيان ذلك، والقاعدة تقضي " أن تفسير النبي ﷺ مُقَدَّم على غيره".
- 2\_ حمل الآية على الصلوات المفروضة هو الذي عليه أكثر المفسرين.
- 3\_ استبعاد الثعالبي لاحتمال إرادة التفل من قوله تعالى: ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ وجيه جداً، باعتبار أنه ليس وقت نفل، وذكره لاحتمال الذي قد يُورد في المسألة من إمكانية إرادة قبل العصر، وردّه ببعده يبين دقته رحمه الله. \_ والله أعلم.

المطلب الرابع: حكم رجوع مال المكاتبه الذي يسقطه السيد على عبده بعد عجزه

### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْنِغُونَ الْكِتَابَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْتُمْكُمْ ﴾ [النور: 33]: «وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُمْ ﴾ قال المفسرون: هو أمر لكل مكاتب أن يضع عن العبد من مال كتابته... ورأى عمر بن الخطاب أن يكون ذلك من أول نجومه مبادرة إلى الخير خوف أن لا يدرك آخرها، ورأى مالك رحمه الله وغيره أن يكون الوضع من آخر نجم، وعلّة ذلك أنه إذا وضع من أول نجم ربما عجز العبد، فرجع هو وماله إلى السيد، فعادت إليه وضيعته، وهي شبه الصدقة، [وهذا قول عبد الله بن عمر]»<sup>(2)</sup>.

(1) \_ ينظر: توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل بن عبد العزيز الحرمللي (ت: 1376هـ)، ت: عبد العزيز بن عبد الله آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1416هـ - 1996م، (3/ 106). محاسن التأويل، القاسمي، (166/7).

(2) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (4/ 181).

### تعقيب الثعالبي:

«ت: والظاهر أنّ هذا لا يُعدُّ رجوعاً كما لو رجع إليه بالميراث»<sup>(1)</sup>.

### الدراسة:

ساق ابن عطية خلاف العلماء في وقت إسقاط السيد بعض من مال الكتابة عن العبد، فذهب بعضهم إلى أنّ ذلك يكون من أول نجم، ورأى مالك أنّ ذلك يكون في آخره وعلل بخشيته من عجز العبد عن السداد فيعود هو وماله إلى سيده، فتعود بذلك وضيعته إليه وهي شبه الصدقة، ومعلوم أنّ الرجوع في الصدقة لا يجوز، وقد تعقب الثعالبي هذا القول موضحاً أنّه لا يعد رجوعاً كما لو رجع إليه بالميراث. وقد أشكل على الباحث بداية قول الثعالبي: «كما لو رجع إليه بالميراث»، وبعد البحث والاستقصاء والتأمل في كلامه ظهر مقصوده أنّ ذلك لا يعد رجوعاً، وإنّما حاله كمن رجعت إليه صدقته بالميراث، والمقصود برجوع الصدقة بالميراث؛ أن يتصدق الشخص على أحد من ورثته، فيموت المتصدق عليه، فترجع تلك الصدقة إلى المتصدق بالميراث، والذي يتعيّن بعد هذا التوضيح أن يتم تناول المسألة من ناحيتين:

الأولى: التحقيق في مسألة عود الصدقة بالميراث.

الثانية: بيان وجه الشبه بين الصورتين.

### أولاً \_ التحقيق في مسألة عود الصدقة بالميراث:

سبق وبيّنت المقصود بعود الصدقة بالميراث، وقد ساق أهل الحديث في كتبهم ما يوضح حكم المسألة، ومن ذلك ما عقده أبو داود في سننه "باب من تصدق بصدقة ثم ورثها" وساق حديث بريدة رضي الله عنه: «أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كنت تصدقت على أمي بوليدة وإنّما ماتت وتركت تلك الوليدة قال قد وجب أجرك ورجعت إليك في الميراث»<sup>(2)</sup>.

وقد نقل ابن بطال الإجماع على جواز رجوع الصدقة بالميراث؛ حيث قال: «وأجمعوا أن من تصدق بصدقة ثم ورثها أنه حلال له»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (3/ 183).

(2) \_ الحديث أخرجه مسلم، كتاب الصوم، باب: قضاء الصوم عن الميت، رقم: 1149، (2/ 805). وهو عند أبي داود في سننه، رقم: 1656، سنن أبي داود (2/ 124).

(3) \_ شرح صحيح البخاري، أبو الحسن ابن بطال (ت: 449هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 2، 1423هـ - 2003م، (7/ 559).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

وذكر ابن عبد البر أنه مذهب الجمهور ولم يختلف أئمة الفتوى بالحجاز والعراق؛ منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم في العمل به، وكان الحسن بن حَيٍّ<sup>(1)</sup> يستحب لمن تصدق بصدقة ثم رجعت إليه بالميراث أن يتصدق بها، وشدّت فرقة من أهل الظاهر لم تعرف الحديث فكرهت له أخذها بالميراث ورأته من باب الرجوع في الصدقة<sup>(2)</sup>.

وعزا النووي الجواز إلى أكثر أهل العلم، وذكر أنّ بعضهم يرى أنه يجب على المتصدّق أن يتصدّق بذلك الشيء على فقير؛ لأن ما تصدّق به صار حقاً لله، فلا يصير مُلْكاً للمتصدّق<sup>(3)</sup>.  
وعلّل أهل العلم الجواز؛ لأنها صدقة رجعت من غير قصد ولا اختيار، قال القاري: «وليس هذا من باب العود في الصدقة؛ لأنه ليس أمراً اختيارياً»<sup>(4)</sup>. وكذلك قال السندي والعظيم آبادي<sup>(5)</sup>.

### ثانياً: بيان وجه الشبه بين الصورتين، وهل وافق الثعالبي غيره من أهل العلم؟

المتأمل في الصورتين، يتضح له أنّ رجوع المال لصاحبه لم يكن بسعي منه في كلتا الحالتين وإنما رجع لسبب خارجي.

وما قرره الثعالبي من أنّ ذلك لا يعدّ رجوعاً، قال به ثلّة من أهل العلم وهذا ما نقله أبو العباس القرطبي؛ حيث قال: «إذا عجز العبد وكان السيد قبض منه بعض نجوم الكتابة حلّ ذلك للسيد، سواء كان ذلك من صدقة على المكاتب أو غيرها، ولا رجوع للمكاتب بذلك، ولا لمن أعطاه على وجه فكاك الرقبة، هذا قول

---

(1) \_ هو: الحسن بن صالح ابن حي، الإمام القدوة، أبو عبد الله الهمدانيّ الكوفيّ، الفقيه العابد. حدّث عن: سلمة بن كهيل، وعبد الله بن دينار... وحدّث عنه: وكيع، ويحيى بن آدم، ويحيى بن فضيل... قال أبو نعيم: «كتبت عن ثمان مئة محدّث، فما رأيتُ أفضلَ من الحسن بن صالح». وكان وكيع يشبّهه بسعيد بن جبير. توفي سنة: (167هـ). ينظر: طبقات علماء الحديث، الصالح، (1/ 321).

(2) \_ ينظر: الاستذكار، ابن عبد البر، (3/ 257).

(3) \_ ينظر: المفاتيح في شرح المصايح، الحسين المظهري (ت: 727 هـ)، ت: لجنة مختصة بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، الكويت، ط: 1، 1433 هـ - 2012 م، (2/ 559).

(4) \_ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري (ت: 1014 هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط: 1، 1422 هـ - 2002 م، (4/ 1359).

(5) \_ ينظر: فتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، ت: محمد الخولي، مكتبة أضواء المنار، السعودية، ط: 1، 1431 هـ - 2010 م، (2/ 249). عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تحذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، العظيم آبادي (ت: 1329 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1415 هـ، (5/ 51).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما، وأحمد بن حنبل، ورواية عن شريح<sup>(1)</sup>. ثم أورد أنّ الإمام مالك والثوري ومسروق والنخعي اعتبروا أن ذلك لا يحلّ للسيد، ويجعل في الرقاب<sup>(2)</sup>.

المطلب الخامس: المقصود بالسعي في قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تُوذِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة].

قول ابن عطية:

«والسعي في الآية: ليس الإسراع في المشي [كالسعي بين الصفا والمروة]، وإنما هو بمعنى قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم]، فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشى سعي كله إلى ذكر الله تعالى، قال الحسن وقتادة ومالك وغيرهم: إنما تؤتى الصلاة بالسكينة، [فالسعي هو بالنية والإرادة]<sup>(3)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: وهو نص الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ: «فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة»<sup>(4)</sup>، ت: والظاهر أن المراد بالسعي هنا المضي إلى الجمعة، كما فسره الثعالبي، ويدل على ذلك إطلاق العلماء لفظ الوجوب عليه، فيقولون السعي إلى الجمعة واجب، ويدل على ذلك قراءة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين: «فامضوا إلى ذكر الله». وقال ابن مسعود: لو قرأت: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لأسرعت حتى يقع ردائي. وقال العراقي: فاسعوا معناه بادروا»<sup>(5)</sup>.

الدراسة:

نفى ابن عطية أن يكون المقصود بالسعي هو الإسراع في المشي، واعتبر أنّ السعي يُنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم]؛ أيّ يحمل معنى العمل ثم وضّحه بأنّه يكون بالقيام والوضوء

(1) \_ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، (4/ 332).

(2) \_ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 309).

(4) \_ أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا، رقم: (602)، (421/1).

(5) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 414).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

ولبس الثوب والاستعداد والمشي، ثم أكد ما نفاه بنقله عن بعض السلف أن الصلاة تؤتى بالسكينة وأضاف في نقله عنهم معنى آخر للسعي وهو بالنية والإرادة، وبذلك يتضح أنّ ابن عطية يحمل معنى السعي على العمل استعداداً للجمعة، كما يحمله على المشي لها، وكذلك على النية والإرادة، وقد جاء تعقب الثعالبي مؤكداً نفي الإسراع، مبيّناً ذلك بحديث صحيح يوجب الحضور للصلاة بالسكينة والوقار، ثم أوضح اختياره لمعنى السعي وأنّه المضي إلى الجمعة، وبذلك فسره الثعالبي واستدل عليه بإطلاق العلماء لفظ الوجوب؛ حيث يقولون: السعي إلى الجمعة واجب، كما اعتمد على قراءة جماعة من الصحابة والتابعين: «فامضوا إلى ذكر الله». وتتبع المسألة اتضح أنّها ترجع إلى أربعة أقوال وهي:

### القول الأول: السعي بمعنى المضي والمشي.

عزاه الجهضمي في أحكام القرآن إلى عطاء، وقال به مقاتل والليث ويحيى بن سلام، واختاره الفراء وبيّن أن السعي والمضي والذهاب بمعنى واحد، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة في المشكل، والنسفي، وقال به الثعالبي<sup>(1)</sup>، وخصّص بعضهم ذلك بالمشي على الأقدام.

### ومما اعتمدوا عليه لإثبات هذا القول ما يلي:

أ\_ أن السعي يراد به في لغة العرب المشي يقال: سعى إلى آل فلان. وإنما يمشي<sup>(2)</sup>.  
ب\_ كما اعتمدوا في إثبات معنى الذهاب والمضي إليها بقراءة عمر وجماعة من الصحابة: «فامضوا إلى ذكر الله».

● غير أن ابن العربي اعتبرها قراءة تفسير وليست قراءة<sup>(3)</sup>.

● وأجيب على من رد الاستدلال بها:

أ\_ أنّها تجري عند قوم من الأصوليين مجرى خبر الآحاد سواء أسندت أم لا.

(1) \_ ينظر: أحكام القرآن، إسماعيل الجهضمي (ت: 282هـ)، ت: عامر حسن صبري، دار ابن حزم - بيروت، ط: 1، 1426هـ، 2005م، (197). تفسير مقاتل، مقاتل، (327/4). تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، عبد الله ابن وهب (ت: 197هـ)، ت: ميكولوش موراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 2003م، (155/2). التصاريف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام، ت: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ط: 1، 1979م، (ص: 309). معاني القرآن، الفراء، (156/3). تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، (ص: 274). مدارك التنزيل، النسفي، (482/3).

(2) \_ ينظر: أحكام القرآن، الجهضمي، (ص: 198).

(3) \_ ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، (248/4).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

ب \_ الوجه في الاحتجاج بما أنّ ذلك على جهة التفسير من عمر رضي الله عنه وهو من أهل اللسان، ففسّر السعي بأنّه المضي، وقوله في ذلك حجة بلا خلاف بين العلماء<sup>(1)</sup>.

### القول الثاني: السعي بالعمل.

أي بمعنى التجهز لها والعمل على المضي إلى ذكر الله بالتفرغ، والاشتغال بالطهارة ونحوها<sup>(2)</sup>. وقد عزاه ابن وهب إلى زيد بن أسلم، والجهضمي إلى عكرمة ومحمد بن كعب ومجاهد، وفيه أنّه أنكر \_ أي مجاهد \_ أن يكون السعي بالمشي وإنما بالعمل، وعزاه الطبري لشرحبيل، وابن الجوزي للضحاك، ونسبه الكثير لمالك والشافعي، وصحّحه السمعاني، وقال به الكيا الهراسي، ونسبه ابن العربي للجمهور<sup>(3)</sup>.

ومّا اعتمد عليه بعض من ذهب إلى هذا المعنى:

\_ قوله ﷺ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ [الليل] فإنّ المراد من هذه الآيات العمل.

### القول الثالث: السعي بالقلوب والإرادة.

وهو قول الحسن<sup>(4)</sup> وكان يقسم على ذلك كما عزاه إليه القاسم بن سلام<sup>(5)</sup>، وإلى هذا المعنى ذهب ابن قتيبة في غريب القرآن، واختاره الطحاوي وأورد أنه قول مالك، وأبي حنيفة، والثوري، وأبي يوسف، والشافعي<sup>(6)</sup>.

(1) \_ ينظر: أحكام القرآن، ابن الفرس، (3/ 557).

(2) \_ ينظر: أحكام القرآن، الجهضمي، (ص: 199). زاد المسير، ابن الجوزي، (4/ 283).

(3) \_ ينظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ابن وهب، (69/1). أحكام القرآن، الجهضمي، (ص: 198). جامع البيان، الطبري، (380/23). زاد المسير، ابن الجوزي، (4/ 283). تفسير القرآن، السمعاني، (434/5). أحكام القرآن، الكيا الهراسي (ت: 504هـ)، ت: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1405 هـ، (415/4) أحكام القرآن، ابن العربي، (248/4).

(4) \_ ينظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ابن وهب، (87/1).

(5) \_ ينظر: فضائل القرآن، أبو عُبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: 1، 1415 هـ - 1995م، (ص: 314).

(6) \_ ينظر: غريب القرآن، ابن قتيبة، (ص: 465). أحكام القرآن، أبو جعفر الطحاوي (ت: 321هـ)، ت: سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية، اسطنبول، ط: 1، 1416 هـ - 1995 م، (1/ 151).



## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

القول الرابع: أنه يراد السعي بالإرادة والعمل والمشى.

وهذا القول جمع الأقوال السابقة، وقد عزاه غير واحد من أهل العلم لقتادة ومنهم القرطبي وحسنه؛ لأنه يجمع بين الأقوال الثلاثة، وهو الذي يظهر من كلام ابن عطية<sup>(1)</sup> وأبي حيان حيث قال: «والسعي هو بالنية والإرادة والعمل، وليس الإسراع في المشى، كالسعي بين الصفا والمروة وإنما هو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم]؛ فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشى كله سعي»<sup>(2)</sup>.

وذهب الشنقيطي إلى أنّ هذه الأقوال لا يعارض بعضها بعضاً وأنها متلازمة؛ لأنّ العمل أعمّ من السعي، والسعي أخصّ، فلا تعارض بين أعمّ وأخصّ، والنية شرط في العمل، غير أنه اعتبر أولى هذه الأقوال ما جاء في قراءة عمر رضي الله عنه الصحيحة: (فامضوا)، فهي بمنزلة التفسير للسعي<sup>(3)</sup>.

### الخلاصة:

ذكر ابن عطية أن ظاهر الآية قد يُفهم منه الإسراع في المشى إلى الجمعة ثم نفى ذلك، ووافق الثعالبي واستدل بحديث يزيل الإشكال، وقد بيّن ابن عطية معنى السعي بكلام يتضمن الجمع بين الأقوال؛ بحمل السعي على النية والتجهز للجمعة والمشى إليها من غير إسراع، وأما الثعالبي فيرى أن المقصود الذهاب إليها وحجته قراءة عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وقول العلماء بأنّ السعي للجمعة واجب، ومعلوم أن بعض الأعمال كالطيب ولبس الجميل من المستحبات، والذي يظهر لي ما يلي:

1\_ ما ذهب إليه ابن عطية ووافق الثعالبي من نفى معنى الإسراع صحيح للحديث الذي استدل به الثعالبي، وهو الذي أنكره الصحابة الأعلام، والفقهاء الأقدمون<sup>(4)</sup>، غير أنه يضاف إليه أنّ السعي عند العرب لا يخلوا من الجدّ والانكماش<sup>(5)</sup>، وهو المعنى الذي استُخدم في الآية؛ حيث أُطلق للدلالة على المشى بحرص والحذر من التأخر<sup>(6)</sup>.

ومّا يُجسب للثعالبي استناده للحديث للفصل في هذه القضية، وبيان معناها بما لا يحتمل الشك.

(1) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (103/18). المحرر الوجيز، ابن عطية، (309/5).

(2) \_ البحر المحيط، أبو حيان، (174 /10).

(3) \_ ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، (8 /166).

(4) \_ ينظر أحكام القرآن، ابن العربي، (4/248).

(5) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (18 /102).

(6) \_ ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (28/225).

2\_ هذه المعاني متلازمة فالنبيّة أول العمل، والتحضير لها مطلوب شرعاً، وأداؤها لا يتحقق إلا بالذهاب إلى المسجد، غير أنّ ظاهر لفظ السعي يدلّ على المضي، وهو الذي دلّت عليه القراءة التي استند إليها الثعالبي. وهو المعنى الذي قرّره ابن عطية في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: 33] حيث قال: «معنى السعي في هذه الآية العمل والفعل، وقد يجيء السعي بمعنى الانتقال على القدم، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 9] وإن كان مالك رحمه الله قد قال في الموطأ: إن السعي في قوله: ﴿فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إنه العمل والفعل، ولكن غيره من أهل العلم جعله على الأقدام وهو الظاهر بقريظة ضيق الوقت وبالتعدية ب (إلى)، ويؤيده قراءة عمر بن الخطاب «فامضوا إلى ذكر الله»<sup>(1)</sup> \_ والله أعلم \_  
 \_ ويجدر التنبيه إلى أن الثعالبي حريص على الاستدلال بالسنة، حيث أكّد ما وافق فيه ابن عطية بما جاء في الحديث الصحيح، كما يظهر استناده لما ذهب إليه الثعالبي، وإيراده لاصطلاحات العلماء كقريظة لتأييد موقفه، إضافة إلى اعتماده على القراءات.

#### المطلب السادس: في حكم القيام للشخص إجلالاً

##### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: 11]: «فالسنة المندوب إليها هي التفسح، والقيام منهى عنه في حديث النبي ﷺ؛ حيث نهى أن يقوم الرجل فيجلس الآخر مكانه، فأما القيام إجلالاً فجائز بالحديث قوله عليه السلام حين أقبل سعد بن معاذ: «قوموا إلى سيدكم»<sup>(2)</sup>، وواجب على المعظم ألا يجب ذلك ويأخذ الناس به لقوله ﷺ: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(3)</sup>.

##### تعقيب الثعالبي:

«ت: وفي الاحتجاج بقضية سعد نظر لأنّها احتققت بها قرائن سوّغت ذلك انظر السير، وقد أطنب صاحب المدخل في الإنحاء والرّد على المجيزين للقيام، والسلامة عندي ترك القيام»<sup>(4)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 216).

(2) \_ سبق تخريجه. ينظر: (ص: 94).

(3) \_ المصدر السابق، (5/ 279)، والحديث سيأتي تخريجه.

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 383).

ذكر ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْحُوا يَسْحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أن المطلوب في الآية هو التفسح، وأما أن يقوم شخص ليجلس مكانه آخر فمنهي عنه، ثم نبه أن القيام إجلالا جائز واستند في ذلك إلى قول النبي للصحابة لما قدم سعد بن معاذ قوموا إلى سيدكم واشترط أن لا يكون الشخص الذي قام له الناس محبا لذلك أو يلزم الناس به واحتج بحديث يدل على ذلك، وقد تعقبه الثعالبي في احتجاجه بقضية سعد رضي الله عنه وبين أن هناك قرائن احتفت بالحادثة جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ذلك منهم، وأحال على كتب السير كما بين أن ابن الحاج المالكي قد أطنب في الرد على المجيزين للقيام تعظيما للشخص، واختار الثعالبي ترك القيام باعتباره أسلم، ويلاحظ أن الثعالبي أحال على المصادر لرد استدلال ابن عطية بقصة سعد، وكذا لرد أدلة المجيزين، وذلك سيرا على عادته في الاختصار، كما أنه بين أن الأسلم ترك القيام؛ وكان في ذلك إشارة منه إلى أن المسألة متشعبة وأدلة الفريقين كثيرة، فحكم بالحیطة والسلامة، وقد وقفت على حقيقة الخلاف في القضية وإليك بيان ذلك:

### القول الأول: مشروعية القيام قصد البر والإكرام.

عزاه النووي لجمهور العلماء وقال باستحبابه، وذهب إلى هذا القول ابن رسلان و الدهلوي<sup>(1)</sup>.

ومما احتجوا به على ذلك ما يلي:

أ \_ أن الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر]؛ ومن الخفض لهم والإكرام أن يحترموا بالقيام لا على طريق الرياء والإعظام بل على طريق التكرم والاحترام.

● وأجيب على هذا؛ أن المخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم، وأمته مدرجون بعده في الخطاب، ووظيفته بيان القرآن، وهو أول من يبادر إلى امتثال أمره، ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الآية قام لأحد أو أمر بالقيام لأحد، مع أنه ندب إلى تنزيل الناس منازلهم، ولو كان هذا مما حثَّ عليه القرآن لبينه النبي صلى الله عليه وسلم، وامتثاله بالآية كان بتواضعه صلى الله عليه وسلم وإكرامه للفقير وتعليمه للناس، لا بالقيام لهم<sup>(2)</sup>.

ب \_ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما أقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه: «قوموا إلى سيدكم».

(1) \_ ينظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، محيي الدين يحيى النووي (ت: 676هـ)، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، ط: 3، 1412هـ - 1991م، (10/236). شرح سنن أبي داود، ابن رسلان، (11/415). لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق الدهلوي، (ت: 958هـ)، ت: تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط: 1، 1435هـ - 2014م، (8/55).

(2) \_ ينظر: المدخل، ابن الحاج المالكي (ت: 737هـ)، دار التراث، القاهرة، د، ت، ط، (1/165).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

• وأجيب على هذا من ثلاثة وجوه:

الأول: أن النبي ﷺ خصّ في الحديث الأمر بالقيام للأُنصار، والأصل في أفعال القرب العموم، فلو كان أمره لهم بالقيام من طريق البر والإكرام لكان صلى الله عليه وسلم أول من يبادر إلى ما ندب إليه، وهو المخاطبُ خصوصاً بخفض الجناح وأتمته عموماً، فلما لم يقم ولا أمر بذلك المهاجرين؟ فأمره بالقيام يحمل على غير ذلك من الضرورات المحوجات، وذلك بيّن في قصة الحديث حيث إنّ: «بني قريظة كانوا نزلوا على حكم سعد بن معاذ ﷺ، وكان سعد بن معاذ إذ ذاك خلفه النبي ﷺ بالمدينة في المسجد مثقلاً بالجراح لم يملك نفسه أن يخرج وترك له النبي ﷺ عجزاً تخدمه، فلما أن نزلت بنو قريظة على حكمه أرسل النبي ﷺ إليه، فأتي به على دابة وهم يمسونه يمينا وشمالاً لئلا يقع عن دابته، فلما أن أقبل عليهم قال النبي ﷺ للأُنصار إذ ذاك قوموا إلى خيركم أو إلى سيدكم»؛ أي قوموا فأنزلوه عن الدابة، وقد ورد معنى ما ذكر في رواية أخرى، وهو «أنّ النبي ﷺ أمرهم بالقيام إليه لينزلوه عن الدابة لمرض به». وإنما خصّ الأُنصار دون غيرهم لأن عادة العرب جرت أن القبيلة تخدم سيدها.

الثاني: أنه غائب قدم والقيام للغائب مشروع.

الثالث: أنه ﷺ أمرهم بالقيام لتنهتته بما خصه الله به من هذه التولية والكرامة بها دون غيره<sup>(1)</sup>.

ج \_ كما استدلوا بما روي من قيام النبي ﷺ لعكرمة بن أبي جهل حين قدم وقال له: «مرحباً بالراكب المهاجر»<sup>(2)</sup>.

د \_ ما روي عن عدي بن حاتم ﷺ: «ما دخلت على رسول الله ﷺ إلا قام أو تحرك»<sup>(3)</sup>.

• وتُعقب الأثران السابقان؛ بأنه لا يصح الاحتجاج بهما لضعف الرواية، والمشهور عن عدي: «إلا وسع لي»<sup>(4)</sup>، ولو ثبت فيحمل على الترخيص حيث يقتضيه الحال، وقد كان عكرمة من رؤساء قريش، وعدي كان

(1) \_ ينظر: المدخل، ابن الحاج المالكي، (1/ 167).

(2) \_ أخرجه الطبراني في الكبير، رقم: 1021، (17/ 373)، قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وإسناده منقطع». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، (9/ 385).

(3) \_ لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(4) \_ أخرجه الطبراني في الكبير، رقم: 196، (17/ 85)، ولفظه: «ما دخلت على رسول الله ﷺ إلا وسع لي أو قال: «تحرك لي، فدخلت عليه يوماً وهو في بيت مملوء من أصحابه، فلما رأني وسع لي حتى جلست إلى جانبه»، وحكم عليه ابن عدي بأنه حديث منكر. ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، (4/ 2078).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

سيد بني طيء، فرأى تأليفهما بذلك على الإسلام مع ما عرف من جانبهما تطلعاً عليه بمقتضى حُبِّ الرياسة<sup>(1)</sup>.

هـ \_ ما ثبت في الصحيحين في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه، وفيها أن كعباً لما دخل المسجد قام إليه طلحة رضي الله عنه يهرول فسلم عليه وهنأه بالتوبة، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذل<sup>(2)</sup>.

● وأجيب عن قيام طلحة رضي الله عنه أنه كان للتهنئة والبشارة والمصافحة، ولم يكن لنفس القيام، ويُدل على ذلك أنه ما قام أحد غير طلحة رضي الله عنه، وقد يكون بينهما مزيد من المخالطة والمودة؛ لذا قام يهنئه إشعاراً له بذلك، ولو كان قيامه لأجل البر والإكرام وأنه من المندوب فيكون كل من جلس ولم يقم قد زهد في فعل الخير، وقد زهد في فعل المندوب وتوافقوا على تركه، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم مباشر لهم ولم ينههم ولم يرشدهم ولم يعلمهم ومحال أن يصدر هذا<sup>(3)</sup>.

و \_ ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلاً<sup>(4)</sup> برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة؛ كانت إذا دخلت عليه قام إليها، فأخذ بيدها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته، وأجلسته في مجلسها»<sup>(5)</sup>.

● وأجيب أن ذلك كان لأجل ما خصّها الله به من الشيم الكريمة واللطائف الجميلة؛ وليس ثمّ منزلة أعظم من منزلته صلى الله عليه وسلم، ثم منزلتها بعده لقوله صلى الله عليه وسلم في حقها: «فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها»<sup>(6)</sup>. وإذا كانت بهذه المزية وأنها بضعة منه فيجب ترفعها وتعظيمها امتثالاً لأمر الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَتَعَزَّوهُ وَتُقَرِّوهُ﴾ [الفتح:9]<sup>(7)</sup>.

(1) \_ ينظر: الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: 743هـ)، ت: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط: 1، 1417 هـ - 1997 م، (10/3065).

(2) \_ أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الذِّبِّ خَلْفُوا﴾ [التوبة:118]، رقم: 4418، (3/6). ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رقم: 2769، (4/2120).

(3) \_ ينظر: المدخل، ابن الحاج، (170/1).

(4) \_ الدل: حسن الحديث وحسن المزج والهيئة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (247/11).

(5) \_ أخرجه أبو داود في السنن، باب في القيام، رقم: 5217، (7/506). والترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها، رقم: 3872، (5/700)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(6) \_ أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف، رقم: 5230، (7/37). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، رقم: 2449، (4/1902).

(7) \_ ينظر: المدخل، ابن الحاج، (171/1).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

القول الثاني: عدم الجواز.

ذهب إليه ابن الحاج المالكي، واعتبر ابن كثير أنّ اتخاذه ديدنا من فعل العجم وهو منهي عنه، وهو اختيار الثعالبي والمباركفوري<sup>(1)</sup>.

— ومّا احتجّوا به ما يلي:

أ\_ الأحاديث الواردة في النهي عن ذلك ومنها:

1\_ ما روي عن أبي مجلز<sup>(2)</sup>، قال: خرج معاوية على ابن الزبير، وابن عامر، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ أن يمثّل له الرجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النار»<sup>(3)</sup>.

• وأجيب عليه بأنّ الزجر والوعيد لمن يُحبّ قيام الناس له، وليس فيه تعرض للقيام بنهي ولا غيره<sup>(4)</sup>.

2\_ ما روي عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا، فقمنا إليه، فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يُعظّم بعضها بعضاً»<sup>(5)</sup>.

• وتُعقّب بأنّه ضعيف لا يصح الاحتجاج به<sup>(6)</sup>.

3\_ ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك»<sup>(7)</sup>.

(1) \_ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (8/ 47).

(2) \_ هو: لاحق بن حميد السدوسي، كان ثقة، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز قبل وفاة الحسن البصري. ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (9/ 215).

(3) \_ أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الرجل يقوم للرجل يعظّمه بذلك، رقم: 5229، (7/ 415). والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، رقم: 2755، (5/ 90). وذكر ابن صفوان بدلا من ابن عامر، وقال: «هذا حديث حسن».

(4) \_ ينظر: لوامع الدرر في هتك أستار المختصر، محمد المجلسي الشنقيطي (ت: 1302 هـ)، ت: اليدالي بن الحاج أحمد، دار الرضوان، نواكشوط- موريتانيا، ط: 1، 1436 هـ - 2015 م، (3/ 173).

(5) \_ أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب: الرجل يقوم للرجل يعظّمه بذلك، رقم: 5230، (7/ 516). وأحمد في مسنده، رقم: 22181، (36/ 515). قال أحمد شاكر: «إسناده ضعيف جداً لضعف رواته واضطرابه».

(6) \_ ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (9/ 43).

(7) \_ أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، رقم: 2754، (5/ 90). وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

• وأجيب عليه بأن الرسول ﷺ خاف عليهم الفتنة إذا أفرطوا في تعظيمه، فكره قيامهم له لهذا المعنى، كما قال «لا تطروني»<sup>(1)</sup>، ولم يكره قيام بعضهم لبعض فإنه قد قام لبعضهم وقاموا لغيره بحضرتة فلم ينكر عليهم بل أقره<sup>(2)</sup>.

ب\_ أنه بدعة لم يكن من فعل من مضى.

ج\_ أن فيه تشبه بالأعاجم وقد نهانا النبي ﷺ عن التشبه بهم.

د\_ أن فيه إذلال للقائم وقد نهى النبي ﷺ المؤمن أن يُذل نفسه.

هـ\_ أن فيه تفويت للسنن كالمصافحة والسلام.

### الخلاصة:

بعد دراسة المسألة، ظهر لي أنها محل أخذ ورد، والذي أميل إليه ترك القيام للشخص إلا لضرورة أو حاجة.

\_ يبقى التنبيه إلى طريقة الثعالبي في معالجته لهذه القضية؛ حيث أنه ردّ الاحتجاج بالحديث لوجود قرائن تصرفه عن ذلك، كما أحال لكتب السير والعلماء الذين تناولوا المسألة بالتفصيل، واحتكم في النهاية للأحوط.

في خلاصة هذا المبحث يمكن تسجيل بعض النتائج المتعلقة بما تعقب به الثعالبي ابن عطية في المسائل الفقهية، حيث وُفق في غالب تعقباته، وقد ظهر نقضه للإجماع بإيراد خلاف شاذ في المسألة، وقد يخصص الآية بالحديث، كما أنه يقدم تفسير النبي ﷺ على كل قول آخر، ويلحق النظر بالنظر معتمدا على القياس ليرد على ابن عطية ما ذهب إليه، وقد تكون عبارته في ذلك غير واضحة، وقد يخالف المشهور من مذهب مالك، كما يستند إلى أقوال الثعالبي، ويورد اصطلاحات العلماء كقرينة للترجيح، ويعتمد على القراءات لتوجيه المعنى الذي ذهب إليه، وقد يرّد الاحتجاج بالحديث لوجود قرائن تصرفه عن ذلك، كما أنه يحيل على المصادر، ويختار الأحوط.

(1) \_ أخرج البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ابْتَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا

شَرْقِيًّا﴾ [مریم: 16]، رقم: 3445، (167/4).

(2) \_ ينظر: الترخيص في القيام لدوي الفضل والمزية، النووي، (ص26). فتح الباري، ابن حجر، (53/11).

## المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في قصص الأنبياء والسيرة النبوية

يأتي هذا المبحث لدراسة تعقبات الثعالبي على صاحب المحرر الوجيز في المسائل المتعلقة بقصص الأنبياء والسيرة النبوية، وقد تضمن خمسة مطالب، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: هل كان موسى وهارون عليهما السلام مع قومهم في التيه؟

### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا أَبْغَابَ سُجْدًا وَّقُولُوا حِطَّةٌ بِغَدْرِكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ 58﴾ [البقرة: 58]: «وروي أن موسى ﷺ مات في التيه، وكذلك هارون عليه السلام. وحكى الزجاج عن بعضهم أن موسى وهارون لم يكونا في التيه لأنه عذاب، والأول أكثر»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: لكن ظاهر قوله: ﴿فَأَفَرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25] يقوي ما حكاه الزجاج، وهكذا قال الإمام الفخر»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

ساق ابن عطية قول من ذكر أنّ موسى وهارون عليهما السلام ماتا في التيه، وهو قول يقتضي أنّهما كانا مع قومهما، ثمّ أعقب ذلك بما حكاه الزجاج عن بعض المفسرين من إنكار ذلك وحجّتهم أن التيه عذاب، واختار ابن عطية القول الأول باعتبار كثرة القائلين به، فتعقبه الثعالبي مبينا أن ظاهر دعاء موسى عليه السلام بقوله: ﴿فَأَفَرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ يقوي القول الثاني وهو ما ذهب إليه الرازي. وتتبع أقوال أهل العلم وقفت على ما يلي:

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 149).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 89).



## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

القول الأول: أنهما كانا في التيه.

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(1)</sup>، وعزاه الواحدي للكلبي، والثعلبي لعمرو بن ميمون، وذكره المسعودي ومكي بن أبي طالب، واعتبره ابن عطية قول الأكثر، وأورده ابن جزى أولاً وساق القول الآخر بصيغة التمریض، واقتصر عليه الخازن، واختاره ابن كثير في البداية والنهاية، وصححه مجير الدين المقدسي<sup>(2)</sup>.

— ومّا استند إليه بعض من قال بهذا القول ما يلي:

أ— أنه قول الأكثر<sup>(3)</sup>.

ب— أنّ هذا القول هو الذي عليه أهل الكتاب.

ج— ممّا يدل على ذلك قوله لما اختار الموت: «رب أدني إلى الأرض المقدسة رمية حجر»<sup>(4)</sup>، ولو كان دخلها لم يسأل ذلك، ولكن لما كان مع قومه بالتيه وحانت وفاته عليه السلام، أحب أن يقترب من الأرض التي هاجر إليها، وحث قومه على دخولها<sup>(5)</sup>.

القول الثاني: لم يكونا في التيه.

حكاه الزجاج عن بعض المفسرين، واقتصر عليه الراغب وقال به أبو حيان<sup>(6)</sup>.

— ومّا استندوا إليه:

أ— أن التيه عذاب، والأنبياء لا يُعذبون.

---

(1) — ينظر: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث — بيروت، ط: 2 - 1387 هـ. (435 / 1).

(2) — ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (331 / 7)، الكشف والبيان، الثعلبي، (45 / 4). التنبيه والإشراف، علي المسعودي، ت: عبد الله الصاوي، دار الصاوي — القاهرة، د ت ط، (170 / 1)، الهداية، مكي، (3 / 1671). درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني، ت: وليد الحسين، الحكمة، بريطانيا، ط: 1، 1429 هـ - 2008 م، (180 / 1). التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، (1 / 227)، لباب التأويل، الخازن، (2 / 29)، البداية والنهاية، ابن كثير، (370 / 1). فتح الرحمن، المقدسي، (2 / 277).

(3) — ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (149 / 1).

(4) — أخرجه البخاري، كتب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، رقم: 1339، (2 / 90). ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، رقم: 2372، (4 / 1842).

(5) — ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (370 / 1).

(6) — ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (2 / 165)، تفسير الراغب، الراغب الأصفهاني، (4 / 321). البحر المحیط، أبو حيان، (4 / 222).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

- وردّ على هذا أنّه جائز أن يكونا في التّيه وأن الله جل اسمه سهّل عليهما ذلك كما سهّل على إبراهيم النار، فجعلها عليه برداً وسلاماً وشأنها الإحراق<sup>(1)</sup>.
- بـ أنّ موسى عليه السلام دعا الله تعالى أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين، ودعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مجابة، وهذا يدل على أنه عليه السلام ما كان معهم في ذلك الموضع.
- جـ أن القوم إنما عذبوا بسبب أنهم تملدوا، وموسى وهارون ما كانا كذلك، فكيف يجوز أن يكونا مع أولئك الفاسقين في ذلك العذاب<sup>(2)</sup>.

### الخلاصة:

بعد أن وقفت على الأقوال الواردة في المسألة وما احتج به كل فريق في تأييد ما ذهب إليه، ظهر له لي أن القول الذي اختاره ابن عطية هو الصحيح، وذلك لما يلي:

— أنّ هذه المسألة ممّا له علاقة بالغيب، وما كان كذلك فلا يثبت إلّا بدليل يصر إليه، وقد ورد في ذلك حديث صحيح يقتضي أنّ موسى عليه السلام كان مع بني إسرائيل في التيه، وهو الحديث الذي استدللّ به بعض من قال بهذا القول.

### المطلب الثاني: موقف ابن عطية من تعيين الذبيح

#### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة]: «ودخل إسماعيل في الآباء لأنه عم. [وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في العباس: «ردوا علي أبي، إني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود»<sup>(3)</sup>]. وقال عنه في موطن آخر: «هذا بقية آبائي»، ومنه قوله عليه السلام: «أنا ابن الذبيحين» على القول الشهير في أن إسحاق هو الذبيح»<sup>(4)</sup>.

(1) — ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (2/ 165)

(2) — مفاتيح الغيب، الرازي، (11/ 335).

(3) — أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث فتح مكة، رقم: 36902، (7/ 402)، وهو حديث مرسل.

(4) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 214).

تعقيب الثعالبي:

«ت: وفي تشهيره نظر، بل الراجح أنه إسماعيل على ما هو معلوم في موضعه، وسيأتي إن شاء الله تعالى»<sup>(1)</sup>.

الدراسة:

علل ابن عطية سبب إدخال إسماعيل ضمن الآباء في قول أبناء يعقوب لأبيهم: ﴿تَعْبُدُوا إِلَهَكُمْ وَإِلَهَ آبَائِكُمْ إِزْرَاهِمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ رغم أنه عمّ لهم؛ أنّ الأب يطلق على العمّ واستند في ذلك إلى مجموعة من الأدلة منها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «أنا ابن الذبيحين» وعلّق على ذلك بقوله: على القول الشهير أنّ إسحاق هو الذبيح، فتعقبه الثعالبي مبيناً أنّ في تشهيره نظر، ثمّ بيّن أنّ الذبيح هو إسماعيل وأجل ذكر الأدلة على ذلك إلى موضعه. يقصد بذلك قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلَمٍ حَلِيمٍ﴾<sup>(101)</sup> فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يُبْنِي لِي أَرْبَى فِي الْمَنَارِ إِنِّي أَدْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴿[الصفات: 102].

والذي يظهر لي أنّ اعتبار ابن عطية لهذا القول بأنه شهير لا يقصد بذلك ترجيحه؛ وإمّا أورده في معرض بيان أنّ الأب يطلق على العمّ، واستند إليه على قول من يقول به، ووصفه بالشهير نظراً لكثرة قائله، حيث اختاره الطبري والنحاس وجزم به القاضي عياض ونسبه القرطبي للأكثر<sup>(2)</sup>. ومّا يؤكد ذلك ظاهر كلامه وسياقه، إضافة إلى تحقق الوصف بأنّه شهير، كما أنّه صرح في عدد من المواطن بترجيح القول بأنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام واعتبره قول المحققين، واحتجّ على ذلك بأدلة كثيرة<sup>(3)</sup>، بل إنّ المواطن الذي أحال إليه الثعالبي وقصد من خلال بيان الأدلة على ما اختاره، إمّا اختصر ذلك ممّا أورده ابن عطية<sup>(4)</sup>.

الخلاصة:

بعد الذي سقته يتّضح أنّ تعقب الثعالبي على ابن عطية في هذا الموضوع غير صحيح. والله أعلم.

(1) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 139).

(2) \_ ينظر: جامع البيان، الطبري، (19/ 597). معاني القرآن، النحاس، (ص: 845). الشفا، القاضي عياض، (1/ 99). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (15/ 88).

(3) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 136)، (3/ 190)، (4/ 20)، (4/ 481).

(4) \_ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (4/ 20)، (4/ 481). الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 24)، (5/ 41).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

المطلب الثالث: هل الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام كان بالغاً أم لا؟

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ إِذَا لَقِيَٰ غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِّي أَمْ لَمْ يَكُن بَالِغًا أَمْ لَا؟﴾ [الكهف: 74]: «قيل كان هذا الغلام لم يبلغ الحلم، فلهذا قال موسى: ﴿أَقْتَلْتَنِّي أَمْ لَمْ يَكُن بَالِغًا أَمْ لَا؟﴾. وقالت فرقة: بل كان بالغاً... وقوله: ﴿يَغْيِرْ نَفْسِي﴾ يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل على كبر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم، لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: وهذا إذا كان شرعهم كشرعنا، وقد يكون شرعهم أن النفس بالنفس عموماً في البالغ وغيره، وفي العمدة والخطأ فلا يلزم من الآية ما ذكر»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

ذكر ابن عطية اختلاف المفسرين في الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام، فقال بعضهم كان صبياً بدليل قوله ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾. وقالت فرقة بل كان بالغاً، واختار هذا القول بدليل قوله: ﴿يَغْيِرْ نَفْسِي﴾؛ إذ لو كان صغيراً لم يصح قتله بنفس أو بغير نفس. وتعقبه الثعالبي ببيان أن قوله هذا غير لازم؛ لأنه قد يكون شرعهم أن النفس بالنفس عموماً دون اعتبار للبلوغ أو للعمد والخطأ، والمسألة تعود إلى هذين القولين:

القول الأول: أن الغلام لم يبلغ الحلم.

رواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(3)</sup>، وقال به مجاهد<sup>(4)</sup>، ونسبه الماوردي وابن الجوزي والعز بن عبد السلام والقرطبي للأكثر، وقاله الإيجي وابن عاشور<sup>(5)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (3/ 532).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (3/ 536).

(3) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 356).

(4) \_ ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (14/ 91).

(5) \_ ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (3/ 328). زاد المسير، ابن الجوزي، (3/ 99). تفسير العز بن عبد السلام،

(2/ 257). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (11/ 21). تفسير الإيجي، (2/ 454). التحرير والتنوير، ابن عاشور،

(15/ 378).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

ومما استدلوا به:

- أ\_ قوله: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾؛ أي ليس له ذنب<sup>(1)</sup>، وهذا إنما يكون لغير المكلف.
- ب\_ وصفه بالغلام؛ فإن الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ، وتقابله الجارية في النساء<sup>(2)</sup>.
- وتُعقب بأن لفظ الغلام قد يتناول الكبير أيضا.
  - فاستدرك أصحاب هذا القول بأن اسم الغلام بالصغير أليق وإن احتمل الكبير<sup>(3)</sup>.

القول الثاني: أنه كان بالغا.

رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(4)</sup>، وعزاه البغوي للحسن، والقرطبي للكلبي، وقال به مكّي بن أبي طالب وابن عطية<sup>(5)</sup>.

ومما استدلوا به:

- أ\_ قوله: ﴿يَغْيِرُ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان عَنْ قَتْلِ نَفْسٍ، لم يكن به بأسٌ، وهذا يدلُّ على كِبَرِ الغلام، وإلا فلو كان صغيرا لم يجب قتله بِنَفْسٍ ولا بغير نفس لأنه لم يجز عليه القلم.
- واستدرك على هذا أنه غير لازم لأنه قد يكون شرعهم أن القصاص يكون في القتل عموما. وذكر صاحب الحاشية على الشهاب أن البيهقي نقل أنه كان كذلك في شرعنا قبل الهجرة، وقال السبكي: «قبل أحد ثم نسخ». وكذلك نقل الألويسي<sup>(6)</sup>، ولم أقف عليه.
- ب\_ ومما استدل به أصحاب هذا القول: أن الرجل يسمى غلاما، قالت ليلي الأخيلية تمدح الحجاج:
- شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الذي بِهَا ... غُلامٌ إذا هَرَّ القَنَاةَ سَقَاهَا<sup>(7)</sup>.

(1) \_ ينظر: التسهيل، ابن جزي، (471/4).

(2) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (21 / 11).

(3) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (486 / 21).

(4) \_ ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (356/2).

(5) \_ ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (207/3). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (21 / 11). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي، (4431 / 6).

(6) \_ ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الخفاجي، (6 / 122)، روح المعاني، الألويسي، (318/8).

(7) \_ ورد البيت في ديوان ليلي الأخيلية، ت: خليل إبراهيم العطية، وجيليل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد، العراق، د، ت، ط، (ص: 121).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

وقال صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت:

تَلَقَّ دُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي ... غُلَامٌ إِذَا هُوَ جِيئَ لَيْسَ بِشَاعِرٍ (1).

كما أنه يقال: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام. جعل الشيخ نقيضا للغلام، وذلك يدل على أن الغلام هو الشاب، وأصله من الاغترام وهو شدة الشبق، وذلك إنما يكون في الشباب (2)، ويتناول الصبي الصغير تجوزا تسمية للشيء باسم ما يؤول إليه (3).

ج \_ واستدلوا بقراءة أبي وابن عباس رضي الله عنهما: (وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين)، والكفر والإيمان من صفات المكلفين (4).

### • ورّد على هذا بما يلي:

أ\_ أن هذه القراءة شاذة لا حجة فيها.

ب\_ أنه سماه بما يؤول إليه لو عاش، وذلك جائز في اللغة وهو كقوله ﷺ: ﴿إِنِّي أَرِنِي أَعَصِرُ حَمْرًا﴾ [يوسف: 36]، وإنما يعصر العنب لا الخمر (5).

ج \_ كما استدلوا بقراءة الكوفيين وابن عامر: (زكية) بغير ألف وتشديد الياء قال أبو عمرو: «الزكية التي أذنت ثم تابت» (6)، والذنب لا يجري إلا على المكلف.

### الخلاصة:

الذي يظهر والله أعلم أن القول بصغر الغلام أقوى وذلك لما يلي:

1\_ قوله: ﴿أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾؛ أي لم تذب وذلك إنما يكون في الصغير. وأما من احتج بقراءة {زكية} وصرف معناها إلى أنها التي أذنت ثم تابت فلا يسلم له بذلك، قال الطبري: «وكان بعض أهل العلم بكلام

(1) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (21 / 11).

(2) \_ ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (486 / 21).

(3) \_ ينظر: البحر المحيط، ابو حيان، (208 / 7).

(4) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (22 / 11).

(5) \_ ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، (373 / 7). شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (199 / 1). شرح

النووي على مسلم، النووي، (140 / 15).

(6) \_ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (21 / 11).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

العرب من أهل الكوفة يقول: معنى الزكية والزاكية واحد، كالقاسية والقسية، ويقول: هي التي لم تجن شيئاً، وذلك هو الصواب عندي لأني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب»<sup>(1)</sup>.

2\_ مما يدل على صغر الغلام حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، عن أبي بن كعب يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان»<sup>(2)</sup>، واللعب أليق بالصغير منه بالكبير. وإن كان جائزاً في حق الكبير، ولفظ الغلام قد يطلق عليه، فرواية البخاري تشير إشارة واضحة إلى صغره حيث جاء فيها: «مروا بغلام يلعب مع الصبيان»<sup>(3)</sup>.

\_ وأما الاستدلال بقوله: **﴿يَغَيِّرُ نَفْسٍ﴾** فغير لازم كما ذكر الثعالبي، إذ لا يُدرى كيف كان شرعهم، فقد يكون القصاص على الصبي، كما يوجد في شرعنا تغريم المتلفات، وممن سبق الثعالبي بإيراد هذا الاعتراض الكرمانى والقاضي عياض والنووي وذكر بدر الدين العيني أنه قول الجمهور<sup>(4)</sup>، ويتأكد هذا التوجيه أكثر إذا تحقق ما نقل عن البيهقي وغيره أن شرعنا كان كذلك ثم نسخ، ويجدر التنبيه أن اعتراض الثعالبي يدل على سعة اطلاعه \_ والله أعلم \_.

المطلب الرابع: هل الجيش الذي فتح مكة كان كله من الفرسان؟

### قول ابن عطية:

«ويقتضي ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في عام الحديبية في أربع عشرة مائة، ثم سار إلى مكة بعد ذلك بعامين في عشرة آلاف فارس»<sup>(5)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: المعروف عشرة آلاف، وقوله فارس ما أظنه يصح فتأمله في كتب السيرة»<sup>(6)</sup>.

(1) \_ جامع البيان، الطبري، (75 / 18).

(2) \_ أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر رضي الله عنه، رقم: 2380، (4 / 1849).

(3) \_ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم: 3401، (4 / 155).

(4) \_ ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، (7 / 373). شرح النووي على مسلم (15 / 140). عمدة القاري شرح صحيح البخاري (2 / 195).

(5) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5 / 138).

(6) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4 / 246).

ذكر ابن عطية أن النبي ﷺ سار إلى مكة لفتحها في عشرة آلاف فارس، فتعقبه الثعالبي مبينا عدم صحة كونهم جميعا فرسانا، وحث على مراجعة كتب السيرة للتحقق مما ذكر، وقبل استقصاء المسألة من مضامها يستحسن بيان معنى الفارس وهل يطلق على المقاتل الراكب فقط، أم قد يطلق على المقاتل عموما، سواء كان راكبا أو راجلا، فيكون ذلك هو مراد ابن عطية في حال كونهم رجالا وركبانا، فنقول إنه قصد هذا ولا مشاحة في الاصطلاح.

قال ابن السكيت عن المقاتل: «إذا كان يثبت على الدابة قيل: فارس»<sup>(1)</sup>. وقال أبو منصور الهروي: «رجل حَامِرٌ وَحَمَارٌ ذُو حِمَارٍ، كَمَا يُقَالُ فَارِسٌ لَذِي الْفَرَسِ»<sup>(2)</sup>. وجاء في معجم ديوان العرب: «الرَّاجِلُ: نَقِيضُ الْفَارِسِ»<sup>(3)</sup>. وهو ما ذكره صاحب الصحاح<sup>(4)</sup>، وذكر علي المرسي عن ابن السكيت أنه قال: «الفارس صاحب الفرس... والجمع فرسان وفوارس»<sup>(5)</sup>. فهذه بعض النقولات عن أهل الشأن، توخيت فيها أن تكون قبل زمن ابن عطية حتى لا نحاكمه إلى من جاء بعده، تبين أن معنى الفارس هو المقاتل الراكب، والمعنى نفسه استخدمه أهل العلم، حيث كانوا يفرقون بين الراجل والفارس، فهذا القاضي عبد الجبار يقول عن غزوة تبوك: «واتجه \_ أي النبي ﷺ \_ نحو الشام في عشرة آلاف فارس وعشرين ألف راجل.

وبما نقلناه يتبين أن ابن عطية يقصد بوصف الفارس، أي الذي يمتطي فارسا وعكسه الراجل. فهل هذا الوصف متحقق في هذا العدد ممن كان مع النبي ﷺ في غزوة فتح مكة؟  
بتتبع كتب السير وقفت على ما يلي:

\_ ذكر الواقدي أنهم عشرة آلاف، وبين أنهم لم يكونوا كلهم فرسانا حيث قال: «كان المهاجرون سبعمائة، ومعهم من الخيل ثلاثمائة فرس، وكانت الأنصار أربعة آلاف، معهم من الخيل خمسمائة، وكانت مزينة ألفا، فيها

(1) \_ كتاب الألفاظ، يعقوب ابن السكيت، ت: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط: 1، 1998م، (ص: 439).

(2) \_ تهذيب اللغة، الأزهري، (5/ 39).

(3) \_ معجم ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ت: أحمد عمر، ط: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، 1424 هـ - 2003 م، (1/ 359).

(4) \_ ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (4/ 1705).

(5) \_ المخصص، ابن سيده، (81/2).



## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

من الخيل مائة فرس ومائة درع،... وكانت أسلم أربعمائة، فيها ثلاثون فرسا، ... وكانت جهينة ثمانمائة، معها من الخيل خمسون فرسا... وكانت بنو كعب ابن عمرو خمسمائة»<sup>(1)</sup>.

— وقال ابن هشام: «قال ابن إسحاق: ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين»<sup>(2)</sup>. وهو ما ذكره الطبري في تاريخه، وكذلك المسعودي وابن حبان وابن حزم والبيهقي وابن عبد البر والسهيلي<sup>(3)</sup>، وغيرهم كثير، ولم أقف على من ذكر وصف الفرسان لجميع من حضر إلاّ ابن عطية، وكذلك ابن الأثير في تاريخه حيث قال: «وقدم رسول الله ﷺ مر الظهران في عشرة آلاف فارس»<sup>(4)</sup>.

### الخلاصة:

تعقب الثعالبي صحيح وهو ما أورده أهل السير، وقول الثعالبي وما أظنه يصح، ثم إحالته على البحث يدل دلالة واضحة على علو كعبه وتواضعه مع دفته — والله أعلم —.

(1) \_ مغازي الواقدي، أبو عبد الله الواقدي (ت: 207هـ)، ت: مارسدن جونز، دار الأعلمي - بيروت، ط: 3 - 1989/1409م، (2/ 800).

(2) \_ سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، ت: مصطفى السقا، شركة مصطفى البابي، مصر، ط: 2، 1375هـ - 1955 (2/ 400).

(3) \_ ينظر: تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبري، (3/ 50). التنبيه والإشراف، على بن الحسين المسعودي، ت: عبد الله الصاوي، دار الصاوي - القاهرة، د ت ط، (1/ 231). السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ابن حبان البستي، ت: عزيز بك، الكتب الثقافية - بيروت، ط: 3 - 1417 هـ، (1/ 326). جوامع السيرة النبوية، ابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، د ت ط، (ص: 179). دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1405 هـ، (5/ 21). الدرر في اختصار المغازي والسير، يوسف بن عبد البر، ت: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط: 2، 1403هـ، (ص: 214). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن السهيلي، ت: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1421هـ/ 2000م، (7/ 248).

(4) \_ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (2/ 119).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

المطلب الخامس: متى كانت قصة حاطب بن أبي بلتعة؟

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عِدْوِيَّ وَعِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: 1] «المراد بالعدو هاهنا: كفار قريش، وسبب نزول هذه الآية حاطب بن أبي بلتعة وذلك أنّ النبي ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية...»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: بل عام فتح مكة»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

أورد ابن عطية أنّ نزول قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عِدْوِيَّ وَعِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ كان في شأن حاطب لما بعث بالكتاب إلى كفار قريش يخبرهم بخروج النبي ﷺ إليهم عام الحديبية، فتعقبه الثعالبي مبيناً أن ذلك كان عام الفتح، وبتتبع المسألة وجدت أنّها لا تخرج عن القولين السابقين، وفيما يلي بيان ذلك:

**القول الأول: أن ذلك كان عام الحديبية**

روي عن قتادة<sup>(3)</sup> وقال به ابن عطية وابن جزى ومجير الدين المقدسي واختاره الطاهر بن عاشور<sup>(4)</sup>.

ومما استند إليه بعض من قال بهذا القول ما يلي:

— رواية الحارث عن علي بن أبي طالب عند الطبري تقتضي ذلك وفيها: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أفشى في الناس أنّه يريد خيبر وأسرّ إلى ناس من أصحابه منهم حاطب بن أبي بلتعة أنه يريد مكة، فكتب حاطب إلى أهل مكة... إلى آخره، فإن قوله: أفشى، أنه يريد خيبر يدل على أن إرادته مكة إنّما هي إرادة عمرة الحديبية لا غزو مكة لأن خيبر فتحت قبل فتح مكة<sup>(5)</sup>.

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (293/5).

(2) — الجواهر الحسان، الثعالبي، (397/4).

(3) — ينظر: جامع البيان، الطبري، (315/23).

(4) — ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، (364/2). فتح الرحمان، المقدسي، (23/7). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (130/28).

(5) — ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (130/28).

### القول الثاني: أن ذلك كان عام فتح مكة

أورده مقاتل بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال به السمرقندي والثعلبي والماوردي والواحدي والزنجشري والرازي والقرطبي والنسفي والطبي وابن كثير والثعالبي والبقاعي والقاسمي ورشيد رضا<sup>(1)</sup>. وأورد أهل السير أن الواقعة حدثت عام الفتح، ومن هؤلاء الواقدي وابن هشام ومحمد ابن حبان والسهيلي في الروض الأنف وابن الجوزي والذهبي وابن كثير<sup>(2)</sup>. وعقد البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، وما بعث به حاطب لأهل مكة<sup>(3)</sup>. وذكر ابن عاشور أن هذا القول هو ظاهر صنيع جمهور أهل السير، وصنيع البخاري في كتاب المغازي من «صحيحه» في ترتيبه للغزوات، ودرج عليه معظم المفسرين<sup>(4)</sup>.  
— ومما استند إليه بعض من ذهب إلى هذا القول: أن غزوة الحديبية لم ينقل أنها كانت فيها الكثرة من الناس، بحيث يحذر منهم حاطب بن أبي بلتعة بخلاف الفتح<sup>(5)</sup>.

### الخلاصة:

تعقب الثعالبي في محله، وذلك لما يلي:

- 1\_ أنه قول جمهور أهل السير، خاصة المحققين منهم.
- 2\_ أنه قول معظم المفسرين.
- 3\_ أنه صنيع البخاري، ومعروف عنه دقته في التحقيق، وعلو كعبه في التدقيق.

- (1) \_ ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، (299/4). بحر العلوم، السمرقندي، (434/3). الكشف والبيان، الثعلبي، (291/9). النكت والعيون، الماوردي، (497/5). الوسيط، الواحدي، (282/4). الكشاف، الزنجشري، (511/4). مفاتيح الغيب، الرازي، (337/32). تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام، (296/3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (308/17). مدارك التنزيل، النسفي، (465/3). حاشية الطيبي على الكشاف، الطيبي، (347/15). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (36/4). الجواهر الحسان، الثعالبي، (5/416). نظم الدرر، البقاعي، (39/20). محاسن التأويل، القاسمي، (202/9). المنار، رشيد رضا، (10/201).
- (2) \_ ينظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (398/2). جوامع السيرة، ابن حزم، (ص:179). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، (203/7). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، (324/3). تاريخ الإسلام، الذهبي، (526/2). البداية والنهاية، ابن كثير، (398/3).
- (3) \_ ينظر: صحيح البخاري، البخاري، (145/5).
- (4) \_ ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (130/28).
- (5) \_ ينظر: تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، (211/4).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

---

4\_ أن خروج النبي ﷺ عام الحديبية لم يكن وراءه مقصد سوى القيام بالعمرة، فلا مسوغ لما قام به حاطب رضي الله عنه \_ والله أعلم \_.

وفي ختام هذا المبحث يتضح أن الثعالبي أصاب في كثير من تعقباته على ابن عطية، وقد امتاز بدقته وسعة اطلاعه، إضافة إلى تواضعه الذي ظهر بعدم الجزم بما قرره، مع حثه على الرجوع إلى المصادر، كما اتضح في بعض المسائل التي أصاب فيها أن قوله وافق قول المحققين من أهل السير وكذا صنيع البخاري.

## المبحث الرابع: تعقبات أخرى

المطلب الأول: هل أغفل ابن عطية التنبيه على ما أحال إليه؟

قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلَيْ فَضَّلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة]: «وإن قدرنا فضيلة بني إسرائيل مخصوصة في كثرة الأنبياء وغير ذلك فالعالمون عموم مطلق، وإن قدرنا تفضيلهم على الإطلاق فالعالمون عالمو زمانهم، لأن أمة محمد ﷺ أفضل منهم بالنص، وقد تقدم القول على مثل هذه الآية»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: ولم ينبه - رحمه الله - على هذا في التي تقدمت أول السورة»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

أشار ابن عطية إلى أنه قد تقدم القول في تفسير هذه الآية، فتعقبه الثعالبي مبيناً أنه لم ينبه رحمه الله على الآية التي تقدمت أول السورة؛ يقصد بذلك قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلَيْ فَضَّلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة]، وللتحقق مما أورده الثعالبي ينبغي على الباحث مراجعة الموطن الذي أشار إليه، وذلك من خلال تفسير ابن عطية، وبالرجوع إليه تبين أن ابن عطية قد سبق له الكلام على تفسير الآيات كما ذكر، ومما قاله: تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة، وفائدة ذلك أن الخطاب الأول يصح أن يكون للمؤمنين، ويصح أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين، بدلالة ما بعده، وأيضاً فإن فيه تقوية التوقيف وتأكيد الحض على ذكر أيادي الله وحسن خطابهم بقوله: ﴿وَأَلَيْ فَضَّلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؛ لأن تفضيل آبائهم وأسلافهم تفضيل لهم، وفي الكلام اتساع. قال قتادة وابن زيد وابن جريج وغيرهم: المعنى على عالم زمانهم الذي

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 205)

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 234)

كانت فيه النبوءة المتكررة والمملك، لأن الله تعالى يقول لأمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، وذكر كلاما يطول نقله، واستوفى تفسير الآيات<sup>(1)</sup>.

وبعد أن تحقق ما أشار إليه ابن عطية، قد يورد البعض احتمالا مفاده؛ عدم وقوف الثعالبي على الكلام السابق، وقد يكون ساقطا من النسخة التي اعتمدها، وللتحقق من هذه القضية رجعت إلى هذا الموطن من تفسير الثعالبي فوجدت أنه قد نقله عنه واختصر بعضه<sup>(2)</sup> جريا على طريقته التي ألزم بها نفسه، وبذلك يتبين عدم ورود هذا الاحتمال.

### الخلاصة:

تعقب الثعالبي على ابن عطية غير صائب فقد نبه \_ رحمه الله \_ كما ذكر في الآية التي تقدمت.

### المطلب الثاني: في المبادرة إلى التوبة

#### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ

قَرِيبٍ﴾ [النساء: 17]: «وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾ إنما معناه: من قريب إلى وقت الذنب، ومدة الحياة كلها قريب، والمبادرة في الصحة أفضل»<sup>(3)</sup>.

#### تعقيب الثعالبي:

«قلت: بل المبادرة واجبة»<sup>(4)</sup>.

### الدراسة:

ذكر ابن عطية أنّ معنى: ﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ أي يحدثون التوبة قريبا من وقت الذنب، ثم عقب ذلك بقوله: «ومدة الحياة كلها قريب». وكأنه بذلك يريد أن يبين أنّ الآية لا تحصر التوبة بعد الذنب مباشرة، بل بابها مفتوح

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (1/ 139).

(2) \_ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، (1/ 233).

(3) \_ المصدر السابق، (2/ 25).

(4) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (2/ 193).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

ولو طال الزمن؛ لأنّ مدة الحياة في الحقيقة كلها قريب، ثم أوضح أن المبادرة إلى التوبة في حال الصحة أفضل، فتعقبه الثعالبي بقوله: بل المبادرة واجبة. وبعد التدقيق في كلام ابن عطية خاصة ما تعلق بسياقه، اتّضح أنه أورد قبل هذا الكلام خلاف المفسرين في قوله: ﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾ فذكر عن ابن عباس رضي الله عنه والسدي: أنّ معنى ذلك قبل المرض والموت. وذهب جمهور المفسرين إلى أنّ المقصود قبل الموت ومعابنته، ولكي لا يُفهم من كلام ابن عباس رضي الله عنه أنه لا يرى التوبة إلّا في حال الصحة، جمع بينه وبين ما ذهب إليه الجمهور بقوله: «فابن عباس رضي الله عنه ذكر أحسن أوقات التوبة، والجمهور حددوا آخر وقتها»<sup>(1)</sup>، ثم ساق آثارا تبين أنّ التوبة تقبل قبل الغرغرة، وبعدها ساق الكلام الذي تعقبه الثعالبي، وهو يتكون من شقين:

**الأول:** بين من خلاله أنّ التوبة ينبغي أن تكون قريبة من وقت الذنب؛ فهو بذلك لا يرى جواز تأخيرها.  
**الثاني:** أوضح أنّ مدة الحياة كلها قريب؛ وفي ذلك تذكير بسرعة انقضاء الأيام واقتراب الآجل، حتى لا يُسوّف الإنسان توبته؛ وهذا كله يُظهر أنّ ابن عطية يرى وجوب المسارعة إلى التوبة وهو مما اتفق عليه العلماء، وأما قوله بعد ذلك: «والمبادرة في الصحة أفضل»، فجاء لدفع التوهّم أنّ التوبة لا تُقبل حال المرض، كما جاء لتأكيد كلامه السابق حين جمع بين قول ابن عباس وقول الجمهور، فسياق الكلام يبيّن أن قوله: «أفضل» لا يقصد منه عدم وجوب المسارعة إلى التوبة، وإنما يقصد المقارنة بين التوبة حال الصّحة وحال المرض، فلا شك أن التوبة مقبولة في كلتا الحالتين، ولكنّها في حال الصحة أفضل، ولا يعني هذا حملها على الاستحباب في ذلك الوقت.

### الخلاصة:

سياق كلام ابن عطية يوضح أن مقصوده بقوله: «والمبادرة في الصحة أفضل» لا يدل على عدم وجوب المسارعة إليها كما تعقبه الثعالبي، وإنما يقصد أنه أفضل من التوبة حال المرض. ومع ذلك فيبقى تعقب الثعالبي مفيدا لدفع التوهّم الذي قد يحصل لمن لم يدقق في كلام ابن عطية رحمه الله — والله أعلم —.

(1) — المحرر الوجيز، ابن عطية، (2/ 25).

المطلب الثالث: هل تناقض ابن عطية في توجيهه للخطاب في قول عنه: ﴿ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف]، مع ما أورده في سورة البقرة؟

قول ابن عطية:

«وقالت فرقة: هي مخاطبة لآدم وذريته، وإبليس وذريته. قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف لعدمهم في ذلك الوقت»<sup>(1)</sup>.

تعقيب الثعالبي:

«ت: وما ضعفه رحمه الله صحَّحَهُ في «سورة البقرة»، فتأمله هناك»<sup>(2)</sup>.

الدراسة:

ردّ ابن عطية على من قال أن المقصود من خطاب الله تعالى في الآية، إنما هو آدم وحواء وإبليس وذريتهم وقال أن هذا ضعيف لعدمهم في ذلك الوقت؛ يقصد بذلك الذرية، فتعقبه الثعالبي مبيناً أنّ ما ضعفه في هذا الموضوع قد صححه في سورة البقرة، حاثاً على تأمله هناك، وبالرجوع إلى الموضوع الذي أحال عليه الثعالبي نجد ابن عطية عند تفسيره قوله عنه: ﴿ وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: 37] قال: «واختلف في المقصود بهذا الخطاب، فقيل آدم وحواء وإبليس وذريتهم، وقيل ظاهره العموم ومعناه الخصوص في آدم وحواء؛ لأن إبليس لا يأتيه هدى، وخوطبا بلفظ الجمع تشريفا لهما، والأول أصح لأن إبليس مخاطب بالإيمان بإجماع»<sup>(3)</sup>.

والتأمل في القولين يظهر له أن ابن عطية قد ساق في كلا الموضوعين القول بنفس العبارة؛ والتي تضمنت الخطاب لآدم وإبليس وذريتهما، غير أنه في سورة البقرة ركز في رده على من استثنى الشيطان من الخطاب باعتبار أنه لا يأتيه الهدى، واستدل على ضعف هذا بنقله الإجماع على أن الشيطان مخاطب بالإيمان، وأما في الموضوع الذي من سورة الأعراف فقد ركز في رده على من اعتبر الخطاب شاملاً للذرية، وحجته عدمهم في ذلك الوقت،

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (387/2).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (16/2).

(3) \_ المصدر السابق، (131/1).



## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

وهذا ما يبين أن ابن عطية نقل القول بنفس العبارة في كلا الموضوعين بذكره لآدم وحواء والشيطان وذريتهم، فانصرف ذهنه لرد ما يراه ضعيفا في كل موضع، ولم يركز على العبارة، فهذا اعتذار له رحمه الله يخلصه من التناقض في هذا الموضوع، غير أن الجدير بالتنبيه أن انتقاد الثعالبي يدل على دقته واستحضاره لما سبق عليه اختصاره من كلام ابن عطية مع غاية في الأدب واحترام لأهل الفضل ودعاء لهم بالرحمة، فأسأل الله أن يرحمهما برحمته الواسعة آمين.

المطلب الرابع: هل تناقض ابن عطية في ترجيحه لمعنى دعاء المؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85]، بين ما قرره في يونس والممتحنة؟

### قول ابن عطية:

«وقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85]: المعنى: لا تُنزل بنا بلاءً بأيديهم أو بغير ذلك مدّة محاربتنا لهم فيفتنونَ لذلك، ويعتقدون صلاح دينهم، وفساد ديننا قاله مجاهد وغيره، فهذا الدعاء على هذا التأويل يتضمّن دفع فصلين: أحدهما: القتل والبلاء الذي توقعه المؤمنون. والآخر: ظهور الشرك باعتقاد أهله أنهم أهل الحق»<sup>(1)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ورجّح ع في سورة الممتحنة؛ قول ابن عباس: إن معنى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: 5] لا تسلطهم علينا فيفتنونا أنظره هناك»<sup>(2)</sup>.

### الدراسة:

ذكر ابن عطية أن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85]، معناه أن أهل الإيمان يدعون به ويقصدون بذلك، أن يدفع الله عنهم البلاء والقتل الذي يكون بيد أعدائهم حتى لا يفتنوا أي الأعداء فيظنوا أنهم على حق، وتعقبه الثعالبي مبينا أنه رجّح في قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْرِضْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة] قول ابن عباس ﷺ؛ أي: لا تسلطهم علينا

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (138/3).

(2) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (254/2).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

فيفتنونا، وأحال إلى العودة إليه، وقد وقفت على كلام ابن عطية وهو قوله: «الآية حكاية عن إبراهيم ومن معه، والمعنى: لا تغلبهم علينا، فتكون لهم فتنة وسبب ضلالة، لأنهم يتمسكون بكفرهم ويقولون إنما غلبناهم لأننا على الحق وهم على الباطل، نحا هذا المنحى قتادة وأبو مجلز، وقال ابن عباس المعنى: لا تسلطهم علينا فيفتنوننا عن أدياننا. فكأنه قال: لا تجعلنا مفتونين فعبر عن ذلك بالمصدر وهذا أرجح الأقوال لأنهم إنما دعوا لأنفسهم، وعلى منحى قتادة إنما دعوا للكفار. أما أن مقصدهم إنما هو أن يندفع عنهم ظهور الكفار الذي يسببه فتنة الكفار فجاء في المعنى تحليق بليغ...»<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أن ما ذكره الثعالبي متحقق، فقد رجح ابن عطية في الموضوع الذي أحال الثعالبي عليه من سورة الممتحنة قولاً آخر، غير الذي ذكره في سورة يونس، وهذا ما يؤكد دقة الثعالبي واستحضاره للمعاني التي ينقلها عن ابن عطية ولو طال الفصل.

المطلب الخامس: هل عكس ابن عطية ما نسبه للجمهور في معنى (الفرج) بين ما نقله في سورة الأنبياء والتحريم؟

### قول ابن عطية:

قال ابن عطية عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبْنَاهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ [التحريم: 12]: «الجمهور أنه فرج الدرع، وقال قوم: هو الفرع الجارحة، وإحصانه صونه»<sup>(2)</sup>.

### تعقيب الثعالبي:

«ت: وقد عكس - رحمه الله - نقل ما نسبه للجمهور في سورة الأنبياء فقال: «المعنى واذكر التي أحصنت فرجها؛ وهو الجارحة المعروفة، هذا قول الجمهور»، انظر بقية الكلام هناك»<sup>(3)</sup>.

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/ 296).

(2) \_ المصدر نفسه، (5/ 335).

(3) \_ الجواهر الحسان، الثعالبي، (4/ 437).

نقل ابن عطية الخلاف في المقصود بالفرج في قوله جل وعلا: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبْنَاهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ [التحریم: 12]، فنسب القول بأنه فرج الدرع إلى الجمهور، وذكر قولاً آخر وهو الجارحة، أي حملة على ظاهره، وتعقبه الثعالبي مشيراً إلى أنه عكس ما نسبته للجمهور في سورة الأنبياء وذكر جزءاً من كلامه، ثم أحال إلى تتمته في موضعه، وبالرجوع إلى تفسير ابن عطية لقوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [91] [الأنبياء] وقفت على قوله: « و «الفرج» فيما قال الجمهور وهو ظاهر القرآن الجارحة المعروفة وفي إحصائها هو المدح، وقالت فرقة الفرج هنا هو فرج ثوبها الذي منه نفخ الملك وهذا ضعيف»<sup>(1)</sup>.

### الخلاصة:

بعد الذي سقته يتبين صحة تعقب الثعالبي عليه ولم يذكر — أي الثعالبي — موقفه، واكتفى بالإشارة إلى ما وقع فيه ابن عطية من قلب للمسألة، وترحم عليه مما يدل على أدبه الجم واحترامه لأهل العلم، ولا يعرف الفضل لأهله إلا أولوا الفضل.

وفي خلاصة هذا المبحث يظهر أن الثعالبي تتبع ابن عطية في بعض ما أورده ونقل خلافه في موطن آخر، كما استدرك عليه ما أحال إليه، ورأى الثعالبي أن ذلك لم يتحقق، وقد أصاب في تعقباته غالباً، وقد اتضحت دقته واستحضاره للمعاني التي ينقلها عن ابن عطية ولو طال الفصل، مع حسن أدبه أثناء الرد.

### خلاصة الفصل:

وصفوة القول أن الثعالبي وفق في أغلب تعقباته على ابن عطية في هذا الفصل، وقد ظهرت عنايته بنقد السند والمتن، كما أنه اهتم بإيراد رواية البخاري في مقابل الروايات الأخرى مما يُظهر عنايته بالصحيح، وقد يخصص الآية بالحديث، كما أنه يُقدم تفسير النبي ﷺ على كل قول آخر، ويلحق النظر بالنظر معتمداً على القياس ليرد على ابن عطية ما ذهب إليه، وقد تكون عبارته في ذلك غير واضحة، وقد يخالف المشهور من مذهب مالك، كما يستند إلى أقوال الثعلبي، ويورد اصطلاحات العلماء كقرينة للترجيح، ويعتمد على القراءات لتوجيه المعنى الذي ذهب إليه، وقد يرد الاحتجاج بالحديث لوجود قرائن تصرفه عن ذلك، كما أنه يحيل على المصادر،

(1) \_ المحرر الوجيز، ابن عطية، (4 / 98).

## الفصل الخامس: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعات متنوعة

---

ويختار الأحوط، وقد امتاز بدقته وسعة اطلاعه واستحضاره للمعاني التي ينقلها عن ابن عطية ولو طال الفصل، مع حسن أدبه أثناء الرد، وقد وافق في كثير من اختياراته قول المحققين من أهل السير، وكذا صنيع البخاري.

خاتمة

أحمد الله ﷻ الذي يسر إتمام هذا البحث بفضلته وكرمه، وقد خلصت في خاتمته إلى جملة من النتائج أهمها ما يلي:

✓ يعدّ تفسير ابن عطية من التفاسير المشهورة التي نالت نصيبها من التعقب والاستدراك، ويعتبر عبد الرحمن الثعالبي من بين المكثرين من تعقب صاحب المحرّر، رغم أنّه عمد إلى تلخيص تفسيره، وهذا ما يُبرز القيمة العلمية لتفسير الجواهر الحسان.

✓ استخدم الثعالبي صيغا عديدة في تعقباته على ابن عطية؛ فأحيانا يتعقب قوله بأنّ فيه نظر، كما ينتقده في تخصيصه أو حكايته للإجماع مع وجود المخالف، وقد يُردّ ابن عطية قولاً فيصحّحه الثعالبي، كما يتعقبه في بعض الأقوال التي ينقلها، فيختار الثعالبي غيرها، وقد يُضيف احتمالات لم يذكرها ابن عطية، كما يهتم بتصحيح بعض عباراته، والإشارة إلى المواطن التي قرّر فيها خلاف ما ذكره في المواطن محلّ الاستدراك.

✓ اعتمد الثعالبي في تعقباته على بعض الآيات القرآنية، وقد يؤجّل الاستدلال بالآية إلى موضعها؛ لترسيخ مفهومها وربطها بما سبق، إضافة إلى تحقيق الاختصار، وهو مقصد من مقاصد تأليفه.

✓ استند الثعالبي إلى السنة النبوية معتبرا التردّد مع وجود الحديث أمر لا معنى له، وهذا ما يُبرز عنايته بالتفسير بالمأثور عموماً.

✓ يستشهد الثعالبي أثناء تعقبه بأقوال بعض الأعلام لتأكيد ما ذهب إليه، وكثيراً ما ينقل عن الصفاقي، وقد يتعقبه في بعض المسائل التي وافق فيها صاحب المحرّر، وهذا ما يُبرز شخصية الثعالبي العلمية؛ فرغم إكثاره النقل عنه إلا أنّ ذلك لم يمنعه من تعقبه فيما جانب فيه الصواب.

✓ التزم الثعالبي بأدب جمّ أثناء الانتقاد، ممّا يعكس شخصيته المعروفة بالزهد والورع، فكثيراً ما يترحم على ابن عطية، بل ويبحث له أحيانا عن مخرج ليعتذر له، وقد يُصحّح الخطأ دون أن ينسبه إليه، كما يتعقبه بأحسن العبارات في مواطن شدّد العلماء عليه، ويُرجع العلم لله بعد تعقبه.

✓ وافق الثعالبي كثيراً من قواعد الترجيح واستند إليها، ومن ذلك: قاعدة: "إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآيات فلا يصر إلى غيره"، و"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له عما خالفه"، و"القراءة سنة متبعة فإذا ثبتت لا يجوز ردّها"، وقاعدة: "لا يصح النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صحّ التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه"، كما اهتم بقاعدة السياق والعموم.

✓ تناولت تعقبات الثعالبي موضوعات متعددة منها ما له صلة بالعقيدة، وعلوم القرآن، والتفسير، والفقه والنحو، واللغة، وبعض القضايا الحديثية، إضافة إلى بعض المسائل المتعلقة بالسيرة وقصص الأنبياء، وقد وُفق الثعالبي في أكثرها، وبنظرة فاحصة للموضوعات السابقة اتضح ما يلي:

◀ في جانب العقيدة: تعقب الثعالبي ابن عطية في 14 مسألة أصاب \_ حسب ما ظهر لي \_ في 07 منها، وكان الحق مع ابن عطية في 06، ولم يتبين لي الصواب في مسألة واحدة.

— وقد تركزت هذه المسائل حول بعض القضايا في النبوات والغيبيات والأسماء والأحكام، واتضح من خلالها أنّ الثعالبي يقرّر عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها، ويرى وجوب صرف اللفظ عن ظاهره إذا احتل ما يمسّ بذلك، كما قرّر مسألة غيبية استنادا لظاهر النصوص الشرعية ووقائع الأعيان، واعتمد قاعدة: "أحوال الآخرة لا تقاس بالدنيا"، وانطلاقا منها ردّ عل ابن عطية اعتراضه على الجمهور قولهم أنّ أهل الإيمان يحملون الأنوار يوم القيامة.

◀ في علوم القرآن: تعقب الثعالبي ابن عطية في 11 مسألة أصاب في 07 منها، وكان الحق مع ابن عطية في مسألتين، والصواب مع غيرهما في مسألتين أيضا.

— واشتملت هذه التعقبات مسائل في أسباب النزول، وقد بدا واضحا أنّ الثعالبي قد اعتمد في ذلك على إثبات غيره من أهل الاختصاص، كما استند إلى الصحيحين، وقد يُبيّن رجحان ما ورد فيهما وقد لا يُبيّن، وفي هذه الحال تحفّ مجموعة من القرائن تجعل للرواية الأخرى وجها قويّا عند المفسرين، وهذا ما يؤكد دقّته وسعة اطلاعه. كما تعقب ابن عطية في بعض القضايا المتعلقة بالقراءات، فأنكر عليه ردّه لقراءة حمزة و: ﴿وَالْأَذْحَامُ﴾ [النساء: 1] بالخفض بزعم مخالفتها للغة. وتعقبه في بعض المسائل ذات الصلة بالوجوه والنظائر وعادات القرآن، معتمدا في ذلك على الآيات القرآنية، وقد يكتفي بإيراد بعضها ويشير إلى وجود نظيراتها، سالكا في ذلك مسلك الاختصار، كما اعتمد على الاستشهاد بالسنة وكلام بعض أئمة اللغة، واهتم بالسياق، وهذا ما يُظهر شخصية الثعالبي، وما أُوتي من ثقافة تفسيرية تدل على استيفائه لشروط المفسر. بالإضافة إلى ما سبق فإنّه تعقب صاحب المحرر في قضية متعلقة بالتّسخ وأخرى بالإعجاز، وقد وافق أهل التحقيق في عدم صحة التّسخ في آية من كتاب الله إلّا إذا صحّ التصريح بنسخها، أو انتفى حكمها من كل وجه، كما يعتبر دلائل صدق القرآن جميعا أوجها لإعجازه الذي وقع به التحدي، وقد نسب ذلك للجمهور، والأمر ليس كما ذكر.

◀ في التفسير: تعقب الثعالبي ابن عطية في 26 مسألة أصاب في 19 منها، وكان الحق مع ابن عطية في 03 مسائل، والصواب مع غيرهما في 04.

— وتعتبر تعقبات الثعالبي على ابن عطية في بعض القضايا التفسيرية الأكثر على الإطلاق، ولا غرابة في ذلك؛ إذ القصد من جواهره تفسير كتاب الله ﷻ، وما العلوم الأخرى إلّا خادمة لذلك، وقد أظهر الثعالبي براعته في توجيه الأقوال بعبارات مختصرة، كما اتضح قوله بالعموم متى أمكن ذلك، مع اعتماده على سياق الآية ولحاقها، والاستناد إلى نظائرها، وقد ردّ على ابن عطية ادعاءه الإجماع في تفسير بعض الآيات، معتمدا على نقل الخلاف، وغالبا ما يعتمد على الثعلبي والقاضي عياض، وقد يكتفي بمخالف واحد، والظاهر أنّ ابن عطية لا يعتدّ بقلّة المخالفين، ولا يعتبر ذلك ناقضا للإجماع بخلاف الثعالبي.

◀ **وأما في اللغة:** فكانت المسائل المتعقبة قليلة، اشتملت على بعض القضايا النحوية، بالإضافة إلى دلالات الألفاظ والحروف، ومبحث عود الضمير، وقد أصاب الثعالبي في 06 مسائل، وكان الحق مع ابن عطية في مسألتين.

— وقد اتضح أن الثعالبي يؤيد القول المشتهر عند النحويين، ويركز على المعنى ولو على حساب الوظيفة الإعرابية، كما ظهر اطلاعه الواسع على أقوال أهل الاختصاص، مع اعتماده على نصوص القرآن الكريم؛ إذ إنه أهم رافد للغة العربية.

◀ وقد ظهر باعه في **علم الحديث** انطلاقاً مما سبق تقريره من اعتماده على السنة واعتزازه بذلك، كما يبرز هذا الأمر من خلال تعقباته الحديثية على ابن عطية مع قتلها؛ حيث وُفق في تعقبين، بينما أصاب ابن عطية في مسألة واحدة.

— وقد بدا اهتمامه بنقد السند والمتن، مع حرصه على نقل رواية البخاري في مقابل الروايات الأخرى، وهذا ما يُبرز مكانة الصحيح عند صاحب الجواهر، كما يوضح مكانة هذا السِّفر — أي صحيح البخاري — في القرن التاسع.

◀ وبالنظر إلى **تعقباته الفقهية**، يتضح أنه أصاب في 04 تعقبات من 06 مسائل، كان الحق مع غيره في مسألتين.

— وقد اعتمد في نقض الإجماع على خلاف شاذ في المسألة، وقد يخصّص الآية بالحديث، كما أنه يقدم تفسير النبي ﷺ على كل قول آخر، ويلحق النظر بالنظر معتمداً على القياس ليرد على ابن عطية ما ذهب إليه، وقد تكون عبارته في ذلك غير واضحة، وقد يخالف المشهور من مذهب مالك، كما يستند إلى أقوال الثعالبي، ويورد اصطلاحات العلماء كقرينة للترجيح، ويعتمد على القراءات لتوجيه المعنى الذي ذهب إليه، وقد يرد الاحتجاج بالحديث لوجود قرائن تصرفه عن ذلك، كما أنه يحيل على المصادر، ويختار الأحوط.

◀ وفي **تعقباته في قصص الأنبياء والسيرة** ظهرت دقته في تتبع أدق التفاصيل، وهذا ما يبرز سعة اطلاعه، ومع ذلك فإنه يعلق بتواضع دون الجزم بما قرره، مع حثّه على الرجوع إلى المصادر، وقد وافق قول المحققين من أهل السير وكذا صنيع البخاري في أغلب تعقباته في هذا السياق.

◀ وقد تتبع ابن عطية في بعض ما أورده ونقل خلافه في موطن آخر، كما استدرك عليه بعض الإحالات، وقد أصاب في تعقباته غالباً، مما يؤكد استحضاره للمعاني التي ينقلها عن ابن عطية ولو طال الفصل.

هذه أهم النتائج المتوصل إليها، وهي تبرز لكل منصف بما لا يدع مجالاً للشك أنّ تفسير الجواهر لا يقل أهمية عن تفسير المحرر، بل قد فاقه في كثير من المزايا والخصائص، كالعناية بتخريج الأحاديث، وعدم الإكثار من إيراد الإسرائيليات، أو الإيغال في نقل المسائل الفقهية، والقضايا النحوية ممّا قد يخرج التفسير عن مقصده



الأساس، ويلاحظ أنه فهم وظيفة القرآن، فأكثر من إيراد الرقائق واستغلال أدنى مناسبة للتحذير من المساويء، مراعيًا واقع الناس.

وفي الأخير فإن تفسيرًا يمثل هذه الخصائص حريّ أن يكون قبلة للمشغلين بالتفسير، وميدانًا خصبا لترقيق القلوب والقرائح والأذهان، وذلك بمدارسته في المساجد والمعاهد والكليات، بالإضافة إلى العناية بالجوانب العلمية في هذا السفر العظيم، وفي هذا السياق أقترح مجموعة من المواضيع التي تحتاج إلى تحرير وتأصيل من خلال الجواهر الحسان، ومن ذلك: جمع قواعد الترجيح التي اعتمدها الثعالبي في تفسيره ودراستها، بالإضافة إلى العناية باختياراته التفسيرية جمعًا ودراسة، دون أن أغفل الجانب الوعظي في تفسير الجواهر الحسان فهو ميدان خصب للطلبة عموماً، وللمتخصصين في الدعوة خصوصاً.

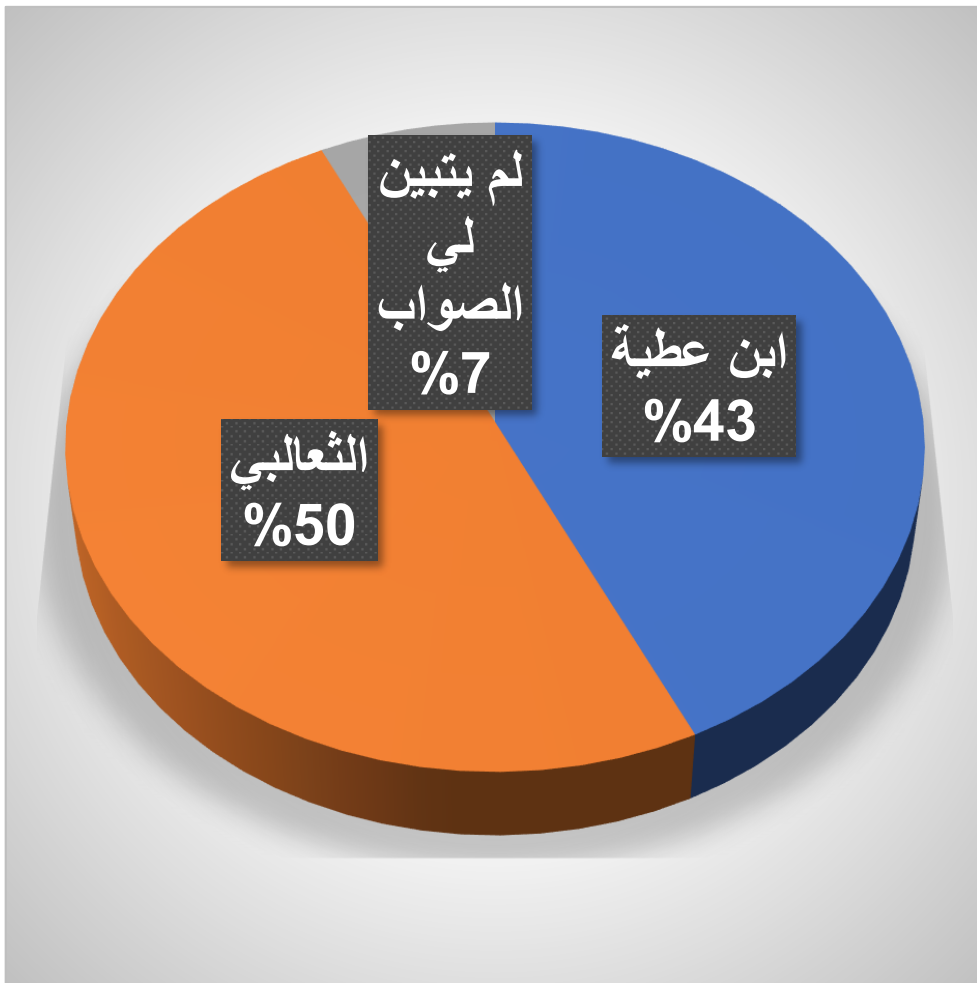
هذا جهد المقلّ فأسأل الله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

ملحق:

مقاربة إحصائية  
لتعقبات الثعالبي على ابن عطية

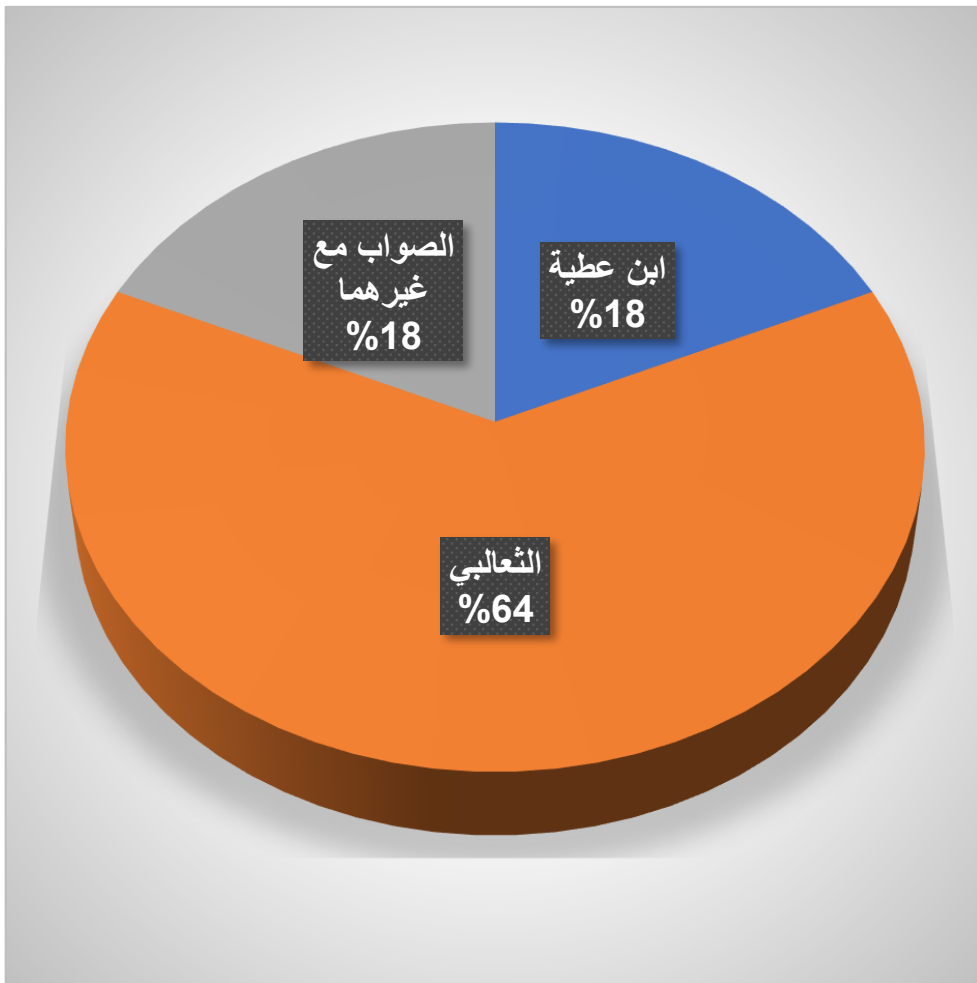
## تعقبات في العقيدة

14	مجموع المسائل
6	ابن عطية
7	الثعالي
1	لم يتبين لي الصواب



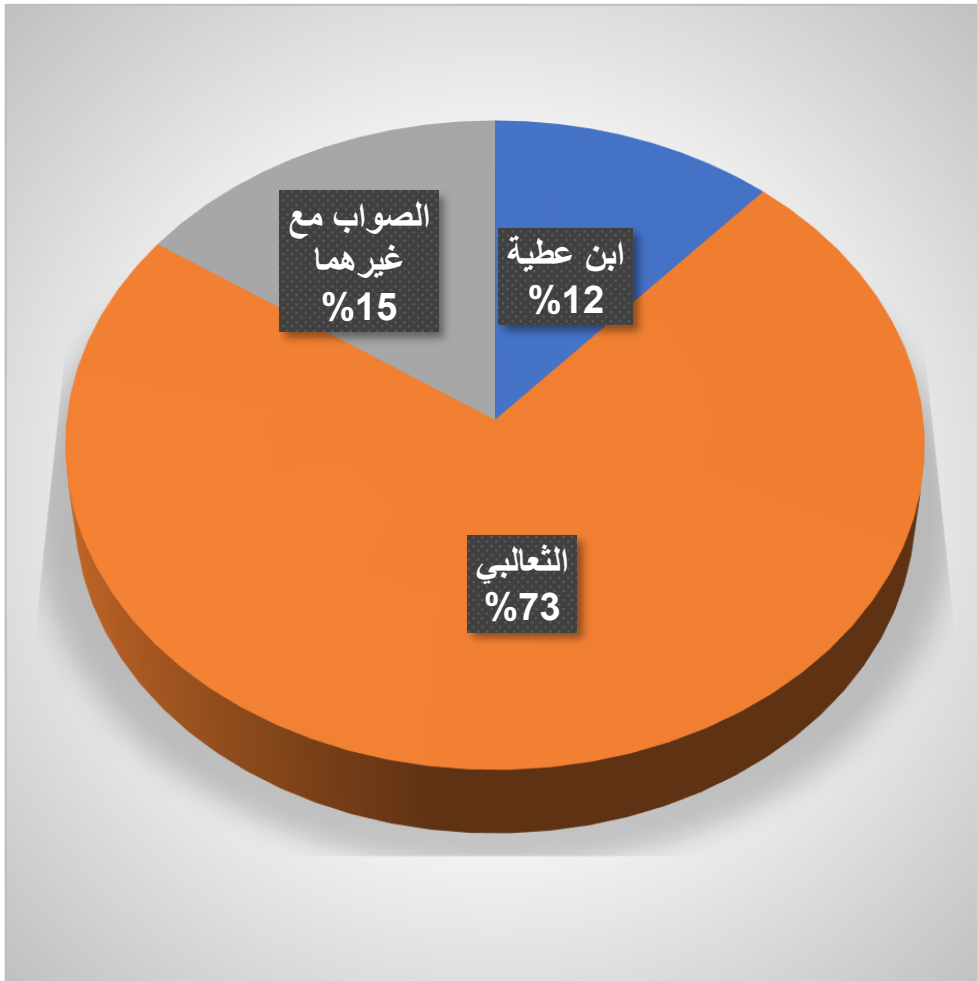
## تعقبات في علوم القرآن

11	مجموع المسائل
2	ابن عطية
7	الثعالبي
2	الصواب مع غيرهما



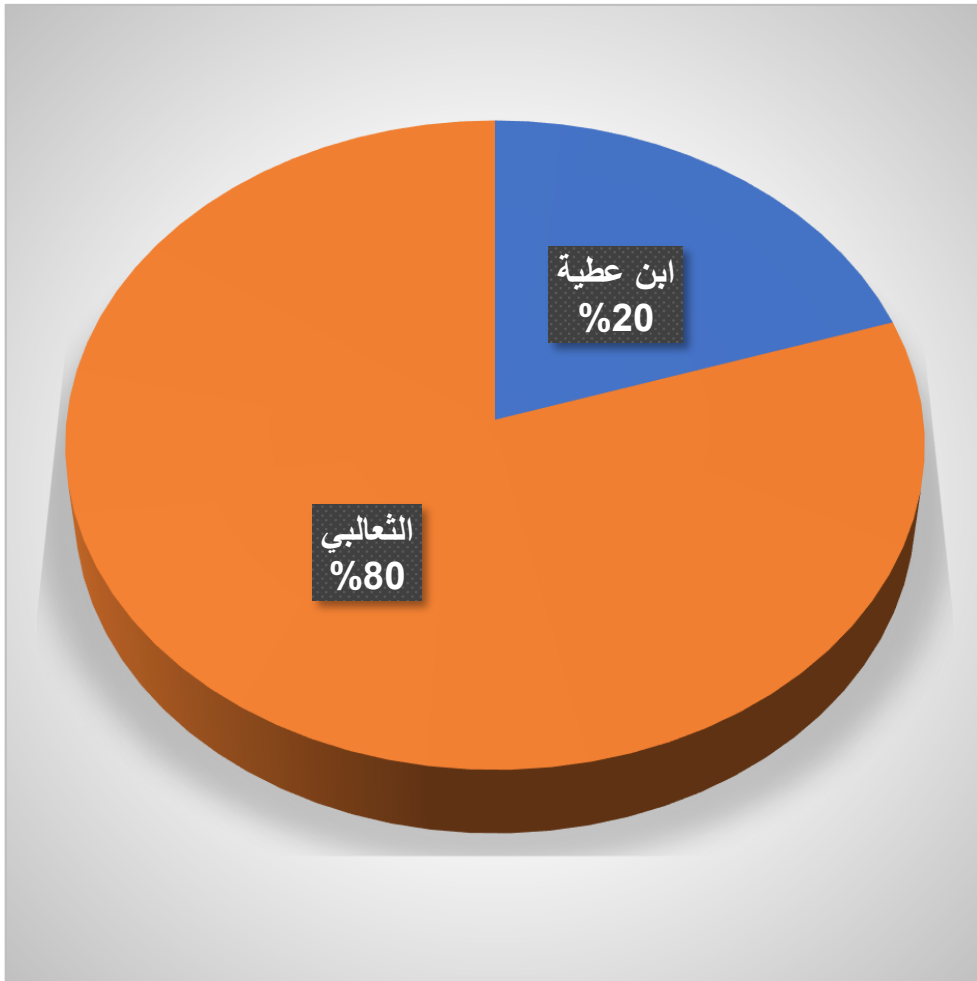
## تعقبات في التفسير

26	مجموع المسائل
3	ابن عطية
19	الثعالي
4	الصواب مع غيرهما



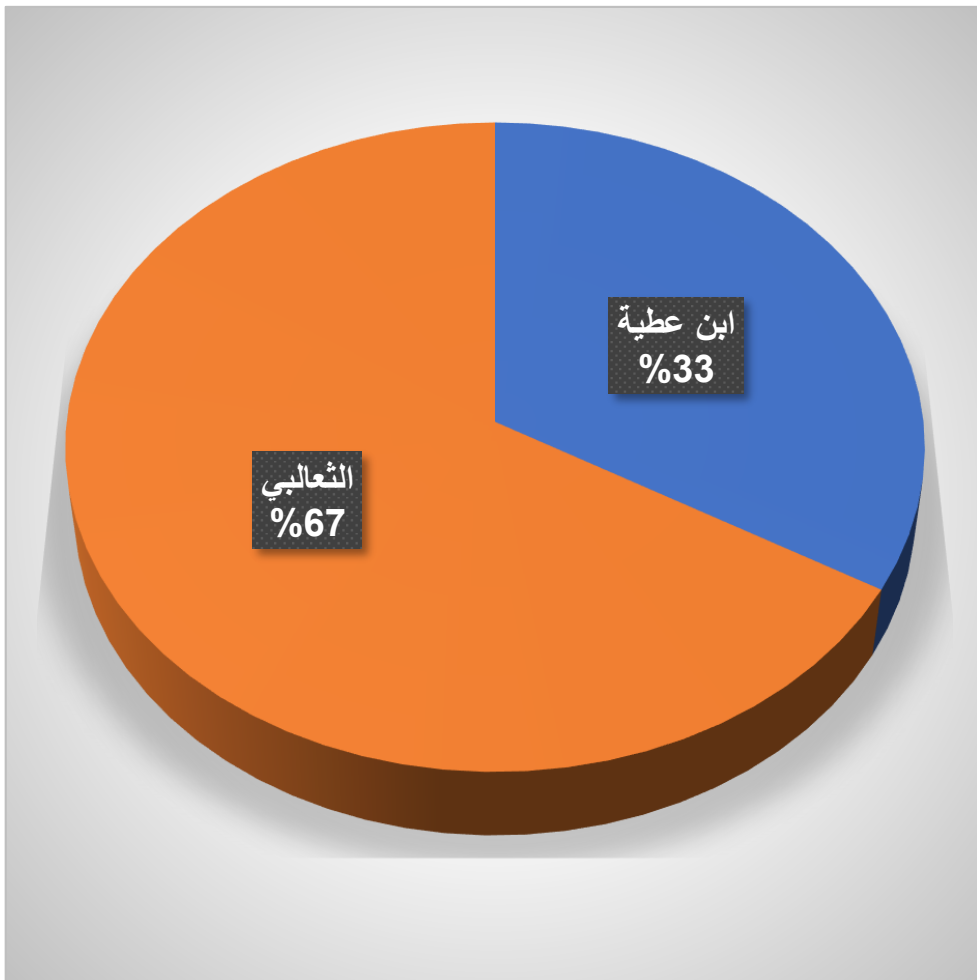
## تعقبات في اللغة والنحو

8	مجموع المسائل
2	ابن عطية
6	الثعالبي



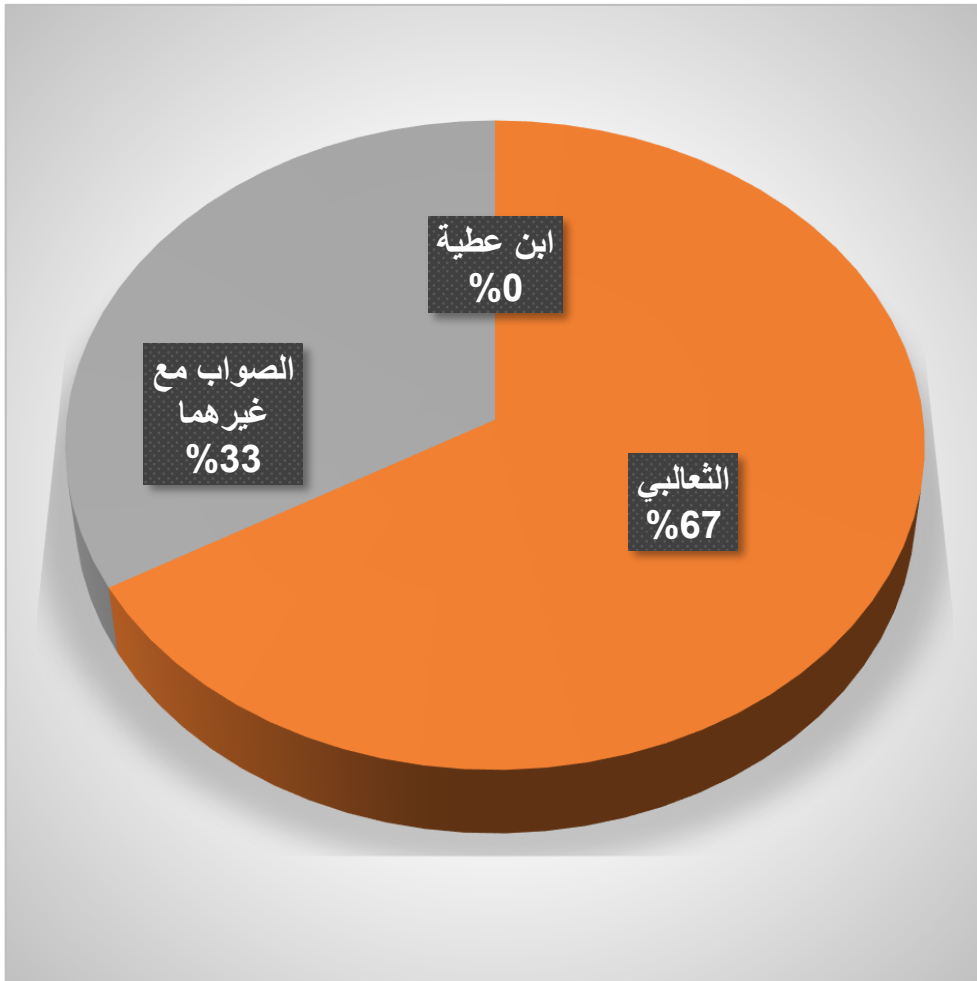
## تعقبات في علوم الحديث

3	مجموع المسائل
1	ابن عطية
2	الثعالي



## تعقبات في الفقه

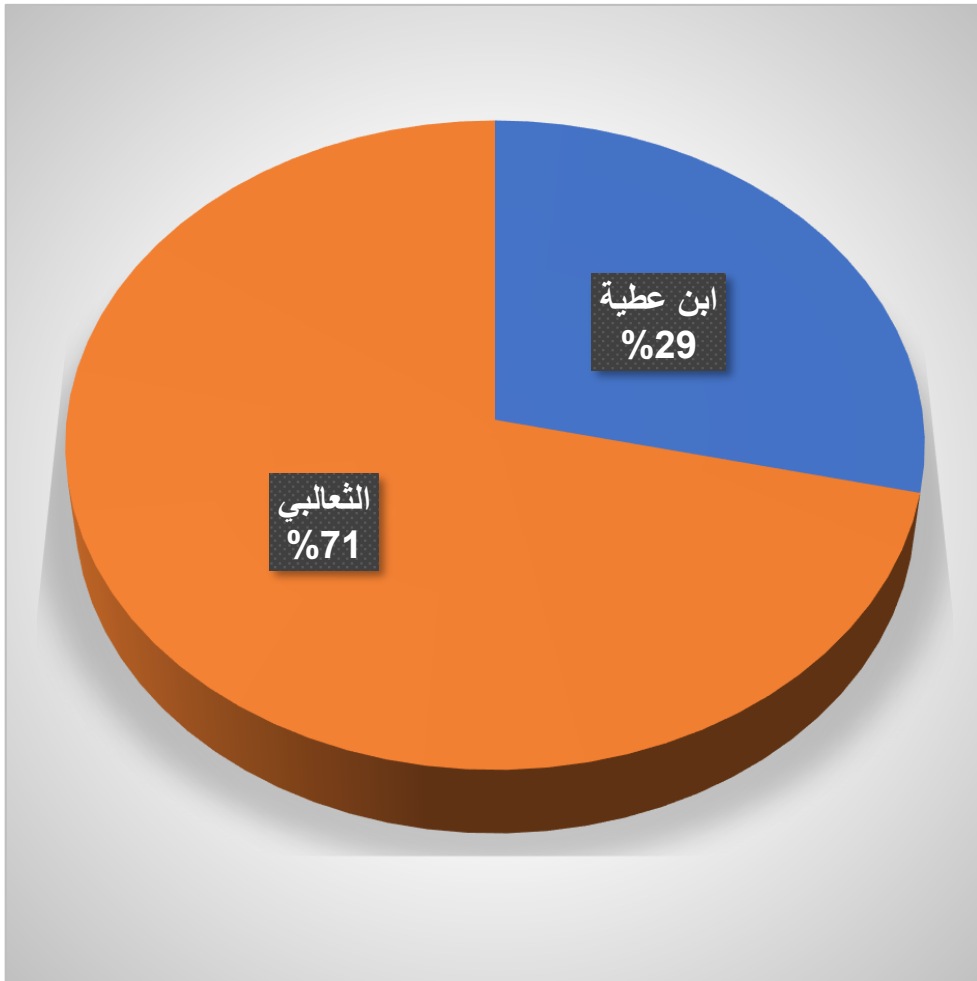
6	مجموع المسائل
0	ابن عطية
4	الثعالبي
2	الصواب مع غيرهما





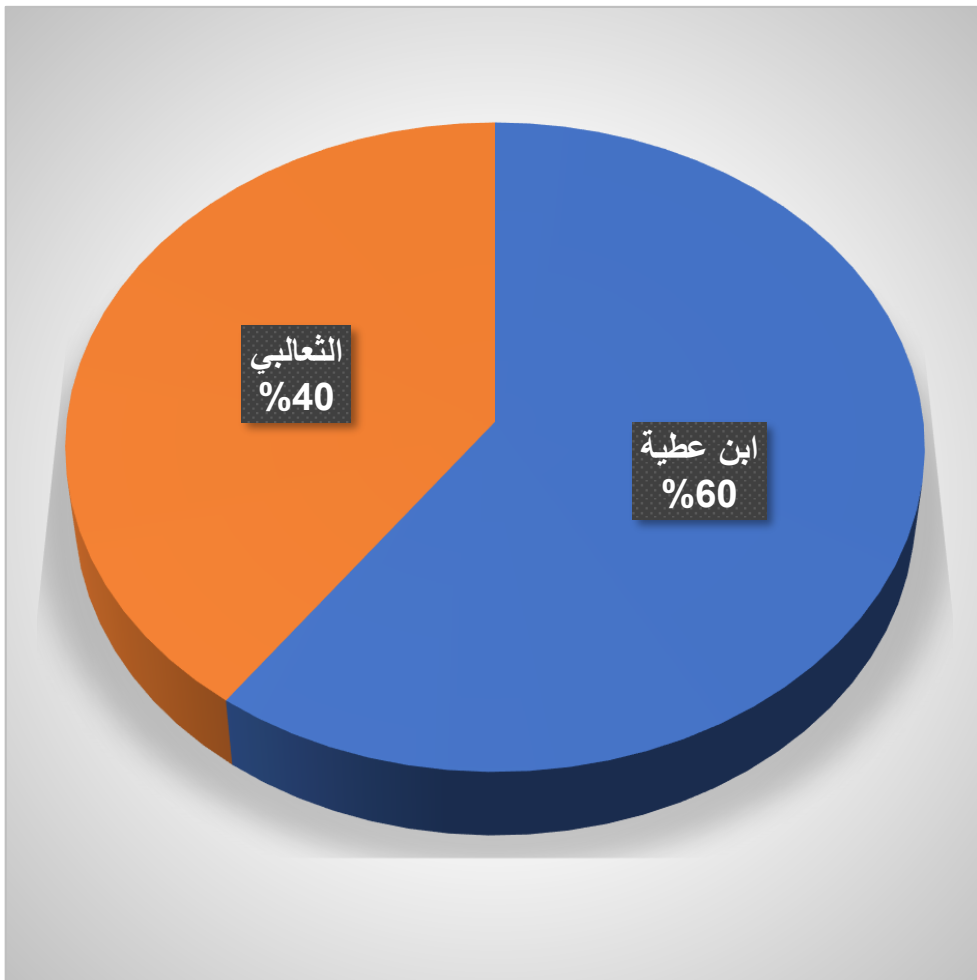
## تعقبات في السيرة وقصص الأنبياء

7	مجموع المسائل
2	ابن عطية
5	الثعالي



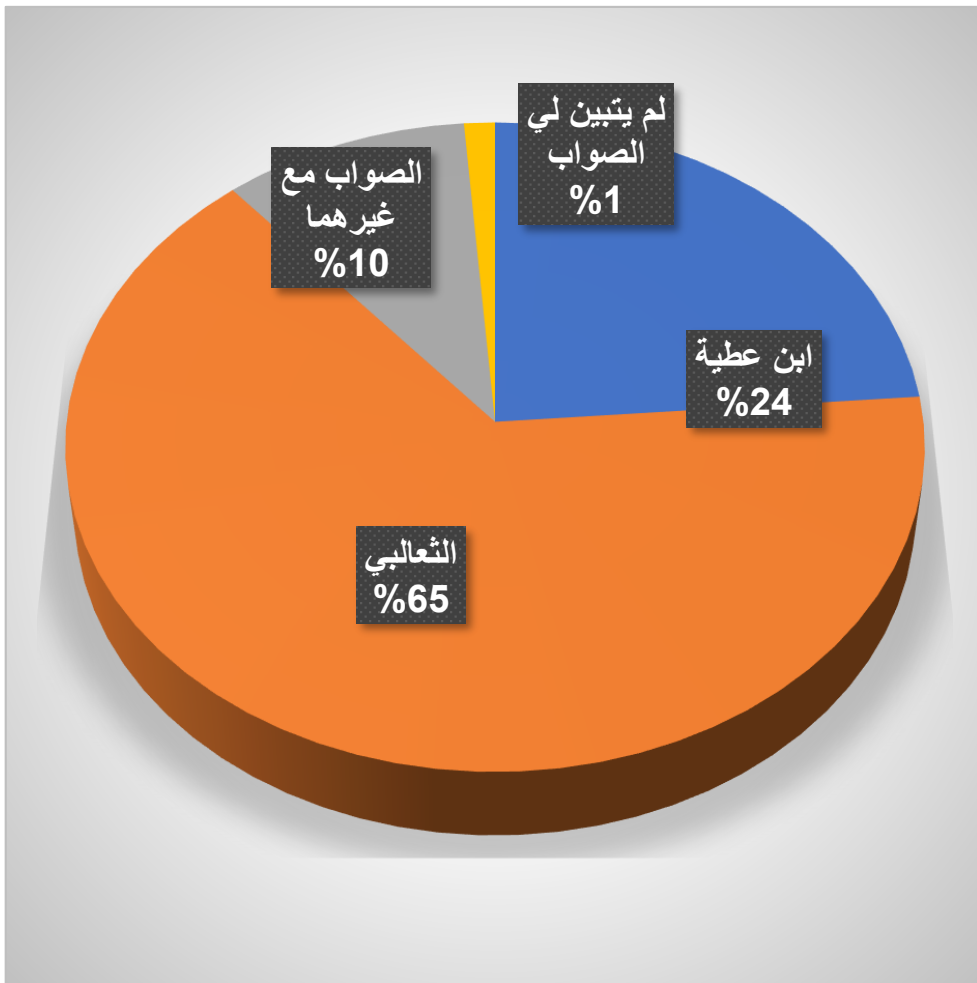
## تعقبات أخرى

5	مجموع المسائل
3	ابن عطية
2	الثعالي



## مجموع التعقبات

80	مجموع المسائل
19	ابن عطية
52	الثعالي
8	الصواب مع غيرهما
1	لم يتبين لي الصواب



# الفهارس

# فهرس الآيات

الصفحة	طرف الآية ورقمها
سورة الفاتحة	
42	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ﴾
سورة البقرة	
249، 75	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمِنَّا ﴾ [14]
232	﴿ سُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [23]
129	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [29]
149، 109، 98 155، 154، 150 156	﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [30]
149، 109، 98	﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [31]
68	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ [34]
128	﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [35]
400، 35	﴿ فَلَنَقِيَّ ءَادَمَ مِنْ رَبِّهِ ؕ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾
131، 130	﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [38]
237، 104	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [44]
370	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾
397، 175	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [48]
180	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِيَّاكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ ﴾ [54]
180، 179	﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [55]
70	﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ [56]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
384	﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ [58]
248	﴿ وَيَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ عَنِ بَعْضِ الْحَقِّ ﴾ [60]
41	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ [63]
65	﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ [75]
241	﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [79]
17	﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسَكُمُ ﴾ [85]
73	﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا ﴾ [95]
128	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ [103]
183	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [113]
131 ، 112	﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [120]
397	﴿ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [122]
147	﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [132]
386	﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ [133]
153	﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ [135]
288	﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ [144]
240 ، 183	﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [146]
73	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامُوتٌ ﴾ [154]
88	﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعْبِ اللَّهِ ﴾ [158]
277	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [172]
361 ، 360	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ ﴾ [173]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
241	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [174]
213، 108	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾ [180]
242	﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [186]
85، 84، 83	﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ [187]
187، 115، 41، 91	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [204]
89	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ [205]
206، 190	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ [207]
201، 200	﴿ وَكُفْرًا بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [217]
40	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [225]
294	﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [244]
39	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [245]
42	﴿ وَقَتَلَ دَاوُدَ دَجَالُوتَ ﴾ [251]
82	﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [254]
112، 105، 40	﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [255]
72	﴿ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [261]
214	﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوقَفْ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [272]
46	﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدِينَ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [282]
87	﴿ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [283]
91	﴿ - أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [285]
87	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [286]



الصفحة	طرف الآية ورقمها
سورة آل عمران	
211	﴿ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴾ [20]
	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [38]
68	﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [47]
69، 68	﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (59)
181، 109، 108	﴿ هَآنَتُمْ هَآؤَآءَ حَاجِبَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [66]
206	﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [79]
398	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [110]
81	﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [135]
132	﴿ إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذَوْكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ [149]
276	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ [173]
124	﴿ سَيَطْرِفُونَ مَا بِحُلُوبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [180]
سورة النساء	
199، 68، 40	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [1]
367	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [10]
398	﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ [17]
262	﴿ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ النَّارَ ﴾ [18]
127، 125	﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ [128]
45	﴿ وَإِنْ يَنْفَرُوا يَعْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعْتِهِ ﴾ [130]
112	﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [131]
110	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (132)

الصفحة	طرف الآية ورقمها
136	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [136]
246	﴿ لَا نَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [144]
245، 116، 113	﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ اَجْرًا عَظِيْمًا ﴾ [146]
244، 118، 115، 94	﴿ مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعٰدِيْكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ وَاٰمَنْتُمْ ﴾ [146]
69	﴿ اِنَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ كَمَا اَوْحَيْنَا اِلَى نُوْحٍ وَالتِّيْنِ مَنْ بَعْدَهٗ ﴾ [163]
43	﴿ وَاَلَمْ نَكْمِلْ لَكَ الْكَلِيْمَ ﴿١٦٤﴾ ﴾
سورة المائدة	
362	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اَلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ [3]
384، 107، 64	﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفٰسِقِيْنَ ﴾ [25]
378	﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْاَرْضِ فَسَادًا ﴾ [33]
158	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوا اِتَّقُوا اللّٰهَ وَابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ ﴾ [35]
319	﴿ هَلْ تَنْقِمُوْنَ مِنَّا اِلَّا اَنْ - اٰمَنَّا بِاللّٰهِ ﴾ [61]
131	﴿ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [67]
197	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوا اِلَّا تُحَرِّمُوْا طَيِّبَاتٍ مَا اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ ﴾ [89]
247	﴿ لِيَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ يَخَافُهٗ بِالْغَيْبِ ﴾ [94]
314	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلَّا مَا اَمَرْتَنِيْ بِهِ اَنْ اَعْبُدُوْا اللّٰهَ ﴾ [117]
206	﴿ اِنْ تَعَدَّوْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴾ [118]
سورة الأنعام	
214	﴿ وَاِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ اِلَّا هُوَ ﴾ [17]
211	﴿ وَهُوَ الْغَآهَرُ فَوْقَ عِبَادِهٖ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْحَمِيْدُ ﴿١٨﴾ ﴾
148، 137، 135	﴿ فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ ﴾ [35]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
243، 242	﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ [41]
132	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِسِي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [52]
250	﴿ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلَّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ [70]
81، 80، 35	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [82]
69	﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [91]
332، 117	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ [100]
318	﴿ إِنَّكَ مَا تَعْدُونَ لَأَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿134﴾
364، 363، 362، 361	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ [145].
سورة الأعراف	
68، 39	﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ [11]
36	﴿ وَإِنْ لَمْ تَعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [23]
401، 110، 103	﴿ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [24]
272	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [56]
	﴿ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [128]
180، 177، 115	﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [138]
326، 72	﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي ﴾ [143]
171	﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ [173]
70	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [189]
70	﴿ فَلَمَّا ءَاتِيَهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا ﴾ [190]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
سورة الأنفال	
364	﴿ إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَرَ ﴾ [15]
364	﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ ﴾ [16]
214	﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ [23]
193	﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا آتٍ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [31]
191، 108، 102	﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لِمَنِ هَذَا الْخِطَابُ لِمَنْ وَعَدَّ اللَّهُ يُبَدِّلُهُ يَوْمَئِذٍ مَا كَانَ لَكُمْ بِهِ عَدَّةٌ ﴾ [32]
192، 108، 103	﴿ وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ يَسْمَعَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [33]
192، 108، 103	﴿ وَمَا لَهُمْ أَنْ يَعْتَذِرُوا مِنْهُ وَاللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [34]
211	﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿51﴾ ﴾
365، 364	﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [66]
سورة التوبة	
364	﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ ﴾ [25]
204	﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴾ [54]
276	﴿ إِنْ يُعَفِّفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ ﴾ [66]
101	﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ [74]
225	﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [80]
227	﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ [84]
111	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الْدَوَائِرَ ﴾ [98]
36	﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ [108]
50	﴿ وَمَا كَانَتْ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ﴾ [122]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
111	﴿ صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [127]
سورة يونس	
307	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [2]
71	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْبَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [26]
231، 103	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلٌّ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [38]
401، 104	﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [85]
253، 95	﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ [93]
253، 96	﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ ﴾ [94]
260	﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [98]
257	﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [104]
82	﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [106]
214	﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [107]
سورة هود	
232	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلٌّ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ [13]
212	﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ [31]
202	﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسِيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [41]
266	﴿ وَهَذَا بَعْلٌ شَيْخًا ﴾ [71]
263، 116	﴿ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [73]
90	﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [118]
سورة يوسف	
42	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (2)

الصفحة	طرف الآية ورقمها
138	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِء وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّبًّا بُرْهَنَ رَبِّهٖء ﴾ [24]
390	﴿ إِنِّي أُرْسِيٓ أَعَصِرُ خَمْرًا ﴾ [36]
286	﴿ أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [42]
139	﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيٓ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعْتَنِيٓ ﴾ [53]
154	﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (55)
257، 97	﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [111]
سورة الرعد	
11	﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِء يَحْفَظُونَهُ مِمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ ﴾ [11]
14	﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِء وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [14]
318	﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [31].
سورة إبراهيم	
280	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [6]
279، 95	﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [7]
37	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ [33]
229	﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [36]
82	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [42]
سورة الحجر	
288	﴿ لَوْ مَا تَاتَيْنَا بِالْمَلٰٓئِكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ (7)
66	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ (24)
66	﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (72)

الصفحة	طرف الآية ورقمها
380	﴿ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [88]
سورة النحل	
290	﴿ آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [1]
63	﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ﴾ [22]
83	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [44]
134	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [50]
35	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [64]
73	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾ [106]
266	﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [122]
سورة الإسراء	
171	﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [3]
269	﴿ وَجَعَلْنَا أَيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ﴾ [12]
211	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [17]
376	﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [19]
318	﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [45]
161، 160	﴿ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [64]
210	﴿ إِنَّ عِبَادَ لِي لَسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [65]
148، 144	﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَفَدَدْتَ تَرَكَّنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [74]
144، 131	﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ [75]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
37	﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [79]
165، 164	﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [86]
167	﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ (87)
268، 96	﴿ وَلَقَدْ - آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [101]
سورة الكهف	
219، 99	﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [42]
246	﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [54]
388	﴿ قَالَ أَقْبَلْتَنَّفَسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ [74]
سورة طه	
131	﴿ لَا تَخَافَا ﴾ [4]
65	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [14]
180، 179، 178، 177	﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [88]
326، 73	﴿ قَالُوا لَنْ نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (91)
101، 114، 122، 127، 123	﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [115]
130	﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ [117]
143	﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [121]
130	﴿ ثُمَّ أَجْنِبْهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (122)
368، 367	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [130]
سورة مريم	
383	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِن آهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ (16)



الصفحة	طرف الآية ورقمها
326، 73	﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴾ [26]
85	﴿ يَتَأَخَّتَ هُرُونَ ﴾ [28]
289	﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَابْنُ الْكَتَبِ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿30﴾ ﴾
316	﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿61﴾ ﴾
سورة الأنبياء	
404	﴿ وَالَّتِي أَحْصَدَتْ فَرحَهَا فَفَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [91]
206	﴿ وَقَالُوا ابْتِخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿26﴾ ﴾
155	﴿ لَا يَسْئُرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿27﴾ ﴾
134	﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ ۚ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [29]
سورة الحج	
35	﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ [5]
212	﴿ ثَانِي عَطْفِهِ ۚ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [9].
214	﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ [36]
318	﴿ الْآءَاتُ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [40]
219، 100	﴿ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ [45]
23	﴿ الْمَرْتَرَاتُ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴿63﴾ ﴾
282، 213، 108	﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [77]
سورة المؤمنون	
98	﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَبْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ [44]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
269	﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [50]
274	﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [51]
275	﴿ وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (52)
275	﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (53)
114	﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (104)
214	﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا ﴾ [109]
271، 95	﴿ قَالَ كَمْ لَبِنتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ (112)
273	﴿ قَالُوا لَبِيتْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾ (113)
301، 271	﴿ وَأَنْتُمْ كُفِرْتُمْ بِاللَّيْلِ لَاتُتَّعَمُونَ ﴾ [115]
سورة النور	
211	﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [32]
371، 213، 108	﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [33]
سورة الفرقان	
210، 209، 207	﴿ أَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هُنَالِكَ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [17]
215	﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ (24)
86	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (33)
سورة الشعراء	
307	﴿ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (84)
194	﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (187)
سورة النمل	

الصفحة	طرف الآية ورقمها
13	﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَضُ كَانَتْهَا حَانٌّ وَبَيْنَ مَدْبِرًا وَلَمْ يَعْقِبْ ﴾ [10]
184	﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [14]
219، 100	﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾ [52]
سورة القصص	
265	﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ [29]
144	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [68]
سورة العنكبوت	
267	﴿ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [27]
سورة الروم	
272	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [55]
272	﴿ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾ [56]
سورة لقمان	
83، 82، 81، 80، 35	﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [13]
سورة يس	
230	﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾
211	﴿ يَحْسَرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَاْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [30]
سورة الأحزاب	
132	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿١﴾ ﴾
125	﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ ﴾ [19]
265	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [28]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
265	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [33]
284، 265، 101	﴿ وَذَكَرْتَ مَا يَتَّبِعُنِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ- آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [34]
240	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [45]
سورة فاطر	
155	﴿ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ ۗ ﴾ [1]
سورة الصافات	
176	﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ 64
387	﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ ﴾ 101
سورة ص	
64	﴿ اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ 5
سورة الزمر	
208، 206	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [53]
132	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [65]
سورة غافر	
347	﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ [3]
210، 209	﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [31]
211	﴿ آيَاتِ اللَّهِ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ 48
243	﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۗ ﴾ [60]
262	﴿ فَلَمَّارًا وَأَوْ بِأَسْنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ ۗ ﴾ [84]
262	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ ۗ وَإِيْمَنُهُمْ لَمَّارًا وَأَوْ بِأَسْنَا ﴾ [85]
سورة فصلت	

الصفحة	طرف الآية ورقمها
212، 97	﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ [14]
207	﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [46]
288	﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [43]
سورة الزحرف	
117	﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ [20]
286، 110	﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [53]
210، 209	﴿ يَعْجَبُونَ لَأَخَافُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا آنتُمْ تَخَافُونَ ﴾ [68]
سورة الجاثية	
106، 93	﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [9]
سورة محمد	
293	﴿ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ ﴾ [20]
292	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [22]
99	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ [23]
295	﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [38]
سورة الفتح	
142	﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [2]
381	﴿ وَتُعْزِزُهُ وَتُوقِرُهُ ﴾ [9]
296، 101	﴿ إِنَّمَا يَأْتِي عَوْتَ اللَّهِ ﴾ [10]
350	﴿ كَرَزِعٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ [29]
سورة الحجرات	
109	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [2]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
سورة الذاريات	
215، 97	﴿ قُلِ الْخِرَاصُونَ ﴿10﴾ ﴾
سورة القمر	
306	﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿55﴾ ﴾
سورة ق	
211، 208	﴿ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمُ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ ﴿28﴾ ﴾
209	﴿ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿29﴾ ﴾
211، 208	﴿ يَوْمَ يَقُولُ لِحَبَّهٖمَ هَلْ بِأَمْتَلَاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿30﴾ ﴾
248	﴿ مَن حَسِبَى الرَّحْمٰنِ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿33﴾ ﴾
370، 299، 96	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿39﴾ ﴾
سورة الطور	
119، 100	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِذْنِ الْحَفْصَا بِيَهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴿19﴾ ﴾
119	﴿ كُلُّ أَمْرٍ ءِمْرٌ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿21﴾ ﴾
301، 102	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ ﴿35﴾ ﴾
304	﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْمُونَ ﴿47﴾ ﴾
سورة النجم	
308	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿3﴾ ﴾
308، 116، 96	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿4﴾ ﴾
294	﴿ أَفَرَأَيْتَ أَلِذِي تَتَّوَلَّىٰ ﴿33﴾ ﴾
377، 374	﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿39﴾ ﴾
سورة الرحمن	

الصفحة	طرف الآية ورقمها
161	﴿ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (56)
سورة الحديد	
94 ، 74	﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [12]
سورة المجادلة	
378	﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [11]
سورة الحشر	
126	﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [9]
سورة الممتحنة	
394	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَأَوْلِيَاءَ ﴾ [1]
401 ، 104	﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [5]
سورة الصف	
239	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (2)
239	﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (3)
سورة الجمعة	
378 ، 117 ، 374	﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [9]
سورة المنافقون	
215	﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ ءَأَبْنِي يُؤْفِكُونَ ﴾ [4]
255	﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [6]
سورة التحريم	
194 ، 108 ، 40	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ ﴾ [1]
197	﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [6]

الصفحة	طرف الآية ورقمها
402، 104	﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [12]
الحاقة	
35	﴿ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ وَأَخَذَهُ رَابِعَةً ﴾ (10)
سورة الجن	
97	﴿ وَإِنَّهُ تَغَلَّبَ جَدُّ رَبِّنَا مَا ابْتَدَعَ صِحْبَهُ وَلَا وَلَدًا ﴾ [3]
سورة المزمل	
29	﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (5)
سورة المدثر	
112، 105	﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [31]
113	﴿ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرَى ﴾ (35)
سورة القيامة	
301	﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (36)
67	﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَىٰ أَنْ نُحْيِيَ الْمُتَوَفَّى ﴾ (40)
سورة المرسلات	
301	﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ (25)
301	﴿ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴾ (26)
سورة المطففين	
111	﴿ وَيَلِلُ اللَّمُطَفِّينَ ﴾ (1)
سورة البروج	
112	﴿ قَبْلَ أَنْ يَنْحَبَّ الْأَخْدُودَ ﴾ (4)
سورة الشمس	



الصفحة	طرف الآية ورقمها
203	﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا ② ﴾
203	﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ⑥ ﴾
	﴿ فَلَا إِفْنَحَمُ الْعُقْبَةَ ⑪ وَمَا أَدْرَبَكَ مَا الْعُقْبَةُ ⑫ ﴾
سورة الليل	
376	﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ ﴾
سورة الشرح	
348	﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ ﴾
سورة التين	
354	﴿ وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ ﴾
سورة الزلزلة	
213	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ ﴾
سورة الهمزة	
111	﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ① ﴾

فهرس

الأحاديت والآثار

الصفحة	صاحب الأثر	طرف الحديث أو الأثر
126، 125		«اتَّقُوا الشَّحَّ؛ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»
366		«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ»
241	ابن عباس	«أَحْبَابُ الْيَهُودِ وَجَدُوا صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ مَكْتُوبَةً فِي التَّوْرَةِ»
159		«إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ»
67		«إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ أَوْ سَمِعَ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلِيِّ أَنْ يُجِئَ الْمُؤْمِنَ﴾»
67		«إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾»
139		«إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُ لَهُ حَسَنَةً»
255		«افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»
67		«اقْرءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»
66		«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»
246		«أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»
45		«الْبَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا»
149	ابن عباس	«إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنْ الْخَلِيفَةَ يُقْسِدُ وَيَسْفِكُ»
165	ابن مسعود	«تَطْرُقُ النَّاسَ رِيحُ حَمْرَاءَ»
113		«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»
351		«الزَّرْعُ: النَّبِيُّ ﷺ، ﴿فَتَأْزِرُهُ﴾: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»
127	ابن عباس	«الشَّحُّ هَوَاهُ فِي الشَّيْءِ يَجْرُصُ عَلَيْهِ»
74		«الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلْمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلْمَ الْقِرْصَةِ»
177		«اللَّهُ أَكْبَرُ قَلْتُمْ وَاللَّهُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ»
230		«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»
146		«اللَّهُمَّ لَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»
110		«اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ»
160		«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ»
368		«أَمَّا إِيَّاكُمْ سَتْرُونَ رِيَكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ»
273		«أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَدْخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ»

الصفحة	صاحب الأثر	طرف الحديث أو الأثر
275		«إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا»
164		«إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا ولكن يقبض العلم بقبض العلماء...»
170		«إن الله ليرفع ذرية المؤمن حتى يلحقهم به»
174		«أن النار اشتكت إلى ربها»
125		«أن تصدق وأنت صحيح صحيح»
162		«إن فيكم مغربين»
176		«إن لله جلساء يوم القيامة»
238		«إن لم تحش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله ﷻ فافعل»
37		«إن هذا الجمل شكى إلي أنك تجيعه وتُدئبه»
86		«إن وسادك لعريض»
388		«أنا ابن الذبيحين»
38		«أنت يا علي وشيعتك من خير البرية»
301		«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته»
84		«إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»
89، 87		«إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»
227		«إني حيرت فاخترت»
124		«أىكون المؤمن بخيلا؟»
277		«بذلك أمرت الرسل أن لا يأكلوا إلا طيبا»
86		«تسحرت مع رسول الله ﷺ هو النهار، إلا أن الشمس لم تطلع»
104		«رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض ألسنتهم»
385		«رب أدني إلى الأرض المقدسة رمية حجر»
386		«ردوا علي أبي»
356		«سجد رسول الله ﷺ والمسلمون في النجم»
381		«فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها»
391		«فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان»
355		«فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه إلا رجلا»

الصفحة	صاحب الأثر	طرف الحديث أو الأثر
374		«فلا تأتوها وأنتم تسعون»
372		«قد وجب أجرك ورجعت إليك في الميراث»
356		«قرأ النبي ﷺ بمكة والنجم فسجد وسجد من عنده»
378، 96		«قوموا إلى سيدكم»
30		«قيّدوا العلم بالكتاب»
237		«كان الأخبار يأمرون أتباعهم ومقلّديهم بإتباع التوراة، وهم يخالفونها»
290		«كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»
201		«لا تحلفوا بأبائكم»
164		«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»
268		«لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا»
382		«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يُعظّم بعضها بعضا»
123		«لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم أبدا»
228		«لأزيدن على السبعين»
38		«لعن الله العاضة والمستعضة»
73		«لالشهيد عند الله ثمان خصال»
73		«لالشهيد عند الله ست خصال»
70		«لما حملت حواء طاف بها إبليس»
364		«لن تغلب اثنا عشر ألفا من قِلّة»
347		«لن يغلب عسر يسرين»
109		«لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله»
374	ابن مسعود	«لو قرأت: ﴿فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لأسرعت حتى يقع ردائي»
348		«لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرج»
82، 81		«ليس كما تقولون ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾»
380		«ما دخلت على رسول الله ﷺ إلا قام أو تحرك»
381		«ما رأيت أحدا كان أشبه سمناً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ من فاطمة»
242		«ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث»

الصفحة	صاحب الأثر	طرف الحديث أو الأثر
243		«ما من مسلم دعا الله عزّ وجلّ بدعوة ليس فيها قطيعة رحم»
295		«ما من وال يلي رعية من المسلمين»
141		«ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين»
380		«مرحبا بالراكب المهاجر»
382		«من أحبّ أن يمثّل له الرّجال قياما فليتبوّأ مقعده من النّار»
159		«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة»
176		«من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجا من نور»
200		«من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»
65		«من نسي صلاة، فليصلّها إذا ذكرها»
162	ابن عباس	«هؤلاء المختنون»
386		«هذا بقية آبائي»
294		«هم هذا الحي من قريش»
237		«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر»
10		«وأنا العاقب»
382		«وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك»
11		«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...»
167		«يُدْرُس الإسلام كما يدرس وشي الثوب»
75		«يوشك الأمم أن تتداعى عليكم»

# فهرس الأعلام

الصفحة	العلم المترجم له
133	ابن أبي زمنين
360	ابن الحاجب
24	ابن الطلاع
90	ابن المظفر الرازي
33	ابن المواز
24	ابن حمدين الثعلبي
24	ابن عتاب الأموي القرطي
32	ابن فورك
228	ابن نور الدين
52	أبو الحسن التالوتي الأنصاري
32	أبو الحسن الرماني
32	أبو العباس أحمد بن عمار المهدي
52	أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني
25	أبو القاسم ابن حبيش
51	أبو القاسم البرزلي
34	أبو القاسم بن الجلاب
25	أبو بكر الإشبيلي
123	أبو بكر الطرطوشي
315	أبو جعفر الغرناطي
25	أبو جعفر اللّخمي القرطي
51	أبو عبد الله الأبي
26	أبو عبد الله الطنجالي
24	أبو علي ابن سكرة
24	أبو علي الجيّاني
26	أبو محمد بن الفرس
51	أحمد بن أبي زيد النقاوسي



الصفحة	العلم المترجم له
140	التفتازاني
373	الحسن بن حيّ
152	الربيع بن أنس
361	الرجراجي
142	السجزي
382	السدوسي
182	السيدي
140	السفيري
133	السمرقندي
51	الشريف التلمساني
21	عبد الرحمان بن غالب بن تمام بن عطية
151	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
33	عبد الله بن عبد الحكم
33	عبد الملك بن حبيب
53	علي بن عبّاد التستري
49	علي بن عثمان المانجلاتي
52	عيسى بن يحيى الغبريني
21	غالب بن تمام بن عطية
52	محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد
160	محمد بن الحسن الموصلبي
129	محمد بن عطاء الإسكندري
20	مطرف بن عيسى
226	المقري
323	مؤرج السدوسي
136	النسفي
322	الهدلي

الصفحة	العلم المترجم له
52	ولي الدين العراقي
189	يحي العامري

# فهرس الأثعار

الصفحة	القائل	البيت الشعري
42	راشد السلمي	أَرَبُّ يَبُولِ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ ...
153	جرير	أَلَسْتُمْ خَيْرُ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ...
43	النابغة	تَحَبُّ إِلَى التَّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ ...
390	صفوان بن المعطل	تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي ...
389	ليلى الأخيلية	شَفَاها مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِي هِما ...
199	سبيويه	فَالْيَوْمَ قَدْ بَتَّ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا ...
339	أحد الشعراء الهذليين	فَجَاءَ بِها ما شِئتَ مِنْ لَطْمِيَةٍ ...
207	امرئ القيس	قَوْلًا لِدُودَانَ عَبِيدِ العَصَا ...
220	الخنساء	كان أبو حسان عَرشاً حوى ...
324	الهذلي	لو أَشْرَبُ السُّلُوانَ ما سَلِيتُ ...
199	مسكن الدارمي	نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سِيُوفِنَا ...
328	أبو طالب	وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ...
42	ليبيد	وأهْلَكْنَ يَوْمًا رَبَّ كِنْدَةَ وابْنَهُ ...
322	أبو ذؤيب	وَقاسَمَهَا بِاللَّهِ عَهْدًا لَأَنْتُمْ ...
329	قعنب بن أم صاحب	ولن يراجِعَ قَلْبِي حَبَّهم أَبداً ...

فهرس

الألفاظ الغريبة

الصفحة	اللفظ
37	الجَهَش
174	حَنْدَس
381	الدَّل
177	ذَاتُ أَنْوَاط
38	العِاضِهَة
82	العَسْفُ
124	الكِرَاة
38	المُسْتَعِهَة

فهرس

الأماكن والبلدان

الصفحة	المكان
23	إشبيلية
20	إبيرة
50	بجاية
23	بلنسية
337	بني مُلّيح
23	السوس
21	غرناطة
23	قرطبة
48	قرول
23	مرسية



فهرس

المصادر والمراجع

كتب التفسير وعلوم القرآن

1. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف (ت: 745هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: 1، 1420 هـ.
2. الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). ت: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1، 1394هـ/ 1974 م.
3. الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضير، دار الوطن، السعودية، د، ت، ط.
4. أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي (ت: 543هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 3، 1424 هـ - 2003 م.
5. أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، ت: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1405 هـ، 1992 م.
6. أحكام القرآن، أبو جعفر الطحاوي (ت: 321هـ)، ت: سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية، اسطنبول، ط: 1، 1416 هـ - 1995 م.
7. أحكام القرآن، إسماعيل الجهضمي (ت: 282هـ)، ت: عامر حسن صبري، دار ابن حزم - بيروت، ط: 1، 1426هـ، 2005 م.
8. أحكام القرآن، الكيا الهراسي (ت: 504هـ)، ت: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1405 هـ.
9. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د، ت، ط.
10. أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي (ت: 468هـ)، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط: 2، 1412 هـ - 1992 م.
11. استدراقات ابن عطية في المحرر على الطبري في جامع البيان، شايح الأسمري، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، السعودية، ط: 1، 1427هـ.
12. استدراقات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى، نايف الزهراني، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: 1، 1430هـ.
13. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت: 1393هـ)، دار الفكر بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م.

14. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي (ت: 691هـ)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1 - 1418 هـ.
15. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 5، 1424هـ/2003م.
16. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن عجيبة (ت: 1224هـ)، ت: أحمد رسلان، حسن زكي - القاهرة، ط: 1، 1419 هـ.
17. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، ط: 1، 1376 هـ - 1957 م.
18. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز آبادي، ت: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ت ط.
19. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1423هـ\_2002م.
20. تأويلات أهل السنة، أبو المنصور الماتريدي (ت: 333هـ)، ت: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1، 1426 هـ - 2005 م.
21. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.
22. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي (ت: 597هـ)، ت: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م.
23. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد ابن جزى (ت: 741هـ)، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: 1 - 1416 هـ.
24. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام، ت: هند شلي، الشركة التونسية للتوزيع، ط: 1، 1979م.
25. التعقبات المفيدة على كتاب كلمات القرآن تفسير وبيان لمخولف، محمد الخميس، دار الصمعي، الرياض، ط: 1، 1414 هـ.
26. تفسير ابن عرفة، محمد بن عرفة (ت: 803هـ)، ت: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، ط: 1، 1986م.
27. تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك (ك: 406هـ)، ت: علال عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1430 - 2009 م.

28. تفسير التستري، سهل التستري (ت: 283هـ)، ت: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1423 هـ.
29. تفسير الثوري، سفيان الثوري (161 هـ)، ت: لجنة من الباحثين بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط: 1، 1403هـ/1983.
30. تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، ت: محمد بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط: 1، 1420 هـ - 1999 م.
31. تفسير القرآن العزيز، محمد بن أبي زمنين (ت: 399هـ)، حسين بن عكاشة - محمد الكنز، الفاروق الحديثة - مصر، ط: 1، 1423 هـ - 2002 م.
32. تفسير القرآن العزيز، منصور بن محمد السمعاني (ت: 489هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم. غنيم بن غنيم. دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: 1، 1418هـ - 1997 م.
33. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير (ت: 774هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420 هـ - 1999 م.
34. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، (ت: 327هـ)، ت: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: 3، 1419 هـ.
35. تفسير القرآن الكريم «سورة الشعراء»، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ العثيمين الخيرية - السعودية، ط: 1، 1436 هـ.
36. تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، عبد الله ابن وهب (ت: 197هـ)، ت: ميكوش موراني، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1، 2003 م.
37. تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني (ت: 489هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم - غنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: 1، 1418هـ - 1997 م.
38. تفسير القرآن، العز بن عبد السلام (ت: 660هـ)، ت: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط: 1، 1416هـ/1996 م.
39. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، د، ت، ط.
40. التفسير القيم، ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط: 1-1410 هـ.
41. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط: 1، 1365 هـ - 1946 م.

42. التفسير المظهري، محمد المظهري (ت: 1225هـ). غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - باكستان، ط: 1، 1412 هـ.
43. تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط: 1990، 1 م.
44. التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - مصر، ط: 1، 1393 هـ، 1973 م.
45. تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني (ت: 211هـ)، دار الكتب العلمية، ت: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1419 هـ.
46. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر (ت: 104هـ)، ت: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط: 1، 1410 هـ - 1989 م.
47. تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان (ت: 150هـ)، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط: 1 - 1423 هـ.
48. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزوق، دار ابن الجوزي - السعودية، ط: 1، 1426 هـ.
49. التفسير والمفسرون، حسين الذهبي (ت: 1398هـ)، مكتبة وهبة - القاهرة، د ت ط.
50. التفسير ورجاله، محمد الفاضل ابن عاشور، دار السلام - القاهرة، ط: 1، 2008 م.
51. تفسير يحيى بن سلام (ت: 200هـ)، ت: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م.
52. توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل بن عبد العزيز الحرمللي (ت: 1376هـ)، ت: عبد العزيز بن عبد الله آل محمد، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1416 هـ - 1996 م.
53. تيسير البيان لأحكام القرآن، محمد بن نور الدين (ت: 825 هـ)، ت: عبد المعين الحرش، دار النوادر - سوريا، ط: 1، 1433 هـ - 2012 م.
54. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ت: 1376هـ). ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م.
55. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ت: 444 هـ). ت: خلف الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع - السعودية، ط: 1، 1436 هـ - 2015 م.
56. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م.
57. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن الإيجي (المتوفى: 905هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1424 هـ - 2004 م.

58. الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964م.
59. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي (ت: 876هـ)، ت: عمار الطالبي، عالم المعرفة - الجزائر، ط: خاصة، 2011م.
60. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي (ت: 1069هـ)، دار صادر - بيروت، د، ت، ط.
61. حجة القراءات، عبد الرحمن ابن زنجلة (ت: حوالي 403هـ). ت: سعيد الأفغاني، دار الرسالة - بيروت، ط: 5، 1418هـ، 1997م.
62. الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (ت: 377هـ)، ت: بدر الدين قهوجي - بشير جويجايي، دار المأمون للتراث - دمشق، ط: 2، 1413هـ - 1993م.
63. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (ت: 756هـ)، ت: أحمد الخراط، دار القلم - دمشق، د ت ط.
64. دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي - دراسة نظرية تطبيقية، عبد الله بن عبد الرحمن الرومي، دار التدمرية - السعودية، ط: 1، 1431هـ، 2010م.
65. درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي (ت: 420هـ). ت: محمد آيدين، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط: 1، 1422هـ - 2001م.
66. درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)، محمد شكور أمير، دار الفكر - عمان، الأردن، ط: 1، 1430هـ - 2009م.
67. درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني، ت: وليد الحسين، دار الحكمة - بريطانيا، ط: 1، 1429هـ - 2008م.
68. الدرر المنشور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). دار الفكر - بيروت، د ت ط.
69. الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، عبد الرحمن الثعالبي (ت: 876هـ)، ت: محمد شايب، دار الكتب العلمية - لبنان، 1439هـ، 2018م.
70. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي (ت: 1270هـ)، ت: علي عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1415هـ.
71. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 1 - 1422هـ.

72. السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد (ت: 324هـ)، ت: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط: 2، 1400هـ.
73. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني (ت: 977هـ)، مطبعة بولاق - القاهرة، 1285 هـ.
74. شرح طيبة النشر في القراءات، (ت: 833هـ). ت: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 2، 1420 هـ - 2000 م.
75. شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي - السعودية، ط: 2، 1432هـ.
76. العجائب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، ت: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي - السعودية، ط: 1، 1418هـ - 1997م.
77. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني (ت: 505هـ)، ت: يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، د، ت، ط.
78. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت: 850هـ)، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1416 هـ.
79. غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398 هـ - 1978 م.
80. فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القنوجي (ت: 1307هـ)، ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، 1412 هـ - 1992م.
81. فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين المقدسي، ت: نور الدين طالب، دار النوادر - السعودية، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م.
82. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير - دمشق، ط: 1، 1414 هـ.
83. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الطيبي، ت: جميل بني عطا - دبي، 2013 م.
84. فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: 1، 1415 هـ - 1995 م.
85. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله النخجواني، دار ركابي - مصر، ط: 1، 1419 هـ - 1999 م.

86. القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، دار الفكر - دمشق، ط:1، 1419 هـ - 1999 م.
87. القطع والائتناف، أبو جعفر النَّحَّاس (ت: 338هـ)، ت: عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب - المملكة العربية السعودية، ط:1، 1413 هـ - 1992 م.
88. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، دار القاسم - الرياض، ط:1، 1417هـ، 1996م.
89. قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، دار القاسم - الرياض، ط:1، 1417هـ، 1996م.
90. القواعد والإشارات في أصول القراءات، أحمد الحموي (ت: 791هـ)، ت: عبد الكريم بكار، دار القلم - دمشق، ط:1، 1406 هـ - 1986م.
91. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمداني (ت: 643 هـ)، ت: محمد الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع - السعودية، ط:1، 1427 هـ - 2006 م.
92. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط:3 - 1407 هـ.
93. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: 427 هـ)، ت: مجموعة من الباحثين بإشراف: صلاح باعثمان، دار التفسير - السعودية، ط: 1، 1436 هـ - 2015 م.
94. لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الخازن (ت: 741هـ)، ت: محمد شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1415 هـ.
95. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي (ت: 775هـ)، ت: عادل عبد الموجود - علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1419 هـ - 1998م.
96. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: 465هـ)، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط: 3، 2000م.
97. مباحث التفسير، ابن المظفر الرازي (ت: 631هـ)، ت: حاتم القرشي، كنوز إشبيليا - السعودية، ط:1، 1430 هـ - 2009 م.
98. المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني (ت: 381هـ)، ت: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، 1981 م.
99. المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر النيسابوري (ت: 381هـ)، ت: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، ط:1، 1981 م.



100. مجاز القرآن، معمر بن المثنى (ت: 209هـ)، ت: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: 1، 1381هـ.
101. محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، ت: محمد باسل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1418 هـ.
102. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1422 هـ.
103. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد المزيني، دار ابن الجوزي - السعودية، ط: 1، 1427 هـ - 2006 م.
104. مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ط: 1، 1426هـ/ 2005م.
105. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي (ت: 710هـ)، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، ط: 1، 1419 هـ - 1998م.
106. مدرسة التفسير في الأندلس، مصطفى المشيني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1406هـ - 1989م.
107. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي (ت: 510هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 1420 هـ.
108. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، ت: عبد الجليل شلي عالم الكتب - بيروت، ط: 1، 1408 هـ - 1988 م.
109. معاني القرآن، أبو الحسن الأخفش (ت: 215هـ)، ت: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: 1، 1411 هـ - 1990 م.
110. معاني القرآن، يحيى الفراء (ت: 207هـ). ت: أحمد النجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط: 1، د، ت.
111. معجم القراءات القرآنية، حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط: 2، 1385 هـ - 1965م، (6/ 192).
112. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 3، 1420هـ.
113. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، ت: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، ط: 1 - 1412 هـ.
114. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين الحراي، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ط: 1، 1980م.

115. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر الغرناطي (ت: 708هـ)، ت: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د، ت، ط.
116. منهج ابن عطية في التفسير، عبد الوهاب فايد، المطبعة الأميرية - القاهرة، ط: 1، 1393هـ.
117. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو بكر بن العربي، ت: عبد الكبير المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، 1413 هـ، 1992م.
118. الناسخ والمنسوخ، ابن حزم الأندلسي، (ت: 456هـ)، ت: عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1406 هـ - 1986م.
119. الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم المقري (ت: 410هـ)، ت: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 1، 1404 هـ.
120. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس (ت: 338هـ)، ت: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، ط: 1، 1408هـ.
121. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ)، ت: محمد كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1404 هـ - 1984م.
122. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (ت: 885 هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، د، ت، ط.
123. النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي (ت: 450هـ)، ت: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت، د ت ط.
124. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، مكّي بن أبي طالب (ت: 437هـ)، ت: مجموعة من الباحثين بإشراف: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: 1، 1429 هـ - 2008م.
125. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي الواحدي (ت: 468هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1415 هـ - 1994م.
126. ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، محمد الباوّدي (ت: 345هـ)، ت: محمد التركستاني، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط: 1، 1423هـ - 2002م.

#### كتب علوم الحديث

127. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحهما، ضياء الدين المقدسي ت: عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت - لبنان، ط: 3، 1420 هـ - 2000م.

128. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين القسطلاني (ت: 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر، ط: 7، 1323 هـ.
129. الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى (ت: 1409 هـ)، دار السلام، ط: 2، 1412 هـ - 1992 م.
130. الاستذكار، ابن عبد البرّ القرطبي (ت: 463هـ)، ت: سالم عطا - محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1421 هـ - 2000 م.
131. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، أبو سليمان الخطابي (ت: 388هـ)، ت: محمد بن سعد آل سعود، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - السعودية، ط: 1، 1409 هـ - 1988 م.
132. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، ت: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، ط: 1، 1419 هـ - 1998 م.
133. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1357 هـ - 1983 م.
134. تخرّيج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، جمال الدين الزيلعي (ت: 762هـ)، ت: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط: 1، 1414 هـ.
135. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، ت: عاصم القريوتي، مكتبة المنار - عمان، ط: 1، 1403 - 1983 م.
136. التفسير من سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور (ت: 227هـ)، ت: سعد آل حميد، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط: 1، 1417 هـ - 1997 م.
137. تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ط: 1، 1406 هـ.
138. التلخيص الحبير في تخرّيج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1419 هـ، 1989 م.
139. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البرّ القرطبي (ت: 463هـ)، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387 هـ.
140. تنبيه القارئ لتقوية ما ضعفه الألباني، عبد الله الدويش، دار العليان - بريدة، ط: 1، 1411 هـ - 1990 م.
141. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط: 1، 1389 هـ - 1969 م.
142. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: 1، 1326 هـ.

143. جزء ابن ثرثال، أحمد بن ثرثال (ت: 408هـ)، ت: خلاف عبد السميع، دار الكتب العلمية \_ بيروت، ط: 1، 1423 هـ - 2002 م.
144. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف \_ المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1412 هـ / 1992 م.
145. سنن ابن ماجة، محمد ابن ماجة (ت: 273)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية \_ بيروت، د ت ط.
146. سنن أبي داود، أبو داود السجستاني (ت: 275هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد بللي، دار الرسالة العالمية \_ بيروت، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م.
147. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي (ت: 279هـ)، ت: أحمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: 2، 1395 هـ - 1975 م.
148. السنن الصغرى، أحمد النسائي (ت: 303هـ)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: 2، 1406 - 1986 م.
149. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد الزرقاني، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م.
150. شرح سنن أبي داود، شهاب الدين بن رسلان، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث \_ مصر، ط: 1، 1437 هـ - 2016 م.
151. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن ابن بطلال (ت: 449هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد \_ الرياض، ط: 2، 1423 هـ - 2003 م.
152. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي (ت: 321هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة \_ بيروت، ط: 1، 1415 هـ - 1994 م.
153. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد \_ الرياض، ط: 1، 1423 هـ - 2003 م.
154. صحيح البخاري، البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422 هـ.
155. صحيح سنن النسائي، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف \_ الرياض، ط: 1، 1419 هـ، 1998 م.
156. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، علي بن عمر الدارقطني (ت: 385هـ)، ت: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة - الرياض، ط: 1، 1405 هـ - 1985 م.
157. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (ت: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د، ت، ط.

158. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، العظيم آبادي (ت: 1329هـ)، دار الكتب العلمية \_ بيروت، ط: 2، 1415 هـ.
159. غريب الحديث، أبو سليمان الخطابي (ت: 388 هـ)، ت: عبد الكريم الغرباوي، عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر - دمشق، 1402 هـ - 1982 م.
160. غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي (ت: 224 هـ)، ت: حسين شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية \_ القاهرة، ط: 1، 1404 هـ - 1984 م.
161. الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي (ت: 974)، دار الفكر، بيروت، د ت ط.
162. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ.
163. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي (ت: 795 هـ)، ت: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ط: 1، 1417 هـ - 1996 م.
164. الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن حجر الهيتمي (ت: 974 هـ)، ت: أحمد جاسم المحمد \_ قصي الحلاق، دار المنهاج، جدة - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1428 هـ - 2008 م.
165. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي (ت: 902 هـ)، ت: علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م.
166. فتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، ت: محمد الخولي، مكتبة أضواء المنار \_ السعودية، ط: 1، 1431 هـ - 2010 م.
167. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل (ت: 241 هـ)، ت: وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1403 - 1983 م.
168. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، أبو بكر ابن العربي (ت: 543 هـ)، ت: محمد ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط: 1992 م.
169. الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: 743 هـ)، ت: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز \_ السعودية، ط: 1، 1417 هـ - 1997 م.
170. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق الدهلوي، (ت: 958 هـ)، ت: تقى الدين الندوي، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط: 1، 1435 هـ - 2014 م.
171. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين السفييري (ت: 956 هـ)، ت: أحمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م.

172. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي (807هـ)، ت: حسين الدراني، دار المأمون للتراث - بيروت، د ت ط.
173. مختصر صحيح الإمام البخاري، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، ط: 1، 1422 هـ - 2002 م.
174. مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري (ت: 1014هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط: 1، 1422 هـ - 2002 م.
175. المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ)، ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1411 - 1990 م.
176. مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت: 241هـ)، ت: أحمد شاکر، دار الحديث - القاهرة، ط: 1، 1416 هـ - 1995 م.
177. مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر ابن شيبة، (ت: 235هـ)، ت: كمال الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1، 1409 هـ.
178. مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني (ت: 211هـ)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 2، 1403 هـ.
179. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360هـ)، ت: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: 2، د، ت.
180. المعلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد المازري (ت: 536هـ)، ت: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر - تونس، ط: 2، 1988 م.
181. المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين المظهري (ت: 727 هـ)، ت: لجنة مختصة بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر - الكويت، ط: 1، 1433 هـ - 2012 م.
182. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي (ت: 656 هـ)، محيي الدين مستو، أحمد السيد، يوسف بديوي، محمود بزال، دار ابن كثير - دمشق، ط: 1، 1417 هـ - 1996 م.
183. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين السخاوي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 1، 1405 هـ - 1985 م.
184. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 2، 1392 هـ.
185. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد القصاب، ت: شايح الأسمرى، دار القيم، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م.

186. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري (ت: 606هـ)، ت: طاهر الزاوى - محمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

#### كتب العقيدة

187. الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، نجم الدين الطوفي (ت: 716هـ)، ت: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1426هـ - 2005م.

188. آكام المرجان في أحكام الجان، محمد الشلبي (ت: 769هـ)، ت: إبراهيم الجمل، مكتبة القرآن - مصر - القاهرة، د ت ط.

189. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى العمراني (ت: 558هـ)، ت: سعود الخلف، أضواء السلف - الرياض، ط: 1، 1419هـ - 1999م.

190. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر الأسفراييني (ت: 471هـ)، ت: كمال الحوت، عالم الكتب - لبنان، ط: 1، 1403هـ - 1983م.

191. خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، ت: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف - السعودية، د ت ط.

192. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله السجزي (ت: 444هـ)، ت: محمد با عبد الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ط: 2، 1423هـ/2002م.

193. الرّوض الباسم في الدّبّ عن سنة أبي القاسم، محمد ابن الوزير، ت: علي العمران، دار عالم الفوائد، د ت ط.

194. شرح حديث النزول، ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 5، 1397هـ - 1977م.

195. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري (ت: 456هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، د ت ط.

196. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد السفاريني (ت: 1188هـ)، مؤسسة الخافقين ومكنتها - دمشق، ط: 2، 1402هـ - 1982م.

197. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرّفص والاعتزال، شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، ت: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء - السعودية، ط: 3، 1413هـ.

#### كتب الفقه

198. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد (ت: 595هـ)، دار الحديث - القاهرة، د ط، 1425هـ - 2004م.

199. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1990م.
200. الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه، محمد الأزدي القرطبي (ت: 620هـ)، ت: مشهور آل سلمان، دار الإمام مالك، د ت ط.
201. التبصرة، أبو الحسن اللخمي (ت: 478 هـ)، ت: أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية \_ قطر، ط: 1، 1432 هـ - 2011 م.
202. التنبيه على مبادئ التوجيه، إبراهيم المهدي (ت: 536هـ)، ت: محمد بلحسان، دار ابن حزم \_ بيروت - لبنان ط: 1، 1428 هـ - 2007 م.
203. التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق (ت: 776هـ)، ت: أحمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط: 1، 1429هـ - 2008م.
204. الجامع الكبير الملحق بشرح الحاجب، عبد الرحمان الثعالبي (ت: 876هـ)، مخ المكتبة الوطنية \_ الجزائر، رقم: (851)، (ق: 47 أ).
205. الذخيرة، شهاب الدين القراني (ت: 684هـ)، ت: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1، 1994 م.
206. روضة الطالبين وعمدة المفتين، محيي الدين يحيى النووي (ت: 676هـ)، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي \_ بيروت، ط: 3، 1412هـ / 1991م.
207. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد الزرقاني (ت: 1122هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1 1417هـ - 1996م.
208. فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، سليمان بن عمر الجمل (ت: 1204هـ)، دار الفكر \_ بيروت، د، ت، ط.
209. لوامع الدرر في هتك أستار المختصر، محمد المجلسي الشنقيطي (ت: 1302 هـ)، ت: اليدالي بن الحاج أحمد، دار الرضوان، نواكشوط - موريتانيا، ط: 1، 1436 هـ - 2015م.
210. المجموع شرح المهذب، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الفكر \_ بيروت، د، ت، ط.
211. المدخل، ابن الحاج المالكي (ت: 737هـ)، دار التراث \_ القاهرة، د، ت، ط.
212. المقدمات الممهדות لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهاة مسائلها المشكالات، محمد ابن رشد القرطبي (ت: 520هـ)، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية \_ بيروت، د ت ط.



213. مناهج التّحصیل ونتائج لطائف التّأویل فی شرح المدوّنة وحلّ مشكلاتها، علي الرجراجي، ت: أبو الفضل الدميّاطي - أحمد بن عليّ، دار ابن حزم - بيروت، ط: 1، 1428 هـ - 2007 م.

### كتب اللغة

214. أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، دار النفائس - بيروت، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م.
215. أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات، ت: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1413 هـ - 1991 م.
216. تهذيب اللغة، أبو المنصور محمد الهروي (ت: 370هـ)، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 2001 م.
217. جهرة اللغة، أبو بكر بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 1، 1987 م.
218. الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين المرادي (ت: 749هـ)، فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1413 هـ - 1992 م.
219. الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت: 255هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 2، 1424 هـ.
220. الخصائص، عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ). الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 4، د ت ط.
221. ديوان الخنساء، دار صادر - بيروت، د، ت، ط.
222. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، ت: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط: 3، د ت ط.
223. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لبيد بن ربيعة (ت: 41هـ)، ت: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م.
224. ديوان ليلي الأخيلى، ت: خليل إبراهيم العطية، وزارة الثقافة والإرشاد - العراق، د، ت، ط.
225. شرح الكافية الشافية، جمال الدين ابن مالك، ت: عبد المنعم هريدي، جامعة أم القرى - السعودية، ط: 1، 1402 هـ - 1982 م.
226. شرح تسهيل الفوائد، محمد بن مالك (ت: 672هـ)، ت: عبد الرحمن السيد - محمد المختون، هجر للطباعة، ط: 1، 1410 هـ - 1990 م.
227. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري (المتوفى: 761هـ)، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ط: 11، 1383 هـ.

228. شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، ت: أحمد مهدي، سيد علي، دار الكتب العلمية \_ بيروت، ط:1، 2008 م.
229. الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، دار الحديث \_ القاهرة، 1423 هـ.
230. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت: 393هـ)، ت: أحمد عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط:4، 1407 هـ - 1987 م.
231. العين، الخليل الفراهدي (ت: 170)، ت: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، د ت ط.
232. الغريين في القرآن والحديث، أحمد بن محمد الهروي (ت: 401 هـ)، ت: أحمد فريد المزدي، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، ط: 1، 1419 هـ - 1999 م.
233. الفروق اللغوية، أبو الهلال الحسن العسكري (ت: نحو 395هـ)، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - مصر، د ت ط.
234. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، (ت: 285هـ)، ت: محمد إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط:3، 1417 هـ - 1997 م.
235. كتاب الألفاظ، يعقوب ابن السكيت، ت: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط:1، 1998 م.
236. الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه (ت: 180هـ)، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي \_ القاهرة، ط:3، 1408 هـ - 1988 م.
237. الكليات، أبو البقاء الكفوي (ت: 1094هـ)، ت: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د ت ط.
238. اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري البغدادي، ت: عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط:1، 1416 هـ 1995 م.
239. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458هـ)، ت: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1421 هـ - 2000 م.
240. المخصص، علي بن سيده (ت: 458هـ)، ت: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط:1، 1417 هـ 1996 م.
241. المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مكتبة الشروق الدولية - مصر، ط 5، 1432 هـ - 2011 م.
242. معجم ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ت: أحمد عمر، ط: مؤسسة دار الشعب \_ القاهرة، 1424 هـ - 2003 م.
243. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (395هـ)، ت: محمد عوض مرعب \_ فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي - بيروت 1439 هـ - 2008 م.

244. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)، ت: مازن المبارك \_ محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط: 6، 1985م.
245. مفتاح العلوم، يوسف السكاكي (ت: 626هـ)، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2، 1407 هـ - 1987 م.
246. نتائج الفكر في النحو، عبد الرحمن السهيلي (ت: 581هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1412 - 1992م.
247. النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، ت: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط: 1، 1401 هـ - 1981م.

### كتب التراجم والطبقات:

248. أسد الغابة، أبو الحسن ابن الأثير (ت: 630هـ)، ت: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية \_ بيروت، ط: 1، 1415 هـ - 1994 م.
249. أسماء المدلسين، جلال الدين السيوطي (911هـ)، ت: محمود نصار، دار الجيل - بيروت، ط: 1، 1412 هـ، 1992م.
250. الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، ت: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1415 هـ.
251. الأعلام، خير الدين الزركلي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين \_ بيروت، ط: 15، 2002 م.
252. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان، د ت ط.
253. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1، 1422 هـ - 2002 م.
254. تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن معين في تجريح الرواة وتعديلهم. عثمان الدارمي (ت: 233هـ)، ت: أحمد سيف، دار المأمون للتراث - دمشق، د ت ط.
255. تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، دار الكتب العلمية \_ بيروت، ط: 1، 1419 هـ - 1998م.
256. تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ط: 1، 1406 - 1986م.

257. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزي (ت: 742هـ)، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1400 - 1980م.
258. الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي (ت: 327هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 1271 هـ 1952م.
259. الدر الثمين في أسماء المصنفين، تاج الدين ابن السّاعي (ت: 674هـ)، ت: أحمد بنين - محمد حنشي، دار الغرب الإسلامي - تونس، ط: 1، 1430 هـ - 2009م.
260. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن فرحون (ت: 799هـ)، ت: محمد الأحمدى، دار التراث - بيروت، د ت ط.
261. ذخيرة الحفاظ، محمد ابن القيسراني (ت: 507هـ)، ت: عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف - الرياض، ط: 1، 1416 هـ - 1996م.
262. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد الحسيني (ت: 1206هـ)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم - بيروت، ط: 3، 1408 هـ - 1988 م.
263. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ت: مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط: 3، 1405 هـ - 1985م.
264. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، ت: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية - لبنان، ط: 1، 1424 هـ - 2003م.
265. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي (ت: 902هـ)، دار مكتبة الحياة - بيروت، د، ت ط.
266. طبقات الفقهاء الشافعية، أبو عمرو بن الصلاح (ت: 643هـ)، ت: محيي الدين نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط: 1، 1992م.
267. طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: 476هـ)، ت: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط: 1، 1970م.
268. الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت: 230هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1410 هـ - 1990م.
269. طبقات علماء الحديث، محمد الصالحى (ت: 744 هـ)، ت: أكرم البوشي - إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 2، 1417 هـ - 1996م.
270. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات، عبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ)، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 2، 1982م.

271. الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي الجرجاني (ت: 365هـ)، ت: عادل الموجود-علي معوض، الكتب العلمية - لبنان، ط: 1، 1418هـ-1997م.
272. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزي (ت: 1061هـ)، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1418 هـ - 1997 م.
273. لحظ الأخطار بذيل طبقات الحفاظ، محمد بن محمد الأصفواني (ت: 871هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1419 هـ - 1998 م.
274. معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض - بيروت، ط: 3، 1409 هـ-1988م.
275. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، ت: علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر - لبنان، ط: 1، 1382 هـ - 1963 م.
276. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد التنبكي (ت: 1036هـ)، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط: 2، 2000 م.
277. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (ت: 764هـ)، ت: أحمد الأرنؤوط، دار إحياء التراث - بيروت، ط: 1، 1420هـ-2000م.

#### كتب التاريخ والبلدان

278. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، إسحاق المنجم (ت: 4ق)، عالم الكتب - بيروت، ط: 1، 1408هـ.
279. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله (ت: 1435هـ)، دار البصائر - الجزائر، ط: 3، 2007م.
280. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب (ت: 776هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1424 هـ.
281. أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، أبو الحسن علي المسعودي، دار الأندلس - بيروت، 1416هـ-1996م.
282. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (ت: 626هـ)، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1، 1414 هـ - 1993 م.
283. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 1408هـ - 1988 م.
284. بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد الضبي (ت: 599هـ)، دار الكاتب العربي - القاهرة، ط: 1، 1967 م.

285. بجهة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، يحيى العامري (ت: 893هـ)، دار صادر - بيروت، د ت ط.
286. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، ت: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 2003م.
287. تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، مكتبة الشركة الجزائرية - الجزائر، ط:2، 1384هـ-1965م.
288. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الملي (ت: 1364هـ)، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، ط:1، 1406هـ - 1986م.
289. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث - بيروت، ط:2 - 1387هـ.
290. تاريخ دمشق، ابن عساكر (ت: 571هـ)، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، 1418هـ - 1997م.
291. تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن الفرضي (ت: 403هـ)، ت: عزت العطار، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط:2، 1408هـ - 1988م.
292. تاريخ قضاة الأندلس، علي بن عبد الله النباهي (ت: نحو 792هـ)، ت: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط:5، 1403هـ - 1983م.
293. التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم القزويني (ت: 623هـ)، ت: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1408هـ-1987م.
294. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، ت: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة - المغرب، د ت ط.
295. التنبيه والإشراف، علي بن الحسين المسعودي، ت: عبد الله الصاوي، دار الصاوي - القاهرة، د ت ط.
296. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1983/1403م.
297. جوامع السيرة النبوية، ابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، د ت ط.
298. الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر القرطبي، ت: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط:2، 1403هـ.
299. دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1405هـ.
300. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن ابن خلدون (ت: 808هـ)، ت: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، ط:2، 1408هـ - 1988م.

301. رحلة الثعالبي، عبد الرحمن الثعالبي (ت: 876هـ)، ت: محمد شايب شريف، دار ابن حزم - بيروت، ط: 1، 1426هـ، 2005م.
302. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن السهيلي، ت: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2000م.
303. الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد الله الحميري (ت: 900هـ)، ت: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ط: 2، 1980م.
304. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 27، 1995م.
305. سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، ت: مصطفى السقا، شركة مصطفى البابي - مصر، ط: 2، 1375هـ - 1955م.
306. السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم الحلبي (ت: 1044هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 2، 1427هـ.
307. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ابن حبان البستي، ت: عزيز بك، الكتب الثقافية - بيروت، ط: 3، 1417هـ.
308. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (ت: 544هـ)، دار الفكر - بيروت، 1409هـ - 1988م.
309. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، خلف ابن بشكوال (ت: 578هـ)، ت: عزت الحسيني، مكتبة الخانجي، ط: 2، 1374هـ - 1955م.
310. الكامل في التاريخ، أبو الحسن ابن الأثير (ت: 630هـ)، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1417هـ / 1997م.
311. معجم البلدان، شهاب الدين الحموي (ت: 626هـ)، دار صادر - بيروت، ط: 2، 1995م.
312. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر كحالة (ت: 1408هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 7، 1414هـ - 1994م.
313. مغازي الواقدي، أبو عبد الله الواقدي (ت: 207هـ)، ت: مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، ط: 3 - 1409 - 1989م.
314. المقفى الكبير، تقي الدين المقرئزي (ت: 845هـ)، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط: 2، 1427هـ - 2006م.
315. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1412هـ - 1992م.

316. نفخ الطيب من غضن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقري (ت: 1041هـ)، ت: إحسان عباس، دار صادر- لبنان، ط: 1، 1997م.

### كتب في فنون متنوعة

317. آثار ابن باديس (ت: 1359هـ)، جمع وترتيب: عمار الطالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية \_ الجزائر، ط: 1، 1388 هـ - 1968م.

318. البحور الزاخرة في علوم الآخرة، محمد السفاريني، ت: عبد العزيز المشيقح، دار الرياض - السعودية، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م.

319. التبصرة، عبد الرحمن ابن الجوزي (ت: 597هـ)، دار الكتب العلمية \_ بيروت، ط: 1، 1406 هـ - 1986 م، (1/ 480).

320. التنوير في إسقاط التدبير، أحمد بن محمد الإسكندري (ت: 709هـ)، المطبعة الميمنية \_ مصر، د ت ط.

321. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية \_ السعودية، ط: 2، 1411 هـ - 1991 م

322. سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي (ت: 520هـ)، ت: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية \_ القاهرة، ط: 1414هـ، 1994م.

323. غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، عبد الرحمن الثعالبي (ت: 876هـ)، ت: محمد شايب شريف، دار ابن حزم \_ بيروت، ط: 1، 1426هـ، 2005م.

324. مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، ت: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد \_ السعودية، ط: 1، 1416هـ/1995م.

325. مقدمة في علم المعلومات، محمد عبد الهادي، دار غريب \_ مصر، ط: 1، 1983م.

### المجلات والدوريات

326. قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار عند الثعالبي من خلال تفسيره الجواهر الحسان، بلال أودني، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية باتنة 1، مجلد: 20، العدد: 24، ماي 2020.

327. القول السديد في دلالة (لن) على التأييد، سالم جاري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع: 37، 2018م.

328. هل تفيد لن التفي التأييدي كما زعم الزمخشري، حسن عمر، مجلة العلوم العربية، ع: 34، محرم 1436هـ.

329.



الرسائل الجامعية

330. استدرآكات الإمام الثعالبي على الإمام الطبري في تفسيره وهي رسالة دكتوراه، إعداد الباحث: عبد الناصر محمد، إشراف: وجيه محمود، جامعة ألبينا، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، تاريخ المناقشة: 2019/1/1.
331. تعقبات ابن كثير على من سبقه من المفسرين من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم، أحمد السيد، إ: أمين محمد عطية، جامعة أم القرى، السعودية، 1431هـ\_2010م.
332. تعقبات الزركشي في البرهان للزمخشري في الكشاف وأثرها في التفسير وعلوم القرآن، بلال طلفاح، عبد الله بدر ياسين، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1434هـ\_2013م.
333. منهج الإمام ابن عطية في عرض القراءات وأثر ذلك في التفسير، فيصل غزاوي، جامعة أم القرى، السعودية، 1422هـ.

# فهرس الموضوعات

أ	مقدمة.....
8	الباب الأول: مدخل لدراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية.....
9	تمهيد تعريف التعقب لغة واصطلاحاً.....
10	أولاً- تعريف التعقب لغة.....
15	ثانياً - تعريف التعقب اصطلاحاً.....
19	الفصل الأول التعريف بابن عطية والثعالبي وتفسيرهما.....
20	المبحث الأول: التعريف بابن عطية.....
20	المطلب الأول: الحياة الشخصية لابن عطية.....
20	أولاً- اسمه ونسبه.....
21	ثانياً- مولده ونشأته.....
22	ثالثاً- وفاته.....
22	المطلب الثاني: الحياة العلمية لابن عطية.....
22	أولاً- رحلاته وشيوخه.....
25	ثانياً- تلاميذه ومؤلفاته.....
26	ثالثاً- ثناء العلماء عليه.....
28	المبحث الثاني: التعريف بتفسير ابن عطية.....
28	المطلب الأول: دراسة ببليوغرافية لتفسير ابن عطية.....
28	أولاً- عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه.....
29	ثانياً- سبب تأليفه.....
30	ثالثاً- طبعات الكتاب.....
31	المطلب الثاني: مصادره.....
31	أولاً- مصادره في التفسير وعلوم القرآن.....

32	ثانيا_ مصادره في الحديث وعلومه
33	ثالثا_ مصادره في الفقه
34	رابعا_ مصادره في اللّغة والنحو
34	<u>المطلب الثالث: منهجه في التفسير</u>
34	أولا_ اعتماده على القرآن والتفسير بالمأثور
39	ثانيا_ عنايته بالقراءات
40	ثالثا_ عنايته بأسباب النزول:
41	رابعا_ موقفه من الاسرائيليات:
42	خامسا_ عنايته باللغة والتّحو:
43	سادسا_ طريقته في عرض المسائل العقدية والفقهية
46	<u>المطلب الرابع: مكانته العلمية</u>
48	<u>المبحث الثالث: التعريف بالثعالبي</u>
48	<u>المطلب الأول: الحياة الشخصية للثعالبي</u>
48	أولا_ اسمه ونسبه
49	ثانيا_ مولده ونشأته
49	ثالثا_ وفاته
50	<u>المطلب الثاني: الحياة العلمية للثعالبي</u>
50	أولا_ رحلاته وشيوخه
52	ثانيا_ تلاميذه ومؤلفاته
54	ثالثا_ ثناء العلماء عليه
56	<u>المبحث الرابع: التعريف بتفسير الثعالبي</u>
56	<u>المطلب الأول: دراسة بيبلوغرافية لتفسير الثعالبي</u>
56	أولا_ عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه

58	ثانياً_ سبب تأليفه.....
59	ثالثاً_ طبعات الكتاب.....
60	المطلب الثاني: مصادره.....
60	أولاً_ مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن.....
61	ثانياً_ مصادره في علوم الحديث.....
62	ثالثاً_ مصادره في الترغيب والترهيب والرفائق.....
62	رابعاً_ مصادره في الأحكام الفقهية والأصولية.....
63	سادساً_ كتب الخصائص والشمائل.....
63	المطلب الثالث: منهجه في التفسير.....
63	أولاً_ اعتماده على القرآن والتفسير بالمأثور.....
68	ثانياً_ عنايته بالقراءات.....
69	ثالثاً_ إيراداه لأسباب النزول.....
69	رابعاً_ موقفه من الاسرائيليات.....
70	خامساً_ عنايته باللغة والنحو.....
71	سادساً_ طريقته في عرض المسائل العقديّة والفقهية.....
73	سابعاً_ عنايته بالترغيب والترهيب.....
76	المطلب الرابع: مكانته العلمية.....

## الفصل الثاني نشأة التعقبات في التفسير، تطورها ومنهج الثعالبي فيها. 80

81	المبحث الأول: نشأة التعقبات في التفسير وتطورها.....
81	المطلب الأول: التعقبات النبوية.....
88	المطلب الثاني: تعقبات الصحابة رضي الله عنهم.....
90	المطلب الثالث: التعقبات بعد عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا.....
94	المبحث الثاني: منهج الثعالبي في تعقباته على ابن عطية.....

94	المطلب الأول: صيغ التعقبات عند الثعالبي
94	أولا_ أن يتعقب قول ابن عطية بأن فيه نظر.
95	ثانيا_ أن يتعقب ابن عطية في تخصيصه مبينا أن الصحيح هو التعميم.
96	ثالثا_ ينقل ابن عطية الإجماع فيتعقبه الثعالبي مبينا وجود الخلاف.
97	رابعا_ يرد ابن عطية قولا فيتعقبه الثعالبي بتصحيحه.
99	خامسا_ ينقل ابن عطية قولا فيتعقبه الثعالبي برده.
100	سادسا_ يورد ابن عطية معنى فيتعقبه الثعالبي بالتقل على غيره معتبرا إياه أحسن.
102	سابعا_ يتعقب الثعالبي ابن عطية بإيراد قول لم يذكره ويرجحه.
	ثامنا_ يورد ابن عطية قولا أو أكثر، فيتعقبه الثعالبي بإيراد معنا آخر محتمل دون أن يرد المعاني الأخرى.
102	الأخرى.
104	تاسعا_ يحكم ابن عطية على قولا فيتعقبه الثعالبي مبينا أنه صرح بخلافه.
105	عاشرا_ يورد الثعالبي كلام ابن عطية ويتعقبه بتصويب الخلل فيه.
106	المطلب الثاني: أسلوب الثعالبي في التعقب
106	أولا_ أسلوبه من حيث الاستدلال والاستشهاد.
110	ثانيا_ أسلوبه من حيث التزام الأدب في التعقب.
115	المطلب الثالث: أنواع تعقبات الثعالبي على ابن عطية
115	أولا_ تعقبات في العقيدة.
116	ثانيا_ تعقباته في علوم القرآن.
117	ثالثا_ تعقبات في التفسير.
117	رابعا_ تعقبات في الفقه.
118	خامسا_ تعقبات في اللغة والنحو.
118	سادسا_ تعقبات أخرى في موضوعات متنوعة.
121	الباب الثاني: دراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية

- الفصل الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل عقديّة.....122
- المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في النبوات ..... 122
- المطلب الأول: قضية إطلاق الشخّ على آدم عليه السلام ..... 122
- أولاً\_ معنى الشخّ. .... 123
- ثانياً\_ إطلاق الشخّ على آدم عليه السلام ..... 126
- المطلب الثاني: مسألة إخراج آدم عليه السلام من الجنة ..... 128
- المطلب الثالث: هل حمل الخطاب في قوله ﷺ: ﴿وَلَيْنِ إِنْتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ على النبي ﷺ فيه مساس بعصمته؟ ..... 131
- المطلب الرابع: هل الخطاب في قوله تعالى ﴿لَا تَكُونُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلًا مُّطَاعًا﴾؟ ..... 135
- المطلب الخامس: عصمة الأنبياء قبل النبوة. .... 138
- أولاً\_ عصمة الأنبياء من الوقوع في الكفر ..... 139
- ثانياً\_ الخلاف في عصمتهم من المعاصي ..... 140
- المطلب السادس: هل يفهم من قوله ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ بُنِنَاكَ لَقَد كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ أنّ النبي ﷺ هم بالركون إلى المشركين؟ ..... 144
- المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مبحث الغيبيات ..... 149
- المطلب الأول: معنى قول الله ﷻ للملائكة: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ..... 149
- أولاً\_ التحقيق في معنى سؤال الملائكة في قوله ﷻ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ..... 150
- ثانياً\_ التحقيق في مسألة عصمة الملائكة وهل فيما نقله ابن عطية مساس بذلك؟ ..... 154
- المطلب الثاني: المقصود بالوسيلة المطلوبة للنبي ﷺ ..... 158
- المطلب الثالث: مسألة زواج الجنّ بالإنس ..... 160

- المطلب الرابع: مسألة رفع القرآن في آخر الزمان ..... 164
- أولاً: التحقيق في أثر ابن مسعود رضي الله عنه ..... 165
- ثانياً \_ موقف المفسرين من رفع القرآن ..... 166
- ثالثاً \_ مناقشة الأدلة التي أوردتها المعترضون ..... 167
- المطلب الخامس: مسألة إلحاق الذرية بآبائهم في الجنة ..... 169
- المطلب السادس: هل قوله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يقتضي أنّ أهل الإيمان يحملون الأنوار يوم القيامة؟ ..... 173
- أولاً \_ الوقوف على الحديث الوارد في فضل عباد بن بشر وأسيد بن حضير ..... 174
- ثانياً \_ التحقيق في مسألة أحوال الآخرة وهل تقاس بأحوال الدنيا ..... 174
- المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في الأسماء والأحكام ... 177
- المطلب الأول: هل قول بني إسرائيل ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ كان كفراً منهم؟ ..... 177
- المطلب الثاني: هل يكون الكفر والجحود مع العلم؟ ..... 181
- الفصل الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن ..... 186**
- المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في أسباب النزول ..... 187
- المطلب الأول: في نزول قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ..... 187
- أولاً \_ التحقيق في إسلام الأحنس بن شريق ..... 188
- ثانياً \_ التحقيق في سبب نزول الآية ..... 189
- المطلب الثاني: في نزول قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ابْتِنَا بِعَذَابِ الْبَرِّ﴾ ..... 191
- المطلب الثالث: في سبب نزول قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّجْمُ لِمَنْ حُرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ﴾ ..... 194
- المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في القراءات ..... 199



- المطلب الأول: في قراءة حمزة ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء:1] بالخفض. .... 199
- المطلب الثاني: في تسمية الإمالة كسرا ..... 202
- أولا \_ هل ما نقله ابن عطية عن حمزة والكسائي وحفص مقرر عند أهل الفن؟ ..... 203
- ثانيا \_ هل اصطلاح القراء بالكسر للدلالة على الإمالة ؟ ..... 203
- المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في الوجوه والنظائر وعادات القرآن 206
- المطلب الأول: الفرق بين العباد والعبيد في الاستعمال القرآني ..... 206
- المطلب الثاني: لفظ "المال" في الاستعمال القرآني ..... 212
- المطلب الثالث: وقوع "القتل" بمعنى "اللّعن" في الاستعمال القرآني ..... 215
- المطلب الرابع: المقصود ب ﴿ خَاوِيَةٌ ﴾ الواردة في الكهف والحج والنمل ..... 219
- أولا \_ نَقْلُ كلام ابن عطية في تفسيره لخاوية الواردة في سورة الحج والنمل ..... 220
- ثانيا \_ التحقيق في تفسير خاوية من قوله ﷺ: ﴿ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ ..... 220
- ثالثا \_ تفسير خاوية في قوله ﷺ: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ ﴾ : ..... 222
- المبحث الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ 225
- المطلب الأول: هل قوله ﷺ: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ منسوخ بآية المنفقون؟ . 225
- أولا \_ التحقيق في المعنى المشترك بين الآيتين عند الثعالبي ..... 226
- ثانيا \_ بيان موقف العلماء من الآيتين، وهل نُسخَت آية "التوبة" بآية "المنافقون"؟ ..... 226
- المطلب الثاني: بأي شيء وقع التحدي في القرآن؟ ..... 231
- أولا \_ هل قرّر ابن عطية في سورة هود خلاف ما قرّره في سورة يونس ..... 232
- ثانيا \_ هل ما انتقده ابن عطية ونسبه للمتكلمين هو قول الجمهور كما ذكر الثعالبي ..... 233
- الفصل الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في التفسير** ..... 236
- المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من السبع الطوال ..... 237

- المطلب الأول: المقصود من قوله ﷺ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ..... 237
- المطلب الثاني: معنى قوله ﷺ: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴾ ..... 240
- المطلب الثالث: معنى قوله ﷺ: ﴿ أَحْيِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ..... 242
- المطلب الرابع: المخاطب بقوله ﷺ: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ ﴾ ..... 244
- المطلب الخامس: معنى ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ في قوله ﷺ: ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ..... 247
- المطلب السادس: في معنى قوله ﷺ: ﴿ وَإِنْ تَعَدَّى كَلٌّ عَدْلٍ لَا يُؤَخِّدْ مِنْهَا ﴾ ..... 250
- المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المئين ..... 253
- المطلب الأول: معنى الاختلاف في قوله ﷺ: ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ ..... 253
- المطلب الثاني: المقصود بقوله ﷺ: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ ..... 256
- أولا\_ التحقيق في معنى الآية ..... 257
- ثانيا\_ هل ما أورده ابن عطية هو ما ذهب إليه أهل التفسير قاطبة؟ ..... 259
- المطلب الثالث: هل يفهم من قوله ﷺ: ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخُرِّي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ بأن الله تاب عليهم بعد معاينة العذاب؟ ..... 260
- المطلب الرابع: هل يدل قول الملائكة لزوجته إبراهيم عليهم السلام: ﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِكُمْ ﴾ ..... 263
- أهل الْبَيْتِ ﴿ بأنّ الزوجة من أهل البيت؟ ..... 263
- أولا\_ التحقيق فيما ذكره الثعالبي من كون سارة ابنة عم إبراهيم ﷺ: ..... 264
- ثانيا\_ هل الإشارة إليها بأنها من أهل البيت باعتبارها ابنة عمه أم باعتبارها زوجته؟ ..... 264
- المطلب الخامس: المقصود بالحسنة في قوله ﷺ: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ ..... 266
- المطلب السادس: هل وقع الاتفاق حول الآيات التسع الواردة في قوله ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ﴾ ..... 268
- تَسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿ ..... 268

- أولاً\_ درجة حديث صفوان بن عَسَّال ..... 269
- ثانياً\_ هل أورد ابن عطية الحديث ..... 270
- ثالثاً\_ هل نقل المفسرون الخلاف؟ ..... 270
- المطلب السابع: هل السؤال في قوله ﷺ: ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ عن زمن المكوث في الدنيا أم في القبر؟ ..... 271
- المطلب الثامن: في معنى قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ ..... 274
- المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المثاني ..... 279
- المطلب الأول: معنى الزيادة في قوله ﷺ: ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ..... 279
- المطلب الثاني: المقولون كَلِمَاتِهِ ..... 282
- المطلب الثالث: معنى قوله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشَاءُ فِي يَوْمِ ذُنُوبِهِ﴾ ..... 284
- المطلب الرابع: معنى قوله ﷺ: ﴿أَوْجَاهَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّبِينَ﴾ ..... 286
- المطلب الخامس: هل يفهم من قوله ﷺ: ﴿قَالَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بَنِيَّ الْكِنْبِ وَجَعَلَنِي بَنِيًّا﴾ أن عيسى عليه السلام أوتي النبوة على صغره؟ ..... 289
- المطلب السادس: المقصود: بقوله ﷺ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ..... 292
- المطلب السابع: معنى قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَأْتِي عُونَكَ اللَّهُ﴾ ..... 296
- المبحث الرابع: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في آيات من المفصل ..... 299
- المطلب الأول: هل وقع الإجماع في معنى قوله ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾؟ ..... 299
- المطلب الثاني: معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ ..... 301

المطلب الثالث: المقصود بالعذاب في قوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ ..... 304

المطلب الرابع: معنى قوله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ..... 306

المطلب الخامس: هل قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ يراد منه القرآن بإجماع المفسرين؟ .. 308

### الفصل الرابع تعقبات الثعالبي على ابن عطية في اللغة ..... 311

المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل إعرابية ..... 312

المطلب الأول: إعراب (الجن) في قوله ﷺ: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ ..... 312

المطلب الثاني: إعراب (ماتيا) في قوله ﷺ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ۖ ﴾ (61) ..... 316

المطلب الثالث: هل يجوز البدل في قوله تعالى: ﴿ الْآنَ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ ..... 318

المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في معاني الألفاظ والحروف ..... 322

المطلب الأول: إطلاق السلوى على العسل ..... 322

المطلب الثاني: في دلالة (لن) ..... 326

المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في العهد الذكري وعود الضمير . 332

المطلب الأول: هل تعريف (السحر) في قوله ﷺ: ﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ ﴾ للعهد الذكري؟ . 332

المطلب الثاني: عود الضمير في قوله ﷺ: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ ..... 335

المطلب الثالث: عود الضمير في قوله ﷺ: ﴿ يُخْرِجُ مِنْهَا اللَّزُؤُورَ وَالْمَرْجَاتِ ﴾ ..... 339

### الفصل الخامس تعقبات الثعالبي على ابن عطية في موضوعاته متنوعة ... 346

المبحث الأول: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في مسائل حديثة ..... 347

المطلب الأول: هل حديث «لن يغلب عسر يسرين» مرفوع أم موقوف؟ ..... 347

أولا\_ الروايات المرفوعة ..... 348

ثانيا\_ الروايات الموقوفة ..... 349

- المطلب الثاني: رواية التقاش عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله ﷺ: ﴿ وَمَثَلُكُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْبٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَعْظَمَ فَاسْتَوَى عَلَى سُرْقِيهِ ﴾ ..... 350
- المطلب الثالث: الرواية الصحيحة في بيان الممتنع عن السجود عند سورة النجم ..... 355
- المبحث الثاني: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في الفقه ..... 360
- المطلب الأول: هل صح الإجماع في إباحة الدم غير المسفوح؟ ..... 360
- المطلب الثاني: متى يجوز الفرار من الزحف؟ ..... 364
- المطلب الثالث: هل يحمل قوله تعالى: ﴿ وَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ على الصلوات المكتوبة أم النوافل؟ ..... 367
- المطلب الرابع: حكم رجوع مال المكاتبه الذي يسقطه السيد على عبده بعد عجزه ..... 371
- أولا \_ التحقيق في مسألة عود الصدقة بالميراث ..... 372
- ثانيا \_ بيان وجه الشبه بين الصورتين، وهل وافق الثعالبي غيره من أهل العلم؟ ..... 373
- المطلب الخامس: المقصود بالسعي في قوله ﷺ: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ..... 374
- المطلب السادس: في حكم القيام للشخص إجلالا ..... 378
- المبحث الثالث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية في قصص الأنبياء والسيرة ..... 384
- المطلب الأول: هل كان موسى وهارون عليهما السلام مع قومهم في التيه؟ ..... 384
- المطلب الثاني: موقف ابن عطية من تعيين الذبيح ..... 386
- المطلب الثالث: هل الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام كان بالغاً أم لا؟ ..... 388
- المطلب الرابع: هل الجيش الذي فتح مكة كان كله من الفرسان؟ ..... 391
- المطلب الخامس: متى كانت قصة حاطب بن أبي بلتعة؟ ..... 394
- المبحث الرابع: تعقبات أخرى ..... 397
- المطلب الأول: هل أغفل ابن عطية التنبيه على ما أحال إليه؟ ..... 397
- المطلب الثاني: في المبادرة إلى التوبة ..... 398

المطلب الثالث: هل تناقض ابن عطية في توجيهه للخطاب في قول ﷺ: ﴿ قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ ﴾

لِبَعْضِ عَدُوِّكُمْ [الأعراف: 24]، مع ما أورده في سورة البقرة؟ ..... 400

المطلب الرابع: هل تناقض ابن عطية في ترجيحه لمعنى دعاء المؤمنين بقولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾

لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، بين ما قرره في يونس والممتحنة؟ ..... 401

المطلب الخامس: هل عكس ابن عطية ما نسبه للجمهور في معنى (الفرج) بين ما نقله في سورة

الأنبياء والتحریم؟ ..... 402

406 ..... **الخاتمة**

410 ..... الملحق

..... **الفهارس**

423..... فهرس الآيات

444..... فهرس الأحاديث والآثار

449..... فهرس الأعلام

453..... فهرس الأشعار

455..... فهرس الألفاظ الغريبة

457..... فهرس الأماكن والبلدان

460..... فهرس المصادر و المراجع

485..... فهرس الموضوعات

497 ..... **ملخص البحث**

498..... ملخص باللغة العربية

499..... ملخص باللغة الإنجليزية

# ملخص البحث

## ملخص البحث باللغة العربية:

عنوان البحث: تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان - جمعا ودراسة -

يُعنى هذا البحث بجمع تعقبات الثعالبي على ابن عطية ودراستها دراسة علمية، للوصول للإجابة على إشكالية رئيسية وهي: إلى أي مدى وُفق الثعالبي في تعقباته على ابن عطية؟

وقد اشتمل على مدخل عرّفت فيه مصطلح "التعقب" لغة واصطلاحاً، يليه بابان، الأول خصّصته للدراسة النظرية، تضمن الفصل الأول منه ترجمة ابن عطية والثعالبي والتعريف بتفسيرهما، وأما الفصل الثاني فتبعت من خلاله نشأة التعقب في التفسير وتطوره، كما تناولت فيه أيضاً منهج الثعالبي في التعقب، أبرزت أهم الصيغ التي اعتمدها، مع التعرّيج على أسلوبه من حيث الاستشهاد ولزوم الأدب مع ابن عطية، كما أوردت أهم الموضوعات التي شملتها تعقباته.

أما الباب الثاني فيهدف إلى دراسة هذه التعقبات في ضوء أقوال أهل التفسير وقواعد الترجيح، وقد تمّ تقسيمها إلى فصول حسب مواضيعها، جاء الفصل الأول لدراسة التعقبات العقديّة، اشتمل مسائل في النبوات، وأخرى في الغيبات، ومسائل متعلّقة بمبحث الأسماء والأحكام. يليه الفصل الثاني خصّصته لدراسة تعقبات الثعالبي على ابن عطية في علوم القرآن، اشتمل على تعقبات في أسباب النزول، وأخرى في المشترك اللفظي وعادات القرآن، بالإضافة إلى تعقبات في الإعجاز والتاسخ والمنسوخ. وأما الفصل الثالث فتضمن تعقبات في التفسير، راعيت في دراسة مسائله التقسيم النبوي للقرآن، فاشتمل على تعقبات في السبع الطوال، وأخرى في المثيين، بالإضافة إلى تعقبات في المثاني، والمفصل. أما الفصل الرابع فتناولت فيه التعقبات اللغوية، منها ما له صلة بالإعراب، ومنها في معاني الألفاظ والحروف، بالإضافة إلى عود الضمير. وأما الفصل الخامس والأخير، فخصّصته للتعقبات التي لا ترتقي أن تكون فصلاً لقلّة مسائله، فجمعتها مع نظيرها في فصل خاص بتعقبات في موضوعات متنوعة، منها ما له صلة بالحديث، ومنها ما له علاقة بالفقه والتاريخ والسيرة...

ختمت البحث بخاتمة أوضحت فيها أهم النتائج المتوصل إليها منها: بيان تعدّد صيغ الثعالبي على ابن عطية، مع بيان التزامه بالأدب أثناء الاستدراك، كما اتّضح أنّه يستند إلى الأدلة ويستشهد بأقوال أهل العلم سالكا في ذلك مسلك الاختصار، وقد جاءت تعقباته شاملة لموضوعات عديدة وُفق في أغلبها، وهذا ما يعكس قوة اطلاعه، وتمكّنه من أدوات التفسير التي تجعل من جواهره تفسيراً مستقلاً بذاته، لا كما ادعى البعض بأنّه مجرد اختصار، ليس له بعد الجمع والترتيب إلّا عمل قليل، وأثر فكري ضئيل.



## Summary

---

**The Title :** Commentaries of Tha'alibi on Ibn Atiya through El Djawaher El Hisan.

**Abstract :**

This research is concerned with collecting the Commentaries of al-Tha'labi on Ibn Atiyah and studying it scientifically, in order to reach an answer to a major problem, which is: how far Al-Tha'labi has Succeeded in his Commentaries on Ibn Atiyah, It included an introduction on the term "taakoub" was defined in language and idiom.

It is followed by two chapter, the first I devoted it to theoretical study, The first chapter included the biography of Ibn Atiyah and Al- Tha'alibi, And the introduction of their interpretation,

In the second chapter, i traced the emergence and development of "Commentary" in the interpretation.

In it I also dealt with Al-Tha'alibi method in Commentary, I demonstrated the most important expression used by him, While explaining his method in terms of citation and behavior with Ibn-Atiyah, It also listed the most important topics covered by his commentaries.

As for the second chapter, it aims to study these commentaries through the sayings of the interpreters and the rules of preference, It has been divided into chapters according to their topics.

The first chapter came to study the ideological commentaries, It included issues on prophethood, others on occultations, and issues related to the study of names and jurisprudence.

It is followed by the second chapter, which I devoted it to studying the commentaries of al-Tha'alibi on Ibn Atiyah in the sciences of the Qur'an. Include commentaries on the reason for descent, And another on the verbal commonality and ways of the Qur'an, In addition to tracts on the inimitability, the transcript, and the abrogater and abrogated.

As for the third chapter, it contains commentaries in interpretation.

In studying his issues, I took into account the prophetic division of the Qur'an. It included commentaries in the long seven, And another in the Mi'in, Plus, Mathani and Moufas'al.

## Summary

---

The fourth chapter deals with the linguistic commentaries. Some of them are related to parsing, and some are related to the meanings of words and letters, In addition to return of the pronoun.

As for the fifth and final chapter, i devoted it to commentaries that do not rise to be a chapter because of their few issues, So I collected it with her counterpart in a special chapter of commentaries on various topics, some of which are related to the hadith, and some related to jurisprudence, history and biography of the prophet PBUH...

I concluded the research with a conclusion explaining the most important findings including:

Representation of the multiple Wording of Tha'alibi on Ibn Attiyah, With a statement of his good behavior in the remedy, It also became clear that he is based on evidence and citations of scholars, walking the path of shortening. His commentaries included many issues, most of them were agreed upon, This is what reflects his power of knowledge, And his ability to interpret the tools that make his interpretation an independent one, No, as some have claimed that it is just an abbreviation and a Little intellectual impact.